بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الحادي عشر



دار امير كبير للنشر
تهران: ١٣٧٦



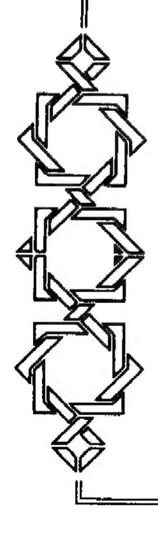
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الحادي عشر)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابک ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

الفصل الخامس والثلاثون

في مقتله عليه السلام ووصاياه



١
الخطبة (٦٠)

ومن كلام له عليه السلام لمّا خُوّف من الغِيلة:

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ ٱللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ ٱلْكَلْمُ.

«ومن كلام له عليه السلام لمّا خوّف من الغيلة» أي: القتل بغتة؛ في (الأغاني) عن جعفر بن محمّد عليه السلام: حدّثتني امرأة منّا قالت: رأيت الأشعث بن قيس دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فأغلظ عليه السلام له، فعرض له الأشعث بأن يفتك به، فقال عليه السلام له: أبالموت تهددني؟! فوالله ما أُبالي وقعتُ على الموت أو وقع الموت علَيّ.

وعن (جمل أبي مخنف)[1] ـ بعد ذكر خروجه عليه السلام إلى الزبير في الجمل، وانكاره خبر النبي صلّى الله عليه وآله ورجوعه ـ: قال له أصحابه: تبرز إلى الزبير حاسراً

---

(١) رواه نهج البلاغة ١: ٢٣٥.

وهو شاك في السلاح؟ قال عليه السلام: إنّه ليس بقاتلي، إنّما يقتلني رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة في غيرما قط حرب ولا معركة رجال، ويلُمِّهِ! أشقى البشر ليودّن أنّ أُمّه هبلت به، أما إنّه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن.

قوله عليه السلام: **«وإنّ عليّ من الله جُنّة حصينة»** تقيه من الهلكة، وهي المدّة التي قدر تعالى لكلّ بشر أن يعيش في الدنيا.

«فإذا جاء يومي» وانقضى أجلي.

«انفرجت» تلك الجنة.

«عنّي» وينبغي أن يفسر هذا العنوان بالفارسية هكذا:

روزم كه سپرى شد هيچ سپرى جلوى شمشير تقدير را نميگيرد، و هيچ زرهى مانع از نشان آمدن تير قضا نميشود، و هيچ جراحى نتواند زخم قدر را بهبود بخشد....

«وأسلمتني» إلى المهالك.

«فحينئذٍ لا يطيش» أي: لا يعدل.

«السّهم» بل يصيب الغرض.

«ولا يبرأ الكلْم» أي: الجرح فيهلك. والكلام كلّه: «جنّة حصينة» و «انفرجت عني وأسلمتني» و «لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم» استعارات، ولا يخفى لطف موقعها.

وفي (الإرشاد)[١]: لم يخرج عليه السلام في الليلة التي قتل في صبيحتها إلى المسجد لصلاة الليل على عادته، فقالت ابنته أُم كلثوم: ما هذا الذي قد أسهرك؟ فقال: إنّي مقتول لو قد أصبحت. فأتاه ابن النباح فآذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد ثم رجع فقالت أُم كلثوم: مرّ جعدة فليصلّ بالناس. قال: نعم مروا جعدة

---

(١) الإرشاد ١: ١٦.

فليصل بالناس. ثم قال: لا مفرّ من الأجل. فخرج إلى المسجد وإذا هو الرجل قد سَهِر ليلته كلّها يرصده، فلمّا برد السحر نام فحرّكه عليه السلام برجله وقال له: الصلاة. فقام إليه فضربه.

هذا، وفي السير: قال كاهن لصريم بن معشر: إنّك تموت بثنية يقال لها: الاهة. فخرج مع ركب فضلّوا الطريق ليلاً، فلمّا أصبحوا سألوا عن المكان هم فيه، فقيل لهم: هذه الاهة. فنزل أصحابه وأبى أن ينزل، وخلّى ناقته ترعى فعلقت بمشقرها أفعى، فأمالت الناقة رأسها فنهشته فألقى بنفسه، وأنشأ يقول:

لعمري ما يدري امرؤ كيف يتّقي	إذا هو لم يجعل له الله واقيا
فطأ معرضاً إنّ الحتوف كثيرة	وإنّك لا تُبقي لنفسك باقيا
كفى حزناً أن يرحل الركب غاديا	وأُترك في أعلى الاهة ثاويا

ومات مكانه فقُبِر هناك.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله بشهادته عليه السلام؛ فروى (فضائل شهر رمضان الصدوق)[1] عنه عليه السلام: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا خطب بخطبته في فضائله قلت له: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: الورع عن محارم الله. ثم بكى فقلت: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لمّا يُستحل منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تُصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين ـ شقيق عاقر ناقة ثمود ـ فضربك ضربة فخضّب منها لحيتك. فقلت: وذلك في سلامة من ديني: فقال: في سلامة من دينك. ثم قال: من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني، لأنّك منّي كنفسي؛ روحك من روحي، وطينتك من طينتي....

وروى أنّه عليه السلام خطب في أوّل يوم من الشهر وقال: أيّها النّاس، إنّ هذا

---

(١) فضائل شهر رمضان للصدوق، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣١ ـ ح٥٣.

الشهر شهر فضّله الله على ساير الشهور، كفضلنا أهل البيت على ساير الناس -إلى أن قال- فقام إليه رجل من همدان فقال: زدنا ممّا حدّثك به حبيبك في شهر رمضان. فقال: سمعت سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين يقول: إنّ سيّد الوصيين يُقتل في سيّد الشهور. فقلت: وما سيّد الشهور، ومن سيّد الوصيين؟ قال: أمّا سيد الشهور فشهر رمضان، وأمّا سيّد الوصيين فأنت. فقلت: إنّ ذلك لكائن: قال: إي وربي إنّه ينبعث أشقى اُمّتي، شقيق عاقر ناقة ثمود، ثم يضربك ضربة على فرقك يخضّب منها لحيتك. فأخذ الناس بالبكاء والنحيب، فقطع عليه السلام خطبته ونزل؛ وقال الميبدي:

اشتر حق كشته أشقى الأولين شير حق را كشته أشقى الآخرين

وروى (العلل)[1] عن الأصبغ: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك من الخضاب وقد اختضب النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: انتظر أشقاها أن يختضب لحيتي من دم رأسي، بعهد معهود عن حبيبي صلى الله عليه وآله.

ورووا أنّه لمّا وقعت الضربة عليه قال عليه السلام: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

٢
الحكمة (٢٠١)

وَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ ٱلْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ.

أقول: نقلناه في مقتله عليه السلام مع عموم لفظه، لمّا رواه سبط ابن الجوزي عن كاتب الواقدي عن إسماعيل بن علية عن عمارة بن أبي حفصة عن أبي

(١) العلل: ١٧٣ ب ١٣٨ ح ١.

مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى عليّ عليه السلام وهو يصلّي في المسجد، فقال له: احترس فإنّ ناساً من مراد يريدون قتلك. فقال عليه السلام: إنّ مع كلّ رجلين ملكين يحفظانه ممّا لم يقدر، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإنّ الأجل جنّة حصينة.

«إنّ مع كلّ انسان ـ إلى ـ بينه وبينه» في (صفّين نصر)[1] عن أبي إسحاق قال: خرج عليّ عليه السلام يوم صفّين وفي يده عنَزَة، فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني فقال له: أما تخشى أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوّك؟ فقال له عليّ عليه السلام: إنّه ليس من أحد إلّا عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب أو يخر عليه حائط أو يصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه.

وفي (توحيد ابن بابويه)[2] عن أبي حيان التميميّ قال: بينا عليّ عليه السلام يعبّئ الكتائب في صفّين ومعاوية مستقبله على فرس له يتأكل تحته تأكلاً، وهو عليه السلام على فرس النبي صلى الله عليه وآله المرتجز، وبيده حربة النبي صلى الله عليه وآله متقلّداً سيفه ذا الفقار، فقال له عليه السلام رجل من أصحابه: احترس فإنّا نخشى أن يغتالك هذا اللعين. فقال عليه السلام: لئن قلت ذلك انّه غير مأمون على دينه، وإنّه لأشقى القاسطين وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلّا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلّوا بينه وبين ما يصيبه، وكذلك إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا ـ وأشار إلى لحيته ورأسه ـ عهداً معهوداً.

هذا، وفي (بيان الجاحظ): وقع في الناس وباء جارف وموت ذريع، فهرب رجل على حماره، فلمّا كان في بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً

---

(١) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٥٠.

(٢) التوحيد لابن بابويه: ٣٦٧ ح ٥.

حيّه وقال:

لن يسبق الله على حمار ولا على ذي ميعة مطار

قد يصبح الله امام الساري

وفي (حيوان الجاحظ)[١]: أنّ طاعوناً جارفاً في البصرة جاء على أهل دار، فلم يشك أهل تلك المحلة أنّه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي مرتضع ويحبو، فعمد من بقي من المطعونين من المحلة فسدوا باب تلك الدار، وبعد أشهر تحوّل بعض الورثة إلى الدار ففتحها، فإذا هو بصبي يلعب مع اجراء كلب، فراعه ذلك فلم يلبث ان أقبلت كلبة كانت لأهل الدار، فلمّا رآها الصبي حبا إليها فأمكنته من أطبائها فمصها.

«وإنّ الأجل جنّة حصينة» قال تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجلاً...﴾[٢]، ﴿...يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم...﴾[٣]، ﴿...لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم...﴾[٤].

وفي (التوحيد)[٥]: أنّ قنبراً كان يحبه عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال له: مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك. قال: ويحك! أمن أهل السماء تحرسني، أم من أهل الأرض؟ فقال: من أهل الأرض. فقال: إنّ أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا بإذن الله

---

(١) الحيوان للجاحظ ٢: ١٥٥.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) آل عمران: ١٥٦.

(٥) التوحيد: ٣٣٨ ح ٧.

من السماء فارجع. فرجع.

أيضاً روى: أنّه عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم له عليه السلام: لا تقعد جنب هذا الحائط فإنّه معور. فقال عليه السلام: حرس امرئ أجله. ولمّا قام عليه السلام سقط، وكان عليه السلام ممّا يفعل هذا وأشباهه[1].

وروى: أنّ الحسين عليه السلام دخل على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ضحى، ثم دار عشياً في طرقهم في ثوبين؟ فقال عليه السلام: علمه أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[2].

وروى (التوحيد): أنّه قيل له عليه السلام ـ لمّا أراد قتال الخوارج ـ: لو أحرزت. فقال:

أي يومي من الموت أفر ... يوم ما قدر ام يوم قدر
يوم لم يقدر لم أخش الردى ... وإذا قدر لم يغن الحذر[3]

٣
الخطبة (٦٨)

وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضُرب فيه:

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِيَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱللَّدَدِ؟ فَقَالَ: ٱدْعُ عَلَيْهِمْ. فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي.

«قال الشّريف: يَعْنِي بالأَوَد: ٱلاعْوجاج، وباللَّدَد: الخِصَام، وهذا منْ أَفْصَح الكلام».

---

(١) التوحيد: ٣٦٩ ح ٨.

(٢) التوحيد: ٣٧٤ ح ١٩.

(٣) المصدر نفسه.

قول المصنف: «وقال عليه السلام» هكذا في جميع النسخ، مع أنّ هذا دأبه في الباب الثالث، وأمّا الأول فانّما يقول تارة: «ومن خطبة له عليه السلام» وأُخرى: «ومن كلام له عليه السلام».

«في سحرة» بالضم؛ وفي (الجمهرة): السحرة والسحر واحد؛ اليوم الذي ضُرب فيه. وفي (مروج المسعودي)[١]: أنّه عليه السلام ضُرب بالليل.

وكيف كان، فروي العنوان بطرق مختلفة؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة)[٢] روى عن الحسن عليه السلام قال: أتيت أبي فقال لي: أرِقتُ الليلة ثم ما ملكتني عيني، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ماذا لقيت من أُمّتك من الأَود واللدد. فقال: ادع عليهم. فقلت: اللهم ابدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم مني. ثم خرج إلى الصلاة فاعترضه ابن ملجم.

وفي (إرشاد المفيد)[٣] روى عمّار الدهنيّ عن أبي صالح الحنفيّ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في منامي، فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته من الأَود واللدد وبكيت، فقال: لاتبكِ ياعليّ والتفت. فالتفت فإذا رجلان مصفّدان وإذا جلاميد ترضخ بهما رؤوسهما. قال: فغدوت إليه من الغد ـ كما كنت أغدو إليه في كلّ يوم ـ حتى إذا كنت في الجزّارين لقيت الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

وفي (صفّين نصر)[٤] عن الأعمش عن ابراهيم التيميّ عن الحرث بن سعيد عن عليّ عليه السلام قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في النوم، فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته من الأَود واللدد. فقال: انظر. فإذا عمرو بن العاص ومعاوية معلقين

---

(١) المروج للمسعودي ٢: ٤٢٤.

(٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١٦٠.

(٣) الإرشاد للمفيد ١: ١٥.

(٤) صفّين لنصر بن مزاحم: ٢١٨.

منكسين، تشدخ رؤوسهما بالصخر.

وفي (عقد ابن عبد ربه)[1] قال الحسن عليه السلام ـ صبيحة التي قتل فيها عليّ عليه السلام ـ: حدّثني أبي البارحة في هذا المسجد فقال: يا بني إنّي صلّيت البارحة ما رزق الله ثم نمت نومة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي، وقلّة رغبتهم في الجهاد، فقال لي: ادع الله أن يُريحك منهم. فدعوت الله. وقال الحسن عليه السلام صبيحة تلك الليلة: أيّها النّاس إنّه قُتل فيكم الليلة رجلٌ كان النبيّ صلى الله عليه وآله يبعثه فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا ينثني حتى يفتح الله تعالى له، ما ترك إلّا ثلاثمائة درهم.

وفي (الأغاني) بأسانيد عن أبي عبدالرحمن السلميّ عن الحسن عليه السلام: خرجت أنا وأبي نصلّي في هذا المسجد، فقال: يا بني إنّي بت الليلة أُوقظ أهلي لأنّها ليلة الجمعة صبيحة قدر تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ماذا لقيت من أُمّتك من الأود واللدد. فقال لي: ادع عليهم. فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني. وجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج، وخرجت خلفه فاعتوره الرجلان، فأمّا أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأمّا الآخر فأثبتها في رأسه.

وأمّا مقتله عليه السلام ففي (كامل المبرد)[2]: لمّا قتل عليّ عليه السلام أهل النهروان كان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج، ممّن لم يخرج مع عبدالله بن وهب وقوم ممّن استأمن إلى أبي أيوب، فتجمعوا وأمّروا عليهم رجلاً وهم بالنخيلة، فدعاهم ورفق بهم فأبوا، فعاودهم فأبوا، فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجّه

---

(١) العقد لابن عبد ربه ٣: ١٩٥.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٦٥.

معاوية من يقيم للناس حجّهم، فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية، فوجّه بسر بن أرطاة ـ أحد بني عامر بن لؤي ـ فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب، بأن يصلّي بالناس رجل من بني شيبة لئلا يفوت الناس الحجّ، فلمّا انقضى قالت الخوارج: إن عليّاً ومعاوية قد أفسدا أمر الأُمّة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقّه. وقال رجل من أشجع: ما عمرو دونهما، وإنّه لأُصل هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليّاً. فقالوا: وكيف به؟ قال: اغتاله. فقال الحجاج بن عبدالله الصريميّ ـ وهو البرك ـ: أنا أقتل معاوية. وقال زادويه ـ مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم ـ: وأنا اقتل عمراً. فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة، فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فخرج كلّ واحد منهم إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه، وتزوّج امرأة يقال لها: قطام بنت علقمة ـ من تيم الرباب ـ وكانت ترى رأي الخوارج.

والأحاديث تختلف وإنّما يؤثر صحيحها، وفي بعضها: أنّها قالت: لا أقنع منك إلّا بصداق أُسمّيه لك، وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليّاً. فقال لها: لك ما سألت، فكيف لي به؟ قالت: تروم ذلك غيلة؛ وفي ذلك يقول:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من عليّ وإن غلا ... ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم

وذكروا أنّ القاصد لمعاوية: يزيد بن ملجم، وإلى عمرو: آخر من بني ملجم، وأنّ أباهم نهاهم فلمّا عصوه قال: استعدوا للموت. وأن أُمّهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت أول.

فأقام ابن ملجم فيقال: إنّ قطام لامته وقالت: ألا تمضي لمّا قصدت؟ لشدّ ما أحببت أهلك! قال: إنّي وعدت صاحبيّ وقتاً بعينه. وكان هنالك رجل

من أشجع يقال له: شبيب، فواطأه عبد الرحمن.

ويروى أنّ الأشعث نظر إلى عبد الرحمن متقلّداً سيفاً في بني كندة، فقال له: أرني سيفك. فأراه فرأى سيفاً جديداً، فقال: ما تقلّدك السيف وليس بأوان حرب؟ فقال: أردت أن أنحر به جزور القرية. فركب الأشعث بغلته وأتى علياً عليه السلام فخبره وقال له: قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه. فقال: ما قتلني بعد فخلوا عنه.

ويروى أنّ علياً عليه السلام كان يخطب مرّة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر، فسُمع وهو يقول: لأريحنهم منك. فلمّا انصرف عليّ عليه السلام إلى بيته أُتي به ملبباً فأشرف عليهم فقال: ما تريدون؟ فخبّروه بما سمعوا، فقال عليه السلام: ما قتلني بعد فخلوا عنه.

ويروى أنّ علياً عليه السلام كان يتمثّل إذا رآه ببيت عمرو بن معديكرب في قيس بن مكشوح ـ واسم المكشوح هبيرة، ضرب على كشحه فسمّي مكشوحاً ـ:

أُريد حباءه ويُريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فينتقي من ذلك حتى أكثر، عليه فقال له المرادي: إن قُضي شيء كان. فقيل لعلي عليه السلام: كأنّك قد عرفته وعرفت ما يُريد بك، أفلا تقتله؟ فقال: كيف أقتل قاتلي؟!

فلمّا كان ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه عليّ عليه السلام ـ وكان مغلساً ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل، فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب، وضربه ابن ملجم على صلعته، فقال عليّ عليه السلام: فزت وربّ الكعبة شأنكم بالرجل.

فيروى أنّ بعض من كان بالمسجد من الأنصار قال: سمعت كلمة عليّ عليه السلام ورأيت بريق السيف، فأمّا ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه، فأفرجوا له وتلقّاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه، واحتمله فضرب به الأرض -وكان ايداً- فقعد على صدره، وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره، وكثر الناس فجعلوا يصيحون: عليكم صاحب السيف، فخاف الحضرمي أن يكبّوا عليه ولا يسمعوا عذره، فرمى بالسيف وانسل شبيب بالناس.

ويروى أنّ ابن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث، وأنّ حجر بن عدي سمع الأشعث يقول له: فضحك الصبح. فلمّا قالوا: قتل أمير المؤمنين عليه السلام. قال حجر للأشعث: أنت قتلته يا أعور.

ويروى أنّ الذي سمع ذاك أخو الأشعث -عفيف بن قيس- وأنّه قال لأخيه: عن أمرك كان هذا يا أعور.

قوله عليه السلام:

«**ملكتني عيني**» أي: غلبتني فحصل لي النوم.

«**وأنا جالس فسنح**» أي: ظهر لي.

«**رسول الله** صلى الله عليه وآله **فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من اُمتك من الأود واللدد**»

وكما شكا إليه عليه السلام في ليلة قتله، شكا إليه صلى الله عليه وآله عند دفن زوجته سيّدة النساء، فقال له -بعد السلام عليه-: وستنبئك ابنتك بتظافر اُمتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول: ويحكم الله ﴿وهو خير الحاكمين﴾[1] -إلى أن قال- ولولا غلبة المسؤولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت اعوال الثكلى

---

(١) الأعراف: ٨٧.

على جليل الرزية، فبعين الله تُدفن ابنتك سرّاً، وتُهضم حقّها وتمنع ارثها، ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء...

وكذلك شكا الحسين عليه السلام إلى جدّه لمّا دعوه إلى بيعة يزيد على ما روى محمّد بن أبي طالب الموسوي فقال: خرج في الليل إلى قبر جدّه فقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وسبطك الذي خلّفتني في أُمّتك، فاشهد عليهم إنّهم قد خذلوني وضيّعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك. إلى آخر ما ذكر.

«فقال: ادع عليهم. فقلت: أبدلني الله بهم خيراً» هكذا في (المصرية)[1] ولكن في (ابن ميثم[2] والخطية): «خيراً لي».

«منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم منّي» هو كقوله تعالى: ﴿...فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم...﴾[3] ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها...﴾[4].

وفي (عكبرية المفيد)[5] في جواب أبي ليث الحاجب عن هذه الجملة سأل عليه السلام التخلية بين الأشرار من خلقه وبين القوم الظالمين عقوبة لهم وامتهاناً، وسأله أيضاً أن لا يعصمهم من فتنة الظالمين بما قدّمت أيديهم، ممّا يستحقون به من العذاب المهين.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة

---

(١) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٩١.

(٣) البقرة: ١٩٤.

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) العكبرية للمفيد: ٣٧.

مَن يسومهم سوء العذاب...﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿...انّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا﴾[٢] ولم يُرد بذلك البعثة التي هي الرسل ولا الأمر بذلك، وإنّما أراد التخلية والتمكين وترك الحيلولة بينهم وبين المذكورين، وهذا بيّن.

قول المصنف: «يعني بالأود: الاعوجاج، وباللدد: الخصام، وهذا من أفصح الكلام» ليس في (ابن ميثم)[٣] قول المصنف رأساً، ولعلّه سقط من النسخة.

٤
من الخطبة (١٨٠)

ثم نادى بأعلى صوته:

ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هـذا؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ.

«قالَ نَوْفٌ: وَعقد للحسين عليه السلام في عَشَرة آلافٍ، ولقيس بن سعدٍ رحمه ٱلله في عشرة آلافٍ، ولأبي أيُّوب الأنصاريّ في عشرةِ آلاف، ولغيرِهم على أعدادٍ أُخَر، وهو يريد الرَّجْعةَ إلى صِفّين، فما دارت الجمعةُ حتى ضربه الملعون ابنُ ملجم لعنه ٱلله، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنامٍ فقدت راعيَها، تختطفها الذئاب من كلّ مكانٍ».

«ثم نادى بأعلى صوته: **الجهاد الجهاد عباد الله**» في (الكافي)[٤] عن الصادق عليه السلام سئل: هل الجهاد سنّة أو فريضة؟ فقال عليه السلام: الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا يقام إلّا مع الفرض، وجهاد سنّة؛ فأمّا

---

(١) الأعراف: ١٦٧.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٩١.

(٤) الكافي ٥: ٩ ح ١.

أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن المعاصي وهو من أعظم الجهاد؛ ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار؛ وأمّا الجهاد الذي هو سنّة لا يقام إلّا مع فرض فإنّ مجاهدة العدوّ فرض على جميع الأمّة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمّة، وهو سنّة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأُمّة فيجاهدهم؛ وجهاد السنة: كلّ سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها....

«ألا وإنّي معسكِر» بكسر الكاف.

«في يومي هذا؛ فمن أراد الرواح» أي: الذهاب.

«إلى الله» بالجهاد في سبيله.

«فليخرج» إلى المعسكر.

«قال نوف» هو راوي الخطبة الذي قال في أوّلها: خطبنا عليّ عليه السلام بهذه الخطبة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مِدرَعةٌ من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثَفِنَةُ بعير.

«وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف» في (نسب قريش مصعب الزبيري): ولد الحسين لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع، وقُتل يوم عاشوراء سنة (٦١) قتله سنان بن أنس النخعي، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير وحزّ رأسه وأتى به عبيدالله ـ سأل عراقي ابن عمر عن دم البعوض، فقال: انظروا هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين هما ريحانتي من الدنيا؟! ـ وحجّ عليه السلام خمساً وعشرين حجّة ماشياً.

«ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف» في (المروج)[1]: كان قيس من

(١) المروج ٣: ٢٦.

الزهد والديانة والميل إلى عليّ عليه السلام بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه لله وطاعته أنّه كان يصلّي فلمّا أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوّق، فمال عن الثعبان برأسه وسجد إلى جانبه، فتطوق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته ولا نقّص منها شيئاً حتى فرغ فرمى به.

وفي (الطبري)[١] لمّا عزله عليّ عليه السلام عن مصر جاءه حسّان -وكان عثمانياً- شامتاً به فقال له: نزعك عليّ وقد قتلت عثمان، فبقي عليك الإثم ولم يُحسن لك الشكر. فقال له قيس: يا أعمى القلب والبصر! لولا أن أُلقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك.

وفي (الإستيعاب)[٢]: كان له ديون كثيرة على الناس فمرض واستبطأ عوّاده، فقيل له: إنّهم يستحيون من أجل دينك. فأقام منادياً ينادي: من كان لقيس عليه دين فهو له. فأتاه النّاس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه.

وفيه[٣]: لمّا بويع أبو بكر خرج أبوه إلى الشام ولم يبايع، وقسّم ماله بين أولاده ثم توفي عن حمل لم يعلم به، فكلّم أبو بكر وعمر قيساً حتى ينقض قسمة أبيه، فقال: نصيبي للمولود ولا أُغيّر قسمة أبي.

وفي (المقاتل): لمّا تمّ الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية أرسل إلى قيس يدعوه إلى البيعة، فأُتي به -وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان في الأرض، وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمّى خصي الأنصار- فلمّا أرادوا أن يُدخلوه إليه قال: إنّي قد حلفت ألّا ألقاه إلّا بيني وبينه الرمح أو

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٥.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٣١.

(٣) الاستيعاب ٣: ٢٣٠.

السيف. فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه ليبر يمينه.

وفي خبر: أنّ معاوية أكبّ على قيس حتى مسح يده على يد قيس، وما رفع قيس يده إليه.

وفي (الاستيعاب)[١]: كان أحد دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحروب، مع النجدة والبسالة والشجاعة والكرم، وكان شريف قوم غير مدافع ـ هو وأبوه وجدّه ـ ولم يفارق علياً عليه السلام حتى قُتل[٢].

«ولأبي أيوب الأنصاري» واسمه خالد بن زيد؛ في (الطبري)[٣] قال ربيعة بن عثمان: جاء سعد القرظ المؤذن إلى عليّ عليه السلام أول يوم حصر فيه عثمان، فقال: من يُصلّي بالناس؟ فقال: نادِ خالد بن زيد. فنادى فصلّى بالناس، فإنّه أول يوم عرُف أنّ أبا أيوب خالد بن زيد، فكان يصلّي بهم أياماً ثم صلّى عليّ عليه السلام بعد ذلك.

وفي (صفين ابن ديزيل) عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له، فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع سيفك هذا مع النبيّ صلى الله عليه وآله ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمرني بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله بالسعفات بالطرقات بالنهروانات، وما أدري أين هي؟

وفي (الاستيعاب)[٤]: وعليه نزل النبيّ صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة حتى بنى مسجده وبنى مساكنه. آخى صلى الله عليه وآله بينه وبين مصعب بن عمير. قال: نزل النبيّ صلى الله عليه وآله في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة فاهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا

---

(١) الاستيعاب ٣: ٢٢٥.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٢٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٣.

(٤) الاستيعاب ١: ٣-٤.

وأم أيوب بقطيفة نتتبع الماء شفقة أن يخلص إلى النبيّ صلى الله عليه وآله منه شيء، ونزلت إليه صلى الله عليه وآله وأنا مشفق وقلت: ليس ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة. مات بالقسطنطينية زمن معاوية سنة (٥٠) أو (٥١) أو (٥٢) وهو الأكثر.

«في عشرة آلاف» هكذا في (المصرية)[١] وابن أبي الحديد)[٢] وليس كلّه في (ابن ميثم)[٣].

«ولغيرهم على اعداد أُخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين» لقتال معاوية.

«فما دارت الجمعة» بعد خطبته تلك وجعله معسكراً.

«حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله» قالوا: كان في الإسلام ضربتان، لم تكن ضربة أيمن من أولاهما، وهي ضربته عليه السلام عمراً يوم الخندق ـ التي قال فيها النبيّ صلى الله عليه وآله: أفضل من عبادة الثقلين ـ وأشأم من أُخراهما، وهي ضربة ابن ملجم له عليه السلام. فما رأى النّاس من بعده عليه السلام عدلاً ولا يرونه حتى يظهر القائم عليه السلام.

وفي (تاريخ اليعقوبي)[٤]: قدم ابن ملجم الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين، فلمّا بلغ علياً عليه السلام قدومه قال: «أوقد وافي؟ أما إنّه ما بقي عليّ غيره، هذا أوانه» فنزل على الأشعث فأقام عنده شهراً يستحد سيفه.

وفي (المناقب) قال ابن عباس: كان ابن ملجم من ولد قيدار ـ عاقر ناقة صالح ـ وقصّتهما واحدة، لأنّ قيدار عشق امرأة يقال لها: رباب، كما عشق ابن ملجم لقطام، وسمع منه يقول لآخر: لأضربنّ علياً بسيفي هذا. فذهب به إليه عليه السلام، فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الرحمن بن ملجم. قال: نشدتك بالله عن

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ١٣٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٠.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٢.

شيء تخبرني؟ قال: نعم. قال: هل مرّ عليك شيخ يتوكأ على عصاه وأنت في الباب، فمشقك بعصاه ثم قال: بؤساً لك أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم. قال: هل كان الصبيان يسمّونك ابن راعية الكلاب وأنت تلعب معهم؟ قال: نعم. قال: هل أخبرتك أُمّك أنّها حملت بك وهي طامث؟ قال: نعم. قال: فبايع. فبايعَ، ثم قال: خلوه.

وفي (الإرشاد)[1]: روى أبو زيد الأحول عن الأجلح قال: سمعت أشياخ كندة أكثر من عشرين مرّة يقولون: سمعنا علياً عليه السلام على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها بدم؟ ويضع يده على لحيته.

وفيه[2]: ذكر عبدالله بن محمّد الأزدي قال: إنّي لأُصلّي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوّله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال قريباً من السدة، وخرج عليه السلام لصلاة الفجر فأخذ ينادي الصلاة الصلاة: فما أدري أنادى، أم رأيت بريق السيوف؟ وسمعته عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل. فاذا هو مضروب.

ورواه أبو الفرج[3]، وفي خبره: أم رأيت بريق سيف ثم رأيت بريق سيف آخر.

وفي (الإرشاد)[4]: كان عليه السلام خرج يوقظ النّاس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة، وقد كان قصده ابن ملجم في أوّل الليل، فلمّا مرّ به وهو متماكر بإظهار النوم في جملة النيام ثار إليه فضربه على أُمّ رأسه بالسيف، فمكث عليه السلام إلى نحو الثلث الأوّل ليلة إحدى وعشرين، وقد كان عليه السلام يعلم ذلك قبل أوانه

---

(١) الارشاد ١: ١٣.

(٢) إرشاد المفيد ١: ٢٠.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٢١.

(٤) الارشاد ١: ٩.

ويخبر به النّاس قبل زمانه، وتولّى غسله وتكفينه ودفنه الحسنان عليهما السلام بأمره، وحملاه إلى الغري من نجف الكوفة وعفيا موضع قبره بوصيته، لمّا كان عليه السلام يعلمه من دولة بني أُمية بعده، ثم دلّ عليه الصادق عليه السلام في الدولة العباسية، وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة، فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته؛ وكان سنّه عليه السلام ثلاثاً وستين سنة.

وروى عباد بن يعقوب الرواجنيّ عن حيان الغزيّ عن مولى لعليّ عليه السلام، قال: لمّا حضرته الوفاة قال للحسنين: إذا أنا متّ فاحملاني على سريري ثم أخرجاني، واحملا مؤخّر السرير فإنكما تُكفيان مقدمه، ثم ائتيا بي الغريين فانكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرا فيها فإنكما تجدان فيها ساجة فادفناني فيها -إلى أن قال- فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها هذا ممّا ادّخرها نوح لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى محمّد بن زكريا عن عبدالله بن محمّد عن أبي عايشة عن عبدالله بن حازم، قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية، فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب، فجاولتها ساعة ثم لجأت الظباء إلى أكَمَة فوقف عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك، ثم إنّ الظباء هبطت من الأكَمَة فهبطت الصقور والكلاب عليها، فرجعت الظباء إلى الأكَمَة فتراجعت عنها الصقور والكلاب -فعلت ذلك ثلاثاً- فقال الرشيد: اركضوا فمَن لقيتموه فأتوني به. فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال له: أخبرني ما هذه الأكَمَة؟ قال: إن جعلت لي الأمان. قال: لك عهد الله وميثاقه. قال: حدّثني أبي عن آبائه أنّهم كانوا يقولون: إنّ في هذه الأكَمَة قبر عليّ عليه السلام جعله الله حرماً، لا يأوي إليه شيء إلّا أمِن.

«فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان» في (مقاتل

أبي الفرج)[١]: كتب معاوية بعد مقتله عليه السلام إلى عمّاله نسخة واحدة: إنّ الله بلطفه وحسن صنيعه أتاح لعليّ رجلاً فاغتاله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءنا كتب أشرافهم وقادتهم، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم.

وفي (الطبري)[٢]: قال أبو الأسود الدؤليّ في رثائه عليه السلام:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصّيام فجعتمونا ... بخير النّاس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... ورحلّها ومن ركب السفينا
ومن لبِس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنّك خيرها حسباً ودينا

وفي (المقاتل)[٣]: قالت أمّ الهيثم النخعية في رثائه عليه السلام:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
وكنّا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يُقيم الدين لا يرتاب فيه ... ويقضي بالفرائض مستبينا
ويدعو للجماعة من عصاه ... وينهك قطع أيدي السارقينا
وليس بكاتم علماً لديه ... ولم يُخلق من المتجبرينا
لعمر أبي لقد أصحاب مصر ... على طول الصحابة أوجعونا
وغرّونا بأنّهم عكوف ... وليس كذاك فعل العاكفينا

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٥٠.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٢٧.

كأن النّـاس إذ فـقدوا عـلياً نـعام جـال فـي بـلد سـنينا
ولو أنّـا سُـئلنا المـال فـيه بـذلنا المـال فـيه والبـنينا
أشاب ذؤابتي وأطـال حـزني امـامة حـين فـارقت القـرينا

هذا ولابن بقيلة:

فصرنا بعد هلاك أبـي قـبيس كجرب المعز في اليوم المطير

٥
الخطبة (١٤٦)

ومن كلام له عليه السلام قبل موته:

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ ما يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، والأَجَلُ مَساقُ النَّفْسِ، وَالْهَرَبُ منهُ مُوَافاتُهُ، كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ، فَأَبَى ٱللّٰهُ إِلَّا إِخْفاءَهُ. هَيْهاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ؛ أَمَّا وَصِيَّتِي: فاللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، ومُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُـنَّتَهُ أَقِـيمُوا هَـذَيْنِ الْـعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْباحَيْنِ، وخَلَاكُمْ ذَمٌّ ما لَمْ تَشْرُدُوا حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنكم مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، ودِينٌ قَـوِيمٌ، وَإِمـامٌ عَلِيمٌ، أنا بِالأَمْسِ صاحِبُكُمْ، وأنا الْيَومَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغَداً مُفارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لِيَ وَلَكُمْ. إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ في هَذِهِ المَزَلَّةِ فَذاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ القَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا في أَفْياءِ أَغْصانٍ، ومَهَبِّ رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ في الجَوِّ مُتَلَفَّقُها، وعَفَا في الأَرْضِ مَخَطُّها. وإِنَّما كُنْتُ جاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً ساكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وصامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظَكُمْ هُدُوِّي، وخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وسُكُونُ اطْـرَافـي، فـإِنَّهُ أَوْعَـظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ المَنْطِقِ ٱلْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ المَسْمُوعِ، وَدَاعِيكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، ويُكْشَـفُ لَكُـمْ عَـنْ سَـرَائِـرِي،

وتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي وقِيامِ غَيْرِي مَقامِي.

أقول: رواه (الكافي)[1] في باب الإشارة والنصّ على الحسن عليه السلام، رواه عن إبراهيم الأحمريّ مرفوعاً وعن الحسين الحسنيّ مرفوعاً: لمّا ضُرب أمير المؤمنين عليه السلام حف به العوّاد وقيل له: أوصِ. فقال: اثنوا ليّ الوسادة. ثم قال: الحمد لله حقّ قدره متّبعين أمره، أحمده كما أحب، ولا إله إلّا الله الواحد الأحد الصمد كما انتصب؛ أيُّها النّاس كلّ امرئ لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله تعالى إلّا إخفاءه، هيهات! علم مكنون مخزون؛ أمّا وصيّتي: فلا تُشركوا بالله شيئاً، ومحمّداً فلا تضيّعوا سُنّته أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمٌّ ما لم تشردوا؛ حمل كلّ امرئ منكم مجهوده، وخفف عن الجهلة ربّ رحيم، وإمام عليم، ودين قويم؛ أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك المراد، وإن تدحض القدم فإنّا كنّا في أفياء أغصان، وذرى رياح، وتحت ظلّ غمامة اضمحل في الجو ملتقّقها، وعفا في الأرض مخطّها، وإنّما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً، وستعقبون منّي جثّة خلاء ساكنة بعد حركة، وكاظمة بعد نطق، ليعظكم هدوّي وخفوت إطراقي وسكون أطرافي، فإنّه أوعظ لكم من الناطق البليغ، ودّعتكم وداع امرئ مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي ويكشف الله تعالى عن سرائري، وتعرفوني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي، إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن افن فالفناء ميعادي، العفو لي قربة ولكم حسنة، فاعفوا واصفحوا، ألا تُحبون أن يغفر الله تعالى لكم؟ فيالها حسرة على كلّ ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجّة، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة!

---

(١) الكافي ١: ٢٩٩ ح٦.

جعلنا الله وإيّاكم ممّن لا يقصر به عن طاعة الله تعالى رغبة، أو يحل به بعد الموت نقمة، فإنّا نحن له وبه. ثم أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بني ضربة مكان ضربة، ولا تأثم.

ورواه (مروج المسعودي)[1] في باب لمع من كلامه عليه السلام فقال: ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ علياً عليه السلام قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم ـ بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ـ: كلّ امرئ ملاقيه ما يفرّ منه، والأجل تستاق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيّام أتحينها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله عزّ وجلّ إلّا اخفاءه، هيهات! علم مكنون، أمّا وصيتي: فلا تُشركوا به شيئاً، ومحمّد فلا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، حمل كلّ امرئ منكم مجهوده، وخفف عن الجهلة ربّ رحيم، ودين قويم وإمام عليم؛ كنّا في اعصار وذرى رياح، تحت ظلّ غمامة اضمحل راكدها فخطها من الأرض ـ إلى أن قال ـ ليعظكم هدوّي وخفوت أطرافي، إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، ودّعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق، وغداً ترون ويكشف عن ساق، عليكم السلام إلى يوم المرام، كنت بالأمس صاحبكم، واليوم عظة لكم، وغداً أُفارقكم؛ إن أفق فأنا وليّ دمي، وان أمت فالقيامة ميعادي، والعفو أقرب للتقوى ﴿ألا تُحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾[2] ونقل عن (اثباته) أيضاً.

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام قبل موته» لمّا حف به العواد وقيل له عليه السلام: أوص ـ كما عرفته من خبر (الكافي) ـ فقال عليه السلام: اثنوا لي وسادة

---

(١) المروج للمسعودي ٢: ٤٣٦.

(٢) النور: ٢٢.

ففعلوا. وفي صبيحة ليلة ضربه، كما عرفته من المسعودي.

قوله عليه السلام: «أيها النّاس كلّ امرئ لاق ما يفرّ منه في فراره» ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل...﴾(١) وفي سورة الجمعة ﴿قل إنّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم...﴾(٢).

«والأجل مساق النفس» فكلّ نفس نتنفّس خطوة إلى الموت.

«والهرب منه موافاته» في (تفسير القمي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً عليّاً﴾(٣): كان لملك منزلة أهبطه الله فأتى إدريس فشفع له، فصلّى ثلاث ليال لا يفتر وصام ثلاثة أيام لا يفطر، ثم طلب إلى الله في السحر له فأذن له في الصعود، فقال الملك: أُحبّ أن أُكافيك بحاجة لك. قال: أُحب أن تريني ملك الموت لعلّي آنس به، فليس يهنأني مع ذكره شيء. فبسط جناحيه وصعده فاستقبل ملك الموت بين السماء الرابعة والخامسة، فقال لملك الموت: أراك قاطباً؟ قال: أتعجب، كنت تحت ظل العرش حتى أُمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة! فسمع إدريس بذلك فانتقض، وقبض روحه مكانه.

وفي السير: كان أبو مسلم يتجنّب الروم لأنّه سمع أنّ قتله في الروم، فذهب إلى رومية المدائن فقتله المنصور ثمة.

وكان المأمون سمع أنّ موته في الرقة، فكان يتجنّب المقام برقّة العراق، ولمّا غزا الروم ووصل إلى موضع مرض، فسأل عن اسمه فقالوا: الرقة. فتيقّن أنّه موضع موته.

---

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢) الجمعة: ٨.

(٣) مريم: ٥٧.

«كم أطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله إلّا إخفاءه» قال ابن أبي الحديد[١]: مراده عليه السلام أنّ تفصيل موته كان عنده غير معلوم. واعترض عليه الخوئي بما رواه هو عنه عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلّا أنبأتكم بناعقها، وقائدها وسائقها ومناخ ركابها وحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً».

وبما رواه (الكافي)[٢] في باب: «إنّ الأئمة يعلمون متى يموتون» عن الحسن ابن جهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها، وقوله عليه السلام لمّا سمع صياح الأوز في الدار: «صوائح تتبعها نوائح» وقول أُمّ كلثوم: «لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالناس» فأبى عليها، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لا يحسن تعرّضه. فقال عليه السلام: ذلك كان ولكنه عليه السلام خيّر -(خ ل) حين - في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزوجل.

قلت: الخبر لا ينافي الكلام، فإنّ المراد من الخبر أنّ الله تعالى أخفى تفصيل الأمر عليه عليه السلام لتمضي مقاديره؛ ويعقوب وجد ريح يوسف من مسافة بعيدة لمّا أراد الله تعالى وصله به، ولم يره في بئر خارج بلده لمّا أراد الله تعالى فصله عنه.

ويشهد أيضاً له ما رواه الصفار في (بصائره)[٣] عن إبراهيم بن أبي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٠.

(٢) الكافي ١: ٢٥٩ ـ ح ٤.

(٣) البصائر للصفار: ٥٠١ ح ٣.

محمود، قال قلت للرضا عليه السلام: الامام يعلم متى يموت؟ قال: نعم. قلت: أبوك حيثما بعث إليه يحيى بن خالد برطب وريحان مسمومين علم به؟ قال: نعم. قلت: فأكله وهو يعلم فيكون معيناً على نفسه. فقال: يعلم قبل ذلك ليتقدّم في ما يحتاج إليه، فاذا جاء الوقت ألقى الله على قلبه النسيان ليقضي فيه الحكم.

ورواه في خبر آخر وفيه: أنساه لينفذ فيه الحكم.

وروى الكشي[1] في عبدالله بن طاووس عنه عن الرضا عليه السلام في خبر، قال: قلت له: إنّ يحيى بن خالد سمّ أباك. قال: نعم، سمّه في ثلاثين رطبة. قلت: فما كان يعلم أنّها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدّث. قلت: ومن المحدّث؟ قال: ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع النبيّ وهو مع الأئمة، وليس كلّما طلب وجد.

وقال المفيد في (المسائل العكبرية): القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام يعلم قاتله والوقت الذي كان يقتل فيه؛ فقد جاء الخبر متظاهراً أنّه كان يعلم في الجملة أنّه مقتول، وجاء أيضاً بأنّه يعلم قاتله على التفصيل؛ فأمّا علمه بوقت قتله فلم يأت أثر على التحصيل، ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنّه المعترضون، إذ كان لا يمتنع أن يتعبّده الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات ما لا يبلغه إلّا به، بأنّه يطيعه في ذلك طاعة لو كلّفها سواه لم يردها، ولا يكون عليه السلام بذلك ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول.

وقال الجزري في (أُسده)[2] ـ بعد ذكر رواية أنّه عليه السلام كان ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين وليلة عند عبدالله بن جعفر لإفطاره، ولا يزيد

---

(١) الكشي: ٦٠٤ ح ١٢٣.

(٢) الأُسد للجزري ٤: ٣٥ ـ ٣٦.

على ثلاث لقم ويقول: «إنّما هي ليلة أو ليلتان يأتـي أمـر الله وأنـا خـميص». ورواية صيحة الأوز وطردهم لهن في تلك الليلة، وقوله عليه السلام: «دعوهن فانهنّ نوائح» ـ: وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام علم السنة والشهر والليلة التي يُقتل فيها.

وروى (تنبيه البكري) على أوهام القالي عن العباس بـن مـيمون عـن سليمان ابن داود عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان، قال: قال ابن سيرين: ان كان يعلم أحد متى أجله فإنّ عليّ بن أبي طالب كان يعلم متى أجله. وقال العباس: فحدّثت به ابن عايشة فقال: أنت تعلم يا بن أخي أنّه قاتل يوم الجمل فلم يتكلّم، ويوم صفين فلم يتكلّم، ولقد لقي ليلة الهرير ما لقى فلم يتخوّف ولم ينطق بشيء، فلمّا رجع إلى الكوفة ـ بعد قتله الخوارج ـ قال: ألا ينبعث أشقاها ليخضبن هذه من هذه؟

وبالجملة إخباره عليه السلام بكون ابن ملجم قاتله متواتر، كاخبار النبيّ صلى الله عليه وآله له بذلك، ومن إخباره صلى الله عليه وآله له بذلك في غزوة العشيرة؛ ففي (الطبري)[١] عـن عمار في خبر قال: نمنا في تلك الغزوة تحت صور من النخل في دقعاء مـن التراب، فما أيقظنا إلّا النبيّ صلى الله عليه وآله أتـانا وقـد تـتربنا فـي ذلك التـراب، فـحرّك عليّاً عليه السلام برجله وقال له: قم أبا تراب ألا أُخبرك بأشقى النّاس؟ أحـمر ثـمود عاقر الناقة والذي يضربك على هـذا ـ يـعني قـرنه ـ فـتخضب هـذه ـ وأخـذ بلحيته ـ منها.

ومقتضى الجمع بين الأخبار ما في خبر الصفار.

«هيهات علم مخزون» الظاهر كونه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت...﴾[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٤.

(٢) لقمان: ٣٤.

«أمّا وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئاً» ﴿إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء...﴾[١].

وسئل الباقر عليه السلام عن أدنى ما يكون به العبد مشركاً به، فقال: من قال للنواة: إنّها حصاة وللحصاة هي نواة ثم دان به.

وقال الصادق عليه السلام: لو أنّ قوماً عبدوا الله تعالى وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى أو نبيه: ألا صنع بخلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين. ثم تلا: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك ... ويسلّموا تسليما﴾[٢].

«ومحمّداً صلى الله عليه وآله فلا تضيّعوا سنته» قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ليختلجنّ قوم من أصحابي دوني وأنا على الحوض، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأُنادي: يا رب أصحابي أصحابي! فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي (الكافي)[٣] عن الصادق عليه السلام: ما نعلم حجّاً لله غير المتعة، إنّا إذا لقينا ربّنا قلنا: ربّنا عملنا بكتابك وسنّة نبيّك. ويقول القوم: عملنا برأينا. فيجعلنا الله وإيّاهم حيث يشاء.

«أقيموا هذين العمودين» للدين.

«وأوقدوا هذين المصباحين» للإسلام؛ إشارة إلى أنّ الملّة الإسلامية منحصرة في التزام كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه فقط، دون سنّة الشيخين كما يقول المخالفون. وكان عليه السلام يقول ذلك أيّام حياته حتى ترك حقّه عليه السلام إتماماً

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) الكافي ٤: ٢٩١ ح ٤.

للحجّة على بطلان سنتهما وعدم كونهما على الحقّ.

ففي (الطبري)[١] ـ في الشورى ـ: قال ابن عوف لعليّ عليه السلام: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. فقال عليه السلام: أرجو أن أعمل بمبلغ علمي. ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ عليه السلام، قال: نعم. فبايعه، فقال عليّ عليه السلام: حبوته حبوته، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم علينا، فصبر جميل.

وفي (الطبري)[٢] أيضاً ـ في قصّة الخوارج ـ: ولمّا خرجوا من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعميّ ـ وكان شهد معه الجمل وصفّين ومعه راية خثعم ـ فقال عليه السلام: بايع على كتاب الله وسنّة رسوله. فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. فقال له عليّ: ويلك لو أنّ أبابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شيء من الحق. فبايعه فنظر إليه عليّ عليه السلام وقال له: أما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنّي بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهروان مع خوارج البصرة.

وكذلك عترته؛ ففي (مقاتل أبي الفرج)[٣]: أنّ معاوية أمر الحسن عليه السلام لمّا سلم الأمر إليه أن يخطب وظنّ أنّه سيُحصر، فقال عليه السلام في خطبته: إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة نبيّه، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك ملك ملكاً يتمتع فيه قليلاً ثم تنقطع لذّته وتبقى تبعته ﴿وإن أدري لعلّه

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٧٦.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٤٧.

فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[1].

وفي (الطبري)[2]: وفي سنة (٤٠) بويع للحسن بالخلافة وقيل: إنّ أوّل من بايعه قيس بن سعد بن عبادة وقال له: ابسط يدك أُبايعك على كتاب الله وقتال المحلين. فقال له الحسن عليه السلام: على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فإنّ ذلك يأتي من وراء كلّ شرط. فبايعه وسكت وبايعه الحسن عليه السلام.

هذا، وأمّا ولايته عليه السلام وامامته فمن أعظم أركان كتاب الله وسنّة نبيّه؛ قال تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يُقيمون الصّلاة ويُؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[3] وقد أُجمع أنّه عليه السلام هو الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة راكعاً.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله ـ في المتواتر بعد أن قرر النّاس على أنّه أولى بهم من أنفسهم ـ: من كنت مولاه فعليّ مولاه؛ اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه.

وفي (عيون ابن بابويه)[4] مسنداً عن إسحاق بن راهويه وهو من علماء العامة، روى عنه مسلم والبخاري وروي عنه، من أقرانه أحمد بن حنبل، قال: لمّا وافي أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور، وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنّا ولا تُحدّثنا بحديث نستفيده منك؟ وكان قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت

---

(١) الأنبياء: ١١١.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٥٨.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) العيون لابن بابويه ٢: ١٣٤ ح ٤.

النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله عزوجل يقول: «لا إله إلّا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي». قال: فلمّا مرت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها.

«وخلاكم ذم» مثل أول من قاله قصير حين أراد الاحتيال على الزباء لطلب ثأر جذيمة الأبرش منها، فقال لابن أُخته عمرو بن عدي: اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإيّاها. فقال له عمرو وما أنا بفاعل ذلك، ولست أنت مستحقاً لذلك: فقال له قصير: (خلّ عنّي إذن وخلاك ذم.

ذكر ذلك الطبري[1] والكرماني قال: فذهبت مثلاً. وقال ابن ميثم[2]: قال قصير لعمرو: «اطلب الأُمر وخلاكم ذم» وهو كما ترى.

«مالم تشردوا» يقال: شرد البعير؛ إذا نفر. والمراد لا يحلّ بساحتكم ذم ما لم تتفرّقوا عن أهل بيت نبيّكم.

روى أبو الفرج في (مقاتله)[3] بأسانيد عن سفيان بن الليل قال: أتيت الحسن عليه السلام حين بايع معاوية وقلت له: بأبي أنت وأُمّي، أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر النّاس. فقال: يا سفيان إنّا أهل البيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإنّي سمعت أبي يقول: سمعت النبيّ يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتى تجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل، واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء ناصر وفي الأرض عاذر. وإنّه لمعاوية وإنّي عرفت

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٦٢٣.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢١٠.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤.

﴿...ان الله بالغ أمره...﴾[١]. ثم قال: ما جاء بك ياسفيان؟ قلت: حبّكم والذي بعث محمّداً بالهدى ودين الحق. قال: فأبشر يا سفيان، فإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمتي كهاتين ـ يعني: السبابة والوسطى ـ أحدهما تفضل على الأُخرى» أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمّد.

«**حمل كلّ امرئ منكم مجهوده**» ﴿لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها...﴾[٢].

«**وخفف عن الجهلة**» فعنهم عليهم السلام: يغفر للجاهل سبعين زلّة قبل أن يغفر للعالم زلّة. ويحتمل أن يكون المراد بالجهلة في كلامه ضعفة العقول؛ وفي الخبر: أنّ الله تعالى إنّما يداق العباد على قدر ما آتاهم من العقول.

«**ربّ رحيم**» ﴿...ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما﴾[٣]، ﴿...يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر...﴾[٤].

«**ودين قويم**» ﴿قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيّماً ملّة إبراهيم حنيفاً...﴾[٥]، ﴿...وما جعل عليكم في الدين من حرج...﴾[٦].

«**وإمام عليم**» في (مقاتل أبي الفرج)[٧]: استأذن صعصعة عليه عليه السلام عائداً، فقال للاذن قل له عليه السلام: لقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً. فأبلغه عليه السلام الاذن مقالته، فقال عليه السلام قل له: وأنت كنت خفيف

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) النساء: ٢٩.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) الأنعام: ١٦١.

(٦) الحج: ٧٨.

(٧) المقاتل لأبي الفرج: ٢٢ ـ ٢٣.

المؤنة، كثير المعونة.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله -كما روى الخطيب وغيره-: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها. -وكما روى ابن عساكر وغيره-: عليّ عيبة علمي. وقال سلمان الفارسي له صلى الله عليه وآله -كما روى الطبراني في معجمه الكبير-: يا رسول الله، لكلّ نبي وصي فمن وصيّك؟ فسكت عنه فلمّا كان بعد رآه قال: يا سلمان. فأسرع إليه فقال: لبيك. قال له: تعلم من وصيّ موسى؟ قال: نعم، يوشع. قال له: لِمَ؟ قال: لأنّه كان أعلمهم يومئذٍ. فقال له: فإنّ وصيي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي، ينجز عدّتي ويقضي ديني: عليّ بن أبي طالب.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله له -كما روى الكنجي الشافعي-: ليهنك العلم يا أبا الحسن! لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً. وقال ابن مسعود -كما روى أيضاً-: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّاً عليه السلام عنده علم الظاهر منه والباطن.

وروى أيضاً عن أبي الطفيل قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم جبل.

وكان عليه السلام يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض، ولو ثُنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كلّ منها ويقول: حكم عليّ عليه السلام فيّ كما أنزل الله تعالى.

ثم العجب من إخواننا! كيف رجّحوا الامام الجهول -الذي لمّا أفحمته امرأة في أنفها فطس في صف النساء، لمّا أوعد على الزيادة على مهر السنة

بقوله تعالى: ﴿...وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً...﴾[١] قال: «ألا تعجبون من امرأة أصابت وإمام أخطأ» ـ على ذلك الإمام العليم؟ كيف خالفوا فطرة العقول؟ ﴿...أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[٢] ﴿...هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكر أُولو الألباب﴾[٣].

كما أنّ العجب منهم! كيف تولوا تلك المرأة التي شمتت بموت هذا الامام وسجدت شكراً لقتله، ومدحت قاتله أشقى الآخرين؟

روى أبو الفرج في (مقاتله)[٤] عن إسماعيل بن راشد في اسناده قال: لمّا أتى عايشة نعي أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من بني مراد. فقالت:

فإن يك نائياً فلقد بغاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أُم سلمة: ألعليّ عليه السلام تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني. ثم تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأنّ قولك فيهم في كلّ مجتمع طنين ذباب

ورواه الطبري[٥] مسنداً عن أبي البختري قال: لمّا أن جاء عايشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام سجدت.

---

(١) النساء: ٢٠.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٢٦.

(٥) تاريخ الطبرى ٥: ١٥٠.

قلت: يقال لها: إذا نسيت جميع أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام في ليله ونهاره إلى احتضاره، كيف نسيت قوله صلى الله عليه وآله فيه: «اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» فإن كان أنساها ضغن غلا في صدرها، كيف نسيه إخواننا، وأنّه لا يمكن تولّي من عاداه الله بمقتضى معاداتها له، ودعائه صلى الله عليه وآله على معاديه عليه السلام؟

«**أنا بالأمس صاحبكم**» وسلطانكم.

«**واليوم عبرة لكم**» بما نزلي بي.

«**وغداً مفارقكم**» بالموت؛ وفي (وصايا أبي حاتم السجستاني): وأخبرونا لمّا غيّب الحسن أباه عليه السلام صعد المنبر يُريد الكلام فخنقته العبرة، قال رجل: فرأيته كذلك وأنا في أصل المنبر أنظر إليه، وكنت أنزر النّاس دمعة ما أقدر أن أبكي من شيء، فلمّا رأيت الحسن عليه السلام يريد الكلام تخنقه العبرة صرت بعد من أغزر النّاس دمعة، ما أشاء أن أبكي من شيء إلّا بكيت. قال: ثم إنّ الحسن عليه السلام انطلق ـ قلت: أي لسانه ـ فقال: الحمد لله ربّ العالمين وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، نحتسب عند الله مصابنا بأبينا رسول الله فإنّا لن نصاب مثله أبداً، ونحتسب عند الله مصابنا بخير الآباء بعد رسول الله، ألا إنّي لا أقول فيه الغداة إلّا حقّاً؛ لقد أُصيبت به البلاد والعباد والشجر والدواب، فرحم الله وجهه وعذّب قاتله.

هذا، وفي (تاريخ بغداد)[1]: لمّا احتضر الواثق جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك	لا سوقة يبقى بينهم ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفاقرهم	وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبُسط فطويت، وألصق خدّه بالأرض وجعل يقول: يا مَن

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٩.

لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

وفيه: قال محمّد الواثقي: كنت أحد من مرّض الواثق في علّته إذ لحقته غشية فما شككنا أنّه قد مات، فقال بعضنا لبعض: تقدّموا فاعرفوا خبره. فما جسر أحد منهم يتقدّم فتقدّمت، فلمّا صرت عند رأسه وأردت أن أضع يدي على أنفه اعتبر نفسه لحقته إفاقة ففتح عينيه، فكدت أموت فزعاً من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فراجعت إلى خلف وتعلّقت قبيعة سيفي بعتبة المجلس وعثرت به، فاتكأت عليه فاندق وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني، ثم خرجت فلبست منطقة أُخرى وسيفاً، وجئت حتى وقفت في مرتبتي ساعة، فتلف الواثق تلفاً لم نشك فيه، فتقدمت فشددت لحيه وغمضته وسجيته ووجهته إلى القبلة، وجاء الفراشون فأخذوا ما تحته ليردّوه إلى الخزائن، لأنّ جميعه مثبت علهيم، وترك وحده في البيت، وقال لي ابن أبي داود القاضي: إنّا نريد أن نتشاعل بعقد البيعة، ولابد أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يُدفن، فأُحبّ أن تكون ذلك الرجل. وكنت من أخصهم به في حياته، وذلك أنّه اصطنعني واختصني حتى لقبني الواثقي باسمه، فقلت: دعوني وامضوا. فرددت باب المجلس وجلست في الصحن عند الباب احفظه، وكان المجلس في بستان عظيم أجربة وهو بين بساتين، فحسست بعد ساعة في البيت بحركة أفزعتني، فدخلت أنظر ما هي؟ فإذا بجرذون من دوابّ البستان قد جاء حتى استلّ عين الواثق فأكلها، فقلت: لا إله إلّا الله، العين التي فتحها منذ ساعة فاندق سيفي هيبة لها صارت طعمة لدابة ضعيفة!

وفي (تاريخ الجزري) في وقايع سنة (٤٦٥): في أوّل هذه السنة قصد ألب أرسلان ما وراء النهر، فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً، وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس، فأتاه أصحابه

بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي وحُمل إلى قرب سريره مع غلامين، فتقدّم أن تضرب له أربعة أوتاد وشدّ أطرافه إليها، فقال يوسف: يا مخنث، مثلي يقتل هذه القتلة؟ فغضب ألب أرسلان وأخذ القوس والنشّاب وقال للغلامين: خلّياه. ورماه بسهم فأخطأه -وكان لا يخطي سهمه- فوثب يوسف يريده والسلطان على سدّة، فلمّا رأى يوسف يقصده قام عن السدّة ونزل عنها، فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته، وكان سعد الدولة واقفاً فجرحه أيضاً جراحات، فقال السلطان لمّا جرح: مامن وجه قصدته وعدوّ أردته إلّا استعنت بالله عليه، ولمّا كان أمس صعدت على تلّ فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي: «أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد عليّ» فعجزني الله بأضعف خلقه. مات في العاشر من ربيع الأول في تلك السنة، وكان اتّسع ملكه جدّاً ودان له العالم، وبحق قيل له: سلطان العالم.

«غفر الله لي ولكم» هكذا في (المصرية[١] وابن أبي الحديد)[٢] ولكن في (ابن ميثم)[٣] هذا الكلام قبل: «أنا بالأمس صاحبكم».

«إن ثبتت» هكذا في (المصرية) والصواب: (تثبت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«الوطأة» أي: موضع القدم.

«في هذه المزلّة» -بفتح الزاي وكسرها-: موضع الزلل. جعل عليه السلام الدنيا مزلّة حيث لا ثبات لقدم الإنسان فيها، وهو فيها في كلّ ساعة مظنّة للوقوع

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ٤٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٦.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٨.

والسقوط فيها من آفاتها ومصيباتها، وأتى عليه السلام للثبوت فيها بـ(إن) الموضوعة للشك، حيث إنّ ثبوت القدم في المزلّة أمر مشكوك.

«فذاك» وزاد في نسخة ابن ميثم: «المراد».

«وإن تدحض» أي: تزلق.

«القدم» من موضع الحياة إلى محلّ الممات فلا بعد.

«فإنّا كنّا في أفياء» جمع فيء؛ وعن روبة: كلّما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظلّ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلّ. والأصل في الفيء: الرجوع، فالظلّ يرجع من جانب إلى جانب.

«أغصان» مثل لعدم ثبات الدنيا، فإذا استظلّ الإنسان بغصن لم يطل الزمان حتى ينسخه الشمس بحركتها.

«ومهبّ» وفي (ابن ميثم[1] والخطية): «ومهاب».

«رياح» مثل آخر لعدم الاعتبار بالحياة الدنيا، فكما أنّ ناراً أو شمعة كانت في محلّ هبوب الرياح تذهب بها، كذلك حياة الإنسان في مقابل رياح حوادث الدهر؛ ولنعم ما قيل بالفارسية:

اين سيل متفق بكند روزى اين درخت و اين باد مختلف بكشد روزى اين چراغ.

«وتحت ظلّ غمام» أي: سحاب.

«اضحمل في الجوّ» والجو: ما بين السماء والأرض.

«متلفقها» الشقق المنضمّة من الغمام بعضها إلى بعض.

«وعفا» أي: اندرس.

«في الأرض مخطها» موضع خطها. وقوله عليه السلام: وتحت ظلّ غمام....

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٨.

قال:

أراها وإن كـانت تـحب فـإنّها سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشّع

وقال ابن الدهان: ما الإنسان في دنياه إلّا كبارقة تلوح، نفسه نفس توالى، ومدّته مدى، والروح ريح.

وقال بعضهم: إقبال الدنيا كإلمامة ضيف، أو سحابة صيف، أو زيارة طيف.

وفي (الحلية): مات أخ لصلة بن أشيم وهو في بيته يطعم، فجاء إليه رجل ونعاه، فقال له: إنّه كان نُعي إلينا. فقال: ما سبقني إليك أحد، فمن نعاه؟ فقال: نعاه الله تعالى، يقول: ﴿...إنّك ميت وإنّهم ميتون﴾[١].

واعلم أنّ مرمى كلامه عليه السلام -مع كونه ضرب ضربة كما قال ضاربه اللعين: لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم-: هو تنبيه الغافلين وهداية الضالين وردعهم عن محبّة الدنيا المهلكة، كما كان عليه السلام في جميع أيام حياته في ليله ونهاره كذلك، فيقول لهم تارة: «أنا بالأمس صاحبكم وسلطانكم، واليوم عبرة لكم -بكونه ملقى على الأرض- وغداً مفارقكم بالرحلة عن الدنيا». وأُخرى يقول لهم: «ان تثبت الوطأة -إلى- وعفا في الأرض مخطها» فيخبرهم عن الإنسان والموت، وأنّه لابدّ لكلّ إنسان أن يموت، وأنّه لذاك السبع كالقوت، دون أن يريد شخصه عليه السلام فهو عليه السلام ذكر حكم الكلي وذكر نفسه فرداً له، بأنّه ان تثبت الوطأة للإنسان في مزلّة الدنيا من آفة أصابته فهو شيء يريده الإنسان، حيث يحبّ الحياة طبعاً؛ وان دحضت قدم الإنسان ومات فلا عجب ولا غرو ولا بدع، حيث إنّ الإنسان وما يُريده من الحياة كرجل استظلّ بفيء غصن أو ظلّ غمام، ليس ظلّهما إلّا آنات، وكسراج في

(١) الزمر: ٣٠.

مهب رياح لم يعلم بقاؤه ساعات.

ولم يتفطن ابن أبي الحديد لمغزى مرامه عليه السلام فخبط وخلط وقال: كلامه عليه السلام: «وتثبت الوطأة ...» يدلّ على أنّه عليه السلام بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنّه يموت من ضربته.

ومعنى قوله: «فذاك» أي: إن سلمت فذاك الذي تطلبونه، يخاطب أهله وأولاده، ولا ينبغي أن يقال: فذاك ما أطلبه؛ لأنّه عليه السلام كان يطلب الآخرة أكثر من الدنيا.

وقوله عليه السلام: «وغداً مفارقكم» لا يعني غداً بعينه، وقوله عليه السلام لابن ملجم:

أُريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقوله عليه السلام لشيعته لمّا قالوا له: فهلّا تقتله؟: «كيف أقتل قاتلي»، وقوله عليه السلام في البطّ الصائح خلفه في المسجد ليلة ضرب ابن ملجم له: «دعوهن فإنهنّ نوائح»، وقوله عليه السلام تلك الليلة: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله فشكوت إليه ما لقيت من أُمته، فقال: «ادع عليهم»، وقوله عليه السلام: «لا أُقتل محارباً وإنّما أُقتل فتكاً وغيلة، يقتلني رجل خامل الذكر» وما جاء منه من هذا الباب من آثار كثيرة كلّها لا يدلّ على أنّه يعلم الأمر مفصّلاً.

ومن الجائز أن يكون علم أنّ ابن ملجم هو الذي يقتله، ولم يعلم محققاً أنّ هذه الضربة تزهق نفسه، بل كان يجوز أن يفيق ثم يكون قتله بعد على يده وإن طال الزمان.

وقوله في البطّ، لعلّه علم أنّ تلك الليلة يخرج وإن لم يعلم أنّه يموت منه، والنوائح قد ينحن على المجروح ....

فموته عليه السلام من تلك الضربة كان أمراً معلوماً لكلّ أحد، فإنّه ليس في العادة أن يُضرب أحد ضربة مثل ضربته ويعيش، كما ليس في العادة أن

يعيش من قطع رأسه. ولو كان قال بدل خبطاته تلك: إنّه لم يكن علم أولاً إلّا أنّه علم بعد ـ بإخبار أثير بن عمرو المتطبب أنّ الضربة وصلت إلى أُمّ رأسه، كما رواه أبو الفرج[١]، وبوصف ابن ملجم لضربته؛ فروى أبو الفرج عن عبدالله بن محمّد الأزدي قال: أُدخل ابن ملجم على عليّ عليه السلام ودخلتُ عليه عليه السلام في من دخل، فسمعته يقول: «النفس بالنفس، إن أنامت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي». فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله. وقالت له أُمّ كلثوم: يا عدوّ الله إنّي لأرجو ألا يكون على أبي بأس.فقال لها: فأراك إنّما تبكين عليّ إذن! والله لقد ضربته ضربة لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم ـ كان له وجه ظاهري، وإلّا فتعبيره عليه السلام بقوله: «إن أنا متّ» «وإن سلمت» لبيان آداب الشرع وتعليم النّاس تكاليفهم، بأنّه بمجرّد ضربة يُحتمل اداؤها إلى الموت لا يجوز قتل الضارب؛ وكيف وتواتر عنه عليه السلام وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قتله من ضربة على رأسه تخضب منها لحيته؟!

وروى (الأسد)[٢] مسنداً عن عمرو ذي مرقال: لمّا أُصيب عليّ عليه السلام بالضربة دخلت عليه وقد عصبت رأسه فقلت: يا أمير المؤمنين أرني ضربتك. فحلّها فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إنّي مفارقكم. فبكت أُمّ كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي فلو ترين ما أرى لمّا بكيت. فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبيّون، وهذا محمّد صلى الله عليه وآله يقول: يا عليّ أبشر، فما تصير إليه خير ممّا أنت فيه.

وفي (مروج المسعودي)[٣]: قيل: إنّ علياً عليه السلام لم ينم تلك الليلة، وإنّه لم

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٢٣.
(٢) أُسد الغابة للجزري ٤: ٣٨.
(٣) المروج للمسعودي ٢: ٤٢٥.

يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول: ما كذبت ولا كذبت، وإنّها الليلة التي وِعدت. فلمّا صرخ بطّ كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار، فقال عليّ عليه السلام: ويحك دعهنّ فانهنّ نوائح ـإلى أن قال ـ وخرج إلى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره ـوكان من جذوع النخل ـ فاقتلعه وجعله ناحية وانحل إزاره فشدّه وجعل ينشد:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

وكيف لم يكن علم عليه السلام ذلك وقد كان عليه السلام أخبر به كراراً، حتى إنّ شيعته كانوا يخبرونه بذلك من وصفه؟!

ففي (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان)[1]: روى العلماء أنّ جويرية بن مسهر وقف على باب القصر فقال: يا أمير المؤمنين. قيل له: نائم. فنادى: أيّها النائم، استيقظ فوالذي نفسي بيده ليضربن ضربة على رأسك يخضب منها لحيتك، كما أخبرتنا بذلك من قبل. فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادى: أقبل يا جويرية حتى أُحدثك بحديثك. فأقبل فقال: وأنت ـوالذي نفسي بيده ـ لتعتلن بك إلى العتل الزنيم، وليقطعَنّ يدك ورجلك ثم لتصلبنّ تحت جذع كافر. فقطع زياد يده ورجله وصلبه تحت جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلاً.

وبالجملة غاية ما يمكن أن يقال: إنّه تعالى أخفى عليه عليه السلام وقوع الضربة عليه ساعة خروجه، لجري مقاديره عليه كما على غيره من عباده، كما عرفت من الخبر المتقدّم.

«وإنّما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً» وفي الخبر: إنّ الإنسان في أهله كضيف نزل بقوم ليلاً، وارتحل عنهم صباحاً.

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٣٢٢.

قال ابن أبي الحديد[١] في قوله عليه السلام: «جاوركم بدني أياماً»: إشعار بما ذهب إليه الأكثر في النفس، وأنّ هوية الإنسان شيء غير هذا البدن.

قلت: بل فيه إشعار بأنّ روحه عليه السلام غير أرواحهم، لم يجاورهم بروحه بل جاورهم ببدنه.

روى الكليني[٢] عن جابر قال: سألت أبا جعفر عن علم العالم، فقال لي: إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة وروح الشهوة؛ فبروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، وهذه الأرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس فانّه لا تلهو ولا تلعب.

«وستعقبون مني جثة خلاء» أي: خالية من الروح.

«ساكنة بعد حراك» أي: حركة. والمراد شجاعته وقوّته؛ وشجاعته كانت كما قال: لو تظاهرت العرب على قتالي لمّا وليت عنها؛ وقوّته كانت كما قلع باب خيبر.

«وصامتة بعد نطق» في (القاموس): نطق نطقاً ومنطقاً ونطوقاً: تكلّم بصوت وحروف تُعرف بها المعاني.

وقد قال معاوية في نطقه عليه السلام: ما سنّ الفصاحة لقريش إلّا عليّ. وقال عمر بن سعد يوم الطفّ لمّا خطبهم الحسين عليه السلام: لو تكلّم يوماً وليلة ما يعيى، إنّه ابن عليّ بن أبي طالب.

«ليعظكم هدوّي» أي: سكوني وعدم قدرتي على الشخوص.

«وخفوت» من: خفت الصوت: سكن، ومنه قيل للميت: خفت، إذا انقطع كلامه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٣.

(٢) الكافي للكليني ١: ٢٧٢ ح ٢.

«أطرافي» هكذا في (المصرية) بالفاء، والصواب: (اطراقي) بالقاف، كما في (ابن أبي الحديد)[١] وابن ميثم)[٢] من (أطرق): أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.

وفي (أُسد الغابة)[٣]: بعث الأشعث بن قيس صبيحة ضرب عليّ عليه السلام ابنه قيس بن الأشعث لينظر كيف هو؟ فرجع وقال له: رأيت عينيه داخلتين في رأسه.

«وسكون أطرافي» أي: الأعضاء الواقعة في الطرف، كاليدين والرجلين والرأس.

«فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ» لأنّه وعظ عملاً لايحتمل كذبه.

«والقول المسموع» وفي المثل الفارسي: شنيدن كى بود مانند ديدن.

في (تاريخ اليعقوبي)[٤] ـ بعد ذكر أنّ الأسكندر غلب على دار ملك فارس وعلى فور ملك الهند وقتله لهما ـ: ثم رجع إلى أرض بابل بعد أن دوّخ الأرض، فلمّا صار في أداني العراق ممّا يلي الجزيرة اعتل ومات، فصيروه في تابوت ثم وقف عليه عظيم من الفلاسفة فقال: هذا يوم عظيم كشف الملك عنه، أقبل من شرّه ما كان مدبراً، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً، فمن كان باكياً على ملك فعلى هذا الملك فليبك، ومن كان متعجباً من حادث فمن هذا الحادث فليتعجّب. ثم أقبل ذاك العظيم على من حضره من الفلاسفة، فقال: يا معشر الحكماء، ليقل كلّ امرئٍ منكم قولاً يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً.

فقام كلّ واحد من تلامذة ارسطاطاليس فضرب بيده على التابوت، ثم قال أحدهم: أيّها المنطيق ما أخرسك؟ أيها العزيز ما أذلّك؟ أيّها القانص أنّى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٨.

(٣) أُسد الغابة ٤: ٣٧.

(٤) التاريخ لليعقوبي ١: ١٤٣.

وقعت موضع الصيد في الشرك؟ من هذا الذي قنصك؟ ثم قام آخر، فقال: هذا القوي الذي أصبح ضعيفاً وقام آخر فقال: قد كانت سيوفك لا تجفّ ونقماتك لا تؤمن، وكانت مدائنك لا ترام، وكانت عطاياك لا تبرح، وكان ضياؤك لا يكفّ فأصبح صوتك قد خمد، ونقماتك لا تُخشى وأصبحت عطاياك لا ترجى، وأصبحت سيوفك لا تُنتضى وأصبحت مدائنك لا تمنع. ثم قام آخر فقال: هذا الذي كان للملوك قاهراً فقد أصبح اليوم للسوقة مقهوراً. وقام آخر فقال: قد كان صوتك مرهوباً وكان ملكك غالباً، فأصبح الصوت قد انقطع والملك قد اتضع. وقام آخر فقال: ألا امتنعت من الموت إذ كنت من الملوك ممتنعاً؟ وهلّا ملكت عليه إذ كنت عليهم مملكاً؟ وقام آخر فقال: حرّكنا الإسكندر بسكونه وأنطقنا بصموته.

كان ملك الإسكندر اثنتي عشرة سنة، ولمّا علم أنّ الموت نزل به كتب إلى أُمّه يُعزيّها عن نفسه، وكتب في آخره: اصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه من نساء أهل المملكة، ولا يأكل من طعامك من أُصيب بمصيبة قط. فعملت طعاماً وجمعت النّاس، ثم أمرتهم ألا يأكل من أُصيب بمصيبة قط فلم يأكل أحد، فعلمت ما أراد؛ وحمل تابوته من العراق إلى الإسكندرية فتلقته أُمّه بعظماء أهل المملكة، فلمّا رأته قالت: ياذا الذي بلغت السماء حكمته، وحاز أقطار الأرض ملكه، ودانت الملوك عنوة له، مالك اليوم نائماً لا تستيقظ، وساكتاً لا تتكلّم؟ مَن يُبلّغك عنّي بأنّك وعظتني فاتعظت، وعزيتني فتعزيت؟ فعليك السلام حيّاً هالكاً.

وكان عظم سلطانه واعانته الحكمة والعقل والمعرفة وكان ارسطاطاليس معلّمه.

وفي (كامل الجزري): لمّا مات عضد الدولة ـ وكان عاقلاً فاضلاً حسن

السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمّة، ثاقب الرأي، محبّاً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أماكن الحزم، ناظراً في عواقب الأمور، فقصده العلماء من كلّ بلد وصنّفوا له الكتب، ومنها الايضاح في النحو، والحجّة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ وغيرها؛ وعمل المصالح كالبيمارستانات والقناطر، وبنى سوراً على المدينة ـ بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء، فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الاسكندر، فقال بعضهم: لو قلتم أنتم مثلها لكان ذلك يؤثر عليكم ـ. فقال أحدهم: قد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الربح فيها، فخسر روحه فيها.

وقال الثاني: من استيقظ للدنيا فهذا نومه، ومن حلم فيها فهذا انتباهه.

وقال الثالث: ما رأيت عاقلاً في عقله، ولا غافلاً في غفلته مثله، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنّه مبرم، ويغرم وهو يظن أنّه غانم.

وقال الرابع: من جدّ للدنيا هزلت به، ومن هزل راغباً عنها جدت له.

وقال الخامس: ترك هذه الدنيا شاغرة، ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة.

وقال االسادس: إنّ ماءً اطفأ هذه النار لعظيم، وإنّ ريحاً زعرت هذا الركن لعصوف.

وقال السابع: إنّما سلبك من قدر عليك.

وقال الثامن: أما لو كان معتبراً في حياته لمّا صار عبرة في مماته.

وقال التاسع: الصاعد في درجات الدنيا إلى استفال، والنازل في دركاتها إلى تعال.

وقال العاشر: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك؟ وهلّا اتخذت دونه جنّة تقيك؟ إنّ في ذلك لعبرة للمعتبرين.

«وداعيكم» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (وداعي لكم) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم).

«وداع امرئ مرصد للتلاقي» قال عليه السلام هذا لشيعته فهو ساقيهم من الكوثر، كما أنّه ذائد عنه مخالفيه.

روى المدائني[٢]: أنّ الحسن عليه السلام قال لمولى له: أتعرف معاوية بن حديج؟ قال: نعم. قال: إذا رأيته فاعلمني. فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث فقال له عليه السلام: هو هذا. فدعاه فقال له: أنت الشاتم علياً عليه السلام عند ابن آكلة الأكباد؟ أما والله لئن وردت الحوض -ولن ترده- لترينّ علياً عليه السلام مشمّراً عن ساقيه حاسراً عن ذراعيه يذود عنه المنافقين -وفي خبر- يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل.

وروى المفيد في (أماليه)[٣] عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة -وكنتُ فيهم- فجعل الحارث يتأوّد في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنه -وكان مريضاً-، فأقبل عليه السلام عليه -وكانت له منزلة عنده- فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني. فقال عليه السلام له: أُبشّشرك يا حارث! تعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة. قال الحارث وما المقاسمة؟ قال عليه السلام: مقاسمة النار، أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

رواه عن جميل بن صالح عن الكابلي عن الأصبغ ثم قال: قال جميل: وأنشدني السيد الحميري في ما تضمنه هذا الخبر:

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ٤٦.

(٢) المدائني.

(٣) الأمالي للمفيد: ٣ ـ ح ٣ المجلس ١.

قول عليّ لحارث عجبا	كم أُعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه	بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين توقف للعر	ض دعيه لا تقربي الرجلا
دعيه لا تقربيه أن له	حبلاً بحبل الوصي متصلا

قلت: الظاهر أنّ الحميريّ استند في أشعاره إلى هذا الخبر وخبر الشعبي الآتي، فلا يخفى أن شعريه الأولين مضمون ذاك الخبر، فإنّ هذا الخبر وان تضمّن أنّه عليه السلام قال: «تعرفني عند الممات» لكن اقتصر فيه على محبّيه، مثل الحارث دون مخالفيه، وإنما ذاك الخبر تضمّنهما.

وروى الكشي في (رجاله) عن الشعبي: قال: قال الحارث الأعور: أتيت علياً عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ماجاء بك؟ فقلت جاء بي والله حبّك. فقال: أما إنّي سأُحدّثك لتشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يُحبّني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره.

روى الشعبي عن الحارث هذا لأبي عمر البزاز، ثم لكونه ناصبياً قال له: أما إنّ حبّه لا ينفعك وبغضه لا يضرّك.

وقد ودّعه جمع من شيعته؛ روى (أماليا الشيخين)[1] عن الأُصبغ قال: لمّا ضربه اللعين عدونا نفر من أصحابنا، أنا والحرث وسويد بن غفلة وجماعة معنا فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن عليه السلام فقال: يقول لكم أبي: انصرفوا. فانصرفوا غيري، فاشتدّ البكاء في منزله

---

(١) الأمالي للطوسي ١: ١٢٣.

فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل انصرفوا؟ فقلت: لا والله لا يحملني رجلي حتى أراه عليه السلام. وبكيت فدخل وخرج فقال: ادخل. فدخلت فاذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء ودمه نزف واصفر وجهه، ما أدري أوجهه اصفر أم العمامة؟ فأكببت عليه فقبلته وبكيت فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنّها والله الجنّة. فقلت: جُعلت فداك إنّي أعلم والله أنّك لتصير إلى الجنّة، وإنّي أبكي لفقداني إيّاك....

«غداً ترون أيامي ويُكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلوّ مكاني وقيام غيري مقامي» روى أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغاته) عن الشعبي، قال: استأذنت سودة بنت عمارة بن اسك الهمدانية على معاوية، فأذن لها فدخلت فقال لها: يا بنت اسك، ألست القائلة يوم صفّين:

شمر كفعل أبيك يا بن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد بهند وابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمّد علم الهدى ومنارة الإيمان

فقِهِ الحتوفَ وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: إي والله ما مثلي من رغب عن الحقّ أو اعتذر بالكذب. قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت حبّ عليّ واتباع الحق. قال: فوالله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً. قالت: أنشدك الله واعادة ما مضى وتذكار ما قد نسي. قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك. قالت: صدق فوك، لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان، كان والله كقول الخنساء:

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلك. فقالت: مات الرأس وبتر الذنب، وبالله أسأل

اعفائي ممّا استعفيت منه. قال: قد فعلت، فما حاجتك؟ قالت: إنّك أصبحت للناس سيّداً ولأمرهم متقلّداً، والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزّك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة؛ هذا بسر بن أرطاة قدِم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي، يقول لي فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك وإمّا لا فعرفناك. فقال لها معاوية: أتهدديني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّكِ إليه، ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسمٍ تضمّنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك قالت قدمت عليه في رجل ولّاه صدقاتنا فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائماً يصلّي فلمّا نظر إليّ انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألكِ حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللّهم إنّك أنت الشاهد عليّ وعليهم، إنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك. ثم أخرج من جيبه قطعة جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قد جاءتكم بيّنة من ربكم﴾[1] ﴿...وافوا الكيل والميزان بالقسط﴾[2] ﴿ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) الانعام: ١٥٢.

مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[١]. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. فأخذته منه ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته. فقال لها معاوية لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان: فبطيئاً ما تفطمون.

ورواه ابن عبد ربه في (عقده)[٢] وفيه: لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغرّكم قوله.

فلو كنت بوّاباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وغرّكم قوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة ... ومثل همدان سنّى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه ... وجه جميل وقلب غير وجّابِ

وفي الأوّل أيضاً: قال سعيد بن حذافة: حبس مروان غلاماً من بني ليث في جناية فأتته جدّته أُمّ أبيه -أُمّ سنان بنت خيثمة المذحجية- فكلّمته في الغلام فأغلظ لها فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه فانتسبت له، فقال لها: مرحباً بك يا بنت خيثمة، ما أقدمك أرضي وقد عهدتك تشنأين قربي وتحضين عليّ عدوي؟ قالت إنّ لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأعلاماً ظاهرة، لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا يعاقبون بعد عفو، فأولى النّاس باتباع سنن آبائه لأنت. قال: صدقت نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي ما ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد

يا آل مذحج لا مقام فشمّروا ... إنّ العدوّ لآل أحمد يقصد

هذا عليّ كالهلال يحفّه ... وسط السماء في الكواكب أسعد

---

(١) هود: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) العقد لابن عبد ربه ١: ٣٤٦.

خير الخلائق وابن عمّ محمّد ... وكفى بذلك لمن شناه تهدّد

مازال مذ عرف الحروب مظفّراً ... والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت: كان كذلك، وإنّا لنطمع بك خلفاً. فقال رجل من جلسائه: كيف وهي القائلة:

إمّا هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحق تعرف هادياً مهديا

فاذهب عليك صلاة ربّك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمّد خلفاً لنا ... أوصى إليك بنا فكنت وفيا

فاليوم لا خلف تأمل بعده ... هيهات نمدح بعده إنسيّا

وروى الثاني عن عكرمة قال: دخلت عكرشة بنت الأُطرش على معاوية متوكّئة على عكاز، فسلّمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية: الآن صرت عندك خليفة؟ قالت: نعم، إذ لا عليّ حي. قال: ألستِ المتقلّدة حمائل السيوف بصفّين ـ إلى أن قال ـ فكأنّي أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكر أن يقولوا: هذه عكرشة بنت الأُطرش بن رواحة. فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ـ إلى أن قال ـ قالت: إنّه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردّ على فقرائنا، وإنّا قد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير، فإن كان ذلك على رأيك فمثلك ينبه عن الغفلة، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخوَنة ولا استعمل الظلمة. قال معاوية: يا هذه، إنّه ينوبنا عن أُمور رعيتنا، أُمور تنبثق وبحور تنفهق. قالت: يا سبحان الله! والله ما فرض الله لنا حقّاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا، وهو علّام الغيوب. قال معاوية: يا أهل العراق نبّهكم عليّ بن أبي طالب فلم تطاقوا....

وروى عن أبي سهل التميمي قال: حجّ معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها: دارمة الحجونية، فأُحضرت إليه، فقال:

تدرين لِمَ بعثت إليك؟ قالت: لا. قال: لأسألك لِمَ أحببت علياً وأبغضتني، وواليته وعاديتني؟ قالت: أوتعفيني؟ قال: لا. قالت: إذ أبيت فإنّي أحببت علياً على عدله في الرعية وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق، وواليت علياً على ما عقد له النبيّ صلى الله عليه وآله من الولاء في الدين، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى. فقال لها معاوية: يا هذه، هل رأيت علياً؟ قالت: إي والله. قال: كيف رأيته؟ قالت: رأيته ـ والله ـ لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله، فكان يجلو القلب من العمى، كما يجلو الزيت الطست من الصدى. قال: صدقت، فهل من حاجة؟ قالت: أوتفعل؟ قال: نعم. قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها. فأمر لها بذلك، وقال لها: أما والله لو كان عليّ حياً ما أعطاك منها شيئاً. قالت: لا والله ولا وبرة من مال المسلمين.

٦
الكتاب (٢٣)

ومن كلام له عليه السلام قاله قبيل موته على سبيل الوصيّة، لمّا ضَرَبه ٱبن مُلجَم لعنه الله:

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَكُمْ﴾[1] وَٱللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ

(١) النور: ٢٢.

الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ، ﴿وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[١].

«قال الرضي: أقول: وقد مضى بعض هذا الكلام في ما تقدّم من الخطب، إلّا أنّ فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره».

أقول: قد عرفت في سابقه أنّ (الكافي والمروج) رويا مقداراً من زيادة ذكرت هاهنا إلى قوله: «ان يغفر الله لكم».

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام» ـ إلى ـ «لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن ميثم)[٣]: «ومن كلام له عليه السلام قاله قبيل موته ـ لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله ـ وصية» وفي (ابن أبي الحديد)[٤]: «ومن كلام له عليه السلام قاله قبيل موته ـ لمّا ضربه ابن ملجم ـ على سبيل الوصية».

هذا، وفي (الصحاح) في (جوب): وتجوب قبيلة من حمير، حلفاء لمراد، ومنهم ابن ملجم لعنه الله؛ قال الكميت:

ألا إنّ خير النّاس بعد ثلاثة   قتيل التجوبي الذي جاء من مصر

وهو وهم منه؛ وقتيل التجيبي هو عثمان لا هو عليه السلام، والبيت ليس للكميت ولم يتفطن لذاك (القاموس) مع تهالكه على تخطئته، ولكن تنبّه له محشي (الصحاح). فقال: البيت للوليد بن عقبة، وصواب انشاده:

قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

وإنّما غلّطه في ذلك أنّه ظن أنّ الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان، فظنّ أنّه

---

(١) آل عمران: ١٩٨.

(٢) الطبعة المصرية ٣: ٢٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٣.

في عليّ فقال: التجوبي -بالواو- وإنّما الثلاثة النبيّ وأبو بكر وعمر، لأنّ الوليد رثى بهذا الشعر عثمان وقاتله كنانة بن بشر التجيبي، وأمّا قاتل عليّ فهو التجوبي. ثم نقل عن البكري أنّ الأبيات لنائلة زوجة عثمان.

قلت: وصرّح (الطبري)[1] بأنّها للوليد، وأنّه ردّ عليه الفضل بن عباس في أبيات ومنها:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد
وصي النبيّ المصطفى عند ذي الذكر
وأوّل من صلّى وصنو نبيّه
وأول من أردى الغواة لدى بدر

قوله عليه السلام: «وصيّتي لكم -إلى- «وغداً مفارقكم» مرّ في السابق لكن ليس هنا: «وأوقدوا هذين المصباحين» في (ابن ميثم)[2] وهو في (ابن أبي الحديد)[3]، ونقلته (المصرية)[4] عنه، وفي (ابن ميثم) أيضاً: «أنا بالأمس كنت صاحبكم».

«إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي» في (الإرشاد)[5]: لمّا أُدخل ابن ملجم عليه عليه السلام نظر إليه ثم قال: النفس بالنفس، فإن أنا متّ فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشت رأيت فيه رأيي. فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف، فإن خانني فأبعده الله. ونادته أُمّ كلثوم: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين! قال: إنّما قتلت أباك. قالت: يا عدوّ الله إنّي لأرجو ألّا يكون عليه بأس.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٦.
(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٣.
(٤) الطبعة المصرية ٣: ٢٤.
(٥) الإرشاد ١: ٢١.

قال لها: فأراك إنّما تبكين عليّ إذن؟! لقد والله ضربته ضربة لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم. فأُخرج من بين يديه عليه السلام وإنّ النّاس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم سباع وهم يقولون: يا عدوّ الله ماذا فعلت؟ أهلكت أُمّة محمّد وقتلت خير النّاس. وإنّه لصامت لم ينطق فذهب به إلى الحبس، وجاء النّاس إليه عليه السلام فقالوا له: مرنا بأمرك في عدوّ الله، لقد أهلك الأمة وأفسد الملّة. فقال عليه السلام لهم: إن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت فاصنعوا ما يُصنع بقاتل النبيّ: اقتلوه ثم حرّقوه بعد ذلك بالنار. فلمّا قضى عليه السلام نحبه ودفن جلس الحسن عليه السلام وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به، فلمّا وقف بين يديه قال له: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين وأعظمت الفساد في الدين. ثم أمر به فضربت عنقه، واستوهبت أمّ الهيثم بنت الأسود النخعية جثته منه لتتولى احراقها، فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

«وإن أعف» على فرض بقائي.

«فالعفو لي قربة» قال تعالى: ﴿...وأنْ تعفوا أقرب للتقوى...﴾[1].

«وهو لكم حسنة فاعفوا» ﴿...وإنْ تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾[2].

«﴿...ألا تحبون أن يغفر الله لكم...﴾» من الآية (٢٢) من النور.

«والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته» في (العيون)[3] نُعي إلى الصادق عليه السلام ابنه إسماعيل ـ وهو أكبر أولاده ـ وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه، فتبسّم ثمّ دعا بطعامه وقعد مع ندمائه، وجعل يأكل

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) التغابن: ١٤.

(٣) العيون ٢: ٢ ـ ب ٣٠.

أحسن من أكله ساير الأيام ويحثّ ندمائه ويضع بين أيديهم، ويعجبون منه، لا يرون للحزن أثراً، فلمّا فرغ قالوا: يا بن رسول الله لقد رأينا عجباً، أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى! قال: ومالي لا أكون كما ترون وقد جاءني خبر أصدق الصادقين: إنّي ميت وإيّاكم؛ إنّ قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، لم ينكروا ما يخطفه الموت منهم، وسلّموا لأمر خالقهم عزوجل.

«وما كنت إلّا كقارب» قال الخليل ـ كما في (الصحاح) ـ: القارب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً. قال الجوهري: وقد أقرب القوم: إذا كانت إبلهم قوارب، فهم قابون، ولا يقال: مقربون. قال أبو عبيد: وهذا الحرف شاذ.

«ورد» الماء.

«وطالب وجد» مطلوبه؛ قال الصادق عليه السلام ـ كما في (العيون) ـ[1]: الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه، وينقطع التعب والألم كلّه عنه.

«﴿...وما عند الله خير للأبرار﴾[2]» روى الصدوق في (أماليه)[3] عن حبيب بن عمرو قال: دخلت على عليّ عليه السلام فقلت له: ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس. فقال لي: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة. فبكيت عند ذلك وبكت أمّ كلثوم وكانت قاعدة عنده، قال لها: ما يُبكيك يا بنية؟ فقالت: ذكرتَ يا أبه أنّك تفارقنا الساعة فبكيت عند ذلك. فقال: يا بنية لا تبكي فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت. قال حبيب فقلت: وما ترى يا أمير المؤمنين؟ قال: يا حبيب أرى ملائكة السماوات والنبيّين بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني، وهذا أخي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله جالس عندي يقول: أقدم فإنّ أمامك خير لك ممّا

---

(١) عيون أخبار الرضا ٧ ١: ٢١٣.

(٢) آل عمران: ١٩٨.

(٣) الأمالي للصدوق: ٢٦٢ ـ ح ٢.

أنت فيه قال حبيب: فما خرجت من عنده حتى تُوفي، فلمّا كان من الغد وأصبح الحسن عليه السلام قام خطيباً على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها النّاس في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلةُ رفع عيسى، وفي هذه الليلة قُتل يوشع، وفي هذه الليلة مات أمير المؤمنين عليه السلام والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء ولا من يكون بعده، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ليبعثه في السريّة فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله.

ورواه (أُسد الغابة)[١] إلى قوله: فإنّ أمامك خير ممّا أنت فيه عن عمرو ذي مرقال، والأصل واحد، وأحدهما تحريف.

وروى الشيخان في (أماليهما)[٢] عن الأصبغ قال: لمّا ضربه عليه السلام ابن ملجم غدونا عليه، انا والحرث بن سويد وسويد بن غفلة وجماعة معنا، فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم. فانصرف القوم غيري واشتد البكاء من منزله، فبكيت فخرج الحسن عليه السلام فقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا والله يابن رسول الله، ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن أنصرف، حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام. فلبثتُ فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل. فدخلتُ فإذا هو عليه السلام مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة؟ فأكببت عليه فقبلته وبكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فهاوالله الجنّة. فقلت له: جعلت فداك إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنة، وإنّما أبكي لفقداني إيّاك....

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٨.

(٢) الأمالي للطوسي ١: ١٢٣، والأمالي للمفيد: ٣٥١ ـ ح٣ المجلس ٤٢.

وروى[١] الثاني في خبر: أنّ ابن ملجم ضربه وهو ساجد على الضربة التي كانت من عمرو، واحتمل عليه السلام فأُدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أُمّ كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خير مستقرا؛ ضربة بضربة أو العفو إن كان ذلك، ثم عرق ثم أفاق فقال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يأمرني بالرواح إليه عشاء ـ ثلاث مرات ـ.

وروى الفرحة عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: دفن مع أبيه نوح في قبره. قلت: من تولّى دفنه؟ فقال: النبيّ صلى الله عليه وآله مع كرام الكاتبين، بالروح والريحان.

وفي (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي): ودخل ابن ملجم المسجد ورمى بنفسه بين النيام، وأذّن عليّ عليه السلام ودخل المسجد فجعل ينبه مَن بالمسجد من النيام، ثم صار إلى محرابه فوقف فيه واستفتح وقرأ، فلمّا ركع وسجد سجدة ضربه على رأسه ضربة وقعت على ضربة عمرو بن عبدود....

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) نقلاً مقتله عليه السلام عن جمع من أهل السير منهم محمّد بن إسحاق وهشام بن محمّد والسدي: فلمّا حصل في المحراب هجموا عليه فضربه ابن ملجم وهو يقول ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[٢] وهرب وردان وشبيب....

وفي (أمالي الشيخ، الصفحة ٢٣٢) وبهذا الاسناد عن السجّاد عليه السلام: لمّا ضُرب عليه السلام كان مع ابن ملجم آخر وقعت ضربته على الحايط، وأمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه، على الضربة التي كانت،

---

(١) أمالي الطوسي ١: ١٢٣.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

فخرج الحسن والحسين عليهما السلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه، واحتمل عليه السلام فأُدخل داره فقعدت لبابة عند رأسه وأُمّ كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خير مستقر وأحسن مقيلا....

ويأتي في الآتي زيادة أعثم الكوفي؛ وفي (الاستيعاب)[1]: فخرج عليه السلام لصلاة الصبح فبدره شبيب ـ إلى أن قال ـ واختلفوا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها؟ وهل استخلف من أتمّ بهم الصلاة أو هو أتمّها؟ والأكثر أنّه استخلف جعدة ابن هبيرة فصلّى بهم تلك الصلاة.

ومرّ في العنوان الأول من الفصل خبر فضائل شهر رمضان[2] عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين ـ شقيق عاقر ناقة ثمود ـ فضربك ضربة فخضب منها لحيتك» وهو الصحيح، يشهد له العقل، فكان ابن ملجم يصف ضربته بأنّه ضرب ضربة لو ضربها أهل المشرق والمغرب لهلكوا، وكان شحذ سيفه شهراً وسقاه السمّ شهراً، فلابد أنّه احتاط لتمكنّه من ضربة كاملة، ولو كان في الطريق كيف أمكنه ذلك؟

قول المصنف: «قال الرضي: أقول» هكذا في (المصرية) وكلّه زائد لعدم وجوده في (ابن ميثم[3] والخطية) وإنّما اقتصر ابن أبي الحديد على: «قال الرضي» إن شاء من نفسه.

«وقد مضى بعض هذا الكلام» من قوله «وصيتي لكم ـ إلى قوله ـ وغداً مفارقكم».

«في ما تقدم من الخطب» في (١٤٥).

---

(١) الاستيعاب ٣: ٥٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ٧. فضائل شهر رمضان ١: ٢٣١ ـ ح ٥٣ ب ٢٨.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٣.

«إلّا أنّ فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره» من قوله: «ان ابق...».

٧
الكتاب (٤٧)

ومن وصيّة له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله:

أُوصِيكُما بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُما، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ، فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحضْرَتِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا.

وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُون فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ:

يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ خَوضاً، تَقُولُون: قُتِلَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ، قُتِلَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ. أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي. أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

أقول: رواه الطبري[1] والاصبهاني والكليني والصدوق[2].

قال الأوّل: دعا عليه السلام حسناً وحسيناً عليهما السلام فقال: أُوصيكما بتقوى الله، وألّا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمّد بن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: فإنّي أُوصيك بمثله، وأُوصيك بتوقير أُخويك العظيم حقّهما عليك، فاتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أُوصيكما به فإنّه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أنّ أباكما كان يحبّه ـ إلى أن قال ـ فلمّا حضرته الوفاة أوصى ـ إلى أن قال ـ قال: ثم أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ﴿ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[3] فإنّي سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله يقول: إنّ صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم، يهوّن الله عليكم الحساب؛ الله الله في الأيتام فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم؛ والله الله في جيرانكم

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٤٧.

(٢) الفقيه ٤: ١٣٨ ـ ١٤١ ح ٨٦٢.

(٣) آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣.

فانّهم وصيّة نبيّكم صلى الله عليه وآله مازال يوصي بهم حتى ظننا انّه سيورثهم؛ والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم؛ والله الله في الصلاة فانّها عمود دينكم؛ والله الله في بيت ربّكم فلا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن تُرك لم تناظروا؛ والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؛ والله الله في الزكاة فإنّها تُطفئ غضب الرّب؛ والله الله في ذريّة نبيّكم فلا يُظلمنّ بين أظهركم؛ والله الله في أصحاب نبيّكم فإنّ رسول الله أوصى بهم؛ والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم؛ والله الله في ما ملكت ايمانكم. ثم قال: الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإيّاكم والتدابر والتقاطع والتفرّق ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾[1] حفظكم من أهل بيت وحفظ فيكم نبيّكم، استودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله. ثم لم ينطق إلّا بلا إله إلّا الله حتى قُبض، وذلك في شهر رمضان سنة (٤٠) -إلى أن قال- وقال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قُتل أمير المؤمنين قُتل أمير المؤمنين. ألا لا يُقتَلنّ إلّا قاتلي، انظر يا حسن إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثّل بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة ولو أنّها بالكلب العقور.

وروى الثاني عن أبي مخنف عن عطية بن الحرث عن عمر بن تميم وعمرو بن أبي بكار: انّه عليه السلام لمّا ضرب جمع له أطباء الكوفة -إلى أن قال في وصيته عليه السلام -:

---

(١) المائدة: ٢.

أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربّنا ﴿ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[1]، فإنّي سمعت رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام. وإنّ المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البيت، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم. انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يُهوّن الله عليكم الحساب؛ الله الله في الايتام فلا تغيّرن أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم؛ والله الله في جيرانكم فإنّها وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله مازال يوصينا بهم حتى ظننا أنّه سيورثهم؛ والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم؛ والله الله في الصلاة فإنّها عماد دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنّه إن تُرك لم تناظروا؛ والله الله في صيام شهر رمضان فانّه جنّة من النار؛ والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؛ والله الله في زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم؛ والله الله في ذرية نبيّكم فلا يظلمن بين أظهركم؛ والله الله في أصحاب نبيّكم فان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم؛ والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم؛ والله الله في ما ملكت ايمانكم. ثم قال: الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم فانّه يكفيكم من بغى عليكم وأرادكم بسوء. ﴿قولوا للناس حسناً﴾[2] كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى الأمر غيركم وتدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواصل والتباذل والتبار، وإيّاكم والتقاطع والتفرّق والتدابر ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[3].

---

(١) آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) المائدة: ٢.

ومثله الكليني إلّا أنّه زاد بعد قوله «ولا يضيعوا بحضرتكم»: فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عزوجل له بذلك الجنّة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

وزاد بعد قوله «لم تناظروا»: وأدنى ما يرجع به من الله أن يغفر له ما قد سلف.

وزاد بعد قوله «بأموالكم وأنفسكم»: وألسنتكم فإنّما يجاهد رجلان: إمام هدى، أو مطيع له مقتدٍ بهداه.

وفيه: الله الله في ذريّة نبيّكم، فلا يُظلمنّ بحضرتكم وبين ظهرانيكم، وأنتم تقتدرون على الدفع عنهم.

وزاد بعد قوله «في أصحاب نبيّكم»: الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً.

وزاد بعد قوله «أوصى بهم»: ولعن المحدث منهم ومن غيرهم، والمؤوي للمحدث.

وفيه: الله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإنّ آخر ما تكلّم به نبيّكم أن قال: أُوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت ايمانكم.

وفيه: فيولّى الأمر شراركم.

وفي آخره: حتى قُبض في ثلاث ليال من العشر الأواخر، ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة، وكان ضرب ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان.

وقال الرابع[1] في رسم وصية فقيهة: روى عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصيّة عليّ عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على

---

(١) الفقيه ٤: ١٣٩ ـ ١٤١ ح ٢ ـ ب٨٦.

وصيته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ثم قال: يا بني أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله أن أُوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين. ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك النبيّ أن تدفع إلى ابنك عليّ بن الحسين. ثم أقبل على ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: وأمرك النبيّ صلى الله عليه وآله أن تدفع وصيّتك إلى ابنك محمّد بن عليّ، فأقرئه من رسول الله ومنّي السلام. ثم أقبل على ابنه الحسن فقال: يا بني أنت ولي الأمر وولي الدم، فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة ـ إلى أن قال ـ ثم إنّي أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربّكم ﴿ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وإذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾[1] فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «صلاح ذات البيت أفضل من عامة الصلاة والصيام» ـ إلى أن قال ـ ثم لم يزل يقول: «لا إله إلّا الله» حتى قبض عليه السلام في أول ليلة من العشر الأواخر، آخر ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة لأربعين سنة مضت من الهجرة.

ورواه (تحف العقول)[2] إلّا أنّه قال: «كتابه إلى ابنه الحسن عليه السلام». وعن (كشف الغمة)[3] وعن (أمالي الزجاج) أيضاً روايته.

وروى (المروج)[4] صدره ورواه كتاب (المعمرون) لأبي حاتم

---

(١) آل عمران ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) تحف العقول: ١٩٧.

(٣) كشف الغمة ٢: ٥٧.

(٤) المروج ٢: ٤٢٥.

السجستاني باسناده عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه، وبآخر صدره هكذا: أُوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شيء منها زُوي عنكما؛ قولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضايع وأضيفا الجائع، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكم في الله لومة لائم.

وروى بعده باسناده عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام هكذا: وإنّي أُوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربكم ﴿ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ فإنّي سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عام الصيام والصلاة. انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يُهوّن الله عليكم الحساب؛ والله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بحضرتكم؛ والله الله في الضعيفين فإنّ آخر ما تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وآله أن قال: أُوصيكم بالضعيفين خيراً؛ والله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم؛ والله الله في الصلاة فإنّها عمود دينكم؛ والله الله في الزكاة فإنّها تطفئ غضب ربّكم عنكم، والله الله في صيام رمضان فإنّ صيامه جنّة لكم من النار؛ والله الله في الحج فإنّ بيت الله إذا خلا لم تناظروا؛ والله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معايشكم وأموالكم؛ عليكم يا بني بالبرّ والتواصل والتبارّ، وإيّاكم والتقاطع والتدابر والتفرّق، ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1] حفظكم الله من أهل بيت.

وروى ذيله هكذا: وأخبرونا أنّ الحسن عليه السلام قال لابن ملجم لمّا أراد قتله: إنّ أبي قال: يا بني إيّاكم أن تخوضوا في دماء المسلمين وأن تقولوا: قُتل أمير المؤمنين؛ ألا لأيقتلنّ فيّ إلّا قاتلي، وضربة بضربة، فإيّاك يا حسن

(١) المائدة: ٢.

والمثلة، فإنّ رسول الله نهى عنها ولو بالكلب العقور.

قال: قال: ابن ملجم والله أن كان أبوك ما علمنا لعدلاً في الرضاء والغضب إلّا ما كان من يوم صفّين حين حكّم في دين الله، أفشكّ أبوك في دينه؟ قال: فضربه ضربة تلقاه بخنصره فقطعها، ثم ضربه أُخرى في الموضع الذي ضرب أباه فقتله.

قول المصنف: «لمّا ضربه ابن ملجم» في (الإرشاد)[١] قال أبو بكر بن أبي عياش: لقد ضرب عليّ عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها ـ يعني: ضربته عمرو بن عبد ود يوم الخندق ـ ولقد ضُرب عليه السلام ضربة ما ضُرب في الإسلام أشأم منها ـ يعني: ضربة ابن ملجم له عليه السلام ـ. ولو كان المصنف قال: «بعد ضربه عند احتضاره» كان أولى، فقد عرفت من الطبري أنّه لم ينطق بعد الوصيه إلّا بالهيللة حتى قبض، وكذلك من رواية (الفقيه)[٢].

قوله عليه السلام أُوصيكما بتقوى الله» ﴿...ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[٣] ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...﴾[٤]، ﴿...انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾[٥]، ﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّاً﴾[٦]، ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيا * ثم ننجي الذين اتّقوا

---

(١) الإرشاد ١: ١٠٥.

(٢) الفقيه ٤: ١٣٩ ـ ١٤١ ح ٢ ـ ب رسم الوصية ٨٦.

(٣) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) المائدة: ٢٧.

(٦) مريم: ٦٣.

ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[١].

«وأن لا تبغيا» أي: تطلبا.

«الدنيا وان بغتكما» ﴿...وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٢]، ﴿...مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذرُوه الرياح...﴾[٣] ﴿أفرأيت ان متّعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتّعون﴾[٤].

وفي الخبر: تمثّلت الدنيا للمسيح عليه‌السلام في زيّ امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أُحصي. قال: أُطلّقوك؟ قالت: لا، بل كلّاً قتلت. قال: ويح أزواجك الباقين! كيف لا يعتبرون بالماضين؟

ولنعم ما قيل بالفارسية:

چه طفل با همه با زيد بی‌وفايی كرد عجبتر آنكه نگشتند ديگران استاد

أيضاً:

مجو درستی عهد از جهان سست نهاد

كه اين عجوزه عروس هزار داماد است

أيضاً:

بعشوهٔ كه سپهرت دهد زره مرو

ترا كه گفت كه اين زال ترك دستان گفت

أيضاً:

---

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) الكهف: ٤٥.

(٤) الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

برو از خانه گردون به در و نان مطلب

كين سيه كاسه در آخر بكشد مـهمانرا

وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

«ولا تأسفا على شيء منها زُوي عنكما» ﴿لكيلا تأسوا على ما فـاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...﴾[1] «ودع عنك من همومها لمّا أيقنت به من فراقها».

«وقولا للحق» هكذا في (المصرية)[2]. والصواب: (بالحق) كما في (ابـن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والخطية).

﴿...كنوا قوامين بالقسط شـهداء للّـه ولو عـلى أنـفسكم أو الوالديـن والأقربين...﴾[5].

وفي (الاستيعاب)[6]: قدم قيس بن خرشة القيسي على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له: أُبايعك على ما جاءك من الله وعلى أن أقول بالحق. فقال له: يا قيس عسى أن يمرّ بك الدهر أن يليك ولاة لا تستطيع ان تقول لهم الحق. قال: لا والله إلّا وفيت. فقال صلى الله عليه وآله إذن لا يضرّك بشر. قال: فكان قيس يعيب زياداً وابنه عبيدالله بعده، فبلغ ذلك عبيدالله فأرسل إليه، فقال: أنت الذي تفتري على الله وعلى رسوله؟ فقال: لا والله ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفتري على الله ورسوله. قال ومـن هو؟ قال: من ترك العمل بكتاب الله وسنّة نبيه. قال: ومن ذلك؟ قال: أنت وأبوك ومن أمّركما. قال: وأنت الذي تزعم أنّه لا يضرّك بشر؟ قال: نعم، قال: لتعلمنّ

---

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) الطبعة المصرية ٣: ٨٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد١٧: ٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ١١٩.

(٥) النساء: ١٣٥.

(٦) الاستيعاب ٣: ٢٤٣.

اليوم أنّك كاذب؛ إيتوني بصاحب العذاب. فمال قيس عند ذلك فمات.

وقال الصادق عليه السلام: ثلاث من المنجيات: القصد في الغنى والفقر؛ والخوف من الله في السرّ والعلن؛ والقول بالحق في الرضا والسخط.

أيضاً: ثلاثة هم أقرب الخلائق إلى الله عزوجل يوم القيامة، حتى يفرغ النّاس من الحساب: رجل لم يدعه غضبه إلى أن يحيف على مَن تحت يده؛ ورجل مشى بين اثنين فلم يُملِ من أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق في ماله وعليه.

«واعملا للأجر» هكذا في (المصرية[١] وابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم)[٣] ولكن في الخطية: «للآخرة».

والمراد واحد، فإنّ المراد بالأجر ثواب الآخرة؛ قال تعالى: ﴿...وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان...﴾[٤]، ﴿وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[٥] ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[٦].

وفي الخبر: إذا دُعيت إلى وليمة وجنازة فأجب الجنازة، لأنّها تُذكرك الآخرة، ولا تُجب الوليمة لأنّها تذكرك الدنيا.

من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه.

أيضاً: ليس ذئبان ضاريان أفسد لقطيعة غنم من حُبّ مال الدنيا

---

(١) الطبعة المصرية ٣: ٨٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٥.

(٣) ابن ميثم ٥: ١١٩.

(٤) العنكبوت: ٦٤.

(٥) غافر: ٣٩.

(٦) القصص: ٨٣.

وجاهها لدين امرئ مسلم.

«**وكونا للظالم خصماً**» ﴿...فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله...﴾[١]، ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار...﴾[٢].

وفي الخبر: أنّ قوماً من بني إسرائيل ممّن آمن بموسى جاؤا إلى فرعون لينتفعوا من دنياه إلى أن يفرّج الله لموسى عليه السلام وأصحابه، فبقوا عنده حتى أذن الله تعالى في هلاكه وغرقه، فركبوا خيولهم ليلحقوا بموسى فبعث الله تعالى ملكاً ضرب وجوه خيولهم، وردّهم إلى فرعون حتى غرقوا معه.

وفي الخبر: أنّ الصادق عليه السلام قال لعذافر: نُبئت أنّك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نُودي بك في أعوان الظلمة؟ فوجم ... فقال عليه السلام له: خوّفتك بما خوّفني الله به[٣].

أيضاً: من عذر ظالماً سلّطه الله عليه، ويكون شريكه في الوزر. ويشهد له قوله تعالى: ﴿فعقروها﴾[٤]، وقوله ﴿...فلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾[٥].

«**وللمظلوم عوناً**» في الخبر: ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة.

أيضاً: إغاثة المظلوم من الفرائض، فمن لم يقدر على إغاثته فلا يحضر مشهد ظلمه.

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) هود: ١١٣.

(٣) الكافي ٥: ١٠٥ بتصرّف.

(٤) هود: ٦٥، والشعراء: ١٥٧، والشمس: ١٤.

(٥) آل عمران: ١٨٣.

وفي (الكشي)[١]: عن الرضا عليه السلام: أنّ حذيفة لمّا حضرته الوفاة ـ وكان آخر الليل ـ قال لابنته: أيّة ساعة هذه؟ قالت: آخر الليل. قال: الحمد لله الذي بلّغني هذا المبلغ ولم أُوال ظالماً على صاحب حق، ولم أُعادِ صاحب حقّ.

«**أُوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله**» كرّر عليه السلام الأُمر بالتقوى لأهميّتها، وكان عليه السلام قلّما يستقر به المنبر إلّا أمر بها ـ وفي الخبر: التقى رئيس الأخلاق ـ ويكفي في أهميّتها قوله تعالى: ﴿...كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿...إنّ الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين﴾[٣].

«**ونظم أمركم**» وعنهم عليهم السلام: من أصبح لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منّا.

«**وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما صلى الله عليه وآله**» هكذا في (المصرية[٤] وابن أبي الحديد)[٥] ولكن في (ابن ميثم[٦] والخطية): «جدّكما رسول الله صلى الله عليه وآله» وزاد (المصرية): «وسلم» وليس في غيرها.

«**يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**» وكان عليه السلام يقول: «لئن أصلح بين اثنين أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارين» ويكفي في أهميّته قولهم عليهم السلام: «المصلح ليس بكاذب» مع تسمية الكذب فسوقاً.

وكان الصادق عليه السلام يقول للمفضّل: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي.

---

(١) الكشي: ٣٦ ح ٧٢.

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

(٤) الطبعة المصرية ٣: ٨٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٥.

(٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٢٠.

وعن أبي حنيفة سائق الحاج: مرّ بنا المفضّل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فقال: تعالوا معي إلى المنزل. فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، وقال: إنّها ليست من مالي ولكن أمرني أبو عبدالله عليه السلام إذا نازع رجلان منّا أن أصلح بينهما من ماله.

ومرّ أنّ رواية أبي الفرج والكليني زاد: وان المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين.

«والله الله في الأيتام» في (مجالس ثعلب): قيل: أصل اليتم: الغفلة، ومنه سُمّي اليتيم لأنّه يُغفل عنه.

«فلا تغبوا» قال الجوهري: فلان لا يغبنا عطاؤه؛ أي: لا يأتينا يوماً دون يوم، بل يأتينا كلّ يوم.

«أفواههم» وقد عرفت أنّ في رواية أبي الفرج والكليني: فلا تغيرن أفواههم. قيل: أي لا تغيرن أفواهم بالجوع أو تكرار السؤال، لأنّ السائل يَنضُب ريقه وتنشف لهواته، فيتغيّر ريح فمه.

قلت: والظاهر أنّ المراد بغب الأفواه: ما يُعبّر عنه بالفارسية بقولهم: «دهن آب كندن» فإنّهم إذا رأوا الأغنياء يأكلون الأطعمة اللذيذة ولا يطعمونهم، أو يذهبون بالفواكه المتنوّعة إلى بيوتهم ولا يُعطونهم منها، يحصل لهم تلك الحالة.

«ولا يضيعوا بحضرتكم» وفي الخبر: أُتي إليه عليه السلام عسل وتين من همدان وحلوا، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له: ما لهم يلعقونها؟ فقال عليه السلام: إنّ الامام أبو اليتامى، وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء.

وقد عرفت أنّ في رواية أبي الفرج والكليني[1]: قال عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله تعالى له بذلك الجنّة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

«والله الله في جيرانكم، فإنّها وصية نبيّكم، مازال يُوصي بهم حتى ظننا أنّه سيورّثهم».

قال ابن أبي الحديد في خبر جابر: الجيران ثلاثة: جار له حق، وجار له حقّان، وجار له ثلاثة حقوق؛ فصاحب الحق الواحد جارٌ مشرك لا رحم له، فحقّه حق الجوار؛ وصاحب الحقّين جار مسلم ليس بذي رحم؛ وذو الثلاثة جار مسلم ذو رحم؛ وأدنى حق الجوار أن لا تؤذي جارك بقتا قِدْرك ـ أي: شمّه ـ إلّا أن تقتدح له منها.

قلت: وعن الكاظم عليه السلام: كان في بني إسرائيل رجل مؤمن، وكان له جار كافر، فكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف، فلمّا أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، وقيل له: هذا بما كنت تفعل في الدنيا بجارك فلان بن فلان من الرفق وتوليه المعروف.

وفي (اعطاء أمان جهاد الكافي)[2] عن الصادق عن أبيه عليه السلام: قرأت في كتاب لعليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب ـ إلى أن قال ـ إنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه وأبيه....

هذا، وفي (تاريخ بغداد)[3]: لمّا رجع عبدالله بن طاهر ذو اليمينين من

(١) فقط الكليني: ٣٦٠.

(٢) الكافي ٥: ٣١ ـ ح ٥.

(٣) تاريخ بغداد ٩: ٤٨٦.

الشام بغداد نظر إلى دخان مرتفع في جواره فقال: ما هذا الدخان؟ قيل: يخبزون. فقال: ويحتاج جيراننا أن يتكلّفوا ذلك؟ ثم دعا حاجبه فقال: امض ومعك كاتب واحص جيراننا ممّن لا يقطعهم عنّا شارع. فمضى فأحصاهم فبلغ عدد صغيرهم وكبيرهم أربعة آلاف نفس، فأمر لكلّ واحد منهم في كلّ يوم بمنوين خبزاً ومنّا لحم ومن التوابل في كلّ شهر عشرة دراهم، والكسوة في الشتاء مائة وخمسين درهماً وفي الصيف مائة درهم، وكان ذلك دأبه مدّة مقامه ببغداد، فلمّا خرج انقطعت الوظائف إلّا الكسوة ما عاش.

وفي (فتوح البلاذري): أراد رجل من بني دارم بيع داره فقال: أبيعها بعشرة آلاف درهم ثمنها، وخمسة آلاف لجوار فيروز حصين. فبلغ ذلك فيروز فقال له: امسك عليك دارك. وأعطاه عشرة آلاف.

وفي (عيون القتيبي)[1]: بلغ ابن المقفع أنّ جاراً له يبيع داراً له لدين ركبه، وكان يجلس في ظلّ داره، فقال: ما قمت إذن بحرمة ظلّ داره إن باعها. فحمل إليه ثمن الدار وقال له: لا تبعها.

وفي (كنايات الجرجاني): الأصل في قولهم: «جار أبي داود» أنّ كعب بن مامة الايادي كان إذا جاوره رجل فمات وأراه، وإن هلك له شاة أو بعير أخلف عليه، فجاوره أبو داود الايادي الشاعر فصار يفعل به ذلك، فصارت العرب حمدت جاراً حسن جواره قالوا: جار أبي داود؛ قال قيس بن زهير العبسي ـ حين جاور قرط بن أبي ربيعة الكلابي ـ:

أُطوّف ما أُطوّف ثم آوي إلى جار كاجار أبي داود

«والله الله في القرآن لا يسبقنّكم بالعمل به غيركم» ولولا العمل لكان مثلهم

---

(١) العيون للقتيبي ١: ٣٣٩.

﴿مثل الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً...﴾[١].

ولو كانوا عملوا لعمرت دنياهم وآخرتهم؛ ﴿ولو انّهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم...﴾[٢].

ويشكو النبيّ صلى الله عليه وآله من عدم عملهم في القيامة: ﴿وقال الرسول يا ربِّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[٣]. وقد وصّى النبيّ صلى الله عليه وآله به أيضاً مثله عليه السلام فقال للناس: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإنّهما حبلان ممدودان بينكم وبين الله، وإن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا» ولو كان حيّاً لقاتل مسلمي اليوم كما قاتل الكفّار في حياته، لعدم عملهم بكتاب الله؛ قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله...﴾[٤].

روى الواحدي عن ابن عباس: أنّ الله تعالى لمّا أظهر رسوله على مكّة أتى بنو عمرو بن عمير من ثقيف وبنو المغيرة من مخزوم -وكانوا يربون لثقيف- إلى عتاب بن اسيد عامل النبيّ صلى الله عليه وآله على مكة، فقال بنو المغيرة: وضع على النّاس غيرنا. وقال بنو عمرو: صولحنا على أنّ لنا ربانا. فكتب عتّاب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فنزلت الآية ....

ولمّا فتح مكّة قال: ألا إنّ كلّ ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا عمّي العباس.

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) المائدة: ٦٦.

(٣) الفرقان: ٣٠.

(٤) البقرة: ٢٧٨ _ ٢٧٩.

وفي (ذيل الطبري)[١]: قال زياد بن لبيد: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً وقال: ذاك عند أوان ذهاب العلم. فقلنا: وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونُقرئه أبناءنا وأبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ثكلتك أُمّك زياد! ان كنت لأراك أفضل رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا يعملون بشيء ممّا فيها؟!

وروى (سنن أبي داود) عن ديلم الحميريّ: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً، وإنّا نتّخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا. فقال: هل يُسكر؟ قلت: نعم. قال: فاجتنبوه. قلت: إنّ النّاس غير تاركيه. قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم.

وفي (تاريخ بغداد)[٢]: قال محمّد بن عليّ المادراني وزير خمارويه بن أحمد ابن طولون: كنت اجتاز بتربة أبيه ابن طولون فأرى شيخاً عنده يقرأ ملازماً للقبر، ثم لم أره مدّة ثم رأيته فقلت: ألست الذي كنت أراك عند قبر أحمد بن طولون تقرأ؟ فقال: بلى، كان وليّنا في هذا البلد، وكان له علينا بعض العدل -إن لم يكن الكلّ- فأحببت أن أصله بالقرآن. فقلت: فلِمَ انقطعت عنه؟ فقال: رأيته في النوم وهو يقول: أُحبّ أن لا تقرأ عندي، ما تمرّ بي آية ممّا تقرأ إلّا قرعت بها، ويقال لي: أما سمعت هذه الآية؟

«والله الله في الصلاة فإنّها عمود دينكم» قال تعالى حكاية عن عيسى: ﴿...وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا﴾[٣]، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها...﴾[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ١١: ٥٧٥.

(٢) تاريخ بغداد ٣: ٨١.

(٣) مريم: ٣١.

(٤) طه: ١٣٢.

وفي الخبر: أحبّ الاعمال إلى الله الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء:

أيضاً: لا تُضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حشر مع قارون وهامان، ويدخل النار مع المنافقين.

أيضاً: لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة.

«والله الله في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لم تناظروا» في (تنبيه السمعودي)[1]: بطل الحج سنة (٣١٧) أيّام المقتدر، فلم يحج أحد لدخول أبي طاهر القرمطي صاحب البحرين مكة، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة.

في (التهذيب)[2] عن ابراهيم بن ميمون قال: كنت عند أبي حنيفة جالساً فسأله رجل فقال: ما ترى في رجل قد حجّ حجّة الإسلام؛ الحج أفضل أو العتق؟ قال أبو حنيفة: العتق. فقال أبو عبدالله عليه السلام: كذب والله وأثم؛ الحجة أفضل من عتق رقبة ورقبة -حتى عدّ عشر رقبات- ثم قال: ويحه! أي عتق رقبة فيه طواف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة وحلق الرأس ورمي الجمار، فلو كان كما قال لعطل النّاس الحجّ، ولو فعلوا لكان ينبغي للإمام أن يجبرهم على الحجّ، إن شاؤا وإن أبوا، فإنّ هذا البيت إنّما وضع للحجّ.

وفي (الكافي)[3] عن الصادق عليه السلام: من خرج من مكة وهو لا يُريد العود إليها فقد اقترب أجله ودنا عذابه.

وعنه[4] عليه السلام: لا يزال الدين قائماً ما دامت الكعبة.

---

(١) التنبيه للمسعودي ٤: ٣١٢، ضمن الجزء الرابع من المروج.

(٢) التهذيب ٥: ٢٢ ح٦٦، ١٢ ـ ب٣.

(٣) الكافي ٤: ٢٧٠ ح٢.

(٤) الكافي ٤: ٢٧١ ح٤.

وعن[1] إسحاق بن عمار: أنّ رجلاً استشارني في الحجّ، وكان ضعيف الحال فأشرت عليه ألّا يحجّ، فحكى ذلك لأبي عبدالله عليه السلام فقال لي: ما أخلقك أن تمرض سنة. فمرضت سنة.

«والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله» عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من ترك الجهاد ألبسه الله عزوجل ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه.

وعنه عليه السلام ما صلحت دنيا ولا دين إلّا بالجهاد.

وفي الخبر: جهاد النفس الجهاد الأكبر، وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لقوم رجعوا من جهاد العدو: مرحباً بقوم قضوا الأصغر وبقي عليهم الأكبر.

«وعليكم بالتواصل والتباذل، وإيّاكم والتدابر والتقاطع» عن النبيّ صلى الله عليه وآله لا يزال أُمتي بخير ما لم يتخاذلوا وأدوا الأمانة وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين.

وفي الخبر: إذا تهاجر اثنان ثلاثة أيّام بريَ الإمام منهما، ويغفر ليلة القدر لجميع النّاس إلّا لأصناف منهم، مَن كان مهاجراً لأُخيه.

وفي الخبر: ليس شيء انكأ لابليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإنّ المؤمنين يلتقيان فيذكران الله تعالى، ثم فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلّا تحدرت، حتى إنّ روحه لتستغيث من شدّة ما تجد من الألم.

أيضاً: لا يزال ابليس فرحاً ما تهاجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت أوصاله ونادى: يا ويله ما لقي من الثبور.

وروى (سنن أبي داود): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل المسجد وهم حلق، فقال:

---

(١) الكافي ٤: ٢٧١ ح١.

مالي أراكم عزين؟ قال الأعمش: كأنّه يحبّ الجماعة.

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم» في (تاريخ اليعقوبي)[1] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهين عن المنكر، أو لأولينّ عليكم شراركم ولأجعلنّ أموالكم في أيدي بخلائكم ولأمنعنكم قطر السماء، ثم ليدعوني خياركم فلا استجيب لهم، ويسترحموني فلا أرحمهم، ويستسقوني فلا أسقيهم.

وفي (الأغاني)[2] عن حماد الراوية: أُدخلت على أبي مسلم فاستنشدني فانشدته قول الأفوه:

تهدي الامور بأهل الرشد ما صلحت وان تولت فبالاشرار تنقاد

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به النّاس. وقالوا: إنّه قتل ستمائة ألف صبراً سوى ما في حروبه.

وعن الصادق عليه السلام: ما قرب المنكر بين أظهر قوم لايُغيّرونه إلّا أوشك الله أن يعمّهم بعقاب من عنده.

وعنه عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله، وإذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليؤذن بوقاع من الله تعالى.

وفي الخبر: أنّ الله تعالى ليعذّب الجُعل في جحرها بحبس المطر من الأرض، لخطايا من بحضرته وقد جعل الله له السبيل والمسلك إلى محل أهل الطاعة.

وفي (بيان الجاحظ) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ قوماً ركبوا سفينة في البحر

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٨.

(٢) الأغاني ٧: ٥٧.

فاقتسموا فصار لكلّ رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ فقال: هو مكاني أصنع فيه ما شئت. فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا، وان تركوه هلك وهلكوا.

وفي (تفسير القمي)[1] عن الصادق عليه السلام: لمّا عملت بنو إسرائيل المعاصي وعتوا عن أمر ربهم، أراد أن يسلّط عليهم من يذلّهم، فأوحى إلى إرميا: ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر، فأخلف فأنبت خرنوباً؟ فأخبر إرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل؟ فصام إرميا سبعاً فأوحى تعالى إليه: أمّا البلد فبيت المقدس؛ وأمّا ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي وغيّروا ديني وبدّلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لابتلينّهم بفتنة يظلّ الحكيم فيها حيراناً، ولأسلّطن عليهم شر عبادي ولادة وطعاماً، يسلّط عليهم بالحيرة، فيقتل مقاتليهم ويسبي حريمهم ويخرّب بيتهم الذي يفترون به، ويُلقي حجرهم الذي يفتخرون به على النّاس في المزابل مائة سنة. فأخبر إرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له: راجع ربّك، إنّه ما ذنب المساكين والضعفاء؟ فصام إرميا ثم أكل أكلة فلم يُوح إليه، ثم صام سبعاً فأوحى إليه: لتكفّن عن هذا أو لأردّن وجهك في قفاك. ثم أوحى إليه: قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه. فقال إرميا: ربّ أعلمني متى هو؟ حتى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي أماناً منه. قال: إيت موضع كذا وكذا فانظر إلى غلام: أشدّهم زمانةً وأخبثهم ولادة وشرّهم غذاء، فهو ذاك. فأتى إرميا ذلك البلد فاذا هو بغلامٍ زَمِن في خان، على مزبلة وسط الخان، وإذا له أمّ تربي بالكسر وتفتها في القصعة وتحلب عليه خنزيرة لها، ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكله، فقال إرميا: إن كان

---

(١) تفسير القمي ١: ٨٦.

في الدنيا الذي وصفه الله تعالى فهو هذا. فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ قال: بخت النصر. فعرفه أنّه فعالجه حتى برئ ثم قال له: تعرفني؟ قال: لا، إلّا أنّك رجل صالح. قال: أنا إرميا نبيّ بني إسرائيل، أخبرني الله أنّه سيُسلّطك على بني إسرائيل، فتقتل رجالهم وتفعل بهم ما تفعل. فتاه في نفسه في ذلك الوقت، ثم قال له إرميا: أُكتب لنا كتاباً بأمان منك. فكتب له كتاباً، وكان يخرج في الجبل ويحتطب ويبيعه في البلد، فدعا إلى حرب بني إسرائيل فأجابوه -وكان مسكنهم في بيت المقدس- واجتمع إليه بشر كثير، فلمّا بلغ إرميا اقباله نحو بيت المقدس، استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتبه له، فلم يصل إليه من كثرة جنوده وأصحابه، فصيّر الأمان على قصبة ورفعها، فقال: من أنت؟ فقال: إرميا النبيّ الذي بشّرتك بأنّك سيسلّطك الله على بني إسرائيل، وهذا أمانك لي. قال: أمّا أنت فقد آمنتك؛ وأمّا أهل بيتك فأنا أرمي من هاهنا بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إليه فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون. وانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشابة حتى علقها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي. فلمّا وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، فإذا دم يغلي وسطه، كلّما أُلقي عليه التراب خرج يغلي، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا نبيّ كان لله فقتله ملوك بني إسرائيل، ودمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي. فقال: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتى يسكن هذا الدم. وكان دم يحيى، كان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى فقال له يحيى: اتّق الله أيها الملك، لا يحلّ لك هذا، فقالت له مرأة -ممّن يزني بهن حين سكرا-: اقتله. فأمر أن يؤتى برأسه فأتوه به في طشت، فكلّمه الرأس وقال له: يا هذا، اتّق الله، لا يحلّ لك هذا. ثم غلى الدم في الطشت حتى فاض إلى الأرض، فخرج يغلي ولا يسكن؛ وكان بين قتل يحيى وخروج بخت

النصر مائة سنة؛ ولم يزل يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان، والدم يغلي حتى أفناهم فقال: بقي أحد من هذه البلاد؟ فقالوا: عجوز في موضع كذا وكذا. فبعث إليها فضرب عنقها على ذلك الدم فسكن، وكانت آخر من بقي.

«ثم قال: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم» أي: لا أجدنكم.

«تخوضون دماء المسلمين خوضاً» فلو قتل جميع النّاس رجلاً بغير حق لأكبّهم الله جميعاً في النار.

«تقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين» فأهل الدنيا إذا قُتل أحد كبرائهم يقتلون به عدّة القاتل، وغير القاتل والمحقق؛ وغير المحقق كان سويد بن ربيعة التميميّ قتل أخاً لعمرو بن هند ـ ملك الحيرة ـ وهرب، فقتل عمرو سبعة من ولده وحلف ليقتلنّ مائة من قومه، فقتل ثمانية وتسعين منهم إحراقاً بالنار، فرأى رجلاً من براجم تميم الدخان يرتفع فقال: إنّ الملك يُطعم النّاس. فقصده فلمّا دنا قال له: من أنت؟ قال: من البراجم. قال: الشقيُّ وافدُ البراجم. وأمر به فأُلقي في النار، ثم أُتي بالحمراء بنت ضمرة فأحرقها، وتحلّل من يمينه.

ولمّا قتل أبو لؤلؤة عمر، اتّهم عبيدالله الهرمزان ملك تستر بشركته فقتله، فطلب أمير المؤمنين عليه‌السلام من عثمان أن يقوده فأبى: فلمّا بويع عليه‌السلام هرب عبيدالله إلى معاوية حتى قتل في صفّين؛ واتّهم أيضاً نصرانياً من أهل الحيرة فقتله مع ابنيه. قال البلاذري: قال عبيدالله للهرمزان: مرّ بنا إلى فرس لي. فمضى وعبيدالله خلفه فضربه بالسيف وهو غافل فقتله. وقال الواقدي: وكان جفينة العبادي من أهل الحيرة نصرانياً ظئراً لسعد بن أبي وقاص، فاتهمه عبيدالله بمشايعة أبي لؤلؤة، فقتله وقتل ابنيه.

وفي (الطبري)[1] كان عبيدالله يقول:

والله لأقتلنّ رجالاً ممّن شرك في دم أبي -يعرّض بالمهاجرين والأنصار- ونزع سعد السيف من يده، بعد قتل جفينة -ظئره- والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة.

ولمّا قتل مصعب أخا عبيدالله بن زياد بن ظبيان، نذر عبيدالله ليقتلنّ به مائة من قريش، فقتل ثمانين ثم قتل مصعباً وجاء برأسه حتى وضعه بين يدي عبد الملك، فسجد عبد الملك، فهمّ أن يفتك به أيضاً فارتدع وقال:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني فعلت ووليت البكاء حلائله

وقال:

قتلت من حي فهر بن مالك ثمانين منهم ناشئون وشيّب

وكفى بهم رهن بعشرين أو يرى على من الاصباح نوح مسلّب

وفي (الطبري)[2]: في حرب تميم وعبدالله بن خازم بخراسان في سنة (٦٥). وكان الأشعث بن ذؤيب العدوي -أخو زهير- قتل في تلك الحرب، فقال زهير لأخيه وبه رمق: من قتلك؟ قال: لا أدري، طعنني رجل على برذون أصفر. فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلّا حمل عليه، فمنهم من يقتله ومنهم من يهرب، فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر، فكانت مخلاة في العسكر لا يركبها أحد.

«**ألا لا يقتلن بي إلّا قاتلي**» روى (أُسد الغابة)[3] عن عبدالله بن سبع قال: خطبنا عليّ فقال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لتخضبن هذه من هذه. فقال

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٦٢٦.

(٣) أُسد الغابة ٤: ٣٤.

رجل: لا يفعل ذلك أحدٌ إلّا أبرنا عترته. فقال: اذكر الله وأنشد ألّا يُقتل بي إلّا قاتلي.

وفي (الطبري)[1] قالت قطام لابن ملجم: إنّي أطلب لك من يشدّ ظهرك ويساعدك على أمرك. فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب، يقال له: وردان، فكلّمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع، يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: ما ذاك؟ قال: قتل عليّ. قال: ثكلتك أُمّك! لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر عليه؟ قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير. قال: ويحك! لو كان غير عليّ لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبيّ صلى الله عليه وآله وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنّه قتل أهل النهروان العباد الصالحين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه، فجاؤا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة فقالوا لها: قد اجمع رأينا على قتل عليّ. قالت: فإذا أردتم ذلك فأتوني. ثم عاد إليها ابن ملجم في الليلة التي قتل في صبيحتها فقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبيّ. فدعت لهم بحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ، فلمّا خرج ضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف، وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح النّاس فلحقه رجل من حضرموت، يقال له: عويمر، وفي يد شبيب السيف فأخذه وجثم

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٤٤.

عليه الحضرمي، فلمّا رأى النّاس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه، فتركه ونجا شبيب في غمار النّاس، فشدّوا على ابن ملجم فأخذوه، إلّا أنّ رجلاً من همدان -يكنّى أبا ادماء- أخذ سيفه فضرب رجله فصرعه، وتأخر عليّ عليه السلام فرفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلّى بالناس الغداة، ثم قال عليّ عليه السلام: عليّ بالرجل. فأُدخل عليه عليه السلام قال: أي عدوّ الله، ألم أُحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه. فقال عليه السلام: لا أراك إلّا مقتولاً به، ولا أراك إلّا من شرّ خلقه.

ورواية الطبري هذه دالة على قتل وردان مع ابن ملجم وفلت شبيب؛ وروى (إرشاد المفيد)[1] العكس، فقال: ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ودخل عليه ابن عم له، فرآه يحل الحرير عند صدره، فقال له: ما هذا؟ لعلّك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، قال: نعم. فمضى واشتمل على سيفه، ثم دخل عليه فضربه به حتى قتله -إلى أن قال- وأفلت الثالث وانسل بين النّاس.

ومثله أبو الفرج[2]، وكذا المسعودي في (المروج)[3] إن لم يكن في النسخة تصحيف، والصواب رواية الطبري من عدم قتل شبيب؛ ففي (كامل الجزري): لمّا أتى معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرّب إليه وقال له: أنا وابن ملجم قتلنا عليّاً. فوثب معاوية من مجلسه مذعوراً حتى دخل منزله، وبعث إلى أشجع بأنّي رأيت شبيباً أو بلغني أنّه ببابي، لأهلكنكم، أخرجوه عن بلدكم.

---

(١) إرشاد المفيد ١: ٢٠.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) المروج للمسعودي ٢: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

وكان شبيب إذا جنّ عليه الليل خرج فلم يلق أحداً إلّا قتله، فلمّا ولي المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة، فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها خالد بن عرفط ـ وقيل: معقل بن قيس ـ فاقتتلوا، فقُتل شبيب وقُتل أصحابه.

وقريب منه في (تاريخ اليعقوبي)[1]، وروى (الكامل للمبرد)[2] أيضاً: قلت: شبيب؛ وكذا (تذكرة سبط ابن الجوزي) نقلا مقتله عليه‌السلام عن محمّد بن إسحاق وهشام بن محمّد والسدي وغيرهم، وكذا (كشف الغمّة)[3] نقلاً عن (مناقب الخوارزمي) مرفوعاً إلى إسماعيل بن راشد.

ورواية الطبري أيضاً تضمّنت أنّ النّاس أخذوا ابن ملجم، فأخذ أبو ادماء الهمداني سيفه فضرب رجله فصرعه.

وفي (المقاتل)[4] قال أبو مخنف: ذكرت همدان أنّ أبا ادماء منهم أخذه. وقال يزيد بن أبي زياد: أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب وطرح عليه قطيفة، ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به.

والمسعودي جمع بينهما فقال: قال عليّ عليه‌السلام: لا يفوتنكم الرجل. فشدّ النّاس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون، فضرب ساقه رجل من همدان برجله، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث وجهه فصرعه، وأقبل به إلى الحسن عليه‌السلام.

وروى (قرب الاسناد)[5]: أنّه عليه‌السلام لمّا ضُرب وقع على ركبتيه وأخذه فالتزمه، حتى أخذه النّاس.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٢.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٦٧.

(٣) كشف الغمة ٢: ٥٤.

(٤) المقاتل: ٢١.

(٥) قرب الاسناد: ٦٧ عن الصادق ٧.

ورواية الطبري وأبي الفرج تضمّنت أنّ اللـعين ضـربه عليه السلام لمّـا ورد المسجد.

وروى (أمالي الشيخ)[١]: أنّه عليه السلام ضُرب وهو ساجد؛ وكذا ذكر (تاريخ أعثم الكوفي) وفيه: أنّ ابن ملجم فرّ فأخذه رجل من عبد القـيس؛ وكـذا فـي (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي)، وكذا روى (فضائل شهر رمضان)[٢] كما في أوّل الفصل.

ثمّ ما في (البحار)[٣] عن بعض الكتب: أنّهم قتلوا قطام أيضاً، لم يذكره غيره، بل روى (أغاني أبو الفرج)[٤] ـ في عمرو بن بانه ـ: أنّ كثيّراً الشاعر كان غالياً في التشيّع وأُخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم في قدمة قدمها الكـوفة، فأراد الدخول عليها ليوبخها....

هذا وفي (أخبار الدينوري)[٥]: خطب ابن ملجم إلى قطام ابنتها الرباب، وكان عليّ عليه السلام قتل أباها وأخاها وعمّها يوم النهر، فقالت: لا أُزوجك إلّا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل عليّ عليه السلام. فأعطاها ذلك وأملكها.

«انظروا» من الإنظار أي: امهلوا.

«إذا أنا متّ من ضربته هذه» وقد وصف اللعين ضربته كما فـي (كـامل المبرد) فقال: اشتريت سيفي بألف درهم، وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد إلّا أصلحت ذلك العيب، ولقد أسقيته السمّ حتى لفظه، ولقـد ضـربته ضـربة لو قُسّمت على من بالمشرق والمغرب لأتت عليهم. وقال اللعين: لقد ابتعته بألف

(١) الأمالي للشيخ ١: ٣٧٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣١ ح٥٣ ب٢٨.

(٣) البحار ٤٢: ٢٩٨.

(٤) الأغاني لأبي الفرج ١٥: ٢٨٣.

(٥) الأخبار للدينوري: ٢١٣.

وسممته بألف، فإن خانني فأبعده الله. وقال لأمّ كلثوم ـ لمّا قالت: ارجو ألّا يكون عليه بأس ـ: لقد ضربته ضربة لو قُسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

«فاضربوه ضربة بضربة» ولابد أنّه عليه السلام قال بسيفه ـ لمّا مرّ من خبر الطبري أنّ اللعين قال له عليه السلام: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه، فقال عليه السلام له ـ: لا أراك إلّا مقتولاً به وأنت من شرّ خلقه.

وفي (كامل المبرد)[1]: أنّ الحسن عليه السلام دعا بعد أبيه باللعين، فقال له عليه السلام: إنّ لك عندي سرّاً. فقال الحسن عليه السلام: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض أُذني فيقطعها.

وروى الكليني عن عليّ بن إبراهيم العقيليّ: أنّه عليه السلام قال للحسن عليه السلام: إذا أنا متّ فاقتل ابن ملجم واحفر له في الكناسة ثم ارم به، فإنّه وادٍ من أودية جهنّم.

وفي (الطبري)[2]: أخذه النّاس بعد قتله فأدرجوه في بواري، ثم أحرقوه بالنار. وفي (المقاتل)[3]: استوهبت أُمّ الهيثم النخعية جيفته من الحسن عليه السلام فوهبها لها فأحرقتها.

وفي (المروج)[4]: ولمّا أرادوا قتله قال عبدالله بن جعفر: دعوني حتى أُشفي نفسي منه. فقطع يديه ورجليه، وأحمى له مسماراً حتى إذا صار جمرة كحّله به، فقال: إنّك لتكحل عمّك بملمول بصاص. ثم إنّ النّاس أدرجوه في بواري ثم طلوها بالنفط، وأشعلوا فيها النار فاحترق.

«ولا يمثّل بالرجل فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ١٦٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٤٩.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٢٦.

(٤) المروج ٢: ٤٢٦.

بالكلب العقور» في (الطبري)[1]: أنّ النبيّ ﷺ حين رأى بحمزة أنّ بطنه بُقر عن كبده وجُدع أنفه وأُذناه قال: لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن، لأُمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم. فلمّا رأى أصحابه غيظه ﷺ على ما فعل بعمّه قالوا: لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر، لنُمثّلنّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط. فأنزل تعالى في قوله ﷺ وقول أصحابه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[2]. فعفا النبيّ ﷺ ونهى عن المُثلة.

هذا، وروى (أمالي الشيخ)[3] عن الحسن بن عمران بن حصين قال: ما خطبنا النبيّ ﷺ خطبة أبداً إلّا أمرنا فيها بالصدقة ونهانا عن المُثلة. قال: إلّا وإنّ من المثلة أن ينذر الرجل أن يخرم أنفه، ومن المثلة أن ينذر الرجل أن يحجّ ماشياً، فمن نذر ذلك فليركب وليهد بدنة.

وعنهم عليهم السلام: حلق اللحية من المُثلة، ومن مثّل فعليه لعنة الله.

هذا، وروى (مقاتل أبي الفرج)[4] بأسانيد: أنّ الحسن عليه السلام خطب بعد أبيه فقال: لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع النبيّ ﷺ فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى عليه السلام وتوفي فيها يوشع وصي موسى عليه السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله. ثم خنقته العبرة فبكى وبكى النّاس معه،

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٢٨.

(٢) النحل: ١٢٦.

(٣) الأمالي للشيخ ١: ٣٦٩.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٣٢.

ثم قال: أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله باذنه، أنا ابن السّراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا، والذين افترض مودّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿...ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً...﴾[1]؛ فاقتراف الحسنة مودتُنا أهل البيت.

ورواه المسعودي[2] إلى قوله: «يشتري بها خادماً لأهله».

وأقول: في قوله عليه السلام «ولقد يجاهد مع النبيّ صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه» وقاه صلى الله عليه وآله في مواضع ومنها في أُحد حتى تعجب جبرئيل ـ كما في الطبري[3] ـ من عمله عليه السلام فقال للنبي صلى الله عليه وآله: إنّ هذه لهي المواساة. فقال صلى الله عليه وآله: وما يمنعه من مواساتي؟ فإنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما. فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقـ ـار ولا فتى إلّا عليّ

وفي قوله: «أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا» أنّ أئمتهم صاروا سبباً لتقديم الشّجرة الملعونة في القرآن ـ معاوية وباقي بني أُميّة ـ على ذاك البيت المقدّس.

وفي قوله عليه السلام: «والذين افترض مودّتهم في كتابه، أنّ الثلاثة صاروا سبباً لتقديم من فرض لعنه ـ حسبما لعنهم النبيّ صلى الله عليه وآله في المواطن والبراءة منهم ـ على من افترض مودتهم والصلوات عليهم، وقد اعترف بذلك معاوية في كتابه إلى الحسن عليه السلام، كما رواه (مقاتل أبي الفرج)[4].

هذا، وفي (تاريخ أعثم الكوفي) عن الحسن عليه السلام قال: كنت جالساً على

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) المسعودي ٢: ٤٢٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٣٦ ـ ٣٧.

باب الدار ساعة وفاة أبي عليه السلام فسمعت هاتفاً يقول لآخر: ﴿أفمن يُلقى في النار خير أمّن يأتي آمناً يوم القيامة﴾ فأجابه الآخر: بل ﴿من يأتي آمناً يوم القيامة﴾[١]، فسمعت هاتفاً آخر يقول: حان وفاة وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وخرب ركن الإسلام. فدخلتُ إلى أبي فاذا هو قد قضى.

وفي (أخبار الدينوري)[٢]: ودفن عليّ عليه السلام ليلاً، وصلّى عليه الحسن عليه السلام وكبّر خمساً، فلم يعلم أحد أين دفن؟

هذا وقال عليه السلام: لا يُمثّل بالرجل لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال كذا. ولكن لعن الله عبيدالله بن زياد كتب إلى عمر بن سعد ـ في جواب كتابه إليه: هذا حسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ـ: إنّي لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث إليّ بهم سلماً، وان أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقون، فإذا قتلته فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاق مشتاق قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به.

٨

الكتاب (٢٤)

ومن وصيّة له عليه السلام بما يُعمل في أمواله، كتبها بعد منصرَفه من صفّين:

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عبدُ الله عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، لِيُولِجهُ بِهِ ٱلْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ ٱلْأَمَنَةَ.

---

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) الأخبار للدينوري: ٢١٦.

منها:

وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وَإِنَّ لِبَنِيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ ٱلْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ ٱللهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

وَيَشْتَرِطُ عَلَى ٱلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ ٱلْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ ٱلْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي ٱللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ من حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا ٱلرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا ٱلْعِتْقُ.

قَالَ ٱلرَّضِيُّ:

قولهُ عليه السلام فِي هَذِهِ ٱلوَصِيَّة: «أن لّا يَبِيعَ مِنْ نَخيلِهَا وَدِيَّةً» ٱلْوَدِيّةُ: ٱلفَسِيلَةُ، وَجَمعُهَا وُدِيٌّ.

وَقَوْلُهُ عليه السلام «حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً» هُوَ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ، وَالمُرَادُ بِهِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ ٱلنَّخْلِ، حَتَّى يَرَاهَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ ٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي عَرَفَهَا بِهَا، فَيُشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا، وَيَحْسبها غَيرَهَا.

أقول: الأصل فيها وفي ما أُسقط منها ـ كما يشهد له قوله: «منها» ـ ما

رواه كتاب (وصيايا الكافي)[1] باب صدقاتهم عليهم السلام عن عبدالرحمن بن الحجاج، قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام بوصية أمير المؤمنين عليه السلام وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به في ماله عبدُالله على ابتغاء وجه الله، ليدخلني به الجنّة ويصرفني به عن النار، ويصرف النار عني ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ إنّه ما كان لي من مالٍ بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها، غير أنّ رباحاً وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل، فهم موالي يعملون في المال خمس حجج، وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم مع ذلك؛ وما كان لي بوادي القرى كلّه من مال لبني فاطمة ورقيقها صدقة؛ وما كان لي بديمة وأهلها صدقة، غير أنّ زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه؛ وما كان لي بآدينَه وأهلها صدقة، والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله؛ وإنّ الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيّاً أنا أو ميتاً، ينفق في كلّ نفقة يبتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه، وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد؛ وإنّه يقوم على ذلك الحسن بن عليّ، يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يراه الله عزوجل، في حل محلل لا حرج عليه فيه فإن أراد أن يبيع نصيباً من المال فيقضي به الدين، فليفعل ان شاء ولا حرج عليه فيه، وإن شاء جعله سرى الملك؛ وإنّ ولد عليّ ومواليهم وأموالهم إلى الحسن بن عليّ؛ وإن كانت دار الحسن بن عليّ غير دار الصدقة فبدا له أن يبعيها، فليبع إن شاء لا حرج عليه فيه، وإن باع فإنّه يقسم ثلاثة أثلاث، فيجعل ثلثها في سبيل الله، ويجعل ثلثاً في بني هاشم وبني المطلب، ويجعل الثلث في آل أبي طالب، وإنّه يضعه فيهم حيث يراه الله؛ وان حدث بحسن حدث وحسين حَيّ فإنّه إلى حسين بن عليّ، وإنّ حسيناً يفعل فيه

---

(١) الكافي ٧: ٤٩ ح ٧.

مثل الذي أمرت به حسناً، مثل الذي كتبت للحسن، وعليه مثل الذي على الحسن؛ وإنّ لبني ابني فاطمة من صدقة على مثل الذي لبني عليّ، وإنّي إنّما جعلت الذي لبني فاطمة ابتغاء وجه الله عزوجل وتكريم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمها وتشريفها ورضاها؛ وإن حدث بحسن وحسين فإنّ الآخر منهما ينظر في بني عليّ، فان وجد فيهم مَن يرضى بهداه واسلامه وامانته، فإنّه يجعله إليه إن شاء، وان لم ير فيهم بعض الذي يريده، فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذوو رأيهم، فإنّه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم.

وإنّه يشرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أُصوله، ويُنفق ثمره حيث أمرته به، من سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد، لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث، وإنّ مال محمّد بن علي إلى ناحية ـ وهو إلى بني فاطمة ـ وإنّ رقيقي الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء.

هذا ما قضى به عليّ بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، والله المستعان على كلّ حال؛ ولا يحلّ لامرئٍ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء قضيته من مالي، ولا يخالف فيه أمري من قريب ولا بعيد. أما بعد، فإنّ ولائدي اللاتي أطوف عليهن السبعة عشر منهن أُمهات أولاد معهن أولادهن، ومنهن حُبالى ومنهن من لا ولد لها، فقضائي فيهن إن حدث بي حدث: أنّه من كان منهن ليس لها ولد وليست بحبلى، فهي عتيق لوجه الله عزوجل ليس لأحد عليهن سبيل، ومن كان منهن لها ولد أو حبلى، فتمسك على ولدها وهي من حظّه، فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيق ليس لأحد عليها سبيل. هذا ما قضى به عليّ في ماله الغد

من يوم قدم مسكن. شهد أبو سمر بن أبرهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج، وكتب عليّ بن أبي طالب بيداه لعشر خلون من جُمادى الأُولى، سنة سبع وثلاثين.

ورواه (التهذيب)[١] في أول وقوفه وصدقاته.

قول المصنف: «ومن وصيّة له عليه السلام بما يُعمل في أمواله» المفهوم من رواية (الكافي) و(التهذيب) المتقدمة أنّ بعض أمواله عليه السلام كان بينبع، وبعضها بوادي القرى، وبعضها بديمة وبعضها بآدينة، وبعضها بالقصيرة أو الفقيرين، على اختلاف (التهذيب) و(الكافي)، والصواب: الثاني.

ففي (المعجم) عن جعفر بن محمّد عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقطع عليّاً أربع أرضين: الفقيرين وبئر قيس والشجرة.

ومن صدقاته عليه السلام: سويقة؛ فقال أبو الفرج: لمّا خرج محمّد بن صالح الحسني على المتوكّل فظفر به، أخرب سويقة -وهي منزل للحسنيين، وهي من صدقات أمير المؤمنين عليه السلام- وعقر بها نخلاً كثيراً وحرق منازل لهم بها، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة.

ومن صدقاته عليه السلام: ينبع؛ ففي (الكافي)[٢] عن الصادق عليه السلام: قسم النبيّ صلى الله عليه وآله الفيء فأصاب عليّ عليه السلام أرضاً، فاحتفر بها عيناً فخرج ماء ينبع في السماء كهيئة عنق البعير فسمّاها ينبع، فجاء البشير يبشر، فقال عليه السلام: بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله وعابر سبيل الله.

ومن صدقاته عليه السلام: داره في المدينة، وكتب في وقتها: تصدّق بداره في بني زريق صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث، حتى يرثها الذي يرث السماوات

---

(١) التهذيب ٩: ١٤٦ ح٦٠٨ ـ ٥٥ ب الوقف.

(٢) الكافي ٧: ٥٤ ـ ح ٩.

والأرض، واسكن هذه الصدقة خالاته ما عشن وعاش عقبهن، فإذا انقرضوا فهي لذوي الحاجة من المسلمين. رواه (الفقيه)[١].

وروى ابن طاووس[٢]: إنّه عليه السلام وقف أمواله، وكانت غلته أربعين ألف دينار، وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي؟ ولو كان عندي عشاء ما بعته.

وروى أحمد بن حنبل في (مسنده)[٣] أيضاً بلوغ غلات صدقاته أربعين ألفاً. «كتبها بعد منصرفه من صفّين» انصرافه عليه السلام من صفّين كان في صفر (٣٧) فكان رحيلهم بعد كتابة الصلح.

وفي (الطبري)[٤]: كتبت الصحيفة ـ في ما قيل ـ يوم الأربعاء (١٣) صفر سنة (٣٧) ومنه يظهر أنّ الأصح في تاريخ الخبر سنة سبع وثلاثين، كما في (الكافي) دون تسع وثلاثين، كما في (التهذيب).

ويشهد له أيضاً قول المبرد في (كامله)[٥]: رووا أنّ علياً عليه السلام لمّا أوصى إلى الحسن عليه السلام في وقف أمواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه، وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة؛ هذا غلط لأنّ وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته.

قوله عليه السلام: «هذا ما أمر به عبدالله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد)[٦] وليس في (ابن ميثم)[٧] كلمة «عبدالله».

---

(١) الفقيه ٤: ١٨٣ ح٢٣ ب١٢٨.

(٢) كشف المحجة لابن طاووس: ١٢٤.

(٣) ذكره المجلسي ٤١: ٢٦.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٦.

(٧) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٥.

«ابتغاء وجه الله ليولجه» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم[1] والخطية): «ليولجني».

«به الجنة، ويعطيه» وفي (ابن ميثم): «ويعطيني».

«به» هكذا في (المصرية) وليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم).

«الا منة» في (كامل المبرد)[2] قال أبو نيزر: جاءني عليّ عليه السلام وأنا أقوم بالضيعتين: عين أبي نيزر والبغيبغة -إلى أن قال- ثم أخذ عليه السلام المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم، فانثالت كأنّها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال: أُشهد الله أنّها صدقة؛ علَيّ بدواة وصحيفة. فعجّلت بها إليه فكتب بعد البسملة: هذا ما تصدّق به عليّ أمير المؤمنين، تصدّق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى ﴿يرثهما الله وهو خير الوارثين﴾ إلّا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق وليس لأحد غيرهما. فركب الحسين عليه السلام دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي الف دينار، فأبى أن يبيع وقال: إنّما تصدّق بها أبي ليقي الله بها وجهه حرّ النار، ولست بائعها بشيء. وصحّ عندي أنّ أبا نيزر من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وكان معه في بيوته، فلمّا توفى النبيّ صلى الله عليه وآله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام.

«منها» قد عرفت من الرواية ما حذف منها.

«وإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ، يأكل منه بالمعروف وينفق في المعروف» هكذا في (المصرية) والصواب: (وينفق منه في المعروف) كما في (ابن أبي

---

(١) ابن ميثم.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٧٣.

الحديد[1] وابن ميثم والخطية).

ثم قد عرفت أنّ رواية (الكافي) بدّلت قوله: «وينفق في المعروف» بقوله: «وينفقه حيث يراه الله عزوجل، في حل محلل لا حرج عليه فيه». ومثله (التهذيب) لكن فيه: «وينفقه حيث يريد الله...».

«فإن حدث بحسن حدث» أي: موت.

«وحسين حي، قام بالأمر بعده وأصدره مصدره» في رواية (الكافي) و(التهذيب) بدّل قوله: «قام بالأمر بعده...» بقوله: «فإنّه إلى حسين بن عليّ وإنّ حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً، وله مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن».

«وإنّ لبني فاطمة» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: (وإنّ لابني فاطمة) كما في (ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم)[4] وفي رواية (الكافي): «وان لبني ابني فاطمة».

«من صدقة عليّ مثل الذي لبني عليّ» وبنو عليّ عليه السلام من غير فاطمة عليها السلام العباس وجعفر وعبدالله وعثمان من أُمّ البنين بنت حزام الكلابي، قتلوا مع الحسين عليه السلام بالطف؛ وعبيدالله وأبو بكر من ليلى بنت مسعود النهشلي، قتل عبيدالله بالمذار، قتله أصحاب المختار، وقتل أبو بكر بالطف؛ ويحيى من أسماء بنت عميس، ومنها أيضاً في قول عون، وفي آخر محمّد الأصغر؛ وعمر من أُمّ حبيب بنت ربيعة التغلبية؛ ومحمّد الأوسط من أُمامة بنت ابن العاص

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٥.

(٢) الطبعة المصرية ٣: ٢٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٦.

العبشمي -كما في الطبري)[١] -ومحمّد الأكبر وهو ابن الحنيفة من خولة بنت جعفر الحنفي، والعقب إنّما كان لثلاثة منهم: ابن الحنفية والعباس وعمر.

«وإنّي إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله، وقربة إلى رسول الله، وتكريماً لحرمته، وتشريفاً لوصلته» قال ابن أبي الحديد[٢]: في هذا رمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للأمر منهم، أي: كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرياسة لأهله بعده قربة النبيّ صلى الله عليه وآله وتكريماً لحرمته وطاعة له، وأنفة لقدره أن تكون ورثته سوقة يُليهم الأجانب ومن ليس من شجرته وأصله، ألا ترى أنّ هيبة الرسالة والنبوّة في صدور النّاس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوّة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس النّاس إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة؟

قلت: إنّ إخواننا بدّلوا الناموس الإلهي في الأنبياء وخلفائهم، ألم يقل الله تعالى فيهم عامة: ﴿ذريّة بعضها من بعض﴾[٣]؟

ألم يقل في ابني رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبيهما وأُمهما: ﴿...إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[٤]؟

ألم يقل فيهم: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٥]؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٥٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٩.

(٣) آل عمران: ٣٤.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) آل عمران: ٦١.

ألم يقل نبيّهم صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً؟

أو لم يقل نبيّهم صلى الله عليه وآله: مَثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح: من ركبها نجا ومن تركها غرق؟

إلى غير ذلك ممّا يكفي كلّ واحد منها في إتمام الحجّة عليهم.

وأمّا ما في (الطبري)[1]: «ذكر أنّ جندب بن عبدالله دخل على عليّ عليه السلام فقال له: إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ نبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر» فالإمام إمام بايعه النّاس أم لم يبايعه كالنبيّ نبي بايعه النّاس أم لا، وإنّما البيعة التزام وتعهّد بنصرهم كما بايع الأنصار البني صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وكما بايعه المهاجرون والأنصار تحت الشجرة، مع أنّه عليه السلام قال لهم: «أنتم أبصر، إنّا أهل بيت نبيّكم وانّا كنّا أحق من غيرنا» وعلم عدم وفائهم ببيعتهم لو بايعوه، كما لم يفوا ببيعته عليه السلام، وكيف، ونكث طلحة والزبير من عشرتهم وستتهم ببيعته عليه السلام.

وقد روى أبو الفرج في (مقاتله)[2]: أنّ الحسن عليه السلام خطب النّاس بعد أبيه عليه السلام وقال لهم ـ بعد وصف أبيه بأنّه كان يقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ولم يسبقه الأوّلون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل ـ: أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، ومن الذين

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٤٦.

(٢) مقاتل لأبي الفرج: ٣٢ ـ ٣٣.

افترض الله مودتهم في كتابه: ﴿...ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً...﴾[1] فاقتراف الحسنة مودتُنا أهل البيت.

وروى أبو الفرج أيضاً: أنّ الحسن عليه السلام لمّا سلم الأمر إلى معاوية أمره أن يخطب وظن انّه سيحصر، فقال في خطبته: إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وليس الخليفة بالجائر، ذلك ملِك ملَك ملكاً يتمتّع فيه قليلاً ثم تنقطع لذّته وتبقى تبعته: ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[2].

وروى: أنّ الحسن عليه السلام قال لسفيان بن الليل: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم كهاتين -يعني: السبابتين- أو كهاتين -يعني: السبابة والوسطى- إحدهما على الأُخرى» أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

وروى أبو الفرج: أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية كتاباً -وفي كتابه بعد ذكر وفاة جدّه صلى الله عليه وآله ودفع قريش باقي العرب عن ادّعاء خلافته بكون النبيّ صلى الله عليه وآله من قريش-: ثم حاججنا قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، إنّهم أخذوا هذا الأُمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وأولياؤه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير؛ وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبينا -إلى أن قال- كتب معاوية في جوابه: رأيتك صرّحت بتهمة أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين ... فتنبّه لحقيقة الأمر إن كنت لا تتناوم.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الأنبياء: ١١١.

وروى محمّد بن يعقوب في (كافيه)[١] مسنداً عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: فرض الله على العباد خمساً أخذوا أربعاً وتركوا واحدة ـ إلى أن قال بعد ذكر الأربع: الصلاة والزكاة والصوم والحج التي أخذوها، والواحدة التي تركوها: الولاية، وأنّ علياً لمّا حضره الموت دعا ولده ـ: وكانوا اثني عشر ذكراً فقال لهم: يا بني إنّ الله تعالى قد أبى الّا أن يجعل فيّ سنةً من يعقوب، وإنّ يعقوب دعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكراً فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإنّي أُخبركم بصاحبكم: ألا إنّ هذين الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله فاسمعوا لهما وأطيعوهما ووازروهما، فإنّي قد ائتمنتهما على ما ائتمنّي عليه النبيّ صلى الله عليه وآله من دينه الذي ارتضاه لنفسه.

هذا وفي (الإرشاد)[٢] عن الزبير بن بكار قال: كان الحسن بن الحسن والياً على صدقات عليّ عليه السلام في عصره، فسار يوماً الحجاج ـ وهو إذ ذاك أمير المدينة ـ فقال له الحجاج: أدخل عمر بن عليّ معك في صدقة أبيه فإنّه عمك وبقية أهلك. فقال له الحسن: لا أُغيّر شرط عليّ عليه السلام ولا أُدخل فيها من لم يدخله. فقال له الحجاج: إذن أُدخله أنا معك. فنكص الحسن عنه حين غفل ثم توجه إلى عبد الملك، فوقف ببابه يطلب الإذن فمرّ به يحيى بن أُم الحكم، فسأله عن مقدمه فأخبره، فقال له: إنّي سأنفعك عند عبد الملك. فلمّا دخل الحسن على عبد الملك رحّب به، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، ويحيى في المجلس، فقال له عبد الملك: لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمّد، فقال له يحيى: وما يمنعه؟ شيّبه أماني أهل العراق، يفد عليه الركب يمنونه الخلافة. فأقبل إليه الحسن وقال له: بئس والله الرفد رفدت، ليس كما قلت ولكنّا أهل بيت يسرع

---

(١) الكافي ١: ٢٩٠ ح٦.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٣.

إلينا الشيب. وعبد الملك يسمع فأقبل عليه وقال له: هلمّ بما قدّمت له. فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس ذلك له، سأكتب إليه كتاباً لا يتجاوزه. فكتب إلى الحجاج: وأحسن صلة الحسن. فلمّا خرج من عنده لقيه يحيى، فقال له الحسن: ما هذا الذي وعدتني به؟ فقال يحيى: ايهاً عنك فوالله لا يزال يهابك، ولولا هيبتك ما قضى لك حاجة، وما ألوتك رفداً.

هذا، وكما جعل عليه السلام أمر صدقاته إليهما عليهما السلام لكونهما ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى بنيهما بعدهما، كذلك جعلت الصدّيقة عليها السلام أمر صدقاتها إليهما عليهما السلام وإلى بنيهما بعده عليه السلام؛ ففي (الكافي)[1] عن أبي بصير: قال لي أبو جعفر: ألا أُقرئك وصيّة فاطمة عليها السلام؟ قلت: بلى. فأخرج كتاباً فقرأه: هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت بحوايطها السبعة: العواف والدلال والبرقة والمثيب والحسنى والصافية وما لأُم إبراهيم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فان مضى عليّ عليه السلام فإلى الحسن عليه السلام فإن مضى الحسن عليه السلام فإلى الحسين عليه السلام فإن مضى الحسين، فإلى الأكبر من ولدي؛ شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام، وكتب عليّ بن أبي طالب.

«ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أُصوله» حسب قضية الوقف.

«ويُنفق من ثمره حيث أمر به، وهدي له» والوقف على حسب ما يوقفها صاحبها.

«وألّا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى» ينبع وديمة ووادي القرى وغيرها.

«ودِيّة» أي: نخلة صغيرة.

---

(١) الكافي ٧: ٤٨ ح ٥.

«حتى تُشكل أرضها غراساً» وقد فسّره المصنّف.

«ومن كان من إمائي اللائي أطوف عليهن» قال الواقدي ـ كما في (تذكرة السبط ـ: ترك عليّ عليه السلام أربعة حرائر: أُمامة وأسماء وأُمّ البنين وليلى التميمية، وثماني عشرة أمّ ولد.

«لها ولد أو هي حامل فتُمسك» بلفظ المجهول، أي: تُحبس تلك السرية.

«على ولدها» أي: تباع عليه.

«وهي من حظّه» قد عرفت أنّ رواية الكليني: فان ولائدي اللاتي أطوف عليهن السبع عشرة منهنّ أُمّهات أولاد معهن أولادهن، ومنهنّ حبالى، ومنهنّ من لا ولد له، فقضائي فيهنّ إن حدث بي أنّه من كان منهنّ ليس لها ولد وليست بحبلى، فهي عتيق لوجه الله عزوجل، ليس لأحد عليهنّ سبيل، ومن كان منهنّ لها ولد أو حبلى فتُمسك على ولدها، وهي من حظه. فأسقط المصنّف على تلك الرواية بين قوله: «أطوف عليهن» وقوله: «لها ولد» فقرات.

هذا، وعد مصعب الزبيري في (نسب قريشه) إحدى عشرة بنتاً بناته عليه السلام كلّ واحدة لأُمّ ولد، وهن: زينب الصغرى وأُمّ كلثوم الصغرى ورقية وأُمّ هاني وأُمّ الكرام وأُمّ جعفر ـ واسمها جمانة ـ وأُمّ سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة وأُمامة. كما أنّه عد في بنيه عليه السلام محمّد الأصغر، وقال: درج. ولابد بمقتضى كلامه عليه السلام أنّ بعضاً من البنات كانت وقت وفاته عليه السلام حملاً، ولم يعيّن ذلك في التاريخ.

ولا يبعد أن يكون ثماني عشر ـ في خبر الواقدي المتقدّم ـ مصحف «اثنتي عشرة» فيتّفق كلام الواقدي والزبيري.

ثم إذا كانت اثنتا عشرة من إمائه أُمّهات أولاد وقت وفاته عليه السلام وكان الجميع سبع عشرة، تكون خمس منهنّ غير ذات ولد وغير حامل،

أعتقهن عليه السلام معجلات بمقتضى تلك الرواية.

«**فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيقة، قد افرج عنها الرّق، وحررها العتق**» وليست كالتي مات ولدها في حياة سيدها تعود رقا؛ وأمّا ما نسبوا إليه عليه السلام من بيع أُمّهات الأولاد بعد مواليهن فبهتان، وإنّما فعل عليه السلام ذلك في من اشترى جارية نسيّة وأولدها، ومات ولم يخلف بقدر ثمنها، فتباع في ثمن رقبتها.

قول المصنف: «قال الرضي» هكذا في (المصرية)[1] وليس من كلام المصنّف بدليل خلوّ (الخطية) عنه، وإنّما هو من انشاء الشرّاح، وفي (ابن ميثم)[2]: «قال السيد». وفي (ابن أبي الحديد)[3]: «قال السيد الرضي».

«قوله عليه السلام في هذه الوصيّة: (أن)» هكذا في (المصرية) والصواب: (وان) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«لا يبيع من نخيلها» هكذا في (المصرية) والصواب: (من نخلها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«وديّة الودية» هكذا في (المصرية)[4] والصواب: (فإن الوِديّة) كما في (ابن أبي الحديد[5] وابن ميثم[6] والخطية).

«الفسيلة» أي: صغير النخل؛ وقالوا: الفحل من الفصيل والفحال من الفسيل.

«وجمعها» ودي على وزن فعيل، والظاهر أنّ مراده بالجمع الجنس.

---

(١) الطبعة المصرية ٣: ٢٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٨.

(٤) الطبعة المصرية ٣: ٢٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٨.

(٦) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٦.

«وقوله عليه السلام (حتى نشكل أرضها غراساً) هو» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم والخطية): «فهو» وحينئذ فهو بتوهم امّا، (ابن أبي الحديد): «وفي قوله عليه السلام: حتى تشكل أرضها غراسا هو ».

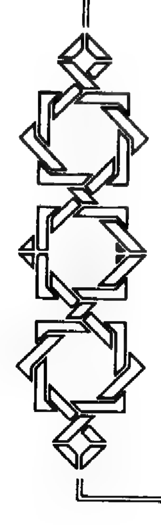
«من أفصح الكلام ـ إلى ـ ويشكل عليه أمرها ويحسبها غيره» قال جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والأُشكل دم فيه بياض وحمرة سُمّي به لالتباسه.

الفصل السادس والثلاثون

في الموت



مرّ في آخر عناوين النبوّة العامّه قوله: (ولو أنّ أحداً يجد إلى البقآءِ سلّماً وإلى دفع هول الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود) إلى آخر ما مرّ، وفيه عناوين.

١
الخطبة (٢٠)

ومن كلام له عليه السلام:

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عايَنْتُمْ ما قَدْ عايَنَ مَنْ ماتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ ما قَدْ عايَنُوا، وَقَرِيبٌ ما يُطْرَحُ ٱلْحِجابُ! وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جاهَرَتْكُمُ ٱلْعِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِما فِيهِ مُزْدَجَر. وَما يُبَلِّغُ عَنِ ٱللهِ بَعْدَ رُسُلِ ٱلسَّمآءِ إِلَّا ٱلْبَشَرُ.

أقول: رواه (الكافي) في أواخر كتاب حجّته في (باب ما يجب من حقّ

الإمام وحقّ الرّعية) مع زيادة ونقصان[١].

رُوِيَ عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعدة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تَختَانُوا وُلاتَكُم ولا تَغُشّوا هداتكم ولا تجهّلوا أَئمَّتكم ولا تَصدَعُوا عن حبلكم فتفشلوا وتذهبَ رِيحُكُم، وعَلَى هذا فليكن تأسيسُ أموركم، والزِمُوا هذه الطريقة فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم ممّن خالف ما تدعون إليه؛ لبدرتم، وخرجتم ولسمعتم؛ ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا، وقريبٌ ما يطرح الحجاب!

وقال (الخوئي): المستفاد من الكافي أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة[٢] وهو كما ترى.

«**فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم**» بكسر الهاء أي: فزعتم، وفي (الصحاح): وَهِلَ يَوْهَلُ، وهو وَهِلٌ، ومُسْتَوهِلٌ، قال القطامي يصف إبلاً[٣]:ـ

وَتَرَى لِجِيضَتِهِنَّ عند رحيلنا وَهَلاً كأنَّ بهِنَّ جِنَّةَ أولق[٤]

روى (الكافي)[٥] في نوادر جنائزه عن السّكوني عن الصادق عليه السلام: إنّ الميّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقرّ[٦].

وروى[٧] عن الصادق عليه السلام أيضاً ـ في خبر في سؤال المَلَكين بعد ذكر

---

(١) الكافي، الكليني ١: ٤٠٥ ح٣.

(٢) شرح نهج البلاغة للخوئي ٣: ٢٩٩ الخطبة ٢٠.

(٣) الصحاح للجوهري مادة (وهل).

(٤) لسان العرب لابن منظور ٢: ٤٢٦.

(٥) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح٢.

(٦) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح ٢.

(٧) الكافي للكليني ٣: ٢٣٩ ح١٢.

سؤال المؤمن قال: وينادي منادٍ كذِبَ عبدي، افرشوا له في قبره من النار وألبسوه من ثياب النار، وافتحوا له باباً من النار حتى يأتينا وما عندنا شرٌّ له؛ فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات، ليس منها ضربة إلّا تطاير قبره ناراً؛ لو ضربت بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً! ثمّ قال عليه السلام: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً، ويسمع عذابه من خلق الله إلّا الجنّ والإنس، قال: وإنّه ليسمع خَفْق نعالهم ونفض أيديهم وهو قوله عزّوجلّ: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ويُضِلُّ الله الظالمين...﴾ [1].

وروى عنه عليه السلام: أنّه سُئِل عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال: انّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحِي الله عزّوجلّ الى الهواء؛ فيضغطه ضغطةً أشدّ من ضغطة القبر [2].

وروى عنه عليه السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام اشتكى عينه فعادَهُ النّبي صلى الله عليه وآله فإذا هو يصيح فقال له: أجزعاً أم وجعاً؟ فقال: ما وجعت قطّ أشدّ منه! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر، نزل ومعه سفّود من نار؛ فينزع روحه به! فتصيح جهنّم! فاستوى عليّ عليه السلام جالساً فقال: يا رسول الله أعِدْ عليّ حديثك فلقد أنساني وجعي، هل يصيب ذلك أحداً من أُمّتك؟ قال: نعم، حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور [3].

وعن أبي جعفر عليه السلام: أنّ فتية من أولاد ملوك بني اسرائيل كانوا متعبّدين، وكانت العبادة فيهم، وانّهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا، فمرّوا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه الساقي ليس يتبيّن منه إلّا رسمه،

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٣٩ ح ١٢، والآية ٢٧ من سورة إبراهيم.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٤١، ح ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ٣: ٢٥٣ ح ١٠ .

فقالوا: لو دعونا الله الساعة، فينشر لنا صاحب هذا القبر، فسألناه كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله (الى أن قال): فخرج رجل أبيض الرأس واللّحية ينفض رأسه من التراب فَزِعاً شاخصاً بصره الى السماء؛ فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك فنسألك، فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسع وتسعين سنة ما ذهب عنّي ألم الموت وكربه، ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي! فقالوا له: أنت يوم متّ على ما نرى أبيض الرأس واللّحية؟ قال: لا، ولكن سمعت الصيحة، أُخْرُجْ، واجتمعت تربة عظامي الى روحي خرجتُ فَزِعاً شاخصاً بصري مُهطِعاً الى صوت الدّاعي فابيّض لذلك رأسي ولحيتي[١]!

وفي (عرائس الثعلبي): أنّ يحيى بعد لبسه برنس الصّوف، ومدرعة الشَّعَر وإقباله على العبادة حتى أكلت المدرعة لحمه، نظر الى نحل جسمه فبكى، فأوحى تعالى إليه: أتبكي على ما نَحِل من جسمك؟ وعزّتي وجلالي لو اطّلعت على النّار اطّلاعة لتدرّعت مدارع الحديد فضلاً عن المسوح! فبكى حتى أكل الدّمع لحم خدّيه وبدت أضراسه[٢].

«**ولكن محجوب عنكم ما عاينوا**» مرّ في خبر (ويسمع عذابه من خلق الله إلّا الجن والإنس)[٣] وكان عليه السلام نفسه يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[٤] وكان عليه السلام يعبد الله تعالى عبادة رجل وجهه بين الجنّة والنّار.

«**وقريبٌ ما يطرحُ الحجاب**» بوصول الموت، فليس بين الإنسان وما وعده الله من الثواب والعقاب إلّا أن يبلغ النَّفَس الحلق، والموت قريب.

وفي (الأغاني): ـ دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك، فقال له: كيف

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٦٠ ح٣٨.

(٢) عرائس المجالس للثعلبي: ٣٧٧ وهو رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٢٤٠ ح١٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٥٢.

حالُك؟ ـ وقد كان اسنّ ـ فقال: ضعفت أوصالي، وقلّ مالي، وقلّ منّي ما كنت أحبّ كثرته وكثر منّي ما كنت أحبّ قلّته. قال: فكيف أنت في شِعْرِك؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أرغب، ولا أرهب وما يكون الشعر إلّا من نتائج هذه الأربع، وعلى أنّي القائل:

رأيتُ المـرء تأكُلُه اللّيالي	كأكْل الأرض سَاقِطة الحديدِ
وما تَبْغي المنيّةُ حين تأتـي	على نَفْس ابن آدمَ من مزيدِ
وأعـلمُ أنّـها ستكرُّ حتّى	تُوَفِّي نَذْرَها بأبـي الوليـدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُوَفِّي نذرها بك ويلك! مالي ولك. فقال: لا تُرَعْ، فإنّما عَنَيتُ نفسي وكان أرطأة أيضاً يُكنّى أبا الوليد، فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً ثم قال: أما والله على ذلك، لِتَلُمَّنَّ بي[1].

والمراد، أنّ بعد طرح الحجاب تعاينون ما عاينوا قال ابن أبي الحديد[2]: هذا الكلام يدلّ على صحّة القول بعذاب القبر، وأصحابنا كلّهم يذهبون إليه، وان شنّع عليهم أعداؤهم من الأشعرية وغيرهم. قال: ويمكن أن يعنى به ما كان يقوله عن نفسه أنّه لا يموت ميّت حتّى يشاهده حاضراً، والشّيعة تذهب الى هذا القول وتعتقده وتروى عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني: ـ

يا حارِ همدان مَنْ يمت يَرَني	مـن مـؤمنٍ أو مـنافقٍ قُـبُلا
يَـعرِفُني طـرفُهُ وأعـرِفهُ	بـعينه واسـمه ومـا فَـعَلا
أقـولُ للـنّار وهـي تُـوقَدُ	للعرضِ ذَرِيه لا تَقْرَبي الرَّجُلا
ذَرِيـهِ لا تَـقْرَبيهِ إنّ له	حَبْلاً بحبلِ الوصيّ مُتّصلا[3]

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣ : ٣١.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٨.
٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٨.

قال: وليس هذا بمنكر؛ إن صحّ أنّه عليه السلام قاله عن نفسه، ففي الكتاب العزيز ما يدلّ على أنّ أهل الكتاب لا يموت منهم ميّت حتّى يصدّق بعيسى عليه السلام؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا لَيؤمِنَنّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾[1].

قال كثيرٌ من المفسّرين: معنى ذلك أنّ كلّ ميّت من اليهود وغيرهم من أهل الكتب السالفة إذا احتُضِرَ رأى المسيح عليه السلام عنده فيصدّق به من لم يكن في أوقات التكليف مصدّقاً به[2].

قلت: لم يروِ الشيعة نفس الشعر له عليه السلام بل مضمونه، وانّما نظّم الحميري مضمون كلامه عليه السلام. فروى الشيخان (المفيد والطوسي) باسنادهما عن جميل بن صالح عن الكلبي عن الأصبغ: أنّ الحارث دخل عليه عليه السلام وكانت له منزلة، فقال عليه السلام له: وأبشّرك يا حارث تعرفني عند الممات، وعند الصّراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة، قال: وما المقاسمة؟ قال عليه السلام: مقاسمة النار، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه ثمّ قال جميل: وأنشدني السيّد الحميري في ما تضمّنه هذا الخبر ـ ثم نقل أبياته وأوّلها:

قولُ عليّ لحارث عجبٌ كَمْ ثَمّ أعجوبة له حملا
يا حارِ هَمْدان مَنْ يمُتْ يَرَني من مؤمنٍ أو منافقٍ قُبُلا
وأنتَ عند الصّراط تعرفُني فلا تَخف عثرةً ولا زَلَلا
أُسقيك من باردٍ على ظمأ تخاله في الحلاوة العسلا[3]

---

(١) النساء: ١٥٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٣: ١٣٧.

(٣) الأمالي للمفيد: ٣ ح٣، ونقله المجلسي في البحار ٦: ١٧٩، والأمالي للطوسي: ٦٢٥ ح١٢٩٢.

وكيف كان، قال محمد بن علي بن بابويه في (اعتقاداته):

اعتقادنا في المساءلة في القبر أنّها حقّ لابدّ منها، فمن أجاب بالصّواب فاز بروح وريحان في قبره وجنّة نعيم في الآخرة، ومن لم يأتِ بالصّواب فله نُزُلٍ من حميمٍ في قبره وتصليةُ جحيمٍ في الآخرة، وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة، وسوء الخلق، والاستخفاف بالبول، وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين، أو شرطه حجّام، ويكون ذلك كفّارة ما بقي عليه من الذّنوب التي تكفّرها الهموم والغموم والأمراض، وشدّة الفزع عند الموت، فانّ النبيّ صلى الله عليه وآله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه عندما فرغت النساء من غسلها، وحمل جنازتها على عاتقه فلم يَزَل تحت جنازتها حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها ودخل القبر واضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه، ووضعها في قبرها، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً ويقول لها: ابنك، ابنك! ثمّ خرج وسوّى عليها التراب ثم انكبّ على قبرها، فسمعته وهو يقول: اللّهم إنّي استودعتها إيّاك، ثمّ انصرف؛ فقال المسلمون: يا رسول الله! انّا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب! إنّها كانت تكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها، وولدها وأنّي ذكرت القيامة وانّ الناس يحشرون عراة فقالت: واسوأتاه! فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذَكَرْتُ ضغطة القبر فقالت: واضعفاه! وكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقّنتها ما تُسأل عنه، وانّها سُئلت عن ربّها فقالت: الله؛ وسُئلت عن نبيّها فأجابت؛ وسُئلت عن وليّها وإمامها فارتجّ عليها فقلت لها: «ابنكِ ابنك»[1].

---

(١) الاعتقادات لابن بابويه : ٣٧.

هذا، ورفع «قريب» لكونه خبراً لقوله: (ما يطرح الحجاب) بمعنى طرحه ويجوز نصب قريب بالمصدريّة بأن يكون الأصل (ويطرح الحجاب قريباً ما).

«ولقد بصّرتم إن أبصرتم» والمراد: أنّه وان كان ما توعدون به محجوباً عنهم بالعين إلّا أنّهم قد انذروا به، بما يرفع العذر. والإبصار قد يجيء بمعنى البصيرة كما في قوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم آيتنا مبصرة﴾[1] وقد يجيء بمعنى الرّؤية بالبصر كما في هذا المورد.

«واسمعتم إن سمِعتم وهُديتم إن اهتديتم» ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن تولّيتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين﴾[2].

وفي الأثر أنّ شاباً من الأنصار كان يأتي ابن عباس؛ فيكرمه فقيل له: إنّه شابّ سوء يأتي القبور فينبشها بالليالي، فقال: إذا كان ذلك فأعلموني، فخرج الشابّ في بعض الليالي يتخلّل القبور، فأُعلم ابن عباس، فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحيةً حيث لا يراه الشابّ، فدخل قبراً قد حفر، ثمّ اضطجع في لحده ونادى بأعلى صوته: يا ويلي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي وقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً! كنت أبغضتك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني، ويحي إذا نظرت الى الأنبياء وقوفاً، والملائكة صفوفاً فمن عدلك غداً من يخلّصني، ومن المظلومين من يستنقذني، ومن عذاب النّار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهلٍ أن يُعصى، عاهدت ربّي مرّةً بعد أُخرى، فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً، قال: وجعل يردّد هذا الكلام ويبكي، ثمّ خرج؛ فلمّا خرج إلتزمه ابن عبّاس، وعانقه، ثم قال له: نعم

---

(١) النمل: ١٣.

(٢) المائدة: ٩٢.

النبّاش أنت، ما أنبشك للذنوب والخطايا[١].

«بحقٍّ أقول لكم لقد جاهَرَتكم العِبَر» في (الصحاح): المجاهرة: المُبادَأة، والعِبرة بالكسر، الاسم من الاعتبار. ومجاهرة العِبَر: مشاهدة الإنسان تقلّب الدنيا بأهلها صباحاً ومساءً، وتغيّراتها ليلاً ونهاراً.

«وزُجرتم بما فيه مزدَجَرٌ» في (الصحاح): الزّجر: المنع والنّهي، يقال: زَجَرَه وازْدَجَرَهُ فانزجر وازدجر[٢] الخ، والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿ولقد جآءهم من الأنباء ما فيه مزدَجَرٌ* حكمة بالغةٌ فما تغنِ النُّذر﴾[٣] وقال تعالى بعد قصّة كلّ من قوم نوحٍ وعادٍ وثمودٍ ولوطٍ: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذِّكر فهل من مُدَّكِرٍ﴾[٤].

«وما يبلّغ عن الله بعدَ رُسُلِ السّماء إلّا البشر» أي: رُسُل الأرض وخلفاؤهم ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه مَلَكٌ ولو أنزلنا مَلَكاً لقُضي الأمر ثمّ لا يُنظرون، ولو جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلاً وللَبسنا عليهم ما يلبِسون﴾[٥].

٢
الخطبة (٦٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَاتَّقُوا اَللهَ عِبادَ اَللهِ، وَبادِرُوا آجالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ

(١) الأمالي للصدوق: ١٢٩، ونقله المجلسي في البحار ٦: ١٣٠ ح ٢٤.

(٢) الصحاح للجوهري: مادة (زجر).

(٣) القمر: ٤ و ٥.

(٤) القمر: ١٥ ـ ١٧ ـ ٢٢ ـ ٣٢.

(٥) الأنعام: ٨ و ٩.

فَاسْتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَٱلْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُها ٱللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُهَا ٱلسَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ ٱلْمُدَّة. وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ ٱلْجَدِيدَانِ: ٱللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ ٱلأَوْبَة، وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بالفَوْزِ أَوِ ٱلشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ العُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا، مِنَ الدُّنْيا، ما تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً، فَاتَّقى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَها، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ ما يَكُونُ عَنْها. فَيَالَها حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طاعَةِ رَبِّهِ غايَةٌ، وَلاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدامَةٌ وَلاَ كَابَةٌ.

أقول: نسبها ابن قتيبة في (عيونه) الى المأمون في خطبة الجمعة[١] وتبعه ابن عبد ربّه في (عقده) إلّا انّه بعد نقل ذلك عنه عليه السلام يُعلم أنّ المأمون حفظها من خطبه كما كان غيره من الخطباء يحفظون خطبه عليه السلام، ويخطبون بها وعدم النّسبة أعمّ؛ وهذا نظير أن يخطب الخطباء بعد تأليف النّهج بخطبه بدون نسبة[٢].

«**واتّقوا الله عباد الله**» ذَكَر عباد الله لبيان وجوب اتّقائه تعالى، فانّ العبد يجب عليه اتّقاء مولاه والأمر باتّقائه تعالى في الكتاب العزيز كثير، منها:

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٥٣.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ١٨٠.

﴿واتّقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[١] ﴿...واتّقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾[٢] ﴿...واتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين﴾[٣] ﴿...واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٤] ﴿...واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾[٥] ﴿...واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾[٦] ﴿...واتقوا الله لعلّكم ترحمون﴾[٧] ﴿...واتقوا الله لعلّكم تُفلحون﴾[٨].

«وبادروا آجالكم بأعمالكم» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصالحين، ولن يُؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٩]. ﴿واتّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون، أن تقولَ نفسٌ يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين، أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين، أو تقول حين ترى العذاب لو انّ لي كرّةً فأكون من المحسنين، بلىٰ قد جاءتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾[١٠].

«وابتاعوا ما يبقىٰ بما يزول عنكم» ابتاعوا هنا: أمر، وإن كان لفظ الماضي مثله، والأصل فيه إفتعلوا بالكسر وأصل الماضي أفتعلوا بالفتح ﴿ما عندكم

---

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) المائدة: ٨٨.

(٣) المائدة: ٥٧.

(٤) المائدة: ٨.

(٥) المائدة: ٤.

(٦) المائدة: ٢.

(٧) الحجرات: ١٠.

(٨) آل عمران: ٢٠٠.

(٩) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(١٠) الزمر: ٥٥ ـ ٥٩.

ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[١] ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٢] ﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾[٣].

«وترحّلوا فقد جُدَّ بكم» قال ابن أبي الحديد[٤]: جُدّ بفلان إذا أُزعج وحثّ على الرّحيل.

قلت: لم يذكر ما قاله لغة، والأقرب انّه نظير قوله تعالى: ﴿إنّه لقولٌ فصل، وما هو بالهزل﴾[٥]. أي: ما قيل لكم من المبادرة وابتياع الباقي والترحّل، عن جدٍّ لا هزل.

«واستعدّوا للموت فقد أظلّكم» ـ في الديوان المنسوب إليه عليه السلام:

اِلامَ تجرّ أذيال التّصابي	وشيبك قد نضا برد الشباب
بلال الشّيب في فوديك نادى	بأعلى الصوت حيّ على الذّهاب
خلقت من التراب وعن قريب	تغيّب تحت أطباق التراب
طمعت إقامة في دار ظعن	ولا تطمع فرجلك في الرِّكاب
وأرخيت الحجاب فسوف يأتي	رسول ليس يحجب بالحجاب
أعامرٌ قصرك المرفوع أقْصِرْ	فانّك ساكن القبر الخراب[٦]

وللأخطل:

ونفسُ المرء ترصدها المنايا	وتحدّ رحوله حتى يصابا
إذا أمرت به التفت عليه	أحدّ سلاحها ظفراً ونابا

---

(١) النحل: ٩٦.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) الكهف: ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٤٦.

(٥) الطارق: ١٣ ـ ١٤.

(٦) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ٨٣.

واعــلم أنّـني عـمّا قـليل ستكسوني جنادل أو ترابـا[١]

«وكونوا قوماً صِيحَ بـهم فـانتبهوا» فـانتبَهوا ـ بـفتح البـاء ـ ولا تكـونوا كالّذين قال تعالى فيهم: ﴿ولو أنّـنا نـزّلنا اليـهم المـلائكة وكـلّمهم المـوتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا...﴾[٢].

لنـا مَـلَكٌ يـنادي كـلّ يـومٍ لِدُوا للموت وابنوا للـخراب[٣]

ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

مرا در منزل جانان چه جای امن چون هـردم

جرس فرياد مـيدارد كـه بـربنديد مـحملها[٤]

«وعلموا أنّ الدُّنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا» قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإنّ الآخـرة هـي دار القـرار﴾[٥]، وقـال صالح عليه السلام لقومه: ﴿أتُترَكُون في ما هاهنا آمنين، في جنّاتٍ وعيونٍ، وزُروعٍ ونخلٍ طَلعُها هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، فاتّقوا الله وأطيعونِ، ولا تطيعوا أمر المُسرِفينَ، الّذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[٦].

«فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً» ﴿أفَحَسِبتُم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾[٧].

«ولم يترككم سدىً» في (الصحاح): السُّدى بضمّ السين: المهمل، يقال إبل

---

(١) ديوان الأخطل: ٥٤.

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٨٢: ١٨٠.

(٤) ديوان حافظ الغزل: ١.

(٥) المؤمنون: ٣٩.

(٦) الشعراء: ١٤٦ ـ ١٥٢.

(٧) المؤمنون: ١١٥.

سُدى أي: مهملة، وبعضهم يقول: سَدى بالفتح...[١] ﴿أيحسَبُ الإنسان أن يُترك سدىً ألم يكُ نطفةً من منيٍّ يُمنى ثمّ كان علقَةً فخلقَ فسّوى فجعل منه الزّوجين الذكر والأُنثى أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيي الموتى﴾[٢].

«وما بين أحدكم وبين الجنّة والنّار إلّا الموت أن ينزل به» أن ينزل به، بدل اشتمال من الموت، قال تعالى بعد ذكر نزول الموت بالإنسان: ﴿فأمّا إن كان من المقرَّبين فَرَوحٌ وريحانٌ وجنّة نعيم، وأمّا إن كان من أصحاب اليمين، فسلامٌ لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذِّبين الضّاليّن فنُزُلٌ من حميمٍ وتصلية جحيم، إنّ هذا لهو حقّ اليقين﴾[٣].

«وإنّ غايةً تنقصها اللّحظة وتهدمها الساعة لجديرةٌ بقِصَرِ المدّة» في (الصحاح) الغاية: مدى الشيء، والجمع: غايٌ مثل ساعةٌ، وساعٌ[٤] والساعة: الوقت الحاضر، والجمع: الساع والساعات؛ قال القطامي:

وكنّا كالحريق لدى كفاح فيخبو ساعةً ويهبّ ساعا[٥]

في (المصباح): الساعة: الوقت من ليل أو نهار، والعرب تطلقها وتريد بها الوقت[٦] والحين وإن قلّ وعليه قوله تعالى: ﴿لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾[٧]. وفي (الصحاح): فلان جدير بكذا، أي: خليق[٨]...

شبّه عليه السلام بقاء الإنسان في الدّنيا بغاية قصيرة، وبلغ من قصرها أن

---

(١) الصحاح للجوهري مادة (سدا).

(٢) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

(٣) الواقعة: ٨٨ ـ ٩٥.

(٤) الصحاح للجوهري: مادة (غيا).

(٥) الصحاح، مادة (سوع) كذلك لسان العرب لابن منظور ٦: ٤٣١.

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٣٥٦ مادة (سوع).

(٧) الأعراف: ٣٤.

(٨) الصحاح مادة (جدر).

تؤثر فيها اللحظة، وفي تفسير ﴿إنّما نعدّ لهم عَدّاً﴾[(١)] المراد: انّه تعالى يعدّ أنفاسهم الباقية في الدُّنيا فلا يجاوزون نفساً ممّا قدّرت لهم، وقال البحتري:

وما لبث من يغدو وفي كلّ لحظةٍ ... له أجلٌ في مدّة العمر قاتل[(٢)]

«وانّ غائباً يحدوه» في (الصحاح): الحدو: سوق الإبل والغناء لها، وقد حدوت الإبل حَدْواً وحُداءً، ويقال للشّمال: حَدْواء لأنّها تحدو السّحاب أي تسوقه[(٣)]، الجديدان الليل والنهار، في الصحاح قولهم: لا أفعله ما اختلف الجديدان وما اختلف الأَجَدَّان، يعني الليل والنهار[(٤)].

وكلُّ يومٍ مضى أو ليلةٍ سَلَفت ... فيها النفوسُ الى الآجال تَزْدَلِفُ[(٥)]

«لَحَرِيٌّ بسرعة الأوبة» في (الصحاح): هو حَرِيٌّ أن يفعل بالفتح أي: خليق وجدير، لا يثنّى، ولا يجمع، وإذا قلت هو حرٍ بكسر الراء أو حرِيّ على فعيل ثُنيّت وجمعت، وآب أي: رجع أَوْباً وَإياباً وأَوْبَةً، قال ابن أبي الحديد: الغائب المشار إليه هو الموت وقيل: هو الإنسان يَسُوقه الجديدان الى الدار التي هي داره الحقيقيّة وهي الآخرة؛ وهو في الدُّنيا غائب على الحقيقة عن داره التي خلق لها[(٦)]، وقال ابن ميثم: المراد به الإنسان، وأمّا الموت فلا يحتمله لفظ الأوْبة لأنّه لم يكن، حتّى يرجع[(٧)]، وقال (الخوئي): لمّا كان الإنسان مسبوقاً بالعدم، سمّى حلول الموت بالأوبة؛ إلّا أنّ توصيفه بكون الليل

---

(١) مريم: ٨٤.

(٢) ديوان البحتري ٢: ٥٨ يرثي أبا سعيد.

(٣) الصحاح، مادة (حدا).

(٤) الصحاح مادة (جدد).

(٥) المصدر نفسه مادة (حرا).

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٤٥.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٥.

والنهار حاديين له لا يخلو عن بعد[١]....

قلت: التحقيق أنّ الإنسان لمّا كان خلق للموت، فالموت من أوّل وجوده كان مقارناً له، إلّا أنّ الأجل أي: مدّة قدّر له فيها العيش في الدّنيا حال بينه وبينه، فكانّه غاب بالأجل عنه، فاذا حدا الجديدان الأجل يصدق سرعة أوبة الموت من غيبته. وبالجملة كما أنّه عليه السلام شبّه في الفقرة السابقة مدّة بقاء الإنسان في الدنيا بغايةٍ قصيرة جداً شبّه عليه السلام هنا الموت بمن غاب عنك من أعداءك ثم يرجع إليك سريعاً بحدو الجديدين له، وفي عنوان وصيّته عليه السلام لابنه: واعلمْ؛ أنّ من كانت مطيّته الليل والنهار، فانّه يسار به، وإن كان واقفاً، ويَقْطَع المسافة وإن كان مُقيماً وادِعاً.

«وإنّ قادماً يقدُم بالفوز والشِّقْوَة» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «أو الشّقوة»، كما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] والخطية)[٥].

«لمستحقٌّ لأفضل العُدّة» قال ابن ميثم[٦]: القادم: الإنسان حين يقدم على ربّه، وتبعه (الخوئي)[٧].

قلت: بل المراد به الموت أيضاً، فكما شبّهه فيما سبق تارةً بغاية قصيرة وأُخرى بغائبٍ عنك يرجع إليك، شبّهه عليه السلام هنا بمن يقدم عليك من محلّ آخر بالفوز إن أحسنت الإستعداد له، والشّقوة؛ إن أسأت الإستعداد له. قال تعالى:

---

(١) شرح نهج البلاغة للخوئي ٤: ٤٠٤ بتصرف.

(٢) الطبعة المصرية المصححة: ١٦٣ بلفظ (أو الشقوة).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٤٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٥.

(٥) النسخة الخطية: ٤١.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٥.

(٧) شرح نهج البلاغة للخوئي ٤: ٤٠٤.

﴿فامّا من أعطى واتّقى، وصدّق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأمّا من بخل واستغنى، وكذّب بالحُسنى، فسنيسره للعُسرى، وما يُغني عنه ماله إذا تَردّى﴾[١].

﴿يآ أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه، فامّا من أُوتِيَ كتابه بيمينِهِ فسوفَ يُحاسبُ حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، وأمّا مَنْ أُوتِيَ كتابه وراء ظهره فسوفَ يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً﴾[٢].

«فتزوّدوا في الدنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً» ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[٣].

«فاتقى عبدٌ ربّه» تفريع تبييني لتزوّد في اليوم يكون محرزاً به النفس في الغد، قال تعالى: ﴿ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ﴾[٤]، ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى واتقونِ يا أُولي الألباب﴾[٥] ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[٦] ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً، ثم نُنجي الّذين اتَّقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً﴾[٧] ﴿لكن الذين اتَّقوا ربهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلاً من عند الله وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾[٨] ﴿لكنِ الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيّةٌ

---

(١) الليل: ٥ ـ ١١.

(٢) الانشقاق: ٦ ـ ١٢.

(٣) الأنعام: ٨٢.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) البقرة: ١٩٧.

(٦) آل عمران: ١٠٢.

(٧) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٨) آل عمران: ١٩٨.

تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايخلفُ الله الميعاد﴾[١] ﴿وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآءوها وفُتِحَت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين* وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين﴾[٢] هذا وقال ابن أبي الحديد: وروي «اتّقى عبدٌ ربّهُ» بلا فاءٍ، بتقدير هلّا.

قلت: إنّما معنى هلّا مرادٌ، لا أنّه يقدّر لفظه!

«نصح نفسه» في (الصّحاح) عن ابن الأعرابي: نَصَحتِ الإبلُ الشُّربَ تَنْصَحُ نُصُوحاً، إذا صَدَقَتْه. وأنصحتها أنا: أرويتها؛ وأنشد:

هذا مقامي لك حتى تنصحي ريّاً، وتجتازي بلاط الأبطح

ومنه: التوبة النصوح وهي الصّادقة، ﴿يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٌ غلاظٌ شِدادٌ لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[٣].

«قدّم توبته» في نسخة (ابن أبي الحديد)[٤] (وقدّم)، لكن في (ابن ميثم)[٥] و (الخوئي)[٦] بدون واو فيكون تفسيراً لنصح النفس، ﴿وليست التوبة...﴾[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحاً عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار...﴾[٨].

---

(١) الزمر: ٢٠.

(٢) الزمر: ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٥٦.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٦) شرح نهج البلاغة للخوئي ٤: ٤٠٤.

(٧) النساء: ١٨.

(٨) التحريم: ٨.

«وغلب شهوته» هكذا في نسخة (ابن أبي الحديد)[١] وفي (ابن ميثم)[٢] و (الخوئي)[٣]، غلب شهوته، ﴿وامّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى، فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[٤].

«فإنّ أجله مستورٌ عنه» ﴿وأجلٌ مسمّىً عنده﴾[٥] في (الطبري): لمّا احتضر المعتصم جعل يقول: إنّي أُخذت من بين هذا الخلق[٦].

«وأمله خادعٌ له» ﴿ذَرْهم يأكلوا ويتمتّعوا ويُلهِهِمُ الأمل فسوف يعلمون﴾[٧] في (الطبري): قال المعتصم: لو علمت أنّ عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت![٨]، وكان عمره ستّاً وأربعين أو سبعاً وأربعين أو ثمانياً وأربعين، قال هو ثامن الخلفاء والثّامن من ولد العبّاس ومات عن ثمانية بنين وثماني بنات وملك ثمان سنين وثمانية أشهر!!

«والشيطانُ موكّلٌ به» قال ابن ميثم[٩]: قال النبي صلى الله عليه وآله: ما من مولودٍ يولد إلّا ويولد معه قرينٌ من الشّيطان.

قلت: وروى القمي[١٠]، في قوله تعالى: ﴿الوسواس الخنّاس الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٦.

(٣) الخوئي ٤: ٤٠٤.

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) الأنعام: ٢.

(٦) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥: ٢٧١.

(٧) الحجر: ٣.

(٨) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥: ٢٧١.

(٩) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٦.

(١٠) تفسير القمي ١: ٤٥٠.

يوسوس في صدور الناس﴾[١]، للشيطان على قلب ابن آدم خرطوم مثل خرطوم الخنزير، يوسوس لابن آدم إذا أقبل على الدّنيا وما لا يحبّ الله، فاذا ذكر الله تعالى انخنس، (يريد يرجع) ثم أخبر أنّه من الجنّ والإنس فقال: ـ ﴿من الجِنَّةِ والنّاس﴾[٢] قال: وقال أيضاً: ما من قلبٍ إلّا وله أُذُنان على إحديهما مَلَك مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مُفتّن؛ هذا يأمره، وهذا يزجره، وكذلك من النّاس شيطان يَحمِل النّاس على المعاصي كما يَحمِل الشّيطان من الجنّ[٣].

وفي الخبر: إنَّ إبليس تراءى لموسى عليه السلام في الطّور حين أراد مناجاة الله تعالى فقال له: أتطمع فيَّ وأنا في هذا المقام؟ قال: نعم! كما طمعت في أبيك آدم وهو في الجنّة.

«يُزَيِّن له المعصية ليركبها» ولعلّه محرّف (ليرتكبها)، ﴿قال ربِّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض ولأُغوينّهم أجمعين إلّا عبادَكَ منهم المخلصين قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيمٌ إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلّا من اتّبعك من الغاوين وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبوابٍ لكلّ بابٍ منهم جُزءٌ مقسوم﴾[٤] ﴿تالله لقد أرسلنا الى أُممٍ من قبلك فَزَيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليُّهم اليوم ولهم عذابٌ أليم﴾[٥].

«ويُمنيّه التّوبة ليسوّفها» في (الصحاح): تقول: سوّفته، إذا قلت له مرّةً بعد مرّة (سوف أفعل)، وقولهم: فلان يَقتاتُ السَّوْفَ، أي: يعيش بالأماني،

(١) الناس: ٤ ـ ٥.

(٢) الناس: ٦.

(٣) تفسير القمي ١: ٤٥٠ كذلك أورده الكليني في الكافي ٢: ٢٦٦ ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٦٣: ٢٠٥.

(٤) الحجر: ٣٩ ـ ٤٤.

(٥) النحل: ٦٣.

وحكى أبو زيد سَوَّفْت الرّجلَ أمري إذا ملّكته أمرَك...[١].

قال ابن أبي الحديد: وقد روى «ليسوّفها» بكسر الواو وفتحها؛ والضمير في الرواية الأُولى يرجع إلى نفسه، وقد تقدّم ذكرها بكلمات يسيرة. ويجوز أن يعني به: ليسوّفَ التوبة، إلى أن قال: ومن روى بفتح الواو جعله فعل مالم يسمّ فاعله، وتقديره: ويمنّيه الشّيطان التوبة، أي: يجعلها في أُمنيّته ليكون مسوّفاً إيّاها، أي: يعدّ من المسوَّفين المخدوعين[٢]....

قلت: بل يتعيّن كون (ليسوّفها) بكسر الواو بصيغة المعلوم كما في (ليركبها) في الفقرة قبل، وإنّما المعنى ليسوّف التوبة، وإنّما وقع ابن أبي الحديد في هذا الحيص بيص أنّه رأى أنّ (الصحاح) قال: سوّفته... كما مرّ فتوهّم أنّ التوبة لم يمكن أن تكون مسوّفة، بل يسوّف شخص بها ولذا قال بعدُ: ويجوز أن يعني به: ليسوّف التوبة، كأنّه جعلها مخاطبة فيقول لها: سوف أوقعك...، فتكلّف تصحيحه بما قال، مع أنّه لا دلالة في (الصحاح) على الحصر، فكما يُقال: سوّف فلانٌ فلاناً يقال: سوّف فلانٌ الأمر الفلانيّ، وأمّا قوله: (من روى بفتح الواو)... فمع كون ما قاله بلا محصّل، يلزم أن يكون (يسوّف) متعدّياً إلى مفعولين مع انّه بمعنى (سوف افعل) يكون متعدّياً الى واحد، وامّا بمعنى تمليك غيرك أمرك إن تحقّقت حكاية أبي زيد وإن كان متعدّياً الى مفعولين، إلّا أنّه لا ربط له هنا، وكيف كان فروى الصّدوق[٣] عن الصادق عليه السلام قال: لما نزلت ﴿والّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾[٤] صعد إبليس جبلاً يقال له (ثور) فصرخ بأعلى

---

(١) الصحاح للجوهري مادة (سوف).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٤٧.

(٣) المجالس للصدوق: ٢٩٧ ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٦٣: ١٩٧ رواية ٦ باب ٣.

(٤) آل عمران: ١٢٥.

صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها، فقام عفريت فقال: أنا لها بكذا وكذا قال: لستَ لها! فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لستَ لها، فقام الوسواس الخنّاس، وقال: أنا لها! قال: بماذا؟ قال: أعدُهُم وأُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة[1].

«حتى تهجم منيّته عليه» في (الصحاح): المنا: القدر، والمنيّة: الموت، لأنّها مقدّرة[2].

«اغفل ما يكون عنها» قال ابن ميثم[3]: أغفل حالٍ[4]، وقال (الخوئي): منصوب بنزع الخافض، أي: في أغفل حاله[5].

قلت: بل الصواب كونه مفعولاً فيه فلا يحتاج إلى تقدير (في)، وقالوا في قولهم: (إنتظرته صلاة العصر) إنّ (صلاة)، مفعول فيه، أي: في وقت صلاة العصر، وفي قولهم: (لا أكلّمك هبيرة بن قيس) (هبيرة) مفعول فيه أي: مدّة غيبة هبيرة؛ وأمّا الحاليّة، فالحال يجب أن تكون نكرة و (اغفل ما يكون عنها) في معنى (اغفل كونه عنهما).

«فيالها حسرةً على ذي غفلةٍ» هكذا في (المصرية)[6] والصواب: (على كلّ ذي غفلة) كما في (ابن أبي الحديد[7] و ابن ميثم[8] و الخطيّة)[9].

---

(١) المجالس للصدوق: ٢٩٧ نقله المجلسي في البحار ٦٣: ١٩٧ ح٦.

(٢) الصحاح للجوهري مادة (ضا).

(٣ و ٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٦٦.

(٥) شرح نهج البلاغة للخوئي ٤: ٣٩٦.

(٦) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ١٦٤.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد بلفظ (على ذي غفلة) ٥: ١٤٥.

(٨) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٦٦.

(٩) النسخة الخطية: ٤١.

«**أن يكون عمره عليه حجّةً**» يقال في (يا) هنا، أنّها لنداء ما لايجيب، تشبيهاً بمن يعقل نحو قوله تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد...﴾[1] وزيادة الضمير مع الجار هنا للتعظيم والتعجب، وقال ابن أبي الحديد: لها في (فَيَالَها) امّا منادى مستغاث وإمّا مستغاث لأجله، والمستغاث محذوف؛ أي: أدعوكم أيّها الرّجال لتقضوا العجب من هذه الحسرة[2].

قلت: الأحسن ألّا يسمّى مثله مستغاثاً به، ولا لأجله بل هو للتعجّب؛ كقول الشاعر: (يالك من قبّرة بمعمر) فصرّح الجوهري بأنّه نداء تعجب، قال (الخوئي) ـ (أن يكون) بدل من (كلّ ذي غفلة). قلت: بل بدل من (حسرةً) كما لا يخفى. وكيف كان فقال تعالى: ﴿وأنيبوا الى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تُنصرون﴾[3]، ﴿واتّبعوا أحسن ما أُنزِل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون، أنْ تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وان كنت لَمِنَ السّاخرين﴾[4].

«**وتؤدّيه أيّامه إلى شِقْوةٍ**» قال تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النّذيرُ فذوقوا فما للظّالمين من نصير﴾[5].

«**نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمةٌ**» في (الصحاح) البَطَر: الأشَر[6]، وهو شدّة المَرَح، وقد بطِر بالكسر يبطَر ـ أي: بالفتح ـ وأبطره

---

(١) يس: ٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٤٧.

(٣) الزمر: ٥٤.

(٤) الزمر: ٥٥ ـ ٥٦.

(٥) فاطر: ٣٧.

(٦) الصحاح للجوهري مادة (بطر).

المال...، قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قريةٍ بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلّا قليلاً وكنّا نحن الوارثين﴾[١].

«ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غايةٌ» الغاية وان كانت بمعنى النهاية، إلّا أنّ المراد بها هاهنا المقاصد والثمرات، لإنّها نهايات الأفعال والأعمال، ﴿قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ اليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتّى يأتيَ الله بأمره...﴾[٢].

«ولا تحلُّ به بعد الموت ندامةٌ ولا كآبةٌ» في (المصباح): كَئِبَ يَكْأَبُ من باب تَعِبَ كآبةً بمدّ الهمزة، وكَأْباً وكَأْبَةً مثل سبب وتمرة، أي: حزن أشدّ الحزن[٣]، قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وُقِفُوا على النّار فقالوا ياليتنا نُردُّ ولا نُكذِّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾[٤]، ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحقّ؟ قالوا: بلى وربّنا! قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾[٥]، ﴿قد خسرَ الّذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألَا سآء ما يَزِرُون﴾[٦]، ﴿وما الحياة الدُّنيا إلّا لعبٌ ولهوٌ وللدّارُ الآخرة خيرٌ للّذين يتّقون أفلا تعقلون﴾[٧].

هذا وروى (الإرشاد) عنه عليه السلام خطبةً أُخرى وفي ذيلها[٨]، جعلنا الله وإيّاكم

---

(١) القصص: ٥٨.

(٢) التوبة: ٢٤.

(٣) المصباح المنير للفيتوري مادة (كتب).

(٤) الأنعام: ٢٧.

(٥) الأنعام: ٣٠.

(٦) الأنعام: ٣١.

(٧) الأنعام: ٣٢.

(٨) الإرشاد للمفيد: ٢٢٨.

مِمّن لا تبطره نعمةٌ ولا تحلُّ به بعد الموت نقمةٌ فإنّما نحن به وله وبيدهِ الخيرُ ﴿وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[١].

٣
الخطبة (٧٤)

ومن خطبة له عليه السلام:

رَحِمَ ٱللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعى، وَدُعِيَ إِلَى رَشادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هادٍ فَنَجا. رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خالِصاً، وَعَمِلَ صالِحاً، ٱكْتَسَبَ مَذْخُوراً، وَٱجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً، كابَرَ هَـوَاهُ، وَكَذَّبَ مُناهُ، جَعَلَ ٱلصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ وَٱلتَّـقْوى عُـدَّةَ وَفـاتِهِ، رَكِبَ ٱلطَّرِيقَةَ ٱلْغَرَّاءَ، ولَزِمَ ٱلْمَحَجَّةَ ٱلْبَيْضَاءَ. ٱغْتَنَمَ ٱلْمَهَل، وَبادَرَ ٱلْأَجَـلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ ٱلْعَمَلِ.

أقول: كلّ فقرة من الخطبة وهي عشرون درّة يتيمة وجـوهرة غـالية، روى (روضة الكافي) في خطبة فيها بعض هـذه الفـقرات مسـندة عـن أبـي جعفر عليه السلام، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: الحمد لله الخـافض الرافـع، الضّار النافع الجواد الواسع، الى أن قال: ـ أيُّها الناس إنَّ الدُّنيا ليست لكم بدارٍ ولا قرارٍ إنّما أنتم فيها كركبٍ عرّسوا فأناخوا ثـم اسـتقلّوا، فـغدوا وراحـوا، وخلوا خِفافاً لم يجدوا عمّا مضى نزوعاً، ولا إلى ما تركوا رجوعاً، جَدَّ بـهم فجدّوا، وركنوا إلى الدُّنيا فما استعدّوا، حتّى إذا أخذ بكظمهم وخَلَصُوا إلى دار قومٍ جفّت أقلامهم لم يبقَ من أكثرهم خبرٌ، ولا أثرٌ، قلَّ في الدُّنيا لَبْثُهُم وعجّل إلى الآخرة بعثُهم، فأصبحتم حُلولاً في ديارهم ظاعنين على آثارهم، والمطايا تسيرُ بكم سيراً ما فيه أينٌ ولا تفتير نهاركم بأنفسكم دَؤبٌ، وليلكم بأرواحكم

---

(١) المائدة: ١٢٠، الروم: ٥٠، الشورى: ٩، الحديد: ٢، التغابن: ١، الملك ١.

وَهوبٌ، فأصبحتم تُجِلّون من حالهِم حالاً وتحتذون من مسلكهم مثالاً.. ﴿فلا تغرّنكم الحياة الدنيا﴾[١] فإنّما أنتم فيه سفر، حلولُ الموتِ بكم نُزُولٌ، تنتضل فيكم مناياه، وتمضي بأخباركم مطاياه، الى دار الثواب والعقاب، والجزاء والحساب، فرحم الله امرأً راقب ربَّه، وتنكّب ذنبه، وكابر هواه، وكذّب مناه، امرأً أزَمَّ نفسه من التّقوى بِزمامٍ، وألجمها من خشية ربِّها بلجامٍ، فقادها الى الطاعة بزمامها، وقرعها عن المعصية بلجامها، رافعاً الى المعاد طرفه، متوقعاً في كُلِّ آنٍ حتفه، دائم الفكر، طويل السهر، عزوفاً عن الدُّنيا، سَاءماً كدُوحاً، لآخرته متحافظاً، امرأً جعل الصبر مطيّة نجاته، والتقوى عُدَّةَ وفاته، ودواء أجوائه، فاعْتَبَرَ وَقَاسَ، وترك الدنيا والنّاس، يتعلّم للتفقّه والسَّداد، وقد وقّر قلبه ذكر المعاد، وطَوى مِهاده، وهَجَرَ وساده، منتصبٌ على أطرافه، داخلٌ في أعطافه، خاشعاً لله -عزّوجلّ- يراوِحُ بين الوجه والكفّين خشوعٌ في السّرّ لربِّه، لدمعه صَبيبٌ ولقلبه وجيبٌ، شديدة آساله، وترتعد لخوف الله -جلّ ذكره- أوصاله، قد عظمت في ما عند الله رغبته واشتدّت منه رهبته، راضياً بالكِفاف من أمره، يظهر دون ما يكتم، ويكتفي بأقلّ ممّا يعلم، أُولئك ودائع الله في بلاده، المدفوع بهم عن عباده، لو أقسم أحدهم على الله -جلّ ذكره وتعالى- لأبرَّهُ، أو دعا على أحدٍ نصره، يسمع إذا ناجاه، ويستجيب له إذا دعاه، جعل الله العاقبة للتقوى، والجنّة لأهلِها مأوى، دُعاؤهم فيها أحسنُ الدّعاء سُبحانك اللّهمّ[٢]....

قوله عليه السلام: «رَحِمَ الله امْرَأً سمع حُكماً فوعى» -أي: سمع حكمة من العلوم فحفظها وجعل أذنه وعاءً لها، قال تعالى: ﴿فبشّر عباد الّذين يستمعون القول

---

(١) لقمان: ٣٣، فاطر: ٥.

(٢) الكافي للكليني ٨: ١٧٠ ح١٩٣.

فيتّبعون أحسنه أُولئك الّذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب﴾[١].

«ودُعِيَ إلى رشادٍ فدنا» قال تعالى: ﴿قل أُوحي إليَّ أنّه استمعَ نفرٌ من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً* يهدي إلى الرّشد فامنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً﴾[٢] وذمّ تعالى قوماً فقال: ﴿وإن يروا سبيل الرُّشد لا يتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً...﴾[٣].

«وأخذ بحجزة هادٍ فنجا» قال الجوهري: ـ حجزة الأزار: معقده، وحجزة السراويل التي فيها التكة[٤]. روى (أمالي الصدوق): أنّ الصادق عليه السلام كان كثيراً ما يقول:

عَلَمُ المحجّة واضح لمريده ... وأرى القلوب عن المحجّة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته ... موجودةٌ ولقد عجبتُ لمن نجا[٥]

وقال تعالى: ﴿أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٦].

«راقب ربّه» قال تعالى: ﴿إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾[٧] ﴿أفمن هو قائمٌ على كلّ نفسٍ بما كسبت﴾[٨]، وعن الصادق عليه السلام: مِنْ أشدّ ما افترض الله على عباده، ذكره على كلّ حال، ليس سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر فقط، ولكن إذا ورد عليك شيء من أمر الله أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.
(٢) الجن: ١ ـ ٢.
(٣) الأعراف: ١٤٦.
(٤) الصحاح للجوهري مادة (حجر).
(٥) الأمالي للصدوق: ٣٩٦ ح ٤.
(٦) الأنعام: ٩٠.
(٧) النساء: ١.
(٨) الرعد: ٣٣.

الله عنه تَرَكْتَه[١]، وعنه عليه السلام: العبد بين ثلاثة بلاء وقضاء ونعمة، فعليه في البلاء من الله الصبر فريضة، وعليه في القضاء من الله التسليم؛ وعليه في النّعم منه تعالى الشكر[٢].

«وخافَ ذنبه» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام: إنّ ابليس قال لجنوده، إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أُبالِ ما عمل فانّه منه غير مقبول: إذا استكثر عمله، ودخله العجب ونسي ذنبه[٣].

«قدَّم خالصاً» ﴿إلّا عباد الله المخلَصِين أُولئك لهم رزقٌ معلومٌ فواكه وهم مكرمون في جنّات النّعيم على سررٍ متقابلين يُطاف عليهم بكأسٍ من معينٍ بيضاءَ لذّةٍ للشاربين لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنزِفُون وعندهم قاصراتُ الطّرف عِينٌ كأنّهنّ بيَضٌ مكنونٌ﴾[٤].

«وعمل صالحاً» قال تعالى: ﴿فمن يعمل من الصّالحات وهو مؤمنٌ فلا كُفران لسعيه وإنّا له كاتبون﴾[٥].

«اِكتسب مذخوراً» ﴿ما عندكم ينفدُ وما عند الله باقٍ...﴾[٦] ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوهُ عند الله هو خيراً وأعظمَ أجراً...﴾[٧].

«واجتنبَ محذوراً» ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[٨] ﴿ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى، الّذين يجتنبون

---

(١) الخصال للصدوق: ١٣٢ ح١٣٩، ب٣.

(٢) المصدر نفسه: ٨٦ ح١٧، ب٣.

(٣) المصدر نفسه: ١١٢ ح٨٦، ب٣.

(٤) الصافات: ٤٠ ـ ٤٩.

(٥) الأنبياء: ٩٤.

(٦) النحل: ٩٦.

(٧) المزمل: ٢٠.

(٨) الشورى: ٣٧.

كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم إنَّ ربَّك واسع المغفرة...﴾[١] ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً...﴾[٢].

«رمى غرضاً وأحرز عوضاً» قال ابن أبي الحديد: رمى غرضاً أي: قصد الحق كمن يرمي غرضاً يقصده، لا من يرمي في عمياء لا يقصد شيئاً بعينه[٣].

قلت: بل كلامه عليه‌السلام استعارة في تشبيه من استبق الى الخيرات واستحقّ الجنّات بمن رمى في وقت الرّماية، وأصاب الهدف واستحقّ العوض الّذي جعلوه لمصيب الهدف. فالغرض الهدف الّذي يرمي فيه وهو مفعول به، وابن أبي الحديد توهّمه مفعولاً له، قال تعالى: ﴿والسابقون السابقون* أولئك المقرّبون﴾[٤] ﴿ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، جنّاتُ عدنٍ يدخلونها يُحلّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حريرٌ* وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن انّ ربّنا لغفور شكور* الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيه نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوبٌ﴾[٥].

«كابَرَ هواه» قال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربِّه ونهى النَّفس عن الهوى* فإنَّ الجنّة هي المأوى﴾[٦] وفي (باب اتّباع هوى الكافي) عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: يقول الله تعالى: وعزّتي وجلالي! لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي الّا شتّتُّ عليه أمره، ولبّست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أعطه منها إلّا ما قدّرت له، وعزّتي وجلالي لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا استحفظته ملائكتي

---

(١) النجم: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٢.

(٤) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(٥) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

(٦) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

وكفّلت السموات والأرض رزقه، وكنت له وراء تجارة كلّ تاجر وأتته الدنيا راغمة[١]، وعن الصادق عليه السلام: إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرّجال من اتّباع الهوى وحصائد ألسنتهم[٢]، وكان عليه السلام يقول:

لا تَدَعِ النّفس وهواها فإنّ هواها في رَداها
وترك النفس وما تهوى أذاها وكفّ النّفس عمّا تهوى دواها[٣]

«وكذّب مُناه» لإنّ تصديق المُنىٰ سبب الهلاك، ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنة فيه الرحمة وظاهره من قبله العذابُ* ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم وتربصّتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[٤].

«جعل الصبر مطيّة نجاته» في (الصحاح): المطيّة مأخوذ من المطو وهو المد، في (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال: الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبرَ[٥] على المكاره في الدّنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار[٦]، وعن الصادق عليه السلام: إذا دخل المؤمن قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبرُّ مظلّ عليه وتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن

(١) الكافي للكليني ٢: ٣٣٥ ح ٢.
(٢) المصدر نفسه ٢: ٣٣٥ ح ١.
(٣) المصدر نفسه ٢: ٣٣٦ ملحق ح ٤.
(٤) الحديد: ١٣ ـ ١٤.
(٥) الصحاح للجوهري مادة (مطو).
(٦) الكافي للكليني ٢: ٨٩ ح ٧.

عجزتم عنه فأنا دونه[١]، وعنه عليه السلام: إنّ الله تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت علهيم وبالاً؛ وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة. وعنه عليه السلام من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له أجر مثل ألف شهيد[٢]. وعن النبي صلى الله عليه وآله: سيأتي على النّاس زمان لا ينال المُلك إلّا في القتل والتجبّر، ولا الغنى إلّا بالغصب والبخل، ولا المحبّة إلّا باستخراج الدّين واتّباع الهوى؛ فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة، وصبر على الذّل وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بي[٣].

«والتّقوى عُدّةَ وفاته» ﴿إنّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّةِ التي كنتم توعدون﴾[٤]، ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون* نُزُلاً من غفورٍ رحيم﴾[٥].

«ركب الطريقة الغرّاء» في (المصباح): الغرّة في الجبهة: بياض فوق الدّرهم، ورجل أغرّ صبيح أو سيّد في قومه[٦] قال تعالى: ﴿فأمّا من أعطى وأتقى* وصدّق بالحسنى* فسنيسّره لليسرى﴾[٧].

«ولزم المحجّة البيضاء» في (الصحاح): المحجّة: جادة الطريق، قال

(١) المصدر نفسه ٢: ٩٠ ح٨.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٩٢ ح١٧.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٩١ ح١٢.

(٤) فصلت: ٣٠.

(٥) فصلت: ٣١ ـ ٣٢.

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٤٤٥ مادة (الغرة).

(٧) الليل: ٥ ـ ٧.

تعالى: ﴿وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[١].

«إغتنم المَهَل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر فإنّك لا تدري ما يحدث[٢]، وعنه عليه السلام: إذا همّ أحدكم بخيرٍ أوْ صِلَةٍ فانّ عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفّاه عن ذلك[٣].

«وبادر الأجل» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصالحين، ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٤].

«وتزوّد من العمل» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله تعالى ثقّل الخير على أهل الدّنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة وان الله تعالى خفّف الشرّ على أهل الدّنيا كخفّته في موازينهم يوم القيامة[٥].

٤
في الخطبة (٨١)

ومنها:

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ ماعَنَاهَا وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها، وَأَشْلاَءً جامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَآئِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَآئِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، في مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وَ حَوَاجِزِ عافِيَتِهِ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْماراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ،

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٤٢ ح٣.

(٣) المصدر نفسه ٢: ١٤٣ ح٨.

(٤) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٥) الكافي للكليني ٢: ١٤٣ ح١٠.

وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنَ آثارِ ٱلْماضِينَ قَبْلَكَمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَناقِهِمْ. أَرْهَقَتْهُمُ ٱلْمَنَايَا دُونَ ٱلآمَالِ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ ٱلآجَالِ. لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ ٱلأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا في أُنُفِ ٱلأَوَانِ. فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضاضةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ ٱلْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ ٱلْبَقَآءِ إِلَّا آونَةَ ٱلْفَنَآءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الانْتِقَالِ، وَعَلَزِ ٱلْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ ٱلجَرَضِ، وَتَلَفُّتِ الاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ وَٱلأَقْرِبَآءِ، وَٱلأَعِزَّةِ وَٱلْقُرَنَآءِ! فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثانُ مَعَالِمَهُ، وَصَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِها، وَٱلْعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَٱلأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّيءِ زَلَلِها! أَوَلَسْتُمْ أَبْنَآءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلآبَاءَ، وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلأَقْرِبَاءَ، تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَؤُونَ جَآدَّتَهُمْ؟! فالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِها! كَأَنَّ المَعْنِيَّ سِوَاها وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْياهَا - إلى أن قال - (ومنها فى صفة خلق الإنسان) أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلأَرْحَامِ وَشغفِ ٱلأَسْتارِ، نُطْفَةً دِهاقاً، وَعَلَقَةً مِحاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً؛ حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَٱسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ؛ ثمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً،

وَلَايَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ المَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَباتَ ساهِراً فِي غَمَرَاتِ الآلامِ، وَطَوَارِقِ ٱلْأَوْجَاعِ وَٱلأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ لِلْصَّدْرِ قَلَقاً، وَالمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأَنَّةٍ مُوْجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ ٱلْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ ٱلاخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، حَتَّى إِذَا ٱنْصَرَفَ المُشَيِّعُ، وَرَجَعَ المُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ ٱلامْتِحَانِ وَأَعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ ٱلْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلا قُوَّةٌ حاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ المَوْتَاتِ، وَعَذابِ السَّاعَاتِ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ! عِبادَ ٱللهِ! أَيْنَ ٱلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِيلاً وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً، اَحْذَرُوا الذُّنُوبَ المُوَرِّطَةَ وَٱلْعُيُوبَ المُسْخِطَةَ، أُولِي ٱلأَبْصَارِ وَٱلأَسْمَاعِ، وَٱلْعَافِيَةِ وَالمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحارٍ! أَمْ لا؟! ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِماذَا تَغْتَرُّونَ! وَإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَٱلْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ! ٱلآنَ عِبادَ ٱللهِ وَٱلْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ ٱلارْشَادِ، وَرَاحَةِ ٱلأَجْسَادِ، وَباحَةِ الاحْتِشَادِ، وَمَهَلِ ٱلْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ المَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَٱنْفِسَاحِ ٱلْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالمَضِيقِ،

وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ ٱلْغَآئِبِ ٱلْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ.

وفي الخبر أنّه لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود، وبكت العيون ورجفت القلوب، ومن الناس من يسمّي هذه الخطبة الغرّاء[١].

أقول: «جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها» الأصل في الوعي: جعل الأذن وعاءً لما سمع قال تعالى: ﴿وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ﴾[٢] وعناها أي: أهمّها وفي الخبر: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[٣].

«وأبصاراً لتجلو عن عشاها» قال تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون﴾[٤] ﴿...وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[٥] وفي (المصباح): عشى أي: ضعف بصره، فهو أعشى، والمرأة عَشْواء[٦].

«وأشلاءً جامعةً لأعضائها» قال ابن أبي الحديد: أراد بالأشلاء: الأعضاء الظاهرة، وبالأعضاء: الجوارح الباطنة[٧]، وهو كما ترى فالضمير في (أعضائها) راجعة الى (الأشلاء) والباطنة ليست للظّاهرة حتى يضاف اليها بل كلّ منهما مضاف الى الإنسان والصواب أن يقال: إنّ المراد بالأشلاء، الأعضاء الكبيرة، وبالأعضاء: الأعضاء الصغيرة كاليد الجامعة للعضد والذراع والكفّ، والأصل في الشّلو عضو يرفعه، فقال الفيروزابادي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٦.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٨.

(٤) النحل: ٧٨.

(٥) السجدة: ٩.

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٤١٢ (العشي).

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٥٨.

شلا: سار ورفع شيئاً[1].

«**ملائمة لأحنائها**» أي: لجوانب تلك الأشلاء، قال المفضّل للصادق عليه السلام: صِفْ لي نشو الأبدان في نموّها حالاً بعد حال حتى يبلغ التّمام والكمال قال عليه السلام: أوّل ذلك تصوير الجنين في الرّحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد تدبّره، حتّى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه، من العظام واللّحم والشّحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقض؛ إلى أن يبلغ أشدّه أن يدم عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلّا من لطيف التدبير والحكمة[2]؟!

«**في تركيب صورها ومدد عمرها**» قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل! في أعضاء البدن أجمع وتدبير كلّ منها للمآرب، فاليدان للعلاج، والرّجلان للسعيّ، وكذلك جميع الأعضاء إذا ما تأمّلتها وأعملت فكرك فيها وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة[3]!

«**بأبدانٍ قائمة بأرفاقها**» قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل! في وصول الغذاء الى البدن، وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد في عروق دقاق واشجة بينها، قد جعلت كالمصفّى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكاها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ انّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذه الى البدن كلّه في

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ١٦٧٨ (الشلو).

(٢) التوحيد للمفضل بن عمر: ١٢.

(٣) المصدر نفسه: ١١.

مجارٍ مهيّأةً لذلك بمنزلة المجاري التي تُهيّأ للماء ليطرد في الأرض كلّها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغائص قد اعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى الى المثانة، تأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلّا تنتشر في البدن، فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير[١].

«وقلوبٍ رائدةٍ» أي: طالبة، من راد الكلاء، أي: طلبه.

«لأرزاقها» في (العلل) عن الصادق عليه السلام: إنّ منزلة القلب من الجسد، بمنزلة الإمام من الناس، الواجب الطاعة عليهم، ألا ترى أنّ جميع جوارح الجسد شُرَط للقلب وتراجمة له مؤدية عنه، الاذنان والعينان والأنف والفم واليدان والرِّجلان والفرج، فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجّل عينيه، وإذا همّ بالاستماع فتح مسامعه فسمع، وإذا همّ بالشمّ استنشق بأنفه، فأدّى تلك الرائحة الى القلب، وإذا همّ بالنّطق تكلّم باللّسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرّجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذَّكَر، فهذه كلّها مؤدية عن القلب[٢].

«في مجلّلات نعمه» في (الصحاح): جلّل الشيء تجليلاً، أي: عمّ[٣]؛ قال الصادق عليه السلام: اعتبر يا مفضّل! بعِظَم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها، فكذا جعل سبحانه المنفذ للخلاء من الإنسان في أستر

---

(١) المصدر نفسه: ١١ ـ ١٢.

(٢) علل الأحكام للصدوق ١: ١٠٩ ح٨ ب٩٦.

(٣) الصحاح للجوهري (جلل).

موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشزاً من بين يديه، بل هو مغيّب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقي عليه الفخذان، ويحجبه الاليتان بما عليهما من اللّحم يتواريانه، فاذا احتاج الإنسان إلى الخلاء، وجلس تلك الجلسة، ألقى ذلك المنفذ منه منصبّاً مهيّأً لإنحدار الثقل، فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه![1]

«**وموجبات مِننهِ**» روي (الخصال) عن الصادق عليه السلام: يقول عزّوجلّ: إنّي تطوّلت على عبادي بثلاث: ألقيت عليهم الرّيح بعد الرُّوح، ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً، وألقيت عليهم السّلوة بعد المصيبة، ولولا ذلك لم يتهنَّ أحدٌ منهم بعيشه، وسلّطت هذه الدّابة على الحنطة والشّعير وإلّا ذلك لكنزوها كما يكنزون الذّهب والفضة[2]، وفي خبر آخر منّ عليهم بالسّتر ولولاه لما دفن كثير من الناس ولألقوهم على المزابل[3].

«**وحواجز عافية**» هكذا في (المصرية)[4] وهو غلط، والصواب: ما في غيرها.

«**عافيته**» ثم (عافيته) بلفظ المفرد في النسخ ومقتضى الفقرات التي قبله كونه مصحّف عافياته، وكيف كان ففي (الصحاح): (العافية دفاع الله تعالى عن العبد)[5] وفي الخبر: (إذا نظرت إلى مبتلى تقول في نفسك من دون أن تسمعه: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به ولو شاء لفعل بي ذلك)[6] وفي

---

(١) التوحيد للمفضل بن عمر: ٢٠.

(٢) الخصال للصدوق: ١٦٢ ح٨٧.

(٣) التوحيد للمفضل بن عمرو: ١٩.

(٤) الطبعة المصرية، شرح محمد عبده: ١٩٢.

(٥) الصحاح للجوهري مادة (عفا).

(٦) الكافي للكليني ٢: ٩٧ ح ٢٠.

الخبر: أنّ يوسف عليه السلام لو كان سأل ربّه العافية من المصريّات بدون سجن لعافاه ولكنّه ﴿قال ربِّ السجن أحبُّ إليَّ ممّا يدعونني إليه﴾[١]، فصرف عنه كيدهن بما سأل.

«وقدّر لكم أعماراً سترها عنكم» قال تعالى: ﴿وأجلٌ مسمّىً عنده...﴾[٢]

وقال الصادق عليه السلام: تأمّل يا مفضّل في ما ستر عن الإنسان من علمه بمدّة حياته! فانّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر؛ لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت وتوقّعه لوقت قد عرفه، بل كان بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله، على أنّ الّذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال؛ لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس، وإن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك، وثق بالبقاء، وانهمك في اللّذات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه تعالى من عباده، ألا ترى لو أنّ عبداً لك عَمِدَ على أنّه يسخطك سَنَة ويرضيك يوماً لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح، فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيء يكون لغلبة الشهوات، وتركه مخالفتها من غير أن يقدّرها في نفسه، ويبني عليه أمره، فيصفح الله عنه، ويتفضّل عليه بالمغفرة، فأمّا من قدّر أمره على أن يعصي ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك، فانّما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلّف التلذّذ في العاجل، ويعد نفسه التوبة في الآجل، ولأنّه قد لا يفي، فإنّ النُّزوع من الترفّه والتلذّذ ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمرٌ

---

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) الأنعام: ٢.

صعب، مع أنّه لا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة، أن يرهقه الموت فيخرج من الدّنيا غير تائب.

فكان خير الأشياء للإنسان أن يُستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت؛ فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح، فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته يقارف الفواحش وينتهك المحارم! قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الّذي جرى عليه الأمر، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوئ، فانّما ذلك من مرحه وقساوة قلبه لا من خطأ في التدبير كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لم تكن الإساءة للطبيب بل للمريض، ولئن كان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لا يمتنع عن المعاصي، لو كان وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج الى الكبائر الفظيعة، ثمّ إنّه وإن كان صنف يلهون عنه فإنّ صنفاً ينزعون به عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالأموال والعلائق النفيسة في الصدقة فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء به لتضييع أولئك[1].

«**وخلّف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم**» قال تعالى بعد ذكر طوفان نوح: ﴿ولقد تركناها آية فهل من مُدَّكرٍ﴾[2].

«**من مستمتع خلاقهم**» في (الصحاح): ـالخلاق: النصيب[3].

«**ومتفسح خناقهم**» والفسحة: السعة، والخناق: مجرى النفس والحلق ويقال: أخذ بخناقه ومخنقه[4]، وفي (القاموس): خانقين بلد بسواد بغداد لأنّ

---

(١) التوحيد للمفضل بن عمرو: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) القمر: ١٥.

(٣) الصحاح للجوهري مادة (خلق).

(٤) المصدر نفسه مادة (خنق).

النعمان خنق به عديّ بن زيد العبادي[١]، قال تعالى في فرعون وقومه: ﴿كم تركوا من جناتٍ وعيونٍ* وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين* فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[٢].

«**أرهقتهم المنايا دون الآمال**» في (الصحاح): رهقه بالكسر غشيه[٣] والمنيّة: الموت، لانّها مقدّرة والجمع المنايا.

«**وشذّبَهم عنها تخرّم الآجال**» في الطبعتين المصريتين جعل «شذّبهم» كلمتين (شذّ) كلمة و (بهم) كلمة[٤] والصواب: كونه كلمة واحدة من التشذيب كما في (ابن أبي الحديد) وغيره[٥] من قولهم شذّب الشجرة، ونخل مشذب، وتشذّبوا أي: تفرّقوا، والتخرّم: الاستيصال، قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنّهم كانوا في شكّ مريب﴾[٦].

«**لم يمهدوا في سلامة الأبدان**» وفي الخبر: إغتنموا خَمساً قبل خمس، الصحّة قبل السّقم...[٧].

«**ولم يعتبروا في أُنُف الأوان**» في (الصحاح): (أُنُف كلّ شيء أوّله والأوان الحين)[٨].

---

(١) القاموس للفيروزآبادي: ١١٣٨ مادة (خنق) مؤسسة الرسالة .

(٢) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩ .

(٣) الصحاح للجوهري مادة (رهق) .

(٤) الطبعتان المصريتان (المصححة وغير المصححة) المصححة: ١٩٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٥٧ .

(٦) سبأ: ٥٤ .

(٧) من وصايا الرسول إلى أبي ذر الغفاري، أورده الطوسي في أماليه، ونقله المجلسي في البحار ٧٧: ٧٧ وهو بلفظ (اغتنم) وليس (أغتنموا).

(٨) الجوهري، الصحاح، مادة (أنف).

في الخبر: إنّ آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة المنهيّة ذكر أنّه نُهي عنها، فذهب لينتحي من الشجرة، فأخذت الشجرة برأسه فجرّته اليها وقالت له: أفلا كان فرارك منّي قبل أن تأكل منّي![1]

«**فهل ينتظر أهل بضاضة الشّباب إلّا حواني الهرم**» في (الصحاح): رجل بضّ أي: رقيق الجلد ممتل[2]، والحواني: جمع الحين. روى الخطيب عن جعفر البرمكي، أنّ السّفّاح نظر في المرآة، وكان من أجمل النّاس وجهاً فقال: اللّهم إنّي لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: (أنا الملك الشابّ) ولكنّي أقول: (اللّهمّ عمّرني طويلاً في طاعتك ممتّعاً بالعافية) فما استتمّ كلامه حتّى سمع غلاماً يقول لآخر: (الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام) فتطيّر فما مضت الأيام حتّى أخذته الحمّى حتّى مات بعد شهرين وخمسة أيّام توفّي وهو ابن ثلاث وثلاثين[3].

«**وأهل غضارة الصحّة إلّا نوازل السّقم**» في (الصحاح): الغضارة: طيب العيش[4]. فإذا لم يبادر في وقت صحّته فأيّ شيء يستطيع وقت ابتلائه بالأسقام.

«**وأهل مدّة البقاء إلّا آونة الفناء**» الآونة: جمع أوان مثل أزمنة وزمان، وفي الخبر اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وحياتك قبل موتك[5] ـ الخبر ـ وهل تنتظر أن يأتيك: جبرئيل ويقول لك: ـ يأتيك في السّاعة الفلانيّة عزرائيل؟

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١١: ١٨٨ ح٤٥ ب٣.

(٢) الصحاح: (بضض).

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠ : ٤٩ ترجمة (٥١٧٨).

(٤) الصحاح: (غضض).

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ٧٧: ٧٧.

«مع قرب الزِّيال» في (الصحاح): زايله مزايلةً وزيالاً إذا فارقه[١].

«وأزوف الانتقال» أي: دنوّه.

«وعلز القلق» في (الصحاح): مات فلان علزاً: أي وَجِعاً قلقاً لا ينام[٢].

«وألم المضض» في (الصحاح): أمضنّي الجرح إذا وجعك[٣].

«وغصص الجرض» جرض بريقه أي: ابتلعه على همّ وحزن، وفي (شعراء القتيبي): لقي عبيد بن الأبرص النعمان في يوم بؤسه ـ وكان يقتل كلّ من لقيه ذاك اليوم ـ فقال له: هلّا كان ذا لغيرك، أنشدني! فربّما أعجبني شعرك قال: (حالَ الحريض دون القريض) قال انشدني: (اقفر من أهله ملحوب) فقال:

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فقتله ولطّخ بدمه الغريّين وكان بناهما على نديميه له[٤]. ـ

«وتلفّت الاستغاثة» في (القاموس): «لفته: لوّاه وصرفه عن رأيه ومنه الالتفات والتلفّت»[٥] وفي (الجمهرة): الأصل في الالتفات ليّ العنق[٦].

«بنصرة الحفدة والأقرباء» في (الصحاح): الحفدة: الأعوان والخدم وقيل: ولد الولد[٧].

«والأعزّة والقرناء» القرناء، من كان لا يفارقه، وفي (الكافي) عنه عليه السلام: إنّ

---

(١) الصحاح: (زيل).

(٢) الصحاح: (علز).

(٣) الصحاح: (مضض).

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٤٤ طبع ليدن.

(٥) القاموس للفيروزآبادي: (لفت).

(٦) الجمهرة لابن دريد: ٤٠٥ (ت ف ل).

(٧) الصحاح: (حفد).

ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدّنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة، مثّل له ماله وولده وعمله؛ فيلتفت الى ماله فيقول له: والله إن كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك ؟ فيقول: خُذْ منّي كَفَنَك، فيلتفت إلى وُلْده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً وعنكم محامياً فمالي عندكم؟ فيقولون نؤدّيك إلى حفرتك، نواريك فيها؛ فيلتفت إلى عمله ويقول له: كنت فيك زاهداً وكنت عليّ ثقيلاً فمالي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك وحشرك حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّك[١].

«فهل دفعت الأقارب أو نفعت النّواحب» في (الصحاح): (النحيب رفع الصوت بالبكاء)[٢] قالوا: احتضر رجل فصاحت ابنته ففتح عينيه، وهو يكيد بنفسه فقال:

عزاءً لا أباً لك إنّ شيئاً ... تولّى ليس يُرجعه الحَنينُ

وفي (المعجم): ما رؤي أحد وفّي من الإعظام والإجلال بعد موته، ما وفّيه الصاحب؛ فانّه لمّا جهّز ووضع في تابوته وأُخرج على أكتاف حامليه للصلاة عليه، قام الناس بأجمعهم فقبّلوا الأرض بين يديه، وخرّقوا ثيابهم ولطموا وجوههم وبلغوا في النحيب عليه جهدهم[٣].

«وقد غودر في محلّة الأموات» في (الطبري): (كسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف) وكذا يفعلون بالسيّد منهم إذا مات[٤].

«رهيناً» لنعم ما قيل بالفارسيّة: (عاقبت منزل ما وادى خاموشان است).

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٣١ ح ١.

(٢) الصحاح للجوهري (نَحَبَ).

(٣) معجم الأدباء للحموي ٦: ٢٧٥ ترجمة (إسماعيل بن عباد).

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥: ٤٧٦ أحداث سنة (٢٥٦).

«وفي ضيق المضجع وحيداً» قال تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أوّل مرّة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[١].

«قد هتكت الهوامّ جلدته» في (الصحاح): الهامّة واحدة الهوامّ ولا يقع هذا الاسم إلّا على المخوف من الأحناش[٢].

«وأبلت النّواهِكُ جدَّتهُ» في (المصباح): بَلِيَ الثوب خَلِقَ فهو بالٍ ونهكته الحمى هزلته، وجدّ الشيء صار جديداً[٣].

«وعفّت العواصف آثاره» يجوز في (عفّت) التخفيف والتّشديد وهو هنا متعدٍّ ويجوز مجيئه لازماً، ففي (الصحاح): عفت الرّيح المنزل، وعفا المنزل يعفو ـ درستَه، ودَرَسَ يتعدّىٰ ولا يتعدّىٰ ـ وعفّت الريح الدّار شدّد للمبالغة[٤].

«ومحا الحدثان معالمه» في (الصحاح): المعالم، الأثر ليستدلّ به على الطريق[٥].

«وصارت الأجساد شَحِبةً بعد بضّتها» في (الصحاح): شحب جسمه إذا تغيّر[٦]، ومرّ أنّ البضّ: امتلاء الجلد.

«والعظام نخرَةً بعد قوّتها» نخِر العظم بالكسر بَلِي وتفتّت.

«والأرواح مرتهنةً بثقل أعبائها» قال في (الصحاح): العِبء بالكسر الحِمْل، والجمع الأعباء أنشد أبو زيد:

---

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) الصحاح: (همم).

(٣) المصباح للفيتوري: ٧٨ (بلى).

(٤) الصحاح: (عفا).

(٥) الصحاح: (علم).

(٦) الصحاح: (شحب).

الحامِلِ العِبء الثَّقيل عـن الجاني بغير يدٍ ولا شكر[١]

قال تعالى: ﴿كُلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ﴾[٢].

«موقنةً بغيب أنبائها» قال متمّم بن نويرة في أخيه مالك:

فَلَمّا تـفرقنا كأنّـي ومـالكاً لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معاً[٣]

وفي الديوان:

أمـرَّ علـى رسـمِ القـريبِ كأنّـما أمرّ على رسم امرئٍ ما أناسبه[٤]

«لاتُستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها» فـإنّما الاسـتزادة والاستعتاب قبل الموت؛ فكلّ يوم مَلَك ينادي الأحياء: «يا صاحب الخير أتـمّ وأبشر، ويا صاحب الشرّ انزع وأقصر».

«أولستم أبناء القوم والآباء» المراد بالقوم، المقبورون الموصوفون.

«واخوانهم والأقرباء» قال الأمير الميكالي:

وكيف يلذّ طعمُ العيشِ نفس غداة أترابـها تـحت التّـراب

«تحتذون أمثلتهم» في (الصحاح): احتذى مثاله أي: اقتدى به[٥].

«وتركبون قدّتهم» في (الصحاح): القدّة: الطريقة.

«وتطؤون جادّتهم»[٦] في (الصحاح): الجُدُدُ: الأرض الصلبة، والجـادّة: معظم الطريق[٧].

---

(١) الصحاح: (عبا).

(٢) المدثر: ٣٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٢: ٣٦٦.

(٤) ديوان أمير المؤمنين: ٧٩.

(٥) الصحاح: (حذا).

(٦) الصحاح: (قدَدَ).

(٧) الصحاح: (جدد).

«فالقلوب قاسية عن حظّها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها» قال تعالى: ﴿ولدينا كتابٌ ينطق بالحقّ وهم لا يظلمون* بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا ولهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون﴾[1].

«كأنّ المَعْنِيَّ سواها»

والموت يأتي بعد ذلك كلّه وكأنّه يعني بذاك سوانا

«وكأنّ الرُّشد في إحراز دنياها» فيؤمّنون معاشهم ويخوّفون معادهم مع أنّه يجب أن يقولوا: (اللّهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدّنيا أكبر همّنا) وفي (الروضة) عن جابر الأنصاري: «مرّ بنا النبي صلى الله عليه وآله حين رجع من حجّة الوداع وهو على ناقته ونحن في نادينا فوقف وقال: «مالي أرى حبّ الدّنيا غَلَبَ على كثيرٍ من الناس حتّى كأنّ الموت في هذه الدنيا على غيرهم كُتِب، وكأنّ الحقّ في هذه الدّنيا على غيرهم وَجَبَ؛ وحتّى كأنّ لم يسمعوا ويروا الأموات قبلهم، سبيلهم سبيل قوم سفرٍ عمّا قليلٍ إليهم راجعون يُبوّئونهم أجداثهم ويأكلون تراثهم فيظنّون أنّهم مخلّدون بعدهم. هيهات هيهات! ما يتّعظ آخرهم بأوّلهم لقد جهلوا ونسوا كلّ واعظٍ في كتاب الله وأمِنُوا شرّ كلّ عاقبة سوءٍ، ولم يخافوا نزول فادحةٍ وبوائق حادثةٍ[2]...».

قوله عليه السلام: **«أم هذا الذي أنشأهُ في ظلمات الأرحام»** في الآية السادسة من سورة الزمر ﴿يخلقكم في بطون أُمّهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون﴾[3].

«وشغُفِ الاستار» في (الصحاح): «الشغاف: غلاف القلب وهو جلدة دونه

---

(١) المؤمنون: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) الكافي للكليني ٨: ١٦٨ ح ١٩٠.

(٣) الزمر: ٦.

كالحجاب» والمراد بها البطن والرحم والمشيمة[١].

«نطفةً دهاقاً» قيل: ويروى (دفاقاً) وهو الأنسب لفظاً. قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان ممَّ خُلِقَ* خُلِقَ من مآءٍ دافقٍ﴾[٢]، وإلّا فالدّهاق أيضاً يأتي بمعناه، ففي (الصحاح): (أدهقت الماء أفرغته إفراغاً شديداً)[٣] كما يأتي بمعنى الإمتلاء، كما في قوله تعالى: ﴿وكأساً دهاقاً﴾[٤] وحيث أنّ المراد نطفة في الرّحم، فالدّهاق بمعنى الإمتلاء أنسب معنىً لأنّ فيه تجتمع نطفة الرّجل والمرأة قال تعالى: ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ...﴾[٥]، وقال عزّوجلّ: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾[٦].

«وعلقةً محاقاً» يجوز في ميم المحاق الحركات الثلاث، والمحق: تلف الشيء ونقصانه كما في (الجمهرة)[٧]، فإن قيل: إنّ المحق لا يختصّ بالعلقة، بل يلحق النطفة قبلها والمضغة بعدها وإنّما لا يلحق العظام، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ* ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكينٍ* ثمَّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٨]. فلِمَ اقتصر فيه عليها؟

قلت: لأنّه عليه السلام اقتصر من مراتب التحوّل على النطفة والعلقة ووصف النطفة بالدّهق فبقى المحق للعلقة، فإن قيل: لِمَ اقتصر عليه السلام عليهما مع تعدّد

---

(١) الصحاح: (شغف).

(٢) الطارق: ٥ ـ ٦.

(٣) الصحاح: (دهق).

(٤) النبأ: ٢٤.

(٥) الإنسان: ٢.

(٦) الطارق: ٧.

(٧) الجمهرة لابن دريد: ٥٦٠ (قحم).

(٨) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

التحوّلات حسبما ذكر في تلك الآية؟

قلت: لأنّه اقتصر بهما على خلق الإنسان في مواضع أُخر دون المضغة وما بعدها، قال تعالى: ﴿خلق من ماءٍ دافق﴾[١] وقال: ﴿من أيّ شيءٍ خلقه* من نطفةٍ خلقه...﴾[٢]، ﴿خلق الإنسان من علق﴾[٣].

فإن قيل: لِمَ جعل العاطف في تلك الآية في جعل النطفة في قرارها وفي خلقها علقة (ثمّ) وفي خلق العلقة مضغة وخلق المضغة عظاماً وكسوة العظم اللّحم (الفاء) مع أنّ المدّة في صيرورة النطفة علقة ـ أربعين يوماً كما في كلٍّ من صيرورة العلقة مضغة ـ والمضغة عظاماً وكسوة العظام اللّحم، ولذا قال القميّ بعد الآية: ستّة أجزاء وستّ استحالات وفي كلّ جزء واستحالة دِيَة محدودة ـ ففي النّطفة عشرون ديناراً، وفي العلقة أربعون، وفي المضغة ستّون، وفي العظم ثمانون، وفي كسوته مائة، فإذا استهلّ فالدِيَة كاملة.

قلت: ليس المراد بجعل النّطفة في قرارها الرّحم بل الصّلب والترائب، وبين النطفة ثمّة وصيرورتها بعد انتقالها في الرحم علقة مدّة متراخية فأتى بثمّ كما أنّ في صيرورة السلالة ـ وهي الخلاصة من الطعام ـ نطفة، أيضاً مدّة متراخية، أمّا إنشاؤه خلقاً آخر؛ بمعنى نفخ الرّوح فيه وإن كان بعد كسوة العظام اللحم بلا فصل إلّا أنّه لما كان من وادٍ اخر أتى أيضاً بثمّ.

«وجنيناً» الجنين: الولد ما دام في البطن، والجمع الأجنّة قال تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّة في بطون أُمّهاتكم فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾[٤].

---

(١) الطارق: ٦.

(٢) عبس: ١٨ ـ ١٩.

(٣) العلق: ٢.

(٤) النجم: ٣٢.

«وراضعاً» قال تعالى: ﴿والوالدات يُرضِعْن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرَّضاعة وعلى المولود له رزقهنّ وسكوتهنّ بالمعروف﴾[١]، ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[٢]. ويستفاد من الجمع بين الآيتين أقلّ مدّة الحمل وهو ستّة أشهر ـ إذا أتمّت الرّضاعة حولين ـ وأكثرها ـ وهو تسعة أشهر ـ إذا لم تتمّ واقتصر على أحد وعشرين شهراً[٣].

«وليداً ويافعاً» في (فقه لغة الثعالبي): «قال ابن الأعرابي: يقال للصبي إذا ولد: رضيع وطفل ثم فطيم ثم دارج ثمّ حفر ثمّ يافع ثم شرخ ثم مطبخ ثم كوكب (أيضاً) ما دام في الرحم فهو جنين وإذا ولد فهو وليد وما دام لم يستتمّ سبعة أيّام فهو صديغ لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام السبّعة وما دام يرضع فهو رضيع ثم إذا قطع عنه اللّبن فهو فطيم ثمّ إذا غلظ وذهبت عنه فزارة الرّضاع فهو جحوش» والمفهوم منه أنّ الوليد في أوّل التولّد مع أنّ كلامه عليه السلام دالّ على أنّه بعد الرّضاع[٤].

«ثمّ منحهُ قلباً حافِظاً» أي: أعطاه.

«ولساناً لافظاً» هكذا في (المصرية)[٥]، وفيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد)[٦] و ابن ميثم[٧] و الخطية)[٨] بعده.

«وبصراً لاحظاً» قال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين* ولساناً وشفتين*

---

(١) البقرة: ٢٣٨.

(٢) الاحقاف: ١٥.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٣٠.

(٤) فقه اللغة للثعالبي: ١٩ ب ١٤.

(٥) الطبعة المصرية المصححة: وردت فيها العبارة، راجع صفحة ١٩٦.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٦٩.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٦١.

(٨) النسخة الخطية: ٥٣.

وهديناه النجّدين﴾[١].

«ليفهم معتبراً» قال تعالى: ﴿يقلّبُ الله الليل والنّهار إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[٢]، ﴿والله أخرجكم من بطون أُمّهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون﴾[٣].

«وَيُقصِرَ مُزدَجِراً» في (الصحاح): «أقصرت عنه: كففت ونزعت مع القدرة، والزّجر: المنع والنّهي، يقال زجره وازدرجه فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ»[٤] ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزدَجَر﴾[٥].

«حتّى إذا قام اعتداله واستوى مثاله» ورد في (الصحاح): استوى الرّجل إذا انتهى شبابه[٦].

«نَفَرَ مستكبراً» في (الصحاح): نفار الشيء من الشيء: تجافيه عنه وتباعده منه[٧].

«وخبط سادراً» في (الصحاح): «خبط البعير الأرض بيده: ضربها، ومنه قيل: (خبط عشواء) وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئاً[٨]، والسادر: المتجبّر والّذي لا يبالي ما صنع. في الخبر في تفسير قوله تعالى: ﴿أوَلَم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر﴾[٩] إنّه توبيخ لابن ثماني عشر

---

(١) البلد: ٨ ـ ١٠.

(٢) النور: ٤٤.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) الصحاح: (قصَرَ).

(٥) القمر: ٤.

(٦) الصحاح: (سوا).

(٧) الصحاح: (نفر).

(٨) الصحاح: (خبط).

(٩) فاطر: ٣٧.

سنة[١]، وقال تعالى: ﴿أولَمْ يَرَ الإنسان أنّا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبين* وضربَ لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يُحيي العظام وهي رميم* قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّةٍ وهو بكلّ خلقٍ عليم﴾[٢]، ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾[٣].

«ماتحاً في غرب هواه» المتح: الاستقاء، والغرب بالتّحريك: الدّلو العظيمة ـ قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتّخذ الههُ هواه﴾[٤].

«كادحاً سعياً لدنياه» في (الصحاح): الكدح: العمل والسعي والخدش والكسب يقال: هو يكدح في كذا، أي: يكدّ[٥].

«في لذّات طربه» قال تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية بَطِرَت معيشتها فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلّا قليلاً وكنّا نحن الوارثين﴾[٦].

وفي (الأغاني): قيل لأبي طمحان القيني، وكان فاسقاً: ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدّير نزلت بديرانيّة فأكلت عندها طفيشلاً بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساها ثمّ انصرفت عنها ـ والطفيشل: نوع من المرق[٧].

وفيه: اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن اياس وجمع، فشربوا أيّاماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلةً وهم سكارى: وَيْحَكم! ما صلّينا منذ ثلاثة أيّام، فقوموا بنا

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٤: ٢٤٨ (الجزء ٢٢).

(٢) يس: ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) بني اسرائيل: ٦٧.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) الصحاح: (كدح).

(٦) القصص: ٥٨.

(٧) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣ : ٧.

حتّى نصلّي، فقالوا: نعم، فقام مطيع فأذّن وأقام، ثمّ قال: من يتقدّم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع للمغنيّة: تقدّمي فصلّي بنا. فتقدّمت تصلّي بهم، عليها غلالة رقيقة مطيّبة بلا سراويل، فلمّا سجدت بان هنها، فوثب مطيع وهي ساجدة؛ فكشف عنه وقبّله، فقطعوا صلاتهم وضحكوا وعادوا إلى مشربهم![١]

«وبدوات أربهِ» في (الصحاح): «بدا له بداءً، أي: نشأ له فيه رأي، وهو ذو بدوات»[٢] والأرب: الحاجة ـ قال أبو الطّمحان:

الا عـلّلاني قـبل نـوح النّـوائـح وقبل نشوز النفس بين الجوانـحِ

وقبل غدٍ يالهفَ نفسي عـلى غـدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائـحِ[٣]

«لا يحتسب رزيّةً» الأصل في الرزّيّة الهمز، قال الجوهري: ـ المرزئة: المصيبة وكذلك الرزيئة، والجمع الرزايا[٤]، قال تعالى: ﴿وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾[٥].

«ولا يخشع تقيّةً» ﴿ألم يأنِ للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقِّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾[٦].

«فمات في فتنته» أي: مفتونيّته، وعكسه قالوا في ﴿بأيّكم المفتون﴾[٧] المفتون بمعنى الفتنة.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣: ٣٢٦.

(٢) الصحاح: (بدا).

(٣) الأغاني ١٣ : ١٢.

(٤) الصحاح: (رزأ).

(٥) الزمر: ٤٧.

(٦) الحديد: ١٦.

(٧) القلم: ٦.

«غريراً» أي: مغروراً غافلاً.

«وعاش في هفوته» أي: زلّته.

«يسيراً» جعله (الخوئي) ظرف زمان، أي: زماناً يسيراً، والأقرب كونه مصدراً أي: عاش عيشاً يسيراً.

«لم يُفد عوضاً» من حياته التي سلبت منه.

«ولم يقضِ مُفترَضاً» ممّا فرضه خالقه عليه، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿قُتل الإنسان ما أكفره* من أيّ شيء خلقه* من نطفةٍ خلقه فقدّره* ثمَّ السبيل يسّره* ثم أماته فأقبره* ثمّ إذا شاء أنشره* كلّا لمّا يقض ما أمره﴾[١].

«دهمته المنيّة» أي: فاجأه الموت.

«في غبرّ جماحه» في (الجمهرة): غبر كلّ شيء باقيه وكذلك غبّره ـ والجَمُوح من الرّجال: الّذي يركب هواه فلا يمكن ردّه[٢] قال الشاعر:

خلعت عذاري جامحاً ما يردّني

عن البيض أمثال الدّمى زجر زاجر[٣]

«وسنن مراحهِ» في (الصحاح): امض على سَنَنِك وسُننِك أي: على وجهك، والمرح شدّة الفرح والنشاط والاسم المِراح بكسر الميم[٤].

«فظلّ سادراً» أي: يُمضي نهاره بالتحيّر.

«وبات ساهراً» أي: يقضي ليله بعدم النوم.

«في غمرات الآلام» أي: شدائد الأوجاع.

---

(١) عبس: ١٧ ـ ٢٣.

(٢) الجمهرة لابن دريد: ٣٢٠ (رغب).

(٣) ابن منظور، لسان العرب ٢: ٣٤٦.

(٤) الصحاح: مادة (سنن).

«**وطوارق الأوجاع والأسقام**» في (الصحاح): أتى فلان طروقاً أي: بليل[١].

«**بين أخٍ شقيقٍ**» في (الصحاح): إذا انشقّ الشيء بنصفين فكلّ نصف شقيق الآخر ومنه قيل (فلان شقيق فلان) أي: أخوه[٢].

«**ووالدٍ شفيق**» أي: عطوف. في (الأغاني): مات ابنٌ لإرطأة بن سُهية فجزع عليه حتّى كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا يفارقه حوْلاً وقال:

هل أنت ابن سلمى إن نظرتك رائح   مع الرّكب أو غاد غداة معي

وعن أبي عبيدة، أنّ ارطأة كان يجيء الى قبر ابنه عَشِيّاً فيقول: هل أنت رائح معي يا ابن سلمى؟ ثمّ ينصرف، فيغدو عليه، ويقول له مثل ذلك حولاً، ثمّ تمثّل قول لبيد:

الى الحَوْلِ ثمّ اسم السّلام عليكما   ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر[٣]

«**وداعيةٍ بالويل جزعاً**» من أُمّه وأُخته.

«**ولادمةٍ للصدر قلقاً**» من امرأته وابنته، وفي (الصحاح): «لدمت المرأة وجهها: ضربته والتدام النّساء ضربهنّ صدورهنّ في النّياحة وامّ ملدم، كنية الحُمّى»[٤].

«**والمرء في سكرةٍ ملهيةٍ**» عن أُمّه وأبيه وامرأته وبنيه؛ وفي روايةٍ (ملهثةٍ) وهو أقرب لفظاً الى قوله بعد (كارثة)، والملهثة: المعطشة.

«**وغمرةٍ كارثةٍ**» أي: شدّة بالغة النّهاية قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون

---

(١) الصحاح: (طرق).

(٢) الصحاح: (شقق).

(٣) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) الصحاح: (لدم).

عــذاب الهــون بـما كـنتم تـقولون عـلى الله غـير الحـقّ وكـنتم عـن آيـاته تستكبرون﴾[١] وقوله: (كارثة) يردّ قول الأصمعي «لا يقال كَرَثَهُ بـل أكْـرَثَهُ وكذلك يردّه قول رؤبة (وقد يجلي الكرب الكوارث)

«وأنّةٍ مـوجعةٍ» للـعوّاد، قـال ذو الرّمّـة: (كـما أنّ المـريض الى عـوّاده الوصب)[٢].

«وجذبةٍ مكربةٍ» قال ابن ميثم أي: جذب الملائكة للـروح وتـلك الجـذبة تعود الى ما يجده الميّت حال النزع وهو عبارة عـن ألم يـنزل بـنفس الروح فيستغرق جميع أجزائه المنتشرة في جميع أعماق البدن من كلّ عرق وعصب وجزء، ومن أصل كلّ شعرة وبشرة، ولا تسألنَّ عن بدنٍ يُجذَبُ منه كلّ عرق من عروقه وقد يمثّل ذلك بشجرة شوك أُدخلت في البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة[٣].

«وسَوْقَةٍ متعبة» في (الكافي) عن الصـادق عليه السلام: إنّ المـيت إذا حـضره المـوت أوثـقه مَـلَك المـوت ولولا ذلك مـا اسـتقرّ[٤]. وعـن البـاقر عليه السلام فـي قــوله تــعالى: ﴿وقــيل مـن راق﴾[٥]: إنّ ابـن آدم إذا حـلّ بـه المـوت قـال هل من طبيب، ﴿وظـنّ انـه الفـراق﴾[٦] وأيـقن بـمفارقة الأحـباب ﴿والتـفّت السـاق بالسّـاق﴾[٧] إلتفّت الدّنيا بـالآخرة ثـم ﴿إلى ربّك يـومئذٍ المسـاق﴾[٨]

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١: ٢٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٦٤.

(٤) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح ٢.

(٥) القيامة: ٢٧.

(٦) القيامة: ٢٨.

(٧) القيامة: ٢٩.

(٨) القيامة: ٣٠.

المصير إلى ربّ العالمين[1].

«ثُمَّ أُدرجَ في أكفانه مُبلساً» يقال: أبْلَسَ فلان؛ إذا سكت غمّاً.

«وجذب منقاداً سلساً» في (الطبري) لمّا دخل المنصور آخر منزلٍ نزله من طريق مكة، نظر في صدر البيت الّذي نزل فيه فإذا مكتوب فيه:

أبا جعفر حانت وفاتُك وانقضت سنوك وأمر الله لابدّ واقعُ

أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجّمٌ لك اليوم من حرّ المنية مانعُ

فدعا بالمتولّي لإصلاح المنازل فقال له: ألم آمرك ألّا يدخل المنزل أحد من الدّعار! قال: والله! ما دخله أحد منذ فرغ منه، فقال؛ إقرأ ما على صدر البيت مكتوباً، قال: ما أرى شيئاً فدعا برئيس الحجبة فقال: إقرأ ما على صدر البيت، قال: ما أرى شيئاً. فالتفت إلى حاجبه فقال: إقرأ لي آية من كتاب الله فتلا: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾[2] فأمر بفكيّه فوجئا، وقال له ما وجدت شيئاً تقرأه غير هذه الآية؟ فأمر بالرّحيل عن ذاك المنزل تطيّراً وركب فرساً فلّما كان في الوادي الّذي يقال له سقر ـ وكان آخر منزل بطريق مكّة ـ كبا به الفرس فدقّ ظهره ومات فدفن ببئر ميمون. قال الرّبيع لما قضى المنصور، أمرت بالخيم فضُرِبت وبالفساطيط فهُيّئت، وعمدت إلى المنصور فألبسته الطويلة والدّرّاعة وسندته وألقيت في وجهه كلّة رقيقة يرى منها شخصه ولا يفهم أمره وأدنيت أهله من الكلّة، حيث لا يعلم بخبره ويرى شخصه؛ فوقفت بالموضع الذي أوهمتهم أنّه يخاطبني ثمّ خرجت فقلت: إنّ الخليفة مفيق ويقول أحبّ أن تجدّدوا بيعة المهدي فلم يبقَ أحد إلّا بايع! ثمّ دخلت وخرجت مشقوق الجيب لاطماً رأسي، فقال بعض من حضر ويلي

(١) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣٢.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

عليك ابن شاة ـ يريد الربيع لأنّ أُمّه ماتت في رضاعه فارضعته شاة ـ فبلغ المهدي ما فعلت، فقال: يا عبد! ألم يمنعك جلالة الخليفة أن فعلت ما فعلت به. قال محمّد النوفلي دخلنا وهو على سريره في أكفانه مكشوف الوجه فحملناه حتّى أتينا به مكّة ثلاثة أميال فكأنّي أنظر إليه أدنو من قائمة سريره نحمله فتحرّكت الرّيح فتطير شعر صدغيه وذلك أنّه قد وفّر شعره للحلق حتى أتينا به حفرته[١].

«**ثم ألقيَ على الأعواد**» المراد بالأعواد: الجنازة، وفي (الجمهرة): (وذو الأعواد رجل من العرب كان قد أسنّ وهو الذي قرعت له العصا وكانت العرب تتحاكم إليه وكان يحمل في محفّة فسمّي ذا الأعواد لذلك، وصار مثلاً؛ قال الأسود بن يعفر:

ولقد علمت خلاف ما نبّأتني   انّ السبيل سبيل ذي الأعواد[٢]

«**رجيعَ وصبٍ**» في (الصحاح): ـ الرجيع من الدّوابّ ما رجعته من سفر إلى سفر وهو الكالّ والأُنثى الرجيعة والجمع الرجائع، والوصب: المرض[٣].

«**ونِضْوِ سقمٍ**» في (الصحاح): النضو بالكسر: البعير المهزول والجمع أنضاء[٤].

«**تحمله حفدة الولدان**» في (الصحاح): الحفدة: الأعوان والخدم وقيل ولد الولد[٥].

«**وحشدة الإخوان**» في (الصحاح): رجل محشود؛ إذا كان الناس

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦: ٣٤٥.

(٢) الجمهرة لابن دريد ٢: ٦٦٧ . وجاء ذكر بيت الشعر في لسان العرب أيضاً ٩: ٤٦٢ .

(٣) الصحاح: (رجع) .

(٤) الصحاح: (نضا) .

(٥) الصحاح: (حَفَدَ) .

يستخفّون لخدمته لأنّه مطاع فيهم[١].

«إلى دار غربته» في دعاء أبي حمزة: وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي[٢].

«ومنقطع زورته» (منقطع) اسم المكان، والزّورة: مصدر زاره، كالزّيارة، وفي ذلك الدّعاء وجد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي[٣].

«حتى إذا انصرف المشيّعُ» لجنازته.

«ورجع المفجَّع» هكذا في (المصرية)[٤]، ونقله (ابن أبي الحديد[٥] و ابن ميثم[٦] و الخوئي) (المتفجّع)[٧] وهو الصحيح، فالمفجّع: الموت وإنّما من يتوجّع للميّت هو المتفجّع ولا يصحّ إطلاق المفجّع عليه بدون التاء إلّا مع تشديد الفاء بأن يكون معلّل المتفجّع. وفي (فهرست النجاشي) في محمد بن أحمد بن عبدالله البصري الشاعر، وله شعر كثير في أهل البيت عليهم السلام يذكر فيه أسماء الأئمة عليهم السلام ويتفجّع على قتلهم حتى سمّي المفّجّع[٨] وقد قال في بعض شعره:

إن يكن قيل لي المفّجّع نبزاً فلعمري أنا المفّجّع همّا

«أُقعدَ في حفرته نجيّاً» في (الصحاح): النجيّ على فعيل: الّذي تسارّه لبهتة السّؤال. في (المصباح): (بُهِت بالضمّ والكسر دُهِش وتحيّر وبَهَته بالفتح

---

(١) الصحاح: (حَشَدَ).

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، عباس القمي: ٣٥١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥١.

(٤) في الطبعة المصرية المصححة [المتفجّع]: ١٩٧.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٠.

(٦) شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٠، الخطبة ٦٠.

(٧) شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي ٦: ٢٦.

(٨) رجال النجاشي للطوسي: ٣٦٤.

يَبْهَتُه بالفتح فبُهت[1] (بالبناء للمفعول)[2] وبهتة السّؤال، من إضافة الصّفة أي: لسؤال باهت.

«وعثرة الامتحان» والعثرة: الزلّة ـ وفي (مسألة قبر الكافي) عن الصادق عليه السلام: يجيء المَلَكان حين يدفن، أصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطّان الأرض بأنيابهما ويطآن في شعورهما ويسألان الميّت، من ربّك؟ وما دينك؟ فإذا كان مؤمناً قال: الله ربّي ـ إلى أن قال ـ فيقولان له: نَمْ نومة لا حلم فيها ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب إلى الجنّة ويرى مقعده فيها، وإذا كان الرّجل كافراً دخلا عليه وأُقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرّجل الّذي بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري! فيخلّيان بينه وبين الشيطان فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً لو أنّ واحداً منها نفخ في الأرض ما أنتبت شجراً أبداً! ويفتح له باب إلى النّار ويرى مقعده فيها[3].
وعنه عليه السلام: إنّ المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره، يزدحمون عليه، وتقول له الأرض: مرحباً بك وأهلاً! أما والله؛ لقد كنت أحبّ أن يمشي عليّ مثلك، لترينّ ما أصنع بك، فيوسع له مدّ بصره، ويدخل عليه في قبره مَلَكا القبر ـ إلى أن قال ـ فيقولان ومن إمامك؟ فيقول فلان فينادي منادٍ من السماء صدق عبدي أفرشوا له من الجنّة، وافتحوا له باباً الى الجنّه وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا وما عندنا خير له، ثمّ يقال له: نَمْ نومة العروس، وإن كان كافراً تلعنه الملائكة الى قبره، وتقول له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما

---

(١) الصحاح: (نجا).

(٢) المصباح المنير للفتوري: ٨٠، مادة (بهت).

(٣) الكافي للكليني ٣: ٢٣٦ ح ٧.

والله؛ لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك لا جرم لترينّ ما أصنع بك اليوم فتضيّق عليه حتى تلتقي جوانحه ثم يدخل عليه مَلَكا القبر فيقعدانه ويلقيان فيه الروّح الى حقويه، فيقولان له مَنْ ربُّك؟ ـ إلى أن قال ـ ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً والشّيطان يغمّه غمّاً ويسمع عذابه من خلق الله إلّا الجنّ والإنس وإنّه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم[1] وهو قوله تعالى: ﴿يُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلُّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[2]. هذا وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام: «أُقعد في حفرته نجيّاً» تصريح بعذاب القبر وقال قاضي القضاة: أنكر المعتزلة أن يكون عذاب القبر دائماً، والأقرب في الأخبار أنّه في الأوقات المقارنة للدّفن؛ والذي أعرفه من مذهب كثير من شيوخنا قبله أنّه يكون بين النفختين[3]، قلت لنا أمران: سؤال، وعذاب وثواب، فالسؤال إنّما يكون بعد الدفن، ويدلّ عليه كلامه عليه السلام هنا «حتى إذا انصرف المشيّعُ ورجع المفجّع أُقعد في حفرته نجيّاً» وأمّا الثواب والعقاب فيدومان من الدفن الى يوم البعث! ففي خبر أبي بكر الحضرمي عن الباقر عليه السلام قال: فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويفتح للكافر باب من النار ولا يزال يتحفه من حرّها الى يوم القيامة، وأخبارنا دالّة على أنّ السؤال مختصّ بالمؤمن المحض، والكافر المحض والباقون يهملون إلى يوم القيامة، روى ذلك الكافي في خبر عن أبي بكر الحضرمي عن الباقر عليه السلام وفي آخر عن الصادق عليه السلام، وفي خبر عن بكير عن الباقر عليه السلام، وفي خبر عن محمّد بن مسلم، وفي آخر عن عبدالله بن سنان عن

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٣٩ ح ١٢.

(٢) ابراهيم: ٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٤.

الصادق عليه السلام؛ فلابدّ من تقييد المطلقات[1]، روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: يُسأل الميّت في قبره عن خمس، عن صلاته وزكاته وحجّه وصيامه وولايته أهل البيت؛ فتقول الولاية من جانب القبر للأربع مادخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه[2] وعنه عليه السلام أنّ المؤمن إذا دخل في قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبِرّ مظلّ عليه ويتنحّى الصبر ناحية فإذا دخل عليه المَلَكان قال الصبر للصلاة والزكاة دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا دونه، هذا وورد عذاب غير مترتب على السؤال وهو الضغطة[3] ففي (الكافي) عن أحدهما عليه السلام لمّا ماتت رقيّة بنت النبي صلى الله عليه وآله قال: إلحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه، وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر والنبيّ صلى الله عليه وآله يتلقّاه بثوبه وقال: إنّي لأعرف ضعفها وسألت الله تعالى أن يجيرها من ضمّة القبر[4]؛ وعن الصادق عليه السلام قال: ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر! إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف النبي صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس ذكرت هذه ومالَقِيَت، ورققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر[5]؛ وروى أنّ النبي صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد بن معاذ وقد شيّعه سبعون ألف مَلَك فرفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثم قال: مثل سعد يضمّ! قيل: أيستخفّ بالبول؟ قال: معاذ الله! إنّما كان في زعارة من خُلُقه على أهله، وعنه عليه السلام: سئل هل يعذّب المصلوب عذاب القبر، فقال عليه السلام: إنّ الله يأمر الهواء أن يضغطه ضغطة أشدّ من عذاب القبر؛ إنّ ربّ الأرض هو

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٣٧ ح٨، رواه عن الحضرمي ونقله المجلسي في البحار ١: ٢٦٢.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٤١ ح١٥ وفيه: وولايته إيّانا أهل البيت.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٢٤٠ ح١٣.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٤١ ح١٨.

(٥) المصدر نفسه ٣: ١٣٦ ح٦.

ربّ الهواء[١]، وفي اعتقادات الصدوق ـ وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجام ويكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب التي لم تكفّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة النزع عند الموت؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه وحمل جنازتها على عاتقه ولم يزل تحت جنازتها حتّى أوردها قبرها واضطجع فيه؛ ثم قام فأخذها على يديه حتّى وضعها في القبر؛ ثم انكبّ عليها يناجيها طويلاً ويقول لها: ابنك ابنك! ثمّ خرج وسوّى التراب عليها ثم انكبّ على قبرها وهو يقول: (لا إله إلّا الله اللّهم إنّي استودعها إيّاك) فقال له المسلمون: رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إن كانت ليكون عندها شيء فتؤثرني به على نفسها وولدها وإنّي ذكرت يوم القيامة وحشر الناس عراة فقالت: واسوأتاه! فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضغطتاه! فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكببت عليها فلقّنتها ما تُسأل عنه، وإنّها سُئلت عن ربّها فأجابت، وعن نبيّها فأجابت، وعن إمامها فارتجّ عليها فقلت: ابنك! ابنك! فقالت: ولدي إمامي فانصرفا عنها وقالا: لا سبيل لنا عليك نومي كما تنام العروس في خدرها ثمّ ماتت موتة ثانية، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين...﴾[٢].

«وأعظم ما هنالك بليّةً نزول» هكذا في (المصرية) والصواب: (نزل) كما

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٣٦ ح٦.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٣٧، والآية ١١ من سورة المؤمن.

في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطية)[1] وأيضاً الحميم ليس مكاناً ينزل بل شراب أهل العذاب.

«الحميم وتصلية الجحيم» في (اعتقادات الصدوق) (اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حقّ فمن أجاب بالصواب فاز برَوْح وريحان في قبره وبجنّة نعيم في الآخرة، ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة[2].

«وفورات السّعير» في (الصحاح): (فارت القدر تفور فوراً وفوراناً: جاشت) ومنه قولهم: (ذهبت في حاجة ثمّ أتيت من فوري) أي: من قبل أن أسكن، وفورة الحرّ: شدّته والسعير: النار)[3] ﴿وللذين كفروا بربّهم عذابُ جهنّم وبئس المصير۝ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور۝ تكاد تميّز من الغيظ كلّما أُلقي فيها فوجٌ سألهم خزنتها ألم يأتِكم نذيرٌ۝ قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلالٍ كبيرٍ۝ وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير۝ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير۝﴾[4].

«وسورات الزّفير» في الصحاح: (سورة الشّراب: وثوبه في الرأس، وسورة السلطان: سطوته واعتداؤه)[5]، قال تعالى: ﴿وأعتدنا لمن كذّب بالسّاعة سعيراً۝ إذا رأتهم من مكان بعيدٍ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً* وإذا ألقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً

---

(١) الطبعة المصرية المصححة: ١٩٨، وابن أبي الحديد ٦: ٢٧٠، وابن ميثم ٢٠: ٢٦٠ (نزول) والنسخة الخطية: ٥٤.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٣٧.

(٣) الصحاح: (فور).

(٤) الملك: ٦ ـ ١١.

(٥) الصحاح: (سَوَرَ).

وادعوا ثبوراً كثيرا﴾[١] لكن فقرة «وسورات الزّفير» تفرّدت بها (المصرية) وليست في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطية)[٢].

«لا فترةٌ مريحةٌ» الفترة: الإنكسار والضعف يقال: فتر الحرّ؛ ويقال أراحه الله فاستراح، في سورة الزخرف: ﴿إنَّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾[٣].

«ولا دعَةٌ مزيحةٌ» في (الصحاح): الدّعة: الخفض، والهاء عوض من الواو تقول منه وَدُعَ الرّجل بالضم فهو وديع أي: ساكن؛ ورجل متّدع: صاحب دعة وراحة؛ وزاح الشيء: بعُد وذهب وأزاحه غيره[٤].

«ولا قوّةٌ حاجزةٌ» أي: مانعة، قال تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر، فماله من قوّةٍ ولا ناصر﴾[٥].

«ولا موتةٌ ناجزةٌ» في (الصحاح): نِجز الشيء بالكسر أي: انقضى وفني، والنّاجز: الحاضر؛ يقال: بعته ناجِزاً بناجِزٍ كقولك: يداً بيدٍ[٦]... قال تعالى: ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا﴾[٧] ﴿ونادَوْا يا مالك ليقضِ علينا ربّك قال إنّكم ماكثون﴾[٨].

«ولا سِنَةٌ مُسْلِيةٌ» في الصحاح: الوَسَن: النّعاس، والسِّنة مثله، وسلّاني

---

(١) الفرقان: ١١ ـ ١٤.

(٢) لا وجود للعبارة في الطبعة المصرية المصححة: ١٩٨، ووردت في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٠، والنسخة الخطية: ٥٤٠.

(٣) الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦.

(٤) الصحاح: (ودع).

(٥) الطارق: ٩ ـ ١٠.

(٦) الصحاح: (نجز).

(٧) فاطر: ٣٦.

(٨) الزخرف: ٧٧.

من همّ تسليةً وأسلاني أي: كشفه[١]، قال تعالى: ﴿ولا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفورٍ، وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[٢].

«بين أطوار الموتات» ﴿ويتجنّبها الأشقى الّذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾[٣] ولما ألبس امرؤ القيس حلّة مسمومة وأشرف على الموت، قال:

فلو أنّها نفس تموت جميعةً ... ولكنّها نفس تساقط أنفساً[٤]

«وعذاب السّاعات» أي: ساعةً بعد ساعةٍ بلا انقطاع.

«إنّا بالله عائذون» قال تعالى ﴿والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً* إنّها ساءت مستقرّاً ومقاماً﴾[٥].

«عباد الله! أين الّذين عمّروا فنعموا» قال تعالى، في حقّ آل فرعون: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ، وزُروعٍ ومقامٍ كريمٍ* ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين* فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[٦] وفي ديوان الأعشى:

ألم تروا إرماً وعادا ... أودى بها الليل والنهار

بادوا، فلمّا، ان تادوا ... قفّى على آثارهم قدار

---

(١) الصحاح: (وَسَن).

(٢) فاطر: ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) الأعلى: ١١ ـ ١٣.

(٤) ديوان أمير المؤمنين: ٨٧.

(٥) الفرقان: ٦٥ ـ ٦٦.

(٦) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

وقـبلهم غـالت المـنايا طسما ولم ينجها الحذار
وحلّ بالحي من جـديس يومٌ من الشـرّ مسـتطار
وأهــل غــمدان جـمعوا للدّهر مـا يـجمع الخـيار
فصبّحتهم من الدواهـي جـائحة عـقبها الدّمـار
وقد غنوا في ظلال ملـك مـــؤيّد عــقلهم جـفار
وأهــل جـوّ أتت عـليهم فأفسدت عيشهم فـباروا
ومــرّ حــدّ عــلى وبـار فــهلكت جـهرة وبـار[١]

«وعُلّموا ففهموا» هكذا فـي جـميع النسـخ، ولابـدّ مـن كـونه تـصحيفاً لأنّه عليه‌السلام في مقام الذّم ولا يبعد كون (ففهموا) محرّف، (فوهموا) قال تعالى: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمي على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهُون بما كانوا يكسبون﴾[٢].

«وأنظروا فلَهَوْا» ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من الرحمن مُحْدثٍ إلّا استمعوه وهم يلعبون، لاهيةً قلوبهم﴾[٣]، ﴿لا يؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم، فيأتيهم بغتةً وهم لا يشعرون، فيقولوا هل نحن منظرون﴾[٤]، ﴿الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر، كلّا سوف تعلمون، ثمّ كلّا سوف تعلمون﴾[٥].

«وسلِموا فنَسُوا» ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[٦].

---

(١) ديوان الأعشى: ٨١.

(٢) فصلت: ١٧.

(٣) الأنبياء: ٢ ـ ٣.

(٤) الشعراء: ٢٠١ ـ ٢٠٣.

(٥) التكاثر: ١ ـ ٤.

(٦) الحشر: ١٩.

«أُمهِلوا طويلاً» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام: انّ الله تعالى أهبط مَلَكاً إلى الأرض فلبث فيها دهراً طويلاً ثمّ عرّج إلى السماء فقيل له ما رأيت فقال: عجائب! وأعجب ما رأيت عبداً متقلباً في نعمتك يأكل رزقك ويدّعي الربوبيّة فعجبت من جرأته عليك ومن حلمك عنه! قال تعالى له: من حلمي عجبت؟ قد أمهلته أربعمائة سنة لا يضرب عليه عرق ولا يريد من الدّنيا شيئاً إلّا ناله ولا يتغيّر عليه فيها مطعم ولا مشرب[1] وقال تعالى: ﴿فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً﴾[2]، ﴿وذَرني والمكذّبين أولي النعمة ومهّلهم قليلاً* إنَّ لدينا أنكالاً وجحيماً* وطعاماً ذا غصّةٍ وعذاباً أليماً﴾[3].

«ومُنِحوا جميلاً» أي: أُعطوا؛ وقال تعالى في قارون: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنُوأُ بالعصبة أولي القوّة...﴾[4] وفي الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرني ومن خلقت وحيداً* وجعلت له مالاً ممدوداً* وبنين شهوداً* ومهّدتُ له تمهيداً﴾[5]، وفي القرون الماضية: ﴿ألم يَروا كم أهلكنا قبلهم من قرنٍ مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾[6].

«وحذِّروا أليماً» أي: عذاباً اليماً؛ والأليم بمعنى المؤلم كما يأتي السميع بمعنى المسمع؛ وقال تعالى: ﴿وإن من أُمّةٍ إلّا خلا فيها نذيرٌ﴾[7]، ﴿وقال الّذين

---

(١) الخصال للصدوق: ٤١ ح ٣١.

(٢) الطارق: ١٧.

(٣) المزمل: ١١ ـ ١٣.

(٤) القصص: ٧٦.

(٥) المدثر: ١١ ـ ١٤.

(٦) الأنعام: ٦.

(٧) فاطر: ٢٤.

في النار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب* قالوا أولم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾[1]، ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ* ألّا تعبدوا إلّا الله إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ أليم﴾[2].

«ووُعِدوا جسيماً» أي: ثواباً جسيماً؛ قال تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون في ما قال لقومه: ﴿ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب﴾[3].

«احذروا الذنوب المورّطة» أورطه وورّطه: أوقعه في الورطه أي: الهلاك؛ وقال تعالى: ﴿كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويٌّ شديد العقاب﴾[4] ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مُدّكرٍ﴾[5]، ﴿ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّا مهلكوا أهل هذه القرية إنّ أهلها كانوا ظالمين* قال إنّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله إلّا امرأته كانت من الغابرين* ولمّا أن جاءت رسلنا لوطاً سِيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لا تخفْ ولا تحزنْ إنّا منجوّك وأهلك إلّا امرأتك كانت من الغابرين* إنّا منزِلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾[6].

«والعيوب المسخطة» ﴿فكيف إذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم

---

(١) المؤمن: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) هود: ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) المؤمن: ٤٠.

(٤) الأنفال: ٥٢.

(٥) القمر: ٥١.

(٦) العنكبوت: ٣١ ـ ٣٤.

وأدبارهم* ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾[١]، ﴿لعن الّذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه... لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون* ولو كانوا يؤمنون بالله والنبيّ وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكنّ كثيراً منهم فاسقون﴾[٢].

«**أولي الأبصار والأسماع والعافية والمتاع**» قال ابن ميثم: خصّ أولي المتاع؛ لأنّ أهل الاستمتاع بالدُّنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله.

قلت: بل خصّهم لأنّهم بالمتاع يتمكّنون من الإنفاق في سبيل الله حتّى يستحقّوا الدرجات الرفيعة[٣] قال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٤]. فكما أنّ كونهم أولي الأبصار والأسماع والعافية أنسب بتوجّههم لتحصيل الآخرة كذلك كونهم أولي المتاع، فإنّ الكلّ على مساقٍ واحدٍ وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول (الخوئي) أيضاً خصّ أولي المتاع بما منّ به عليهم من المتاع والأولاد الموجبة للإعراض عن العقبى والرغبة إلى الدّنيا[٥]... فإنّه وإن كانت علائق الدنيا من المال والولد

---

(١) محمّد: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) المائدة: ٧٨ ـ ٨١.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٨.

(٤) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

(٥) شرح نهج البلاغة للخوئي ٦: ٦٨.

موجبة لنسيان الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾[١] إلّا أنّه في مقام آخر، وحينئذٍ فكلامه عليه السلام هنا نظير ما ورد: (اغتنموا خمساً قبل خمس: وعدّ منها الغنى قبل الفقر).

«هل من مناصٍ أو خلاصٍ» في (الصحاح): (ناصَ عن قرنه ينوص نَوْصاً ومَناصاً أي: فرّ وراغ[٢] قال تعالى: ﴿ولاَت حين مناصٍ﴾[٣] أي: ليس وقت تأخّر وفرار، والمناص أيضاً الملجأ والمفرّ.

«أو معاذٍ أو ملاذٍ» اسما مكان من (عاذ يعوذ) و (لاذ يلوذ).

«أو فرارٍ أو محارٍ» المحار: المرجع؛ قال تعالى: ﴿فإذا برق البصر* وخسف القمر* وجُمع الشمس والقمر* يقول الإنسان يومئذٍ أين المفرّ* كلّا لا وزر* إلى ربّك يومئذٍ المستقرّ* ينبّأ الإنسان يومئذٍ بما قدّم وأخّر﴾[٤]. قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: قال ثمامة: سمعت جعفر بن يحيى يقول: (الكتابة ضمّ اللفظة إلى أختها، ألم تسمعوا إلى قول شاعرٍ لشاعر ـ وقد تفاخرا ـ: أنا أشعر منك؛ لأنّي أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمّه![٥] وناهيك حسنا قول علي عليه السلام: (هل من مناصٍ أو خلاصٍ أو معاذٍ أو ملاذٍ أو فرارٍ أو محارٍ).

«أم لا؟» ليس في (ابن أبي الحديد) ولكنّه في (ابن ميثم والخوئي المصرية)[٦]. وكيف كان قال تعالى: ﴿يبصرونهم يودُّ المجرم لو يفتدي

---

(١) التغابن: ١٥ .

(٢) الصحاح: (نوص).

(٣) صٓ: ٣.

(٤) القيامة: ٧ ـ ١٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٧، وكرّر في ١٣: ١٢٥ .

(٦) وردت العبارة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٥، كما وردت في شرح الخوئي ٦: ٦٥ والطبعة

من عذاب يومئذٍ ببنيه* وصاحبته وأخيه* وفصيلته التي تؤويه* ومن في الأرض جميعاً ثم يُنجيه* كلّا انّها لظى* نزّاعة للشّوى* تدعو من أدبر وتولّى* وجمع فأوعى﴾[١].

«فانّى تؤفكون» في (الصحاح): الأفك بالفتح مصدر أَفَكَهُ يأفكُه أي: قلبه وصرفه ومنه قوله تعالى ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عمّا وجدنا عليه آباءنا﴾[٢] وقال عروة بن أُذينة: إن تكُ عن أحسن الصنيعة مأفوكاً ففي آخرين قد أُفكوا، أي: إن لم توفّق لإحسان فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك، وقال أبو زيد: المأفوك المأفون: وهو الضعيف العقل والرّأي، وقوله تعالى: ﴿يؤفكُ عنه من أُفك﴾ قال مجاهد: أي: يؤفن عنه من أفن[٣]. قال تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثمَّ يعيده فانّى تؤفكون﴾[٤]، ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً انّ الله لذو فضلٍ على النّاس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[٥]، ﴿ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيءٍ لا إله إلّا هو فانّى تؤفكون* كذلك يؤفكُ الّذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾[٦]، ﴿يا أيُّها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون﴾[٧]، ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله فانّى يؤفكون﴾[٨].

المصرية: ١٩٩.

(١) المعارج: ١١ ـ ١٨.

(٢) الذاريات: ٩.

(٣) الصحاح: (أَفَكَ).

(٤) يونس: ٣٤.

(٥) المؤمن: ٦١.

(٦) المؤمن: ٦٢ ـ ٦٣.

(٧) فاطر: ٣.

(٨) الزخرف: ٨٧.

«أم أين تصرفون» ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله انّى يصرفون﴾[١].

«أم بماذا تغترّون» ﴿يا أيُّها الناس إنَّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور﴾[٢]، ﴿يا أيّها الناس اتقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعد الله حقٌّ فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور﴾[٣]، ﴿اعلموا انّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفراً ثمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٤] ﴿كلّ نفسٍ ذائقة الموت وإنّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدُنيا إلّا متاع الغرور﴾[٥].

«وإنّما حظّ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قيد قدّه» في (الصحاح): (تقول: بينهما قيد رمح ـ بالكسر ـ وقاد رمح، أي: قدر رمح[٦]، قال تعالى: ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾[٧]. قال المسعودي: بنى الزبير داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت ـ وهو سنة (٣٣٢) ـ تنزلها التجّار وأرباب الأموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم، وابتنى أيضاً دوراً

---

(١) المؤمن: ٦٩.

(٢) فاطر: ٥.

(٣) لقمان: ٣٣.

(٤) الحديد: ٢٠.

(٥) آل عمران: ١٨٥.

(٦) الصحاح: (قود).

(٧) الأنعام: ٩٤.

بمصر والكوفة والإسكندرية، وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً بحيث ذكرنا من الأمصار. وكذلك طلحة ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت بدار الطلحيين وكان غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل: أكثر، وبناحية سراة أكثر، وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والسّاج. وكذلك عبد الرحمن بن عوف، ابتنى داره ووسّعها، وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعده ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً. وذكر سعيد ابن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب والفضّة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار، وخلّف يعلى بن أُمية خمسمائة ألف دينار وديوناً على النّاس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار[١].

«مُتعفّراً» هكذا في (المصرية) والصواب[٢]: (منعفراً) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٣].

«على خدّه» في (الصحاح): (انعفر الشيء: تترّب؛ والخدّ في الوجه وهما خدّان)[٤] وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تدفن الميّت، فليكن أعقل من نزل في قبره عند رأسه، فليكشف خدّه الأيمن حتّى يفضي به الأرض، ويدني فمه إلى سمعه ويقول: إسمع، إفهم ـ ثلاث مرّات ـ الله ربُّك ومحمّد نبيّك، والإسلام دينك، وفلان إمامك، إسمع وافهم، أعد عليه

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده: ٦٤.

(٣) أورد ابن ميثم العبارة كالمصرية ٢: ٢٦٧ (متعفراً). الخطية كما أورد المصنف: ٥٥. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٧٥.

(٤) الصحاح: مادة (عفر).

ثلاث مرّات هذا التلقين[١].

«الآن عباد الله والخناق مهمل» في (الصحاح): وموضع الخناق من العنق فخنّق بالتشديد يقال: بلغ به المخنّق وأخذت بمخنّقه وكذلك الخُناق ـ بالضمّ ـ يقال: أخذ بخُناقه والخِناق ـ بالكسر ـ حبل يخنق به[٢]؛ وعلى ما ذكره فيجوز في قوله: (والخُناق مهملٌ) الضمّ أي الحلق مهمل لم يأخذه ملك الموت والكسر أي: الحبل مهمل لم يلقه ملك الموت على الحلق، والأوّل أظهر قال تعالى: ﴿كلّا إذا بلغت التراقي، وقيل من راقٍ وظنّ أنّه الفراق والتفّت الساقُ بالساق إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[٣].

«والروح مرسلٌ» في (الصحاح): الروح يذكّر ويؤنّث[٤].

«في فنية الإرشاد» في (الصحاح): (الفينات: الساعات، ويقال: لقيته الفينة بعد الفينة أي: الحين بعد الحين، وان شئت قلت: لقيته فينة بعد فينة)[٥]... ثمّ الصواب (في فينة الارتياد) كما نسبه ابن أبي الحديد إلى رواية فلا مناسبة للإرشاد هنا، بل للارتياد، وارتياد الكلأ طلبه؛ فيكون المراد: جُدّوا في ساعات يمكنكم فيها تحصيل خصب لئلّا تقعوا في جدب ولا معنى لأن يقال: اعملوا في أوقات يمكنكم فيها إرشاد غيركم.

«وراحة الأجساد» ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل اليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون، ان تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطتُ

---

(١) الكافي ٣: ١٩٥ ح ٥.

(٢) الصحاح: مادة (خنق).

(٣) القيامة: ٢٦.

(٤) الصحاح: (روح).

(٥) الصحاح: (فين).

في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين﴾[١]، ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو انّ لي كرّةً فأكون من المحسنين﴾[٢].

«وباحة الاحتشاد» في (الصحاح): باحة الدار: ساحتها، وحشدوا: إجتمعوا وكذلك احتشدوا، وليست فقرة (وباحة الاحتشاد)[٣] في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[٤]، ولعلّ (المصرية)[٥] أخذتها من حاشية مأخوذة من مستند العنوان.

«ومهل البقيّة» الإضافة بمعنى (في) أي: ليعمل في مهل له في بقيّة العمر.

«وأُنفِ المشيّة» ﴿انّ هذه تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلا﴾[٦] ﴿ذلك اليوم الحقُّ فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾[٧] (وأَنْف المشيّة) بالفتح والسكون أوّلها كقولهم: (أَنْف الجبل) - وإنّما قولهم: (روضة أُنُف) لم تُرْعَ من قبل و (جارية أُنُف) لم تَحِضَ من قبل - بالضّمّتين - لا هنا كما توهّمه (الخوئي)[٨].

«وإنظار التّوبة» قال تعالى: ﴿إنّما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالةٍ ثمّ يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً* وليست التوبة للّذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن...﴾[٩].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٧٦. الزمر: ٥٥ - ٥٦.

(٢) الزمر: ٥٨.

(٣) الصحاح: (بوح).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٦٧، والخطية: ٥٥.

(٥) المصرية: ١٩٩.

(٦) المزمل: ١٩.

(٧) النبأ: ٣٩.

(٨) شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي ٦: ٦٦ (اللغة).

(٩) النساء: ١٧ - ١٨.

«وانفساح الحوبة» قال ابن أبي الحديد: الحوبة: الحاجة؛ قال الفرزدق:

فَهَبْ لي خنيساً واحْتَسِبْ فيه منّة لِحَوْبة أم ما يسوغُ شرابها[١]

وتبعه ابن ميثم و (الخوئي)[٢].

قلت: انّ الحوبة وان كانت قد تأتي بمعنى الحاجة إلّا أنّها في كلامه عليه السلام بمعناها الأشهر وهو الإثم بقرينة قرينتها (التوبة) والمراد بانفساح الحوبة انفساح التخلّص عن الإثم وسعته وحينئذٍ فهو نظير دعاء الهلال (ووفّقنا فيه للتوبة واعصمنا فيه من الحوبة). ـ

«قبل الضّنك» أي: الشدّة يقال: هو في ضنك من العيش.

«والمضيق» قال تعالى: ﴿حتّى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجئرون لا تجئروا اليوم انكم منّا لا تنصرون﴾[٣].

«والرّوع والزّهوق» في الصحاح: الرَّوع بالفتح: الفزع، وزهقت نفسه زهوقا، خرجت[٤]، ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكانٍ قريب﴾[٥]، ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[٦].

«وقبل قدوم الغائب المنتظر» قال ابن أبي الحديد وتبعه ابن ميثم

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣: ٣٧٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٧٧، شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٧، شرح الخوئي ٦: ٦٦.

(٣) المؤمن: ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) الصحاح: (روع).

(٥) سبأ: ٥١.

(٦) الأنعام: ٩٣.

و الخوئي الغائب المنتظر الموت[١].

قلت: بل مَلَك الموت ﴿قل يتوفّيكم ملك الموت الّذي وكّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون﴾[٢]، وعن الباقر عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل عليه السلام انّ مَلَكاً من الملائكة كان له عند الله منزلة عظيمة فتعتب عليه فأهبطه، فأتى إدريس فقال له: انّ لك من الله منزلة، فاشفع لي فصلّى إدريس ثلاث ليال لا يفتر وصام أيّامها لا يفطر ثمّ طلب إليه في السّحر في الملك فقال له الملك: أعطيت سؤلك قد أُطلق لي جناحي وأنا أحبّ أن أُكافيك؛ فأطلب إليّ حاجة، فقال له: تريني ملك الموت لعلّي انس به فإنّه ليس يهنأ لي مع ذكره شيء فبسط جناحه ثم قال له اركب فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقيل له اصعد؛ فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك: يا ملك الموت مالي أراك قاطباً قال: كنت تحت ظلّ العرش فأمرت أن أقبض روح آدميّ بين السماء الرابعة والخامسة فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه[٣] قال عزّوجلّ: ﴿ورفعناه مكانا عليّاً﴾[٤]-وعن جابر الجعفي سألت أبا جعفر عليه السلام عن لحظة ملك الموت قال: أما رأيت الناس يكونون فتعتريهم سكتة فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[٥]، وعن الصادق عليه السلام ما أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرات[٦].

«وأخذه العزيز المقتدر» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ولقد جاء آل فرعون

---

(١) انظر ابن ميثم ٢: ٢٦٧ والخوئي ٨: ٦٦.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٢٥٧ ح٢٦.

(٤) مريم: ٥٧.

(٥) الكافي ٣: ٢٥٩ ح٣١.

(٦) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح٢٢.

النذر كذّبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾[١].

قول المصنّف: «وفي الخبر إنّه لمّا خطب عليه السلام بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود»، اقشعرّت: اضطربت وتزلزلت قال الشاعر في رثاء هشام بن المغيرة المخزومي:

فأصبح بطن مكّة مقشعراً كأنّ الأرض ليس بها هشام

ولمّا ضرب عمر أبا سفيان بالدرّة قالت له هند: «لربّ يوم لو ضربته لاقشعرّ بطن مكّة»[٢] وتفسير (النهاية) الثاني بقوله (تقبّضت وجمعت)[٣] كما ترى، ففي (القاموس): ـ اشقعرّ جلده: أخذته رعدة[٤].

«وبكت العيون ورجفت القلوب» رجفت الأرض اضطربت شديداً.

«ومن النّاس من يسمّي هذه الخطبة الغرّاء» في (الصحاح): الغرّة بالضّمّ: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، والأغرّ: أبيض[٥]، ورجل أغرّ: شريف.

٥
في الخطبة (٨٣)

ومنها:

فاتَّعِظُوا عِبادَ اللهِ! بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَٱعْتَبِرُوا بالآيِ السَّوَاطِعِ وَٱزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ ٱلْبَوَالِغِ، وَٱنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَٱلْمَوَاعِظِ. فَكأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ ٱلْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ ٱلْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ،

---

(١) القمر: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١: ٤١.

(٣) النهاية للجزري ٤: ٦٦.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٥٩٤ (اقشعر).

(٥) الصحاح: (غرر).

وَالسِّيَاقَةُ إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْمَوْرُودِ، وَ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، سائِقٌ يَسُوقُها إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

«فاتّعظوا عباد الله بالعِبَر النَّوافِع» قال تعالى: ﴿قل إنّما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّةٍ إن هو إلّا نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد﴾[1]، ﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأُخرى كافرة يرونهم مِثْلَيْهم رأي العين والله يؤيّد بنصره من يشاء إنَّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأبصار﴾[2]، ﴿هو الذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا انّهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[3].

﴿يُقلّبُ الله اللّيل والنّهار إنّ في ذلك لعِبرةً لأُولي الأبصار﴾[4].

«واعتبروا بالآي السّواطع» الآي: جمع الآية، والأصل في الآية: الأَوَية بفتحتين ومعناها العَلَامة ـ قال تعالى في فرعون: ﴿فأراه الآية الكبرى* فكذّب وعصى* ثمّ أدبر يسعى* فحشر فنادى* فقال أنا ربّكم الأعلى* فأخذه الله نكال الآخرة والأُولى* إنَّ في ذلك لعبرةً لمن يخشى* ءأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء بناها* رفع سمكها فسوّاها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها مآءها ومرعاها* والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[5].

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) آل عمران: ١٣.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) النور: ٤٤.

(٥) النازعات: ٢٠ ـ ٢٢.

«وازدجروا بالنذر البوالغ» ﴿ولقد جآءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمةٌ بالغةٌ فما تُغنِ النُّذر﴾[١]، ﴿هذا نذيرٌ من النّذر الأولى﴾[٢]، ﴿وما تغني الآيات والنّذر عن قومٍ لا يؤمنون﴾[٣] ﴿كذّبت ثمود بالنّذر﴾[٤]، ﴿كذّبت قوم لوطٍ بالنذر﴾[٥]، ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنّذر﴾[٦]، ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾[٧]، ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه ألّا تعبدوا إلّا الله إنّي أخافُ عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾[٨] وفي سورة القمر بعد ذكر كلّ من قوم نوح وعاد وثمود ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾[٩] وبعد ذكر قوم لوط ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونُذر* ولقد صبّحهم بكرةً عذابٌ مستقرٌّ* فذوقوا عذابي ونذر﴾[١٠].

«وانتفعوا بالذّكر والمواعظ» ﴿وكُلاًّ نقُصُّ عليك من أنباء الرُّسل ما نُثَبّت به فؤآدك وجآءك في هذه الحقّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾[١١] وفي الآثار: سل الأرض فقل لها من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجنىٰ ثمارك؟ فإن لم

---

(١) القمر: ٤ ـ ٥.

(٢) النجم: ٥٦.

(٣) يونس: ١٠١.

(٤) القمر: ٢٣.

(٥) القمر: ٣٣.

(٦) القمر: ٣٦.

(٧) القمر: ٤١.

(٨) الاحقاف: ٢١.

(٩) القمر: ١٦ و ٢١ و ٣٠.

(١٠) القمر: ٣٧ ـ ٣٩.

(١١) هود: ١٢٠.

تُجبك حواراً، أجابتْك اعتباراً[١].

«فكان قد علقتكم مخالب المنيّة» المخلب للسّباع بمنزلة الظُّفر للإنسان والمنيّة: الموت، قال الهذلي:

وإذا المنيّة انشبت اظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع[٢]

«وانقطعت منكم علائق الأُمنيّة» الأُمنية واحدة الأمانيّ، تقول: منه تمنّيت الشيء، قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انّهم كانوا في شكّ مريب﴾[٣].

«ودهمتكم مفظعات الأمور» أي: فاجأتكم الأُمور المفظعة، وفي المصباح: فظع الأمر وأفظع: جاوز الحدّ في القبح[٤] ﴿وجآءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد﴾[٥].

«والسّياقة إلى الورد المورود» ﴿وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جآءُوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رُسُلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذورنكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾[٦]. وقال في فرعون: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النّار وبئس الورد المورود وأُتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرّفد المرفود﴾[٧].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٢: ٥٤.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) المصباح المنير للفيتوري ٢: ١٥٣ (فظع).

(٥) قٓ: ١٩.

(٦) الزمر: ٧١.

(٧) هود: ٩٨ ـ ٩٩.

«وكلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ» هكذا في النسخ؛ ولعلّ الأصل: ﴿وجآءت كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد﴾[١]، كما هو لفظ الآية ـ.

«سائقٌ يسوقها إلى محشرها» ﴿إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[٢]، ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنّم وردا﴾[٣].

«وشاهدٌ يشهد عليها بعملها» قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوسُ به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد* إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد* ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيبٌ عتيد﴾[٤]، ﴿وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيْ بالنبيّين والشهداء وقُضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون ووفيّت كلُّ نفسٍ ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾[٥].

٦
الخطبة (٢٠٢)

ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً ينادي أصحابه:

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَٱنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ المَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهِمَتْكُمْ فِيها مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَمُعْضَلَاتُ

(١) ق: ٢١.

(٢) القيامة: ٣٠.

(٣) مريم: ٨٦.

(٤) ق: ١٦ ـ ١٨.

(٥) الزمر: ٦٩ ـ ٧٠.

الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا وَٱسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَىٰ»، (وقد مضى شيءٌ منْ هذا الْكلامِ في ما تَقَدَّمَ بِخَلاف هذه الرِّوَايةَ).

أقول: رواه الصدوق في (أماليه) والمفيد في (إرشاده وأماليه) مع اختلاف روى الأول في (الصحيح) عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام: (كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة إذا صلّى العشاء الآخرة ينادي النّاس ثلاث مرّات حتّى يُسمع أهل المسجد: أيّها الناس تجهّزوا رحمكم الله! فقد نودي فيكم بالرحيل فما التعرّج على الدنيا بعد نداءٍ فيها بالرّحيل، تجهّزوا رحمكم الله! وانقلبوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد وهو التقوى، واعلموا انّ طريقكم إلى المعاد، وممرّكم على الصّراط، والهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبة كؤودة ومنازل مخوّفة مهولة لابدّ لكم من الممرّ عليها والوقوف فيها؛ فإمّا برحمة من الله فنجاة من هولها وعظم خطرها وفظاعة منظرها وشدّة مختبرها، وإمّا بهلكة ليس بعدها انجبار)[1]، ورواه المفيد في (أماليه) باسناده عن جابر عنه عليه السلام مثله[2]، وقال في (إرشاده): ومن كلام له عليه السلام في التزوّد للآخرة وأخذ الأهبة للقاء الله تعالى والوصيّة للنّاس بالعمل الصالح ما رواه العلماء بالأخبار ونقله أصحاب السيّر والآثار أنّه عليه السلام كان ينادي في كلّ ليلة حين يأخذ الناس مضاجعهم للمنام بحيث يسمعه كافّة أهل المسجد ومن جاوره من النّاس (تزوّدوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرّحيل وأقلّوا العُرجة على الدّنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد فإنّ امامكم عقبة كؤوداً ومنازل مهولة لابدّ من الممرّ بها والوقوف عليها فإمّا برحمة من الله نجوتم من فظاعتها وامّا هلكة ليس بعدها انجبار؛ يالها حسرة! على ذي غفلة أن يكون

---

(١) الأمالي للصدوق: ٤٠٣ ح٧ المجلس ٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢٨٨ ح١، الأمالي للمفيد: ١٩٨ ح ٣٢.

(٢) الأمالي للمفيد: ١٩٨ ح ٣٢.

عمره عليه حجّة وتؤدّيه أيّامه إلى شقوة؛ جعلنا الله وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة ولا تحلّ به بعد الموت نقمة، فإنّما نحن به وله، وبيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير[١].

قول المصنّف: «كان كثيراً ينادي به أصحابه» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (كثيراً ما)[٣] وقد عرفت من مستنداته أنّه عليه السلام كان ينادي به أصحابه كلّ ليلة بعد العشاء الآخرة.

قوله عليه السلام: «**تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرّحيل**» وروى (الاكمال والغيبة): عن محمد بن علي بن الأسود القمّي: أنّ أبا جعفر العمري رضي الله عنه حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج فسألته عن أمره فقال: قد أمرت أن أجمع أمري فمات بعد ذلك بشهرين، وعن علي بن أحمد الدّلال القمّي قال: دخلت على أبي جعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه يوماً لأُسلّم عليه فوجدته وبين يديه ساجة ونقّاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها فقلت له: يا سيدي ماهذه السّاجة؟ فقال هي لقبري أوضع عليها ـ أو قال: اسند اليها وأنا في كلّ يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فأصعد فإذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا صرت إلى الله تعالى ودفنت فيه وهذه السّاجة معي، فأثبت ما ذكره فما تأخّر الأمر حتّى اعتلّ فمات في اليوم الّذي ذكر ودفن فيه[٤]، وفي الخبر: سئل عليه السلام عن التجهّز للموت فقال عليه السلام: أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم[٥] وفي الخبر: (عجباً لقوم حُبس

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٨٨ ح ١.

(٢) الطبعة المصرية المصححة بلفظ (كثيراً ما): ٤٦١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٥. شرح ابن ميثم وكذلك النسخة الخطية ٤ / ٧: ٢٠٤.

(٤) إكمال الدين للصدوق: ٥٠٢، والغيبة للطوسي: ٣٦٥.

(٥) الأمالي للصدوق: ٦٧.

أوّلهم عن آخرهم، ثمّ نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون)[١] وفي (عيون القتيبي) ـ قال إعرابيٌّ:

وما نحن إلّا مثلهم غير أنّنا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا

وقال آخر:

وإنّا واخواناً لنا قد تتابعوا ... لكالمغتدي والرائح المتهجّر[٢]

وقال أبو نؤاس:

سبقونا إلى الرحيل وإنّا لبالأثر

«وأقلّوا العرجة على الدنيا» أي: إجعلوا عرجتكم قليلاً؛ يقال: (عرج فلان على المنزل إذا حبس مطيّته عليه وأقام) وعنهم عليهم السلام: (صلّ كلّ صلاة تصلّيها صلاة مودّع واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدا)[٣].

«وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد» ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله ان الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٤]. وفي خبر: كان في بني اسرائيل مجاعة حتّى نبشوا الموتى فأكلوهم، فنبشوا قبراً فوجدوا فيه لوحاً فيه: «أنا فلان النبيّ ما قدّمناه وجدناه وما أكلناه ربحناه وما خلّفناه خسرناه»[٥].

«فانّ أمامكم عقبةً كؤوداً» في (الصحاح): ـ العقبة: واحدة عقاب الجبال[٦] وعقبة كؤود وَكَأْداء: شاقّة المصعد، في الخبر: أنّ بين الدّنيا والآخرة ألف

---

(١) الكافي ٣: ٢٥٨ ح ٢٩.

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣: ٦١.

(٣) ورد في الفقيه (ما يشابهه) ١: ٣٠٣ ح٩١٦.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) الأمالي للصدوق: ٣٦١ ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٧٣: ١٣٧ ح ٢.

(٦) الصحاح: (عقب).

عقبة أهونها وأيسرها الموت[١]، في (عرائس الثعلبي): عبدَ الله تعالى يحيى حتّى أكلت مدرعة الشعر لحمه، وبكى حتى أكل الدّمع لحم خدّيه وبدت أضراسه، فقال له زكريا: ما يدعوك لهذا يا بنيّ؟ إنّما سألت ربّي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني. قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه قال: ومتى؟ قال: ألست القائل انّ بين الجنّة والنّار عقبة كؤوداً لا يقطعها إلّا الباكون من خشية الله تعالى، قال: بلى، فجد واجتهد[٢].

وفي (اعتقادات الصدوق): (كلّ عقبة باسم فرضٍ أو أمرٍ أو نهي، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة فرضٍ وكان قصّر فيه حبس عندها، وطولب بحقّ الله فيها، فان خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركته نجّيّ منها إلى عقبة أُخرى، فلا يزال يُدفع من عقبة ويحبس عند كلّ عقبة فيسأل عمّا قصّر من معناها فان سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيا حياة لا يموت فيها أبداً ويسعد سعادة لا شقاوة معها، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدّيقين والشهداء والصالحين من عباده، وإن حبس على عقبة فطولب بحقّ قصّر فيه فلم ينجّه عمل صالح قدّمه ولا أدركه منه تعالى رحمة زلّت به قدمه على العقبة؛ فهوى في نار جهنّم، وهذه العقبات كلّها على الصّراط، منها: عقبة الولاية، يوقف جميع الخلايق عندها فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده فمن أتى بها نجا وجاوز، ومن لم يأتِ بها بقى فهوى، وذلك قوله تعالى: ﴿وقفوهم انّهم مسؤولون﴾[٣] ومنها: عقبة المرصاد، وهو قوله تعالى: ﴿إنَّ ربّك لبالمرصاد﴾[٤]، يقول تعالى: (لا يجوزني ظلم ظالم)

---

(١) الفقيه ١: ١٣٤ ح ٣٥٩.

(٢) العرائس للثعالبي: ٣٧٧ وقد مرّ قسمٌ من الرواية في صفحة ٤.

(٣) الصافات: ٢٤.

(٤) الفجر: ١٤.

ومنها: عقبة الرّحم ومنها: عقبة الأمانة ومنها: عقبة الصلاة وباسم كلّ فرض أو أمرٍ أو نهيٍ عقبة يحبس عندها العبد فيسأل عن كلّ واحدة)[١] وفي الخبر: جاء عيسى إلى قبر يحيى -وكان سأل ربّه أن يجيبه- فدعاه فقال له: ما تريد منّي؟ قال: تؤنسني كما كنت فقال: ما سكنت عنّي حرارة الموت وأنت تريد تن تعيدني إلى الدّنيا وتعود عليّ حرارة الموت فتركه فعاد إلى قبره[٢].

«ومنازل مخوفة مهولة لابدّ من الورود عليها والوقوف عندها» ومن تلك المنازل الموت، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ الميّت إذا حضر الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقر[٣]، ومرّ خبر عيسى عليه السلام مع يحيى عليه السلام، ومنها: دخول القبر؛ وفي (الكافي) عن يونس؛ قال: حديث سمعته عن الكاظم عليه السلام ما ذكرته وأنا في بيت إلّا ضاق عليّ؛ يقول: إذا أتيت بالميّت إلى شفير قبره فأمهله ساعة فإنّه يأخذ أهبته للسّؤال[٤]، ومنها: ضغطة القبر؛ وفي (الكافي): سُئِل أبو عبدالله عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال: إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء، فيوحي إلى الهواء فيضغطه ضغطة هي أشدّ من ضغطة القبر[٥]؛ وعنه عليه السلام: خرج النبي صلى الله عليه وآله في جنازة سعد بن معاذ وقد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه إلى السّماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ، قال أبو بصير للصادق عليه السلام: أكان يستخفّ بالبول؟ فقال: معاذ الله! انّما كان زعارة في خلقه على أهله[٦]. وعنه عليه السلام: إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان قال

---

(١) الاعتقادات للصدوق: ٤٩.

(٢) الكافي ٣: ٢٦٠ ح٣٧.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٢٥٠ ح٢.

(٤) المصدر نفسه ٣: ١٩١ ح٢.

(٥) المصدر نفسه ٣: ٢٤١ ح١٧.

(٦) المصدر نفسه ٣: ٢٣٦ ح٦.

النبي ﷺ رافعاً رأسه إلى السماء ذكرتُ هذه وما لَقِيَت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر، ومنها: الخروج إلى المحشر، ومن شدّة هوله يقولون: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ (١).

وروى (الكافي): أن فتية من أولاد ملوك بني اسرائيل كانوا متعبّدين وكانت العبادة في أولاد ملوكهم، فخرجوا يسيرون ليعتبروا فمرّوا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السّافي فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسألناه ـ إلى أن قال ـ فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفض رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السماء فقالوا له: متّ يوم متّ وأنت على ما نرى؟ قال: لا، ولكن لمّا سمعت الصيّحة (أُخرج) اجتمعت تربة عظامي فخرجت فَزِعاً شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الدّاعي فابيضّ لذلك رأسي ولحيتي(٢).

ومنها: طول يوم القيامة وشدّته؛ ففي سورة المعارج ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ* فاصبر صبراً جميلاً* إنّهم يرونه بعيداً* ونراه قريباً* يوم تكون السماء كالمهل* وتكون الجبال كالعهن* ولا يسأل حميمٌ حميماً* يبصّرونهم يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه* وصاحبته وأخيه* وفصيلته التي تؤويه* ومن في الأرض جميعاً يُنجيه﴾(٣) قال القمي في تفسير الآية الأولى: في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف ألف سنة(٤).

---

(١) الكافي ٣: ٢٣٦ ح٦، والآية ٥٢ من يس.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢٦١ ح٣٨.

(٣) المعارج: ٤ ـ ١٤.

(٤) تفسير القمي ٢: ٣٨٦.

«واعلموا أنّ ملاحظ المنيّة منكم دانية» هكذا في (المصرية)[1] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): (دائبة)[2]، فهو الصحيح؛ وفي (الكافي): عن جابر سألت أبا جعفر عليه السلام عن لحظة ملك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة فما يتكلّم منهم أحد فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[3].

«وكأنّكم بمخالبها وقد نشبت فيكم» والمخلب للسباع بمنزلة الظفر للإنسان ونشب الشيء فيه: علق فيه؛ قال طرفة:

لعمرك انّ الموت ما أخطأ الفتى لكاالطِّول المُرخى وثِنْيَاهُ باليد[4]

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلّا ويتصفّحهم كلّ يوم خمس مرّات[5]، وعنه عليه السلام الأرض بين يدي ملك الموت كالقصعة يمدّ يده منها حيث يشاء[6].

«وقد دهمتكم مفظعات الأمور» مرّت الفقرة في سابقه.

«ومعضلات المحذور» هكذا في (المصرية)[7] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[8] «ومضلعات المحذور» وفي (الصحاح): (الضلع بالتحريك: الإعوجاج خلقةً تقول: منه ضِلِع بالكسر، وضَلع بالفتح، أي: مال؛ وجمل مضلع

---

(١) الطبعة المصرية: ٤٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد ١١: ٥ (دائبة) وابن ميثم ٤: ٧ (دائبة).

(٣) الكافي ٣: ٢٥٩ ح٣١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٢: ١٤٨.

(٥) الكافي ٣: ١٣٧ ح٣.

(٦) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح٢٤.

(٧) المصرية: ٤٦٢.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٥ وشرح ابن ميثم ٤: ٧ (معضلات).

أي: مثقل[١]، والمضلعات من ضَلع بالفتح لا بالكسر كما توهّمه ابن أبي الحديد فإنّه لا يتعدّى، وظلع أي: صار أعرج وأعضل أي: أشكل وفي (الكافي) في قوله تعالى: ﴿كلّا إذا بلغت التّراقي * وقيل من راقٍ﴾[٢]، ذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت، قال: هل من طبيب؟ وفي قوله تعالى: ﴿وظنَّ أنّه الفراق﴾[٣] أيقن بمفارقة الأحبّة؛ وفي قوله تعالى: ﴿والتفَّت السّاقُ بالسّاق﴾[٤] التفّت الدنيا بالآخرة وفي قوله تعالى: ﴿إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[٥] المصير إلى ربّ العالمين[٦].

«فقطعوا علائق الدّنيا» ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[٧] ﴿قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ اليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتّى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[٨]. ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللّهوِ ومن التجارة والله خير الرازقين﴾[٩].

---

(١) الصحاح: (ضلع).

(٢) القيامة: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) القيامة: ٢٨.

(٤) القيامة: ٢٩.

(٥) القيامة: ٣٠.

(٦) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣٢.

(٧) المنافقون: ٩.

(٨) التوبة: ٢٤.

(٩) الجمعة: ١١.

«بزاد التقوى» ﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّا﴾[١].

قول المصنّف: ـ وقد مضى شيء من هذا الكلام في ما تقدّم بخلاف هذه الرواية أشار إلى قوله في (٨١) «فكأن قد علقتكم مخاليب المنيّة وانقطعت منكم علائق الأمنية ودهمتكم مفظعات الأمور»... كما مرّ في سابقه[٢]ـ.

٧
في الخطبة (١٣٠)

منها:

فَإِنَّهُ وَٱللهِ الجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَٱلْحَقُّ لَا ٱلْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا المَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ المَالَ وَحَذِرَ ٱلاْقلاَلَ، وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ وَٱسْتِبْعادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ؟ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ المَنَايَا يَتَعَاطى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْساكاً بِالأَنامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ ٱلَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً، وَصارَتْ أَمْوالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ؛ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ لا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وَفازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَها وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا. فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَام، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمالَ إلى دَارِ ٱلْقَرَارِ. فَكُونُوا مِنْهَا عَلى أَوْفازٍ. وَقَرِّبُوا الظُّهُورِ لِلزِّيالِ.

---

(١) مريم: ٦٣.

(٢) راجع صفحة ٦٨.

أقول: قوله: «فإنّه والله الجدُّ لا اللّعبُ» فيه من التأكيد ما لا مزيد عليه لكون المخاطبين عملهم عمل المنكر أشدّ الإنكار و (الجِدّ) هنا بالكسر لأنّه نقيض الهزل واللّعب، وامّا الجدّ بالفتح فهو الحظّ، والجدّ بالضّمّ: البئر.

«والحقُّ لا الكذبُ» في الخبر: لم يخلق الله يقيناً أقرب إلى الشّك من الموت[١].

أؤمّل أن أعيش وانّ يومي	بأوّل أو بأهون أوجبار
أو التالي دبار أو فيومي	بمونس أو عروبة أو شبار[٢]

وهي أسماء الأسبوع من أحد إلى السبت في الجاهلية.

«وما هو إلّا الموت قد اسمع داعيه» هكذا في (المصرية)[٣] والظاهر زيادة (قد) لخلوّ (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي) عنه[٤]، وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ينادي منادٍ في كلّ يوم (ابن آدم لد للموت واجمع للفناء وابن للخراب)[٥] هذا وواضح ان (أسمع) و (أعجل) ماضيان و (داعيه) و (حاديه) بسكون الياء فيهما فاعلان لهما، والمفعول مقدّر أي: أسمع داعي الموت النّاس وأعجلهم حاديه وقال (الخوئي): ـ «أسمع» و «أعجل» منصوبان على الحال امّا لفظاً لو كان (أفعل) بصيغة التفضيل فيكون «داعيه» و «حاديه» مجرورين بإضافة (أفعل) إليهما من باب اضافة الصفة إلى مفعوله ولو كان

---

(١) وردت الرواية في الخصال: لم يخلق الله (عزّوجلّ) يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من الموت، الخصال ١: ١٤ ونقله المجلسي في البحار ١: ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٥٩: ٥٢ كذلك لسان العرب ٤: ٢٨٥.

(٣) الطبعة المصرية المصححة بلا (قد): ٣٠١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩ وشرح ابن ميثم ٣: ١٥ (قد)، وشرح الخوئي ٨: ٢٩٣ ح ١٣٢.

(٥) الكافي ٣: ٢٥٥ ح ١٩.

«أسمع» فعلاً ماضياً فـ«داعيه» منصوب بالمفعولية[١]... وفي كلامه كما ترى أوهام فاحشة، فأيّ معنى للتفضيل هنا فهل يصحّ أن يقال: الموت أسمع من داعيه وأعجل من حاديه؟ كما أنّه على الماضي لا معنى لأن يقال: أسمع الموت داعيه واعجل حاديه، وفي (الأغاني): اصطبح نُبيه المغني عند عبيدالله بن غسان فقال له: أيّ شيء تشتهي؟ قال كبد غزال فأطعمه فلما استوفى أكله استلقى لينام فحرّكوه، فإذا هو ميّت! فجزعوا؛ وبعث عبيد الله إلى أُمّه فجاءت فأخبرها بخبره. فقالت: لا بأس عليكم! هو رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتَتهم جميعاً وميتة أبيهم من قبلهم[٢]... وقيل بالفارسيّة (ناگهان بانگی برامد خواجه مرد) وفي (الحلية)، عن زيد بن السلمي: أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان إذا أنس غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع: أتتكم المنيّة راتبة لازمة امّا بشقاوة وامّا بسعادة[٣].

«وأعجل حاديه» في (الصحاح): (الحدو) سوق الإبل والغِناء لها ويقال للشّمال حدواء لأنّها تحدوا السّحاب أي: تسوقه[٤]؛ وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إنّما نعدُّ لهم عدّاً﴾[٥] المراد تعداد عدد الأنفاس لا الأيّام فالآباء والأُمّهات يحصون أيّام ولدهما.

«فلا يغرّنّك سوادُ الناس من نفسك» في (أُسد الغابة): عاش حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام هو وأباؤه كلّ منهم مائة وعشرين سنة، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كلّ منهم مائة وعشرين سنة،

---

(١) شرح الخوئي ٨: ٢٩٣.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٦: ١٦٢.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ٧: ٣٠٤.

(٤) الصحاح: (حدد).

(٥) مريم: ١٨.

وذكر عند عبد الرحمن بن حسّان عمر أبيه وأجداده فاستلقى على فراشه وضحك فمات وهو ابن ثمان وأربعين سنة[١]! وفي (الكافي): أنّ السجّاد والباقر عليهما السلام كانا إذا رأيا جنازة قالا: (الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم) وقال تعالى حاكياً عن المؤمنين قولهم في القيامة للمنافقين: ﴿وغرَّتكم الأماني حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور...﴾[٢] وفي (الطبري): لما احتضر المعتصم جعل يقول: انّي أخذت من بين هذا الخلق لو علمت أنّ عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت! وجعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيلة، حتّى أصمت؛ وسمع الحسن البصري جارية تبكي على قبر أبيها وهي تقول: يا أبَه لم أرَ مثل يومك فقال: الذي لم يَر والله مثل يومه أبوك! وسمع عمر بن عبد العزيز خصيّاً للوليد على قبره وهو يقول: يا مولاي ماذا لقينا من بعدك! فقال له عمر: أما والله لو أُذِنَ له في الكلام لأخبر أنّه لقي بعدكم أكثر ممّا لقيتم بعده[٣]، هذا وقال ابن ميثم: يعني لا يغرّنك من نفسك الأمّارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت سواد الناس[٤]، وقال ابن أبي الحديد: «من» في «من نفسك» بمعنى الباء؛ أي: لا يغرّنّك النّاس بنفسك وصحتك وشبابك، واما متعلّقة بمحذوف تقديره متمكناً من نفسك وراكناً إليها[٥]، وكلّ منهما كما ترى بلا محصّل، وواضح أنّ المراد دفع الوهم، بأنّ الإنسان في كلّ وقت يرى عدداً لا يحصون فيقول، كما لم يمت هؤلاء الجمع الكثير لا أموت أنا بأنّ ذلك لا يصير سبباً لاغتراره لأنّ السواد يحصل

(١) أُسد الغابة لابن الأثير ٢: ٧.

(٢) الحديد: ١٤.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٧: ٣١٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٥١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩.

من كثير من الناشئين الّذين نشأوا بعده وقليل من الّذين كانوا في سنّه أو أكثر منهم بقليل، ولو بدّل توجّه بصره إلى السّواد الكلّي بتوجّه بصيرته إلى أشخاص أهل بيته، وعشيرته، وأصدقائه، وأهل حرفته، وساير طبقات بلده لتوحّش وتبدّل اغتراره بالاعتبار.

«**فقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال**» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الذي جمع مالاً وعدّده يحسبُ* أن ماله أخلده﴾[1] قال ابن ميثم وتبعه الخوئي[2]: أنّه بيان لقوله: (فلا يغرّنّك) والصّواب: كونه بياناً لقوله: (ماهو إلّا الموت) كما أنّ قوله: (لا يغرّنّك) دفع توهّم يرد على قوله: (ماهو إلّا الموت).

«**وحذر الأقلال**» أي: الافتقار.

«**وأمن العواقب طول أملٍ واستبعاد أجلٍ**» (طول واستبعاد)، منصوبان تعليلاً فإنّه المتبادر؛ لا بدل (من) كما احتمله ابن أبي الحديد[3].

قال أبو العتاهية:

كلّنا نأمل مدّاً في الأجل — والمنايا هنّ آفات الأمل

لا يغرنّك أباطيل المنى — والزم القصد وضع عنك العلل

انّما الدّنيا كظلٍّ زائل — حلّ فيها راكب ثمّ رحل[4]

«**كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه**» في (الصحاح): أزعجه: أقلقه وقلعه عن مكانه[5].

«**وأخذه من مأمنه**» قال تعالى حاكياً عن قول صالح لقومه: ﴿أتتركون في

(١) الهمزة: ٢ ـ ٣.

(٢) شرح ابن ميثم في ٣: ١٥١ وشرح الخوئي في ٨: ٣٠٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩.

(٤) البيت الأخير منسوب للإمام علي عليه السلام الديوان: ١٢٥.

(٥) الصحاح: (زعج).

ما هاهنا آمنين* في جناتٍ وعيونٍ* وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيم﴾[١] قال المخبل السعدي:

ولئن بنيت لي المشقر في	عنقاء تقصر دونها العصم
لتنقّبن عنّي المنيّة	انّ الله ليس كحكمه حكم[٢]

«محمولاً على أعواد المنايا»:

كلّ ابن انثى وان طالت سلامته	يوماً على آلة الحدباء محمول[٣]

«يتعاطى به الرّجال الرّجال حملاً على المناكب وإمساكاً بالأنامل» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام: السُنّة في حمل الجنازة أن تستقبل السرير بشقّك الأيمن فتلزم الأيسر بكفّك الأيمن ثم تمرّ عليه إلى الجانب الآخر، وتدور من خلفه إلى الجانب الثالث من السرير، ثمّ تمرّ عليه إلى الجانب الرابع ممّا يلي يسارك[٤]؛ وعن الصادق عليه السلام: تبدأ في حمل السرير من الجانب الأيمن ثمّ تمرّ عليه من خلفه إلى الجانب الآخر ثمّ تمرّ حتى ترجع إلى المتقدّم كذلك دوران الرّحى عليه[٥]. هذا والظّاهر أنّ «حملاً» و«إمساكاً» حالان من الفاعل والمفعول ليتعاطى وأفرادهما لكونهما مصدرين، والمصدر لا يثنّى ولا يجمع وان كان بمعنى الوصف، كما هنا؛ فإنّ الأصل حاملين له على المناكب وممسكين له بالأنامل ولا مجال لكونهما مفعولاً له كما احتمله[٦] الخوئي لأنّ التعاطي لا يكون للحمل والإمساك بل للإشتراك في فضل الحمل أو لرفع

(١) الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) لسان العرب ٧: ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٧٣.

(٤) الكافي ٣: ١٦٨ ح١.

(٥) المصدر نفسه ٣: ١٦٩ ح٤.

(٦) شرح الخوئي ٨: ٢٩٧.

التعب عمّن حمله قبل[١].

«أما رأيتم الذين يأملون بعيداً ويبنون مشيداً» في (الصحاح): المشيد: المعمول بالشيد، والشّيد بالكسر كلّ شيء طليت به الحائط من جصّ أو بلاط والمشيّد بالتشديد: المطوّل؛ وقال الكسائي المَشِيد للواحد من قوله تعالى: ﴿وقصرٍ مشيدٍ﴾[٢] والمشيّد للجمع من قوله تعالى: ﴿في بروجٍ مشيّدةٍ﴾[٣].

«ويجمعون كثيراً» ﴿كلّا إنّها لظى* نزّاعة للشّوى* تدعو من أدبر وتولّى* وجمع فأوعى﴾[٤] وقال تعالى في قارون: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾[٥].

«كيف» هكذا في (المصرية)[٦] والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٧].

«أصبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بوراً» أي: هالكاً قال الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمّل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم وبعد اياد

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشّرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيّرها لطيب مقيلها ... كعب بن مامة وابن امّ دواد

جرت الرياح على محلّ ديارهم ... فكأنّهم كانوا على ميعاد

---

(١) شرح الخوئي ٨: ٢٩٧.

(٢) الحج: ٤٤.

(٣) الصحاح: (شيد) والآية ٨٢ من سورة النساء.

(٤) المعارج: ١٥ ـ ١٨.

(٥) القصص: ٨١.

(٦) المصرية المصححة لا وجود لهذا اللفظ: ٣٠٢.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩ وشرح ابن ميثم ٣: ١٥٠ (كيف) والخطية: ١١١.

فأرى النعيم وكلّ ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد[1]

«وصارت أموالهم للوارثين» قال تعالى في فرعون وقومه: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ* وزروعٍ ومقامٍ كريم* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين* فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[2]. هذا وفي (المعمّرين لأبي حاتم): سُئل عبيد الجرهمي، وكان عاش ثلاثمائة سنة، عن أعجب شيء رآه فقال: انّي نزلت بحيّ من قضاعة فخرجوا بجنازة رجلٍ من عذرة يقال له حريث بن جبلة فخرجت معهم حتّى إذا واروه انتدبت جانباً وعيناي تذرفان، ثمّ تمثّلت شعراً كنت رويته قبل:

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الأمس تعفوه الأعاصير
حتّى إذا لم يكن الّا تذكّره والدهر أيّة ما حال دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيّ مسرور
وذاك آخر عهدي من أخيك إذا ما المرء ضمّنه اللحد الخناسير

الخناسير: المشيّعون، فقال رجل: مَنْ قائلها؟ قلت: لا أدري، قال: قائلها هذا الّذي دفنّاه! وإنّ هذا ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وانّك الغريب لا تعرفه تبكي عليه[3].

«وأزواجهم لقومٍ آخرين» في (المعجم): كان المتوكّل وهب جارية من جواريه حسنة كاملة يقال لها: (صاحب) أحمد بن حمدون، فلمّا مات تزوجّت، قال أبو علي بن يحيى المنجّم: فرأيته في النّوم وهو يقول:

أبا عليّ ما ترى العجائبا أصبح جسمي في التّراب غائبا

---

(١) ذكرها الأصفهاني في الأغاني ١٣: ١٦ ـ ١٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٢٩، وبعضه ابن منظور في لسان العرب ١: ٣٨٤.

(٢) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

(٣) المعمّرون والوصايا لأبي حاتم: ٥٢.

واستبدلت (صاحب) بعدي صاحبا![1]

وفي (الأغاني) تزوّج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أُمّ هشام بنت عبدالله بن عمر، ـ وكانت من أجمل نساء قريش وكان يجد بها وجداً شديداً ـ فمرض مرضته التي هلك فيها فجعل يديم النّظر إليها وهي عند رأسه فقالت له: انّك لتنظر نظر رجل له حاجة. قال: أي والله، إنّي لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان عليّ ما أنا فيه قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تزوّجي بعدي! قالت: فما يرضيك؟ قال: أن توثقي لي بالأيمان المغلّظة فحلفت له بكلّ يمين سكنت إليها نفسه ثمّ هلك فلّما قضت عدّتها خطبها عمر بن العزيز ـ وهو أمير المدينة ـ فأرسلت إليه ما أراك إلّا وقد بلغَتْك يميني، فأرسل إليها: لك مكان كلّ عبدٍ وأمَةٍ عبدان وأمَتان، ومكان كلّ علق علقان، ومكان كلّ شيء ضعفه فتزوجته[2].

«لا في حسنةٍ يزيدون» ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموتُ قال ربِّ ارجعونِ* لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركتُ كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾[3]، ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الّذي كنّا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾[4]، ﴿وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكّر وجاءكم النّذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[5].

«ولا مِن سيئةٍ يستعتبون» أي: يسترجعون قال تعالى: ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار ومالكم من ناصرين* ذلكم

---

(١) معجم الأدباء للحموي ٢: ٢٠٨ ترجمة (أحمد بن حمدون).

(٢) الأغاني للأصفهاني ١٣: ٣٩ ـ ٣٨.

(٣) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٤) الأعراف: ٥٣.

(٥) فاطر: ٣٧.

بأنّكم اتّخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾[١]، ﴿فيومئذٍ لا ينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾[٢].

«فمن اشعر التقوى قلبه» أي: جعل التقوى شعار قلبه، والشعار ما ولي الجسد من الثّياب.

«برّز مهله» قال ابن أبي الحديد: المهل: شوط الفرس[٣] وإنّما قال الجوهري: (برّز الرجل: فاق على أصحابه وكذلك الفرس إذا سَبَق)[٤] وهو كما ترى لا يفهم منه أكثر من أنّ (بَرَّزَ الفرس) بمعنى سَبَقَ الفرس. والصّواب: أنّ المَهَل: التقدّم في الخير، ففي (المغرب): المَهَل بالتحريك: التقدّم، وبه كنّي أبو مَهَل عروة بن عبدالله ابن قشير الجعفي[٥]، وفي (النهاية): فلان ذو مهل، أي: تقدّم في الخير، ولا يقال في الشّرّ، ثمّ لا وجه لنصب «مَهَله» بعد كون قوله بعد ذلك: «وفاز عمله» بالرّفع[٦].

«وفاز عمله» ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنّهم إلى ربّهم راجعون* أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٧].

«فاهتبلوا هبلها» أي: اغتنموا غنيمتها فيكون «هبلها» مفعولاً به ويكون «اهتبلوا هبلها» مساوقاً لقوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهُ عدَّةً﴾ وممّا ذكرنا يظهر لك

---

(١) الجاثية: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الروم: ٥٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩.

(٤) الصحاح: (برز).

(٥) المغرب لأبي الفتح ٢: ١٩٤.

(٦) النهاية لابن الأثير ٤: ٣٣٥ (مهل).

(٧) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

ما في قول ابن أبي الحديد: هبلها منصوب على المصدر كأنّه من هبل مثل غضب غضباً[١] وما في قول ابن ميثم: هبلها مصدر مضاف إلى ضمير التقوى مؤكّد للفعل أي: أحكموها إحكامها[٢]. فلو كان «هبلها» مفعولاً مطلقاً لقال: فاهتبلوا لها اهتبالاً، وبالجملة لاريب أن هبلها مثل عملها في قوله بعد:

«**واعملوا للجنّة عملها**» ﴿وأمّا من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى* فانّ الجنّة هي المأوى﴾[٣] ﴿الّذين هم في صلاتهم خاشعون* والّذين هم عن اللّغو معرضون* والّذين هم للزكاة فاعلون* والّذين هم لفروجهم حافظون* إلّا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنّهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون* والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* والذين هم على صلواتهم يحافظون* أولئك هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[٤]، ﴿في جنّةٍ عالية* قطوفها دانية* كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية﴾[٥] وفي الخبر: من أحبّ أن تكون الجنّة مسكنه ومأواه فلا يدع زيارة المظلوم[٦].

«**فإنَّ الدنيا لم تخلق لكم دارَ مُقامٍ**» بالضمّ أي: إقامة.

«**بل خُلقت لكم مجازاً**» في (الصحاح): (جعل الأمر مجازاً إلى حاجته، أي: طريقاً ومسلكاً)[٧].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٩.

(٢) شرح ابن ميثم.

(٣) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٤) المؤمنون: ٢ ـ ١١.

(٥) الحاقة: ٢٢ ـ ٢٤.

(٦) كامل الزيارات للصدوق: ٢ ونقله المجلسي في البحار ٩٨: ٦٦ ح٥٧.

(٧) الصحاح: (جوز).

«لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار» ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا اللّه إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

«فكونوا منها على أوفازٍ» في (الصحاح): الوفز: العجلة، يقال: نحن على أوفاز، أي: على سفر[٢].

«وقرّبوا الظهور للزّيال» في (المغرب): يستعار الظهر للدّابّة والرّاحلة، ومنه (ولا ظهراً بقى)، والزّيال: مصدر زايل كالمزايلة وهو المفارقة[٣]؛ قال النبي صلى الله عليه وآله: مالي وللدّنيا إنّما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف، فَقَالَ ـ من القيلولة ـ تحتها، ثمّ راح وتركها.

٨
الخطبة (٢١٦)

وَمِنْ كَلامٍ لَـهُ عليه السلام بَـعدَ تِـلاوَتِهِ ﴿أَلْـهَاكُـمُ التَّكـاثُرُ * حـتَّـى زُرْتُـمُ المَقَابِرَ﴾:

يا لَهُ مَراماً ما أَبْعَدَهُ! وَزَوْراً ما أَغْفَلَهُ، وَخَطَراً ما أَفْظَعَهُ، لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أيَّ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِـنْ مَكـانٍ بَـعِيدٍ، أَفَـبِمَصَارِعِ آبائِـهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكى يَتَكَاثَرُونَ، يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنابَ ذِلَّةٍ، أَحْجى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقامَ عِزَّةٍ، لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصارِ ٱلْعِشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ ٱسْـتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ ٱلخَاوِيَةِ، وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخالِيَةِ، لَقالَتْ: ذَهَـبُوا

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) الصحاح: (وفز).

(٣) المغرب لأبي الفتح ٢: ٢٥.

فِي ٱلأَرْضِ ضُلَّالاً، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقابِهِمْ جُهَّالاً. تَطَأُونَ فِـي هَـامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيما لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيما خَرَّبُوا، وَإِنَّما ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ. أُولَئِكَ سَلَفُ غايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مناهِلِكُمْ، ٱلَّذِينَ كانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ ٱلْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً. سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِـيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَآئِـهِمْ، فَأَصْـبَحُوا فِـي فَـجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَـنْمُونَ، وَضِـماراً لَا يُـوجَدُونَ، لَا يُـفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ، وَلَا يَـحْفِلونَ بِـالرَّوَاجِـفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ. غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّما كانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا، وَما عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلاَ بُعْدَ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّـهُمْ فِـي ٱرْتِـجالِ الصِّفَةِ صَرْعى سُباتٍ، جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّآءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى ٱلتَّعارُفِ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنهُمْ أَسْبابُ ٱلإِخَآءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لَا يَتَعارَفُونَ لِلَيْلٍ صَباحاً وَلَا لِنَهارٍ مَساءً. أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً. شاهَدُوا مِنْ أَخْطارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آياتِها أَعْظَمَ مِمَّا قَـدَّرُوا، فَكِـلْتَا ٱلْغايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَآءَةٍ فَاتَتْ مَبالِغَ ٱلْخَوْفِ وَالرَّجَآءِ، فَلَوْ كانُوا يَنْطِقُونَ بِها لَعَيُّوا بِصِفَةِ ما شاهَدُوا وَمَا عايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثارُهُمْ، وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذانُ ٱلْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِـهَاتِ ٱلنُّـطْقِ، فَـقالُوا: كَـلَحَتِ ٱلْـوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ ٱلْأَجْسامُ ٱلنَّواعِمُ، وَلَبِسْنا أَهْدامَ ٱلْـبِلى، وَتَكَـاءَدَنَا

ضِيقُ المَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنا ٱلْوَحْشَةَ، وَتَهَتَّكَتْ عَلَيْنا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحاسِنُ أَجْسادِنا، وَتَنَكَّرَتْ مَعارِفُ صُوَرِنا. وَطالَتْ فِي مَساكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقامَتُنا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَآءِ لَكَ، وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْماعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وتَقَطَّعَت ٱلأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِها، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِها، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَها، وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلآفَةِ إِلَيْها، مُسْتَسْلِماتٍ فَلا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَآءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٍ لَا تَنْجَلِي. وَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كانَ فِي الدُّنْيا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي ساعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ. فَبَيْنَما هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيا وَتَضْحَكُ الدُّنْيا إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِيءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ونَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ، فَخالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَراتُ عِلَلٍ، آنَسَ ما كانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى ما كانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّآءُ مِنْ تَسْكِينِ الحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِيءْ بِبَارِدٍ إِلّا ثَوَّرَ حَرارَةً وَلاَ حَرَّكَ بِحَآرٍّ إِلّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلا أَمَدَّ مِنْها كُلَّ ذاتِ دآءٍ، حَتّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُه وَتَعايا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دآئِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوابِ السَّآئِلِينَ عَنْهُ، وَتَنازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ. فَقَآئِلٌ هُوَ لِما بِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلى

فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ، فَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ عَلى جَناحٍ مِنْ فِراقِ الدُّنيا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَراتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

أقول: قول المصنّف: (ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته ﴿ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر﴾ في (أسباب نزول الواحدي): قال مقاتل والكلبي: نزلت في حيّين من قريش بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهم لحا فتعاند السادة والأشراف أيّهم أكثر فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيّداً وعزّاً وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلك فكثّرهم بنو عبد مناف ثمّ قالوا: نعدّ موتانا حتّى زاروا القبور، فعدّوا موتاهم فكثّرهم بنو سهم لأنّهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية. وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتّى ماتوا ضلالاً[١]، هذا وقال ابن أبي الحديد بعد عنوان هذه الخطبة: هذا موضع المثل (ضلعاً يا ظليم وإلّا فالتَّخْوِيَة) من أراد أن يعظَ ويخوّف ويقرع صفاة القلب، ويعرّف النّاس قدر الدّنيا وتصرّفها بأهلها، فليأتِ بمثل هذه الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح وإلّا فليمسك، فإنّ السّكوت أستر، والعيّ خير من منطق يفضح صاحبه. وَمَنْ تأمّل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه عليه السلام: (والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره) وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبةً في مجلس، وتُلِيَ عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عديّ بن الرّقاع في قوله: (قلم أصابَ من الدَّواة

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٤١.

مِدَادها) فقيل لهم في ذلك، فقالوا: (إنّا نعرف موضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن). وإنّي لأُطيل التعجّب من رجل يـخطب في الحرب بكلام يدلّ على أنّ طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور، ثمّ يخطب في ذلك الموضع بعينه، إذا أراد الموعظة بكلام يدلّ على أنّ طبعه مشاكل لطباع الرّهبان اللابسي المُسوح الّذين لم يأكلوا لحماً، ولم يريقوا دماً، فتارة يكون في صورة بِسطام بن قيس الشيباني وعتيبة بن الحارث اليربوعي، وعامر بن الطفيل العامري، وتارةً يكون في صوره سُقراط الْحَبْر اليوناني، ويوحنّا المعمدان الإسرائيلي، والمسيح بن مريم الإلهي. وأقسم بما يُقسِم به الأمم كلّها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرّة، ما قرأتها قطّ إلّا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثّرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة، ولا تأمّلتها إلّا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودّي، وخيّلت في نفسي انّي أنا ذلك الشخص الذي وصف حاله وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى، وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه، فلم أجد لشيءٍ منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي؛ فإمّا أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو نيّة القائل كانت صالحة، ويقينه كان ثابتاً، وإخلاصه كان محضاً خالصاً[1].

«يالَهُ مراماً ما أبعده» جمع عليه السلام بين نداء التعجّب في قوله: «ياله مراماً» وفعل التعجّب في قوله «ما أبعده» تنبيهاً على أنّ هذا المرام وهذا المقصد من التفاخر بالموتى في غاية التعجّب.

«وزوراً ما أغفله» قال ابن أبي الحديد وابن ميثم و الخوئي: يعني عليه السلام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٢.

بالزّوْر الزائرين للمقابر[١] واستندوا إلى قول الجوهري: (الزّوْر: الزائرون).

قلت: بل «زَوْراً» مصدر زاره، كما صرّح به الفيروز آبادي، ولو كان جمعاً لقال: ما أغفلهم وأيضاً لم يصحّ جمعاً إلّا مع رواية (يامراما)[٢] كما قال (ابن ميثم) انّ به رواية كما أنّه لا يناسب قوله (مراماً) قبل بلفظ المفرد و «خطرا» بعد كذلك. وفي (المعجم): كان سليمان بن عبد الملك عسكر بدابق ـ قرب حلب ـ وعزم ألّا يرجع حتّى يفتح القسطنطينية أو تؤدّي الجزية؛ فشتا بدابق شتاءً بعد شتاءٍ، إذ ركب عشيّة من يوم جمعة، فمرّ بالتلّ الّذي يقال له اليوم (تلّ سليمان) فرأى عليه قبراً، فقال: قبر مَن؟ قالوا: عبدالله بن مسافع العبدري فقال: يا ويحه! لقد أمسىٰ قبره بدار غربة، ومرض سليمان في أثر ذلك ومات ودفن إلى جانب ذاك القبر في الجمعة التي تليه![٣].

«وخطراً ما أفظعه» في الصّحاح: الخطر: الإشراف على الهلاك، وفظع الأمر (بالضمّ) شنيع جاوز المقدار[٤].

«لقد استَخلوا منهم أيّ مُدَّكرٍ» قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: (يعني وجدوا موضع التذكّر خالياً من الفائدة)[٥] والصحيح انّه عليه‌السلام أراد ذكر من خلا من آبائهم؛ أي: مضى، واستخلى فلان في حديثه؛ أي: حدّث عن أمور خالية، والمعنى أنّه عليه‌السلام استعظم ما يوجبه حديثُهم عمّا خلا وعمّن خلا من أسلافهم وآثار أسلافهم من التذكير، فقال عليه‌السلام أيّ مذكر وواعظ في ذلك!

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٥ وشرح ابن ميثم ٤: ٥٩ وشرح الخوئي ١٤: ٢١٣ ح٢١٩.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي: ٥١٥ (الزور).

(٣) معجم البلدان للحموي ٢: ٤١٦.

(٤) الصحاح: (خَطَرَ).

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٥.

وقال ابن ميثم: (يعني اتخذوا تخلية الذكر دأبهم وشأنهم)[١]. وقال الخوئي: المفعول محذوف أي: استخلوا الديار يعني أنّ الزائرين المتفاخرين بالأموات وجدوا الدّيار خالية منهم حال كونهم كاملين في التذكير، والكلّ كما ترى.
والصواب: أن يقال أنّه لمّا كان في الموتى ادّكار عظيم للتوجّه إلى الآخرة وهم جعلوهم سبباً للتوجّه إلى الدنيا كأنّهم طلبوا من الموتى أن يجعلوا محلّ ادّكارهم خالياً منه[٢]. وفي (الصحاح): استخلاه محلّه، أي: سأله أن يخلّيه له[٣]، ويناسب ما قلناه: قوله بعد: «وتناوشوهم من مكان بعيد» وممّا ذكرنا يظهر لك انّ (مدّكر) اسم مكان لا اسم فاعل أو مصدر ميمي.

«وتناوشوهم من مكانٍ بعيد» في (الصحاح): التناوش التناول[٤]، وقوله تعالى: ﴿... وأنّى لهم التناوش من مكانٍ بعيدٍ﴾[٥] أي: أنّى لهم تناول الإيمان في الآخرة وقد كفروا به في الدّنيا، يعني لو كانوا أرادوا كون تناوشهم ممكناً لتناوشوهم من مكان قريب[٦]، وهو الاعتبار بهم وأمّا الافتخار بهم، فهو التناوش من بعيد، وهو أمر غير معقول!

«أفبمصارع آبائهم يفخرون» الأصل في المصرع ما تهدّل من الأغصان، وسقط على الأرض، ويقال لكلّ طريح، القتيل وغيره.

«أم بعديد الهلكى يتكاثرون» قال الشاعر في افتخار بني تغلب بعمرو بن كلثوم وقصيدته ـ:

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٥٨ (٢١٢).
(٢) شرح الخوئي ١٤: ٢١٤ (٢١٩).
(٣) الصحاح: (خلا).
(٤) الصحاح: (نوش).
(٥) سبأ: ٥٢.
(٦) الصحاح: (نوش).

الهى بني تغلب عن كلّ مكرمة	قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أوّلهم	يا للرّجال لشعر غير مسئوم[١]

«يرتجعون منهم أجساداً خوت» لا يبعد أن يكون (خوت) بالتشديد، من قولهم خوّت النجوم إذا مالت للمغيب، أي: يرون ارتجاع أجسادٍ مالت للمغيب والانهدام وأمّا (خوت) بالتخفيف فلا مناسبة لها، فقيل في قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاويةً...﴾[٢] أي: خالية وساقطة.

«وحركاتٍ سكنت» في (الطبري): هتف بالمنصور هاتف من قصره:

اما وربّ السّكون والحرك	انّ المنايا كثيرة الشّرك
ما اختلف الليل والنهار ولا	دارت نجوم السماء في الفلك
الّا لنقل السّلطان من ملك	إذا انقضى ملكه إلى ملك
حتّى يصيرانه إلى ملك	ما عزّ سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والأرض	والمرسي الجبال المسخّر الفلك[٣]

فقال: هذا والله أوان أجلي!

«ولأن يكونوا عِبَراً أحقُّ من أن يكونوا مفتخراً» في (صفين نصر): مضى عليّ عليه السلام نحو ساباط حتّى انتهى إلى مدينة بَهُرَسِير، وإذا رجل من أصحابه يتمثّل بقول التميمي ـ:

جرت الرّياح على محل ديارهم	فكأنّهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام أفلا قلت: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ* وزروعٍ ومقام كريم* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين* فما بكت

---

(١) الأغاني ١١: ٥٤.

(٢) النمل: ٥٢.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٤٦.

عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[1] إنّ هؤلاء كانوا وارثين، فأصبحوا موروثين، إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسُلبوا دنياهم بالمعصية. إيّاكم وكفر النّعم لا يحلّ بكم النِّقم[2].

«ولأن يهبطوا بهم جناب ذلّةٍ أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّةٍ» «يهبطوا» أي: ينزلوا والجناب: فناء الدار وأحجى، أي: أجدر؛ ولمّا قالت أُم سلمة في موت الوليد بن الوليد المخزومي:

يا عينُ فابكي للوليدِ بنِ الوليد بن المغيرة

مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيرة

قال النبي ﷺ لها: لا تقولي هكذا، ولكن قولي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت مِنْهُ تحيد﴾[3].

«وضربوا منهم في غمرة جهالة» الضرب هنا بمعنى السباحة، بقرينة الغمرة، وهو شدّة ماء البحر؛ كقول ذي الرمّة: (كأنّني ضارب في غمرة لعب)[4].

«لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة» الأعشى: الذي لا يبصر بالليل، والعشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيدها كل شيء، وركب فلان العشوة إذا خبط أمره على غير بصيرة وضربوا منهم في غمرة جهالة.

«ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية» في (الصحاح): كلّ بقعة بين الدّور واسعة ليس فيها بناء عرصة، والجمع العَرَصات،

---

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٢.

(٣) ق: ١٩.

(٤) لسان العرب ٨: ٣٩.

والخاوية: الساقطة[١].

«لقالت ذهبوا في الأرض ضُلّالاً» من قوله تعالى: ﴿أإذا ضللنا في الأرض...﴾[٢] أي: خفينا لا يعرف موضعنا، وقال ابن المعتزّ:

كأنّ خواتيماً من الطين بينهم فليس لها حتّى القيامة من فضّ[٣]

«وذهبتم في أعقابهم جُهّالاً» الأعقاب: جمع العَقِب بكسر القاف؛ مؤخّر القدم.

«تطأون في هامهم» من وطأ الشيء برجله، قال ابن أبي الحديد: أخذ أبو العلاء معنى كلامه عليه السلام فقال:

خفّف الوَطءَ ما أظنّ أديم الأ رض إلّا من هذه الأجساد

ربّ لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد

ودفين على بقايا دفين من عهود الآباء والأجداد

صاح هذي قبورنا تملأ الأرض فأين القبور من عهد عاد

سر إن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالاً على رقاب العباد[٤]

«وتستنبتون في أجسادهم» أي: تطلبون الإنبات في الزرع في أجسادهم وقال ابن أبي الحديد: وروى (وتستثبتون) أي: تنصبون الأشياء الثابتة كالعمد والأساطين للأوطان في أجساد الموتى[٥].

«وترتعون فيما لفظوا» من رتعت الماشية: أكلت ما شاءت، ومن لَفَظ الشيء من فمه: رماه؛ قال ابن أبي الحديد: يجوز أن يريد عليه السلام أنكم تأكلون ما

---

(١) الصحاح: (عَرَصَ).

(٢) السجدة: ١٠.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٢٩٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٨، كذلك جواهر الأدب: ٤٥٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٨.

تركوه وأن يريد انكم تأكلون الفواكه التي تنبت في أجزاء ترابيّة خالطها الصديد الجاري من أفواههم[١].

«وتسكنون ما خرّبوا» قيل: يجوز أن يريد عليه السلام في مساكن خرّبوها بترك العبادة وان يريد في مساكن أخلوها، وأطلق الخراب عليه مجازاً، والثاني أقرب؛ وانّما يطلق التخريب بترك العبادة على بيت الآخرة لا بيوت الدنيا.

«وإنّما الأيّام بينكم وبينهم» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٢] وانما في (ابن ميثم والخطية)[٣] «بينهم وبينكم».

«بواكٍ ونوائح عليكم» في خبر الحسن بن الجهم قلت للرضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها، وقوله لمّا سمع صياح الأوزّ في الدّار: (صوائح تتبعها نوائح)[٤]... وفي (الطبري): كان المهدي جالساً في عُليّة في قصر بماسبدان يشرف من منظرة فيها على سفله وكانت جاريته (حسنة) قد عمدت إلى كمثراتين كبيرتين فجعلتهما في صينية وسمّت واحدة منهما وهي أحسنهما وأنضجهما في أسفلها، وردّت القمع فيها ووضعتها في أعلى الصينية، وكان المهدي يعجبه الكمّثرى وأرسلت بذلك مع وصيفة لها جارية المهدي يتخطّاها تريد بذلك قتلها! فمرّت الوصيفة بالصينية التي فيها تلك الكمّثرى بحيث يراها المهدي من المنظرة فلمّا رأى معها الكمّثرى دعا بها، فمدّ يده إلى الكمثرية التي في أعلى الصينية، فأكلها فلمّا وصلت إلى جوفه صرخ جوفي! وسمعت حسنة الصوت فجاءت تلطم وجهها وتبكي وتقول: أردت أن أنفرد بك فقتلتك؛ فهلك من يومه؛ فرجعت (حسنة) وانّ على قبّتها

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٧.

(٢) الطبعة المصرية ٤٣٨ وشرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٧.

(٣) شرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٥٥، والخطية (كما ذكر): ٢١٤.

(٤) الكافي ١: ٢٥٩ ح ٤.

المُسوح فقال أبو العتاهية في ذلك:

رحن في الوشي وأصبحن عليهنّ المُسوح

كلّ نطّاح من الدهر له يوم نطوحُ

لست بالباقي ولو عمرت ما عمّر نوح

فعلى نفسك نح ان كنت لا بدّ تنوحُ[١]

وعن علي بن يقطين قال: كنّا مع المهدي بماسبذان فأصبح يوماً فقال: إنّي أصبحت جائعاً فأتي بأرغفة ولحم بارد مطبوخ فأكل منه، ثم قال: إنّي داخل البهو ونائم فيه فلا تنبّهوني حتى أكون أنا الذي أنتبه ودخل البهو فنام؛ ونمنا نحن في الدّار فانتبهنا ببكائه فقمنا إليه مسرعين فقال: أما رأيتم ما رأيت؟ قلنا ما رأينا شيئاً، قال: وقف على الباب رجل لو كان في مائة ألف ما خفي عليّ وأنشد:

كأني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه ربعه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جنادله

فلم يبق إلّا ذكره وحديثه تنادي عليه معولات حلائله

فما أتت عليه عاشرة حتى مات[٢].

«أولئك سلف غايتكم» في (عيون القتيبي): سأل زياد رجلاً بالبصرة: أين منزلك؟ قال واسط، قال: مالكَ من الولد؟ قال: (تسعة)، فلمّا قام قيل لزياد: كَذَبَك في كلّ ما سألته؛ مالَهُ إلّا ابن ومنزله بالبصرة؛ فلمّا عاد إليه قال له زياد: قلت لي تسعة ومنزلك بواسط؟ قال: نعم. قال: خبّرت بغير ذلك قال: صَدَقت وصَدَقوك؛ دفنت تسعة بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٣، والشعر ورد في الديوان: ٦٧.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٢٣.

لي أم لا؟ فإمّا منزلي فإلى جانب الجبّان بين أهل الدّنيا وأهل الآخرة، فأيّ منزل أوسط منه قال: صدقت وقال الشاعر ـ:

لايبعد الله أقواماً لنا ذهبوا　　أفناهم حدثان الدهر والأمد

نمدُّهم كلّ يوم من بقيّتنا　　ولا يؤوب إلينا منهم أحد[١]

هذا وفي الخبر: كان النبي ﷺ إذا مرّ على القبور قال: السلام عليكم من ديار قوم مؤمنين، وانّا إن شاء الله بكم لاحقون[٢].

«وفرّاط مناهلكم»، الفرّاط: جمع فارط، والفارط: السابق إلى الماء؛ والمناهل: موارد الماء، وتسمّى المنازل التي في المفاوز على طريق السفّار مناهل لأنّ فيها الماء. هذا، وفي الخبر الصلاة على الأطفال: (اللّهمّ اجعله لأبويه ولنا فرطا)[٣].

«الذين كانت لهم مقاوم العزّ» في (الصحاح): المقوم: الخشبة التي يمسكها الحرّاث[٤].

«وحلبات الفخر» في (الصحاح): الحلبة ـ بالتسكين ـ خيل تجمع للسّباق لا تخرج من اصطبل واحد، كما يقال للقوم إذا جاؤوا للنصر من كلّ أوب، قد أحلبوا)[٥].

«ملوكاً وسوقاً» السُّوَق جمع السُّوقة: الرّعية؛ قال زهير: (نالا الملوك وبذّا هذه السّوقا)[٦]. قالوا: مرّ الاسكندر بمدينة قد ملكها سبعة من بيت واحد

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٦٦.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٩ ح٧.

(٣) الفقيه ١: ١٦٧ ح٤٨٦.

(٤) الصحاح: (قوم).

(٥) الصحاح: (حلب).

(٦) لسان العرب ٦: ٤٣٨.

وبادوا، فسأل: هل بقيَ من نسلهم أحد؟ قالوا: واحد يلزم المقابر، فدعا به فقال له: لِمَ تلزم المقابر؟ قال أردت أن أُميّز عظام الملوك من عظام غيرهم فوجدتها سواء، قال: هل لك أن تلزمني حتى أنيلك بُغيتك؟ قال: لو علمت أنّك تقدر على ذلك للزمتك، قال: وما بُغيتك؟ قال: حياة لا موت معها، قال: لن أقدر على ذلك، قال: فدَعْني أطلبه ممّن يقدر عليه[1]. وقالوا: لمّا فتح خالد بن الوليد عين التمر، سأل عن بنت النعمان بن المنذر فدُلّ عليها فأتاها ـ وكانت عمياء ـ فسألها عن حالها، فقالت: لقد طلعت علينا الشمس وما شيء يدبّ تحت الخورنق إلّا تحت أيدينا، ثم غربت وقد رحمنا كلّ من يدور به وما بيت دخلته حَبْرة إلّا ودخلته عَبْرة ثم قالت:

وبينا نسوس النّاس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلّب تارات بنا وتصرّف

فقال قائل: قاتل الله عدي بن زيد! لكأنّ ينظر إليها حين يقول:

إن للدهر صرعة فاحذرنها ... لا تبيتنّ قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى ... ولقد كان آمناً مسرورا[2]

وقال عديّ بن زيد:

أين كسرى كسرى الملوك انوشر ... وان، أم أين قبله سابور؟

وبنو الأصفر الكرام ملوك الرو ... م لم يبق منهم مذكور

واخو الخضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجبى إليه والخابور

لم يهبه ريب المنون فباد ... الملك عنه فبابه مهجور

شاده مرمراً وجلّله كلـ ... ـسأ فللطير في ذراه وكور

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه ١١: ١٧٠.

وتــبيّن ربّ الخـورنق إذ أشـ ـــرف يــوماً وللــهدى تــفكير
ســرّه حــاله وكـثرة مــا يـمـ ـــلك والبـحر مـعرضا والسـدير
فأرعــوى قــلبه وقــال فـما غبـ ـــطة حــيّ إلى الـممات يـصير
ثــم بــعد الفـلاح والمـلك والامـ ـــرة وارتـــهم هـناك القــبور
ثــم أضـحوا كأنّــهم ورق جـفّ فألوت بـــه الصَّـــبا والدّبــور[1]

وقالوا: دخل ابن عباس على عبد الملك يوم قرّ، وهو على فـرش يكـاد يغيب فيها، فقال: يا ابن عبّاس! إنّي لأحسِب اليوم بارداً قال: أجل، وانّ ابن هند عاش في مثل ما ترى؛ عشرين أميراً وعشرين ملكاً ثمّ هو ذاك على قبره ثمامةٌ تهتزّ، فيقال: انّ عبد الملك أرسل إلى قبر معاوية فوجد عليه ثمامة نابتة[2].

«سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً» في (الصحاح): البرزخ: مـا بـين الدنـيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات دخل البرزخ[3].

«سُلّطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم» لبعضهم:

والمـنايا آكـلاتٍ شــارباتٍ للأنـام شبت يا هذا وما تترك أخلاق غلام

وقالوا: قال الرضـيّ:

ولقــد مـررت بـبرزخ فسألتـه أيــن الأولى ضـمّتهم أرجـاؤه
مـثل المـطيّ بـواركـاً أجداثـه يسـفي عـلى جـنباتها بـوغاؤه
نــاديته فــخفى عـليّ جـوابـه بــالقول إلّا مــا زقت أصـداؤه
مــن نــاظر مـطروقة الحـاظه أو خــاطر مــطلولة ســوداؤه
أو واجــد مكـظومة زفـرائـه أو حــاقد مــنسيّة شـحناؤه

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٩١.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٧٠.
(٣) الصحاح: (برزخ).

ومسنّدين على الجنوب كأنّهم شرب تخازل بالطّلى أعضاؤه
تحت الصعيد لغير اشفاق إلى يوم القيامة يضمّهم أحشاؤه
أكلتهم الأرض التي ولدتهم أكل الضّروس حلت له اوآؤه[١]

وقال الشاعر:

ربّ ركب قد أناخوا عندنا أكل الدّهر عليهم وشرب

«فأصبحوا في فجوات قبورهم» الفجوة: الفرجة والمتّسع بين الشيئين، وفجوة الدار: ساحتها.

«جماداً لا ينمون» والجماد كما لا ينمو، لا ينقص ولكنّهم ينقصون. وفي (الكافي) عن عمّار الساباطي: سُئِل أبو عبدالله عليه السلام عن الميّت يبلى جسده قال: نعم، حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلّا طينته التي خلق منها فإنّها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة[٢]؛ قال ابن أبي الحديد: وروي «لا ينمّون» من النميمة: وهي الهمس والحركة[٣].

«وضماراً لا يوجدون» في (الجمهرة): الضمار: خلاف العيان، والمراد أنّهم مستورون في القبور ولا يوجدون ظاهر أبداً كالأحياء الذين قد يكونون مستورين ثم يوجدون ظاهرين[٤]، هذا وقال (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي): كلّ ما لا يرجى من الدين، وكلّ ما لاتكون منه على ثقة يقال له الضمار، وهو كما ترى فلا مناسبة له هنا[٥].

«لا يفزعهم ورود الأهوال» من تسلّط عدوّ أو حدوث قحط أو بروز مرض

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ٣٢ ـ ٣٣، وذكره الخوئي في شرحه في ١٤: ٢٠٩ ح٢١٩.
(٢) الكافي ٣: ٢٥١ ح٧.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥.
(٤) الجمهرة لابن دريد ٢: ٧٥ (ر ض م).
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٠ وشرح ابن ميثم ٤: ٥٩ (٢١٢) والخوئي ١٤: ٢٠٩ (اللغة).

أو غيرها من أهوال الدّنيا.

«ولا يحزنّهم تنكّر الأحوال» كما يحزن أهل الدنيا به قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الّذي نكرت من الحوادث إلّا الشّيب والصلعا[١]

«ولا يحفلون بالرواجف» أي: لا يبالون بالزّلازل.

«ولا يأذنون» أي: لا يستمعون؛ والأصل فيه عمل الاذان عملها.

«للقواصف» أي: الشدائد من ريح قاصف: شديدة الهبوب، و رعدٍ قاصفٍ: شديد الصوت.

«غُيّباً لا ينتظرون»

وكلّ غائب يؤب وغائب الموت لا يؤب

وفي المثل: (حتّى يؤب القارظان)[٢] قال أبو ذؤيب:

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل[٣]

القرظ: ورق السّلم يدبغ فيه، والقارظ: الذي يجتنيه، قالوا: فخرج رجلان من عنزة في طلبه فلم يرجعا فضرب بهما المثل؛ وقال بعضهم لابنته عند الموت:

فرجّي الخير وانتظري إيابي إذا ما القارظ العنزيّ آبا[٤]

وقال سراقة في لبيد:

وثمّ إياب القارظين وذي البرد

وكان المثلّم قتل رجلاً من الخوارج، وكان يتّجر في اللّقاح، فدسّوا له من قال له: فهل لك في لقحة كذا وكذا؛ فأخذوه إلى دورهم فقتلوه فقال أبو الأسود:

---

(١) ديوان الأعشى: ١٠٤.

(٢) للعنزي كما ذكر ابن منظور في لسان العرب ١٤: ٨٦.

(٣) لسان العرب ١١: ١١٧.

(٤) لسان العرب ١١: ١١٨ وهو لبشر.

وآليت لا أسعى إلى ربّ لقحة   أساومها حتى يؤوب المثلّم

«**وشهوداً لا يحضرون**»، عن النابغة:

حسب الخليلين انّ الأرض بينهما   هذا عليها وهذا تحتها بالي[1]

وللبحتري:

هجود لم يسلّ بهم حفيّ   ولم تقلب لضجعتهم جنوب[2]

ولمطيع بن اياس في صاحبه يحيى بن زياد:

وارى عينيّ مذ غاب يحيى   بدّلت من نومها بالسّهاد

وسّدته الكفّ منّي ترابا   ولقد أرثى له من وساد

بين جيران أقاموا صموتاً   لا يحيرون جواب المنادي[3]

«**وإنّما كانوا جميعاً فتشتتوا والآفاً فاقترقوا**» في (معارف القتيبي): قال أبو صالح صاحب التفسير: ما رأينا بني آدم قطّ أبعد قبوراً من بني العباس لأمّ الفضل ـ مات الفضل بالشّام وعبدالله بالطائف وعبيدالله بالمدينة وقثم بسمرقند ومعبد بأفريقيّة[4] ـ، وقال الخوئي؛ قال الشاعر:

وكنّا باجتماع كالثّريّا   ففرّقنا الزمان بَنَات نعش[5]

«**وما عن طول عهدهم ولا بعد محلّهم عميت أخبارهم**» كما يتفّق للأحياء تعمى أخبارهم؛ إمّا عن طول عهدهم وامّا عن بعد محلّهم، قال متمّم بن نويرة في أخيه مالك:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

---

(١) ديوان النابغة الذبياني: ٢٠٦.

(٢) ديوان البحتري وهو يرثي غلامه قيصر ٢: ٨٠.

(٣) الأغاني ١٣: ٢٩٨.

(٤) المعارف لابن قتيبة: ١٢٢.

(٥) الخوئي ١٤: ٢١٩.

فــلمّا تــفرّقنا كأنّــي ومــالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا[١]

«وصمّت ديارهم» صمم الديار مجاز، كعمي الأخبار؛ في (إرشاد المفيد): لمّا مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين عليها السلام على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار؛ فلمّا كان رأس السنّة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل قوّضوا هذا الفسطاط؛ فلمّا أظلم الليل سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا[٢].

«ولكنّهم سقوا كأساً» قيل لا تسمّى الكأس كأساً إلّا وفيها الشراب، وقال الشاعر:

من لم يمت عبطة يمت هرماً للموت كأس والمرء ذائقها[٣]

وقالوا بالفارسية:

رهائى نيست كس را از اين جام و از اين مى

«بدّلتهم بالنّطق خرساً» ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

در اين قفس كه بصحراش داده ره صيّاد

خموشى است چرا طوطى شكرخارا

وقال البحتري:

ضجيع مسنّدين بكفر توثي خفوت مثل ما خفت الشروب[٤]

«وبالسّمع صمماً وبالحركات سكوناً» في المروج: تكلّم ثلاثون فيلسوفاً في موت الإسكندر... إلى أن قال: وقال أحدهم: ربّ حريص على سكوتك إذ لا تسكت، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلّم؛ وقال آخر: انّ الذي كانت

(١) الأغاني ١٥: ٣٠٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٢٢.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٤٩٠ والشاعر هو أُمية بن أبي الصلت.

(٤) ديوان البحتري ٢: ٨٠ يمدح غلامه قيصر.

الآذان تنصت له قد سكت، فليتكلّم الآن كلّ ساكت؛ وقال آخر: هـذا الذي دار كثيراً والآن يقرّ طويلاً[1]، وفي (عيون القتيبي): كان مالك بن دينار يخرج كلّ خميس إلى القبور ويقول:

ألا حـيّ القـبور ومـن بِـهِنَّهْ ... وجـوهٌ فـي القبور أُحـبُّهنَّهْ
فلو انّ القبور سمعن صـوتي ... اذاً لأجـبنني مـن وجـدهنّه
ولكـن القـبور صـمتن عـنّي ... فأبت بحسرة مـن عـندهنّه[2]

«فكأنّهم في ارتجال الصفة» ارتجال الشيء: إبتداؤه من غير تهيئة.

«صرعى سُباتٍ» صرعى جمع صريع: المطروح على الأرض؛ والسبات (بالضمّ): النوم أو خفيّه، أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب، قال ابـن أبـي الحديد: قال الرضي في هذا المعنى:

مـــغف وليس للـذّة اغـفاؤه ... مغض وليس لفكرة إغضاؤه[3]

«جيران لا يتآنسون وأحبّاءُ لا يتزاورون» في (فصول ابن الصبّاغ المالكي) عن جابر الأنصاري قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا هممت ان أقوم قال: أنا معك فلبس نعليه وألقى ازاره على منكبيه، وخرجنا فذهب بنا إلى الجبّانة، فسلّم على أهل القبور، فسمعت ضجّةً وهجّةً وهدّةً فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين! فقال: هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا؛ إنْ تسأل عن أحوالهم فهم اخوان لا يتزاورون وأودّاء لا يتعاودون. ثم خلع نعليه وحسر عن ذراعيه، وقال: يا جابر! اعطوا من دنياكم الفانية لآخرتكم الباقية، ومن حياتكم لموتكم، ومن صحتكم لسقمكم، ومن غناكم لفقركم؛ اليوم أنتم في

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٣٢٠.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار ٢: ٣٠٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٠.

الدّور، وغداً في القبور، ثم أنشأ يقول:

سلام على أهل القبور الدوارس ... كأنّهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربة ... ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس

الا فاخبروني أين قبر ذليلكم ... وقبر العزيز الباذخ المتنافس[١]

ولبعضهم:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى دير هند كيف خطّت مقابره

تُري عجباً ممّا قضى الله فيهم ... رهائن حتف أوجبته مقادره

بيوت ترى أقفالها فوق أهلها ... ومجمع زور لا يكلّم زائره[٢]

«بليت بينهم عرى التعارف» «بلِيت» بالكسر: صارت بالية؛ والعرى: جمع العروة؛ وتعارفوا: عرف بعضهم بعضاً.

«وانقطعت منهم أسباب الاخاء» الإخاء مصدر واخاه، كالمواخاة؛ وفي (الصحاح): أكثر ما يستعمل الإخوان في الأُصدقاء والإخوة في الولادة[٣]ـ عن المدائني: لم يكن الحجّاج يظهر بشاشة لندمائه إلّا يوماً دخلت عليه ليلى الأخيلية فقال لها: بلغني انّك مررت بقبر توبة وعدلت عنه، فوالله ما وفيت له؛ ولو كان هو بمكانك ما عدل عنك، قالت: أصلح الله الأمير! كان معي نسوة سمعن قوله فيّ:

ولو انّ ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

فكرهت أن أُكذّبه، فاستحسن قولها وقضى حوائجها، ولم تُرَ منه

---

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) لم نعثر على قائله.

(٣) الصحاح: (وخى). ويقول انها لغة ضعيفة في آخاه.

بشاشة مثل ذلك اليوم[١].

«فكلّهم وحيدٌ وهم جميع» قال ابن أبي الحديد: قال الرّضيّ:

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم ... من غير اطناب ولا أوتاد
ركبٌ أناخوا لا يرجّى منهم ... قصد لاتهام ولا انجاد
كرهوا النزول فأنزلتهم رفعة ... للدّهر نازلة بكلّ مفاد
فتهافتوا عن رحل كلّ مذلل ... وتطاوحوا عن سرج كلّ جواد
بادون في صور الجميع وانّهم ... متفردون تفرّد الاحاد[٢]

«وبجانب الهجر وهم أخلّاء» قال الشاعر:

هم جيرة الأحياء إمّا جوارهم ... فدانٍ وإمّا الملتقى فبعيد[٣]

هذا وفي (معارف القتيبي) في عنوان المتهاجرين: سعد كان مهاجراً لعمّار حتى هلكا، وعايشة كانت مهاجرة لحفصة حتى ماتتا، وعثمان كان مهاجراً لعبد الرحمن حتّى ماتا، وطاووس كان مهاجراً لوهب بن منبه حتّى ماتا، وسعد بن المسيّب كان مهاجراً لأبيه حتى ماتا، وجرى بين الحسن وابن سيرين شيء فمات الحسن ولم يشهد ابن سيرين جنازته، وكان الثوري يتعلّم من ابن أبي ليلى فمات ولم يشهد الثوري جنازته[٤].

«لا يتعارفون لليلٍ صباحاً ولا لنهارٍ مساءً» قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

لابد من يوم بلا ليلة ... أو ليلة تأتي بلا يوم[٥]

هذا وفي (مقاتل أبي الفرج): (حبس المنصور عبدالله بن الحسن المثنّى

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤٠.
(٢) ابن أبي الديد ١١: ١٥٠ كذلك ديوان الرضي ١: ٣٨٢ ـ ٣٨٣.
(٣) العقد الفريد ٤: ٢٢٦.
(٤) المعارف لابن قتيبة: ٥٥.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٦.

واخوته بحبس ستين ليلة، ما يدرون بالليل ولا بالنهار، ولا يعرفون وقت الصلاة إلّا بتسبيح علي بن الحسن المثنّى. قال موسى بن عبدالله: حبسنا في المطبق فما كنّا نعرف أوقات الصلاة إلّا باجزاء يقرؤها علي بن الحسن[1].

«أيُّ الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً» ظعنوا أي: ساروا و الجديدين: اللّيل والنّهار و السّرمد: الدّائم؛ وليس ليومهم غد ولا لعامهم قابل؛ قال البحتري:

وللمرء يوم لا محالة ماله غدٌ وسط عام ماله الدّهر قابل[2]

«شاهدوا من أخطار دارهم أفظع ممّا خافوا» ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[3].

«ورأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا» قال ابن أبي الحديد وتبعه الخوئي أي: رأى المتّقون من آثار الفضل والرحمة، وعلامات الثواب والكرامة، أعظم ممّا كانوا يقدّرونها بحسبانهم[4] كما قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[5] وقال عليه السلام في الخطبة له: «وكلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه)[6] قلت لم يعلم إرادة ما قالا؛ لأنّ سياق الكلام في شدائد الآخرة وليس قبله ذكر مجرم ومؤمن حتى يكون قوله: (شاهدوا) للمجرمين وقوله: (ورأوا) للمؤمنين فالصّواب: أنّ المراد به كالأول النّاس مطلقاً؛ والمعنى: أنّهم رأوا من

(١) مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهاني: ١٣١.
(٢) ديوان البحتري ٢: ٥٤ يُرثي أبا سعيد.
(٣) الزمر: ٤٧.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥١، الخوئي ١٤: ٢٢٨ ح٢١٩.
(٥) السجدة: ١٧.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥١.

آيات جبروته في دار الآخرة أعظم ممّا قدّروا وفكّروا في دار الدنيا.

«فكلتا الغايتين» أي: النار والجنّة.

«مُدَّت لهم إلى مباءةٍ» في (الصحاح): والمباءة: منزل القوم في كلّ موضع[١].

«فأتت مبالغ الخوف والرّجاء» الجملة وصف لقوله: «مباءة» أي: منزلة كلّ من أهل النّار والجنّة منزلةً لا يبلغها درجات الخوف والرّجاء؛ قال تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين* قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين* وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين* وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾[٢].

«فلو كانوا ينطقون بها» أي: بتلك «المباءة».

«لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا» والعيّ خلاف البيان ويجوز في (عيو) التخفيف والتشديد وكيف لا يعيون عن صفة ما شاهدوا من عذاب لا تقوم له السماوات والأرض وثواب لا رأت عين مثله ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب.

«ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم ولقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم اذان العقول» في (الأغاني): قال ابن الكلبي: خرج النعمان بن

---

(١) الصحاح: مادة (باء).

(٢) الزمر: ٧١ ـ ٧٤.

المنذر إلى الصيد ومعه عديّ بن زيد فمرّ بشجرة فقال له عديّ: أيّها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا. قال: تقول:

ربّ ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدّهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حال بعد حال

ثم جاوزا الشجرة فمرّا بمقبرة فقال له عديّ: أيّها الملك، أتدري ما تقول هذه المقبرة قال: لا. قال: تقول:

أيها الرّكب المخبّون على الأرض المجدّون
فكما أنتم كنّا وكما نحن تكونون

فقال: إنّ الشجرة والمقبرة لا تتكلّمان، وقد علمت انّك انّما أردت عظتي، فما السبيل التي تُدرَك بها النجاة؟ قال: تدعُ عبادة الأوثان وتعبد الله وتدين بدين المسيح؛ فتنصّر يومئذ[1]، وفي (عيون القتيبي): قال مالك بن دينار:

أتيت القبور فناديتهنّ أين المعظّم والمحتقر؟
وأين المدلّ بسلطانه وأين المزكّى إذا ما افتخر؟
فنوديت من بينها ولا أرى أحداً تفانوا جميعاً فما مخبر
وماتوا جميعاً ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى
وتمحى محاسن تلك الصور فيا سائلي عن اناس مضوا
أما لك في ما مضى معتبر[2]

«وتكلّموا من غير جهات النطق» في (العيون): قال الحارثي في ميّتٍ:

أتيناه زوّاراً فأنجدنا قرى من البثّ والدّاء الدّخيل المخامر

---

(١) الأغاني ٢: ٩٦.

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠٣ و ٣٠٢.

وأوسعنا علماً بردّ جوابنا فأعجب به من ناطق لم يحاور[١]

«فقالوا كلحت الوجوه النواضر» في (عيون القتيبي): قال محمّد بن كعب: نظرت إلى عمر بن عبد العزيز فأدمت النّظر فقال: ما تنظر؟ قلت ما أبيض من شعرك، ونحل من جسمك، وتغيّر من لونك! فقال: أما والله؛ لو رأيتني في القبر بعد ثالثة، وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخراي صديداً ودوداً؛ لكنت أشدّ نكرةً[٢].

في (الجمهرة): كلح إذا تقلّصت شفتاه من الكرب[٣] وفي (الصحاح): (النّضرة الحسن والرّونق يقال: نضّر وجهه ونضّر الله وجهه) يتعدّى ولا يتعدّى[٤].

«وخوت الأجسام» هكذا في (المصرية) ونسخة (ابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم والخطية)[٥] «الأجساد».

«النّواعم» في (الصحاح): خوت النجوم: أمحلت وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها، وخوّت النجوم إذا مالت للمغيب[٦] ونَعُمَ الشيء (بالضمّ) نعومة: صار ناعماً ليّناً.

في (الطبري): لمّا أعرس سابور بن أردشير بالنضيرة ابنة الضّيزن ملك الجزيرة بعد ظفره بأبيها ذكروا انّه لم تزل ليلتها تضور من خشونة

(١) المصدر نفسه ٢: ١٨١.

(٢) لم نعثر عليه في عيون الأخبار لكنّه موجود في البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٣٥.

(٣) الجمهرة: ٥٦٣ (كلح).

(٤) الصحاح: (نضر).

(٥) المصرية المصححة بلفظ (الأجساد): ٤٨٥، وشرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٥، وشرح ابن ميثم بلفظ (الأجسام) ٤: ٢٧، والخطية: ٢١٥.

(٦) الصحاح: (خوا).

فرشها وهي من حرير محشوّة بالقزّ، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا ورقة آس ملتزقة بعنكة من عكنها قد اثّرت فيها ـ وكان ينظر إلى مخّها من لين بشرتها ـ فقال لها سابور: ويحك! بأيّ شيء كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد والمخّ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر[1]....

«ولبسنا أهدام البلى» الأهدام جمع هدم بالكسر: الثوب البالي، وبلى الميّت: أفنته الأرض.

«وتكأدّنا ضيق المضجع»، في (الصحاح): تكأدّني وتكآءدني أي: شقّ عليّ[2].

«وتوارثنا الوحشة» في (المروج) عن المبرّد سعي بأبي الحسن علي بن محمد عليه السلام إلى المتوكّل، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته، فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره، فوجد في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّها إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخِذَ على ما وجد عليه، وحُمِلَ إلى المتوكّل في جوف الليل فَمَثُلَ بين يديه والمتوكّل يشرب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمَه وأجلسه إلى جنبه، وقالوا له: لم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه، ولا حالة يتعلّل عليه بها فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده، فقال عليه السلام: ما خامر لحمي ودمي قطّ فأعْفِني، فعافاه وقال: أنشدني شعراً استحسنه! فقال عليه السلام: إنّي لقليل الرواية للأشعار، فقال: لابدّ أن تنشدني، فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرّجال فما أغنتهم القلل

---

(١) الطبري ١: ٤٨٥.

(٢) الصحاح (كاد).

واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعدما قبروا أين الأسرّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تضرب الأستار والكلل؟
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمّروا داراً لتحصنهم ففارقوا الدّار والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا[١]

فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بلّت دموعه لحيته وبكى من حضره ثمّ أمر برفع الشراب....

«وتهكمت علينا» نقله ابن أبي الحديد[٢] «وتهدّمت علينا» وجعل «تهكمّت» روايه وكيف كان فهما بمعنى، وأمّا في (المصرية): «وتهكعت» فغلط و «تهكّمت» في (ابن ميثم والخطية)[٣].

«الرّبوع الصّموت» الربوع جمع الرّبع: الدار و «الصّموت»: السكوت، والديار الصامتة: القبور، ولنعم ما قيل بالفارسية: عاقبت منزل ما وادى خاموشان است.

«فانمحت محاسن أجسادنا» وتنكّرت معارف صورنا» معارف جمع معرف أي: الوجه وما يظهر من البدن.

«وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا» في (الكافي): وقف أبو جعفر عليه السلام

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١.

(٢) ابن أبي الحديد ١١: ١٥١.

(٣) المصرية المصححة (تهكمت): ٤٨٥، وشرح ابن ميثم ٤: ٥٧ مع (و) والنسخة الخطية: ٢١٥.

على قبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة بالبقيع فقال: «اللّهم ارحم غربته، وصِل وحدته وآنس وحشته، واسكن إليه من رحمتك ما يستغني به عن رحمة من سواك، وألحقه بمن كان يتولّاه»[1].

«ولم نجد من كربٍ فرجاً» الكَرْب بالسكون: الغمّ الذي يأخذ بالنفس.

«ولا من ضيقٍ متسعاً» ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله...﴾[2].

«فلو مثّلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك» في الكافي عن النبي ﷺ قال: إنّي كنت انظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها ـ وليس من نبيّ إلّا وقد رعى الغنم ـ كنت أنظر إليها قبل النبوّة وهي متمكّنة ما حولها بشيء يهيجها حتّى تذعر فتطير فأقول: ماهذا؟ وأعجب حتّى حدّثني جبرئيل أنّ الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلّا سمعها ويذعر لها إلّا الثقلين! فقلنا ذلك لضربة الكافر[3]. وعن السجاد عليه السلام: ما ندري كيف نصنع بالنّاس! إن حدّثناهم بما سمعنا من النبي ﷺ ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا، فقال ضمرة بن معبد: حدّثنا فقال: هل تدرون ما يقول عدوّ الله إذا حُمِلَ على سريره، يقول لحَملته: أشكوا إليكم عدوّاً خدعني وأوردني ثمّ لم يصدرني، وأشكوا إليكم أَولاداً حاميت عنهم فخذلوني، وأشكوا إليكم داراً انفقت فيها حريبتي فصار سكّانها غيري، فارفقوا بي ولا تستعجلوا! فقال ضمرة: ان كان هذا يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه فقال عليه السلام: اللّهم ان كان ضمرة هزأ من حديث رسولك فخذه أخذ اسف ـ فمكث أربعين يوماً ثمّ

---

(١) الكافي ٣: ٢٣٣ ح١.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) الكافي ٣: ٢٢٩ ح٦.

مات، فحضره مولى له فلمّا دفن أتى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: من أين جئت؟ قال: من جنازة ضمرة وضعت وجهي عليه حين سُوّيَ عليه، فسمعت صوته، أعرفه والله كما كنت أعرفه وهو حيّ! يقول: ويلك يا ضمرة! خذلك اليوم كلّ خليل، وصار في الجحيم مسكنك، والمقيل، فقال عليه السلام: هذا جزاء من يهزأ من حديث الرسول صلى الله عليه وآله[1].

«وقد ارتسخت أسماعهم بالهوامّ» قال ابن أبي الحديد: ليس معنى «ارتسخت» ثبتت كما زعم الراوندي لأنّ الأسماع لم تثبت وإنّما تثبت الهوامّ فيها، بل الصحيح انّه من رسخ الغدير إذا نشّ ماؤه ونضب، ويقال: ارتسخت الأرض بالمطر إذا ابتلعته)[2].

قلت: لابدّ أنّ الراوندي ذكر معنى مجرّد ارتسخ لأن معنى الباب معلوم، وحينئذ فيُعلم انّ المراد تثبّتت أسماعهم بالهوامّ، ولا يرد عليه شيء؛ والأصل في استعماليه أيضاً الثبوت هذا، ويحتمل أن يكون «ارتسخت» مصحّف (اتّسخت) من الوَسَخ بمناسبة قوله بعد «واكتحلت أبصارهم بالتراب» وتكون (الرّاء) حدثت من كسرة الهمزة والهوام: جمع الهامة: المَخُوف من الأحناش.

«فأستكّت» أي: صُمّت قال النابغة: (وتلك التي تستكّ منه المسامع)؛ وقال عبيد بن الأبرص: (دعا معاشر فاستكّت مسامعهم)[3].

«واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت» في (العيون): (مرّ داود الطائي بامرأة تبكي عند قبر، وتقول: (يا أخاه ليت شعري بأيّ خدّيك تبدّي، البلى وأيّ عينيك اذن سالت)؛ فصعق داود بمكانه وتعبّد[4].

---

(١) الكافي ٣: ٢٣٤ ح ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٢.

(٣) لسان العرب ٦: ٣٠٩.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠٢.

«وتقطّعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها» في (تاريخ اليعقوبي): بعد ذكر قتل مروان بن محمّد آخر الخلفاء الأمويّة وحزّ رأسه، فلّما فوّر جاءه هرّ، فأخذ لسانه[١].

«وهمدت القلوب في صدروهم بعد يقظتها» الهمدة: السكتة، وهمدت النار: طفئت، وهمد الثوب: بلى. قال بعضهم في وصف عضد الدولة: من رآه رأى رجلاً في صدره ألف قلب[٢].

«وعاث في كلّ جارحةٍ منهم جديد بلىً» العيث: الإفساد؛ والجارحة: العضو، وقوله: «جديد بِلى» لا يخلو من لطف، وقال ابن أبي الحديد: أخذها الشاعر فقال:

يا دار غادرني جديد بلاك رثّ الجديد فهل رثيت لذاك![٣]

«سمّجها» أي: قبّحها، في (الطبري) في موت المنصور في طريق مكّة، قال: فحملناه حتّى أتينا به ثلاثة أميال من مكّة، فكأنّي أنظر إليه، أدنو من قائمة سريره نحمله، فتحرّك الرّيح فتطيّر شعر صدغيه[٤].

«وسهلّ طرق الآفة إليها مستسلماتٍ» قال ابن أبي الحديد: قال ابن نباتة: (فلو كشفتم عنهم أغطية الأجداث بعد ليلتين أو ثلاث وجدتم الأحداق على الخدود سائلة والألوان من ضيق اللحود حائلة، وهوامّ الأرض في نواعم الأبدان جائلة والرؤوس الموسدة على الايمان زائلة، ينكرها من كان لها عارفاً ويفرّ عنها من لم يزل لها ألفا)[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٢.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٣٤٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٢.

«فلا أيدٍ تدفع ولا قلوب تجزع» قال المتنبيّ:

ومغض كان لا يغضى لخطب وبـال لا يـفكر بـالهُزَالِ[1]

وفي (تاريخ بغداد): قال محمد الواثقي: كنت أنا وجماعة من الموالي والأولياء والخدم بين يدي الواثق في علّته التي مات فيها، إذ لحقه غشية فما شككنا أنّه مات، فقال بعضنا لبعض: تقدّموا فاعرفوا خبره فما جسر أحد منهم يتقدّم! فتقدّمت أنا فلمّا صرت عند رأسه، وأردت أن أضع يدي على أنفه، اعتبر نفسه لحقته إفاقة؛ ففتح عينيه فكدت أموت فزعاً من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعت إلى خلف وتعلّقت قبيعة سيفي بعتبة المجلس، وعثرت به، فاتّكأت عليه فاندقّ سيفي، وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني، وخرجت فاستدعيت سيفاً ومنطقة، فلبستها وجئت حتّى وقفت في مرتبتي ساعةً فتلف الواثق تلفاً لم نشكّ فيه، فتقدّمت فشددت لحييه وغمّضته وسجّيته ووجّهته إلى القبلة، وجاء الفرّاشون فأخذوا ما تحته في المجلس ليردّوه الخزائن؛ لأن جميعه مثبّت عليهم وترك وحده في البيت! وقال لي ابن أبي دؤاد القاضي: إنّا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة، ولابدّ أن يكون أحد يحفظ الميّت، وأحبّ أن أكون لأنّي كنت من أخصّهم به في حياته، اصطنعني حتّى لقّبني الواثقي باسمه، فقلت: دَعُوني وامضوا فرددت باب المجلس، وجلست في الصحن عند الباب أحفظه، وكان المجلس في بستان عظيم أجرنيّه، وهو بين بساتين، فحسست بعد ساعة في البيت بحركة أفزعتني؛ فدخلت فإذا بجرذون من دوابّ البستان قد جاء حتّى استلّ عين الواثق فأكلها فقلت سبحان الله، العين التي فتحها منذ ساعة، فاندق سيفي هيبة لها، صارت

---

(١) ديوان المتنبي ٣: ١٥ .

طعمة لدابّة ضعيفة[1].

«لرأيت أشجان قلوبٍ» أشجان جمع شَجَن بفتحتين أي: الحزن.

«وأقذاء عيونٍ» قذى العين: ما يسقط فيها، ثمّ إنّه وان كان لو مثّلهم بعقله عرض له ما ينغّص عليه لذائذ الدنيا كما قال عليه السلام إلّا إنّه يهوّن ذلك هموم الدنيا أيضاً، وفي (الكافي) عن أبي بصير شكا إلى الصادق عليه السلام وسواس الدنيا فقال عليه السلام له: أذكر تقطّع أوصالك في قبرك، ورجوع أحبّائك عنك إذا دفنوك في حفرتك، وخروج بنات الماء من منخريك، وأكل الدود لحمك، فانّ ذلك يسلّي عنك ما أنت فيه؛ قال أبو بصير فما ذكرته إلّا سلا عنّي ما أنا فيه من هم الدّنيا[2].

«لهم من كلّ فظاعة صفةٍ حالٌ لا تنتقل» الظاهر أنّ فظاعة مضافة إلى «صفة» وحال مبتدأ لقوله «لهم» بقرينة قوله بعد.

«وغمرةٌ لا تنجلي» والغمرة: الشدّة.

«وكم أكلت الأرض من عزيز جسدٍ وأنيق لونٍ» شيء أنيق أي: حسن معجب.

«كان في الدنيا غذيّ ترفٍ» غذيّ فعيل من (غذوت) بمعنى المفعول.

«وربيب شرفٍ» كأولاد الملوك والامراء؛ وفي (بلدان الحموي): عن عبدالله بن مالك الخزاعي ـ: دخلت مع يحيى بن خالد لمّا خرجنا مع الرّشيد إلى الحيرة وقد قصدناها لنتنزّه بها، ونرى آثار المنذر، فدخل دير هند الأصغر فرأى آثار قبر النعمان وقبرها إلى جنبه ثمّ خرج إلى دير هند الكبرى وهو على طرف النجف فرأى في جانب حائطه شيئاً مكتوباً فدعا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ٩ في ترجمة (هارون بن محمد).

(٢) الكافي ٣: ٢٥٥ ح ٢٠.

بسلّم وأمر بقراءته وفيه:

انّ بني المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الرّاهبُ
تنفح بالمسك ذفاريهم وعنبر يقطبه القاطب
والقزّ والكتّان أثوابهم لم يجب الصوف لهم جائب
والعزّ والملك لهم راهن وقهوة ناجودها ساكب
أضحوا وما يرجوهم طالب خيراً ولا يرهبهم راهب
كأنّهم كانوا بها لعبة سار إلى أين بها الرّاكب
فأصبحوا في طبقات الثرى بعد نعيم لهم راتب
شرّ البقايا من بقى بعدهم قلّ وذلّ جدّه خائب

قال: فبكى حتّى جرت دموعه على لحيته وقال: نعم! هذا سبيل الدّنيا وأهلها[1]، وفي (طرائف الثعالبي): «اعجوبة في هلاك تسعة أملاك، متناسقين في مدّة سنتين ٣٨٧ و ٣٨٨ وفيهم قال المؤلّف:

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمّنته الجوانح
ويا بؤس منصور وفي يوم سرخس تمزّق عنه ملكه وهو طائح
وفرّق عنه الشّمل بالسمل فاغتدى أسيراً ضريراً تعتريه الجوائح

(١) معجم البلدان للحموي ٢: ٥٤٢.

وصاحب مصر قد مضى لسبيله
ووالي الجبال غيّبته الصفائح

وصاحب جرجانيّة في ندامة
ترصّده طرف من الحين طامح

تساقوا كؤوس الرّاح ثمّ تشاربوا
كؤوس المنايا والدّماء سوافح

خوارزم شاهٍ شاهَ وجه نعيمه
وعنّ له يوم من النحس طالح

وكان علا في الأرض يخبطها أبو
عليّ إلى أن طوّحته المطاوح

فعارضه ناب من الشّرّ أعصل
وعنّ له طير من الشؤم بارح

وصاحب بست ذلك الضيغم الذي
براثنه للمشرقين مفاتح

أناخ به من صدمة الدهر كلكل
فلم يغن عنه والمقدّر سانح

خيول كأمثال السيول سوابح
فيول كأمثال الجبال سوارح

جيوش إذا أربت على عدد الحصى
تغصّ بها قيعانها والصّحاصح

ودارت على صمصام دولة بويه
دوائر سوء قبلهنّ فوادح

وقـد جـاز والي الجـوزجـان قـناطر
الحـياة فـوافـته المـنايا الطـوامـح
وفـائق المـجبوب قـد جبّ عـمره
فأمسـى ولم يـندبه فـي الأرض نـائح
مضوا في مـدى عـامين واخـتطفتهم
عـقاب إذا طـارت تـخرّ الجـوارح
أمـا لك فـيهم عـبرة مسـتفادة
بـلى انّ نـهج الاعـتبار لواضـح[1]

هذا، وفي (الطبري): انّ سابور بن اردشير أقام على حصن ضيزن أربع سنين لا يقدر على هدمه، ثمّ انّ ابنة للضيزن يقال لها النضيرة عـركت ـ أي حاضت ـ فأخرجت إلى ربض المدينة ـ أي مـا حـولها ـ وكـذلك كـان يـفعل بالنساء إذا عركن ـ وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرأى كلّ واحد منهما صاحبه فعشقته وعشقها فأرسلت إليه ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبي، قال: أحكمك وأرفعك على نسائي وأخصّك بنفسي دونهنّ. قالت: تكتب فـي رجـل حـمامة ورقـاء مطوّقة بحيض جارية بكر زرقاء، ثمّ ترسلها فانّها تقع عـلى حـائط المـدينة فتداعى المدينة، وكان ذلك طلسم المدينة لا يهدمها إلّا هذا، ففعل وتأهّب لهم، وقالت: أنا أسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم، وادخل المـدينة فـفعل وتداعت المدينة ففتحها عنوة، وقتل الضّيزن وأباد أفناء قضاعة الذين كانوا مع الضّيزن، وأخرب المدينة واحتمل النضيرة ابنة ضيزن فأعرس بها بعين التمر، فذكر أنّها لم تزل ليلتها تضور من خشونة فـرشها وهـي مـن حـرير

(١) لطائف المعارف للثعالبي: ١٤٩ ـ ١٥١.

محشوّة، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا ورقة اس ملتزقة بعنكة ـ أي طيّ في البطن من السمّن ـ من عنكها قد أثّرت فيها وكان ينظر إلى مخّها من لين بشرتها؛ فقال لها سابور ويحك! بأيّ شيءٍ كان يغذوك أبوك؟ قالت: بالزّبد والمخّ وشهد الأبكار من النحل وصفو الخمر، قال: وأبيك! لأنا أحدث عهداً بك من أبيك الّذي غذّاك بما تذكرين، فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ثمّ عصّب عذائرها بذنبه ثم أستركضها فقطّعها قطعاً[1].

«يتعلّل بالسرور في ساعة حزنه» في (الطبري): قال زنام الزامر: قد وجد المعتصم في علّته التي توفّي فيها أفاقةً فقال هيئوا لي الزّلال لأركب غداً؛ فركب وركبت معه فمرّ في دجلة بإزاء منازله فقال يا زنام أزمر لي:

يا منزلاً لم تبل اطلاله	حاشىٰ لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنّني	بكيت عيشي فيك إذ ولّى
والعيش أولى ما بكاه الفتى	لابدّ للمحزون ان يُسلى

فما زلت أزمر هذا الصوت حتّى دعا برطليّة، فشرب منها قدحاً، وجعلت أزمره وأكرّره وقد تناول منديلاً بين يديه، فمازال يبكي ويمسح دموعه وينتحب حتّى رجع إلى منزله ولم يستتم شرب الرطليّة؛ وفيه أيضاً في مقتل المتوكل: لم يكن المتوكل في يوم من الأيام أسرّ منه في ذلك اليوم، أخذ مجلسه ودعا بالندماء والمغنّين فحضروا، وأهدت إليه قبيحة أمّ المعتزّ مطرف خزٍّ أخضر لم يَرَ الناس مثله حسناً، فنظر إليه، فأطال النظر فاستحسنه وكثر تعجّبه منه، وأمر به فقُطّع نصفين وأمر بردّه عليها ثمّ قال لرسوله: والله انّ نفسي لتحدّثني أنّي لا ألبسه وما أحبّ أن يلبسه أحد بعدي، وانّما أمرت بشقّه لئلّا يلبسه أحد بعدي؛ وأخذ في الشراب واللّهو، ولهج يقول: أنا مفارقكم

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٨٤.

والله عن قليل، فلم يَزَل في لهوه وسروره إلى الليل؛ وذكر قتله في الليل[١].

«ويفزع إلى السّلوة» في (الصحاح): (سلى عنّي الهمّ وتسلّى : انكشف والسُّلوانه (بالضمّ): خزرة كانوا يقولون إذا صُبّ عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا)[٢].

إن مصيبةٌ نزلت به» وفي (الأغاني): عن مسرور الخادم أنّ الرشيد لمّا أراد قتل جعفر لم يطّلع عليه أحد ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته، فقال له: اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به واصطبح فإنّي مصطبح مع الحرم؛ فمضى جعفر ولم يزل برّه وألطافه تتابع إليه لئلّا يستوحش، فلمّا كان في الليل دعاني فقال: «اذهب فجئني السّاعة رأس جعفر» وضمّ إليّ جماعة من الغلمان فمضيت حتّى هجمت عليه منزله واذا أبو زكار الأعمى يغنّيه بقوله:

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتي　　　عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت له: والله في هذا المعنى ومثله جئتك فأجب؛ فوثب وقال: جعلني الله فداك، ما الخبر؟ قلت قد أُمرت بأخذ رأسك فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال: الله الله! راجعه فيّ، فقلت: مالي إلى ذلك سبيل؛ قال: فاعهد؛ قلت: ذاك لك، فذهب يدخل إلى النساء فمنعته، وقلت: اعهد في موضعك، فدعا بدواةٍ وكتب أحرفاً على دهش، ثمّ قال لي: بقيت واحدة، قلت: هاتها قال: خذني معك إلى الرشيد حتّى أُخاطبه، قلت: مالي إلى ذلك سبيل، قال: ويحك! لا تقتلني بأمره على النبيذ فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئاً قال: فخذني واحبسني عندك في الدّار، وعاوده في أمري قلت: أفعل، فأخذته فقال لي أبو زكّار الأعمى: نشدتك الله إن قتلته الاّ ألحقتني به! قلت: لقد اخترت غير مختار. قال: وكيف أعيش بعده

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣١٤.

(٢) الصحاح: (سلا).

وحياتي كانت به؟ فمضيت بجعفر؛ ودخلت إلى الرشيد فلمّا رآني قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر، فقال: يا ابن الفاعلة! والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذن رأسك! فمضيت إليه فأخذت رأسه ووضعته بين يديه، ثمّ أخبرته بخبره وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى[١].

«ضنّاً بغضارة عيشه» أي: بخلاً بطيب عيشه.

«وشحاحة بلهوه ولعبه» الشحاحة أشدّ البخل، قال البحتري في سعد النوشري:

طلب البقاء بكلّ فال صالح	وبكلّ جاءٍ سانح أو بارح
سمّاه سعداً ظنّ ان يحيىٰ به	عمري لقد ألفاه سعد الذّابح[٢]

وفي (الكشف)[٣] عن أعلام الطبرسي: أولم بعض أولاد الخلفاء وليمةً فدعا أبا الحسن، أي: الهادي عليه السلام ودعا النّاس، فلّما رأوه أنصتوا إجلالاً له، وجعل شابّ في المجلس لا يوقّره ويتحدّث ويضحك، فأقبل عليه السلام عليه وقال: يا هذا أتضحك بملء فيك وتذهل عن ذكر الله وأنت بعد ثلاث من أهل القبور؟! قال: أي: الراوي، فقلنا: هذا دليل ننظر ما يكون، فأمسك الفتىٰ وكفّ، وطعمنا وخرجنا، فلما كان بعد يوم اعتلّ الفتىٰ، ومات في اليوم الثالث ودفن فيه![٤]

«فبينما» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: (فَبَينا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦].

---

(١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ٧: ٢٢٧.

(٢) ديوان البحتري ٢: ٣٢.

(٣) الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١٨٨.

(٤) أعلام الورى للطبرسي: ٣٦٤.

(٥) المصرية المصححة (فبينا): ٤٨٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥١، وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ٥٦.

«هو يضحك إلى الدنيا وتضحك الدُّنيا» هكذا في (المصرية)[1] وكلمة «الدنيا» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2] ولتقدّم ذكرها.

«إليه»، قال الكناني في خلع المستعين:

وغدا الخليفة أحمد بن محمّد بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الأيّام تضحك زهرة وهو الربيع لمن أراد ربيعا
فأزاله المقدور من رتب العلى فثوى بواسط لا يحسّ رجوعا[3]

«في ظلّ عيشٍ غفول» في (تأريخ الجزري): قبض عضد الدولة سنة (٣٦٦) على أبي الفتح بن عميد وزير أبيه وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه، وكان سبب ذلك أنّ أبا الفتح لمّا كان ببغداد مع عضد الدولة، على ما شرحنا، وسار عضد الدولة نحو فارس تقدّم إلى أبي الفتح بتعجيل المسير عن بغداد إلى الرّي، فخالفه وأقام وأعجبه المقام ببغداد، وشرب مع بختيار ومال في هواه واقتنى ببغداد أملاكاً ودوراً على عزم العود إليها إذا مات ركن الدولة ثمّ صار يكاتب بختيار بأشياء يكرهها عضد الدولة وكان له نائب يعرضها على بختيار فكان ذلك النائب يكاتب بها عضد الدولة ساعة فساعة، فلمّا ملك عضد الدولة بعد موت أبيه كتب إلى أخيه فخر الدولة بالرّي يأمره بالقبض عليه وعلى أهله وأصحابه، ففعل ذلك وانقرض بيت العميد على يده كما ظنّه أبوه، وكان ليلة قبض عليه قد أمسى مسروراً، فأحضر الندماء والمغنّيّن وأظهر من الآلات الذهبيّة والزجاج المليح وأنواع الطيب ما ليس لأحدٍ مثله وشربوا وعمل شعراً وغنّي له فيه، وهو:

---

(١) الطبعة المصرية المصححة لا وجود ل(الدنيا) الثانية: ٤٨٦ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥١ وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ٥٧ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٦٧ .

دعوت المُنى ودعوت العلى فلمّا أجابا دعوت القدح
وقلت لأيّام شرخ الشباب إليّ وهذا أوان الفرح
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح

فلما غنّى في الشعر استطابه وشرب عليه إلى أن سكر، وقام وقال لغلمانه: أُتركوا المجلسِ على ما هو عليه لنصطبح غداً، وقال لندمائه بكّروا عليّ غداً لنصطبح ولا تتأخّروا، فانصرف الندماء ودخل هو إلى بيت منامه، فلمّا كان في السحر دعاه مؤيّد الدولة فقبض عليه وأرسل إلى داره فأخذ جميع ما فيها ومن جملته ذلك المجلس بما فيه[1].

إذ وطئ به الدهر حسكه» في (الصحاح): الحَسَك: حَسَك السّعدان، والسّعدان: نبت له شوك يشبّه به حلمة الثدي، والحسك أيضاً: ما يعمل من الحديد على مثاله وهو من آلات العسكر)[2].

«ونقضت الأيّام قواه» القوى (بالضمّ والكسر): جمع القوّة.

«ونظرت إليه الحتوف» جمع الحتف: الموت.

«من كثبٍ»، أي: قرب؛ وفي (الأغاني) (نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشامّ ومعه حبّابة، فقال: زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عيشةً يوماً إلى الليل الاّ يكدّرها شيء عليه، وسأُجرّب ذلك، ثمّ قال لمن معه: إذا كان غد، فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب وخلا هو وحبّابة، فأُتيا بما يأكلان فأكلت رمّانة، فشرقت بحبّة منها فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثاً! حتّى تغيّرت وأنتنت وهو يشمّها ويرشفها، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وأصدقائه وعابوا عليه ما يصنع وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك! حتى أذِنَ لهم في غسلها ودفنها،

---

(١) الكامل لابن الأثير ٨: ٦٧٥ ـ ٦٧٦.

(٢) الصحاح: (حسك).

وأمر فأُخرجت في نِطْعٍ، وخرج معها لا يتكلّم حتّى جلس على قبرها؛ فلمّا دفنت قال: أصبحت والله كما قال كُثَيِّر:

فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدع الصّبىٰ ... فباليأس يسلو عنك لا بالتجلّد

فكُلّ خليلٍ رآءني فهو قائل ... من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

فما قام إلّا خمس عشرة ليلة حتّى دُفن إلى جنبها[١]. وروى المدائني: أنّه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيّام من دفنها، فقال: لابدّ أن تُنبش؛ فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيّر تغيّراً قبيحاً فقيل له: اتق الله، ألا ترى كيف صارت؟ فقال: ما رأيتها أحسن منها اليوم، أخرجوها، فجاءه مسلمة ووجوه أهله، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودفنوها، فانصرف فكمِد كمداً شديداً حتّى مات، فدفن إلى جنبها. وروى أنّه لمّا ماتت لم يستطع يزيدُ الرّكوب من الجزع، فحُمِل على منبر على رقاب الرجال[٢]. وفي (وصايا أبي حاتم) عن حصين: إنّي لقائم على رأس سليمان بن عبد الملك أذبُّ عنه بمَنديل إذ غزا الصائفة إذ تشمّم، فوجد رائحة خبز فقال: إئتوني من هذا الخبز، فأتوه بثلاثة أرغفة عظام من خبز الفرني، فقال: يا غلام! انطلق إلى المطبخ فانظر هل تصيب مُخّاً، فانطلق فنكت عظاماً ممّا طبخ ثمّ أقبل به في شيء، فلما رآه قال: ويلك! ما هذا؟ فانصرف الغلام فما ترك في المطبخ عظماً إلّا نكته ثمّ أتى به في صحفة، فأكل تلك الأرغفة الحارّة بذلك المخّ ثم وثب، فدخل على أُمّ سلمة بنت عمر بن سهل فما نزل عن بطنها إلّا وهو مغشيّ عليه، فأقام يوماً وليلةً ثمّ أفاق، فقال: هو الموت! فلم يلبث بعد ذلك إلّا ستّة أيّام حتى هلك[٣].

---

(١) الأغاني ١٥: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه ١٥: ١٤٤.

(٣) المعمّرون والوصايا لأبي حاتم: ١٦٦.

«فخالطه بثّ لا يعرفه» أي: حزن لم يكن له قبل.

«ونجيّ همٍّ ما كان يجده»، قال الشاعر: (وهمّ يأخذ النجواء منه)؛ في (الشعراء): (لقي النعمان عبيد بن الأبرص في يوم بؤسه، ولعبيد أكثر من ثلاثمائة سنة، فلمّا رآه قال: هلّا كان هذا لغيرك يا عبيد! أنشدني فربّما أعجبني شعرك، قال: (حالَ الجريضُ دونَ القريضِ) قال أنشدني: (اقفر من أهله ملحوب) فقال:

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فقال: أي قَتلةٍ تختار؟ قال: اسقني الخمر حتّى إذا ثملت، أفصدني الأكحل ففعل ذلك ولطخ بدمه الغريّين، وكان بناهما على نديمين له خالد الفقعسي وعمرو بن مسعود، وقوله: (حال الجريض دون القريض) مثلٌ؛ أصله، أنّ رجلاً نبغ في الشعر، فنهاه أبوه عنه، فجاش في صدره ومرض، حتّى أشرف على الهلاك فأذِنَ له أبوه فقال: (حال الجريض دون القريض)[1].

«وتولّدت فيه فترات عللٍ» (فَتَرَ الحرّ): ضعف وانكسر، وفتّره الله.

«آنس ما كان بصحّته» في (المروج) في غزوة المأمون الروم، وفتحه حصونهم: وانصرف فنزل على عين البديدون، فأعجبه برد مائها وصفاؤه، وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة، فأمر بقطع خشب طوال وأمر به، فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق الشجر، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته، وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء، ولم يجسر أحد يُدخِل يده في الماء من شدّة برده. فبينا هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذّراع كأنّها سبيكة فضّة، فجعل لمن يخرجها سيفاً فبدر بعض الفرّاشين فأخذها وصعد،

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٤٤ طبع ليدن.

فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وأفلتت من يد الفرّاش فوقعت في الماء كالحجر، فنضح من الماء على صدر المأمون ونحره وترقوته فبلّت ثوبه، ثم انحدر الفرّاش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل يضطرب فقال المأمون: تقلى الساعة، ثمّ أخذته رعدة من ساعته، فلم يقدر يتحرّك من مكانه، فغطّي باللّحف والدّواويج، وهو يرتعد ويصيح البرد البرد، ثمّ دثّر، وأوقدت النيران حوله، وهو يصيح البرد البرد، ثم أُتي بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها، وشغله ما هو فيه عن تناول شيء منها، ولمّا اشتدّ به الأمر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه عن المأمون وهو في سكرات الموت، ماالذي يدلّ عليه الطبّ من أمره؟ فأخذ ابن ماسويه احدى يديه وبختيشوع الأُخرى، وأخذ المجسّة من كلتا يديه، فوجدا نبضه خارجاً من الاعتدال، مُنذراً بالفناء والانحلال، والتزقت أيديهما ببشرته لعَرَقٍ كان يظهر منه، من ساير جسده، كالزّيت، أو كلعاب الأفاعي، فأخبر المعتصم بذلك، فسألهما عن ذلك، فأنكرا معرفته، وأنّهما لم يجداه في شيء من الكتب، وأنّه دالّ على انحلال الجسد، فأفاق من غشيته، فأمر بإحضار أُناس، فسألهم عن اسم العين والموضع فقيل له: القشيرة ـ أي مدّ رجليك ـ فلما سمعها اضطرب وتطيّر، فقال: ما اسم الموضع بالعربية؟ قالوا: الرّقّة، وكان فيما عمل من مولد المأمون انّه يموت بالموضع المعروف بالرقّة، وكان كثيراً ما يحيد عن المقام بمدينة الرقّة فَرَقاً من الموت، فلمّا سمع هذا من أهل الروم علم أنّه الموضع الذي وعد فيه[1].

«ففزع إلى ما كان عوّده الأطباء من تسكين الحارّ بالقارّ» القارّ: البارد.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

«وتحريك البارد بالحارّ»، في (الطبري): (ذكروا أنّ علّة فوت الواثق الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخّن، فوجد لذلك راحة وخفّة ممّا كان به، فأمرهم بالغد بزيادة في إسخان التنّور ففُعل ذلك، وقعد فيه أكثر من قعوده في الأمس فحمى عليه؛ فأُخرج منه وصيّر في محفّة فلم يعلموا بموته حتّى ضرب بوجهه المحفّة فعلموا انّه قد مات[1].

«فلم يطفئ ببارد إلّا ثوّر حرارةً» يُطفيءُ من (طفأت النار) و «ثوّر» من (ثوّر عليهم الشرّ):هيّجه.

«ولا حرّك بحارٍّ إلّا هيّج برودةً» قالوا بالفارسية:

از قضا سركنگبين صفر أفزود روغن بادام خشكى مينمود

وفي (الطبري): قيل في موت الرشيد أنّ جبرئيل بن بختيشوع غلط عليه في علّته في علاج عالجه به كان سبب منيّته فكان الرشيد همّ، ليلة مات، بقتله وأن يفصله كما فصل أخا رافع، فدعا بجبرئيل ليفعل ذلك به، فقال له جبرئيل: أنظرني إلى غد فانّك ستصبح في عافية، فمات في ذلك اليوم.

قلت: فلابدّ أن يغلط طبيب مثل جبرئيل حتى ينزل عليه عزرائيل وتمضي فيه مقادير الملك الجليل[2]. هذا، وفي (خلفاء السيوطي): قال شمس الدين الجزري: كان الماء الّذي يشربه النّاصر العبّاسي تأتي به الدوّاب من فوق بغداد بسبع فراسخ ويغلي سبع غلوات كلّ يوم غلوة، ثمّ يحبس في الأوعية سبعة أيام ثمّ يشرب منه، ومع هذا ما مات حتّى سقى المرقد مرّات، وشُقّ ذكره وأخرج منه الحصى ومات منه، مات سنة ٦٢٢[3].

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٢٧.

(٣) الخلفاء للسيوطي: ٣٦١.

«ولا اعتدل بممازجٍ لتلك الطّبايع إلّا أمدَّ منها كلَّ ذات داءٍ» في (البيان): قيل لعمرو بن العاص في مرض موته: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوى أكثر من رزئي فما بقاء الشيخ على ذلك؟ وقيل لإعرابي كانت به أمراض عدّة: كيف تجدك؟ قال: أمّا الّذي يعمدني فحصر وأسر[1]، والحصر (بالضمّ): اعتقال البطن؛ والأسر (بالضمّ): حبس البول.

«حتّى فتر مُعَلِّلُهُ» أي: ضعف وانكسر من يتصدّى أمر علّته، وفي (أخبار حكماء القفطي): مَرِضَ الهادي، فجُمع الأُطباء أبو قريش، والطيفوري، وداود بن سرفيون، فقال لهم: أنتم تأكلون أموالي وجوائزي وفي وقت الشدّة تتغافلون عنّي، فقال له أبو قريش: علينا الإجتهاد، والله يهب السّلامة؛ فاغتاظ من هذا! فقال له الربيع: قد وصف لنا (بنهر صرصر) طبيب ماهر، يقال له يشوع بن نضر، فأمر بإحضاره وبقتل أولئك الأطباء، فلم يتصدّ الربيع لقتلهم لعلمه باختلاط عقله من شدّة المرض، وأرسل إلى طبيب (نهرصرصر) وأحضره، فدخل على الهادي، فقال له: رأيت القارورة، قال: نعم هوذا أعمل لك دواءً نأخذه وإذا كان على تسع ساعات تبرأ وتخلص؛ وخرج من عنده، وقال للأطباء: لاتشغلوا قلوبكم في هذا اليوم، وكان الهادي أمر له بعشرة آلاف درهم ليبتاع له بها الدّواء، فأخذها وسيّرها بيته، وأحضر أدوية وجمع الأطباء بالقرب من موضع الهادي، وقال لهم: دقّوا حتّى يسمع ويسكن، فإنكم في آخر النهار تتخلّصون؛ وكلّ ساعة يدعو به الهادي ويسأله عن الدواء فيقول: هوذا تسمع صوت الدّق، فيسكت! ولمّا كان بعد تسع ساعات مات وتخلّص الأطباء[2].

---

(١) البيان والتبيان للجاحظ ١: ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٢) أخبار الحكماء للقطفي: ٢٨١.

«وذهل ممرّضهُ» يجوز في «ذَهِلَ» الفتح والكسر والذّهول: الغفلة.

«وتعايا أهله بصفة دائهِ»، في (الصحاح): (عَيّ بأمره وعَيِيَ) إذا لم يهتد لوجهه وتَعَيّا وتَعايا بمعنى[1]. في (الشعراء): خرج صخر بن عمرو أخو الخنساء في غزاة، فأصابه جرح رغيب فمرض من ذلك وطال مرضه، وعاده قومه وكانوا إذا سألوا عنه امرأته قالت: لا هو حيّ فيُرجى، ولا ميّت فيُنسى[2].

«وخرسوا عن جواب السائلين عنه» المراد أنّهم لصعوبة المرض ويأسهم من بُرئه لايدرون أيّ شيء يجيبون، فهم كالأخرس الّذي لا يجيب سؤالك.

«وتنازعوا دونه»، في انتخاب الطبيب، وتبديل طبيب بطبيب، ودواء بدواء.

«شجيّ خبرٍ يكتمونه» في (الصحاح): الشّجو: الهمّ والحزن؛ قال المبرّد في قولهم: (ويل للشجّي من الخليّ) ياء (الشجّي) مخفّفة، وياء (الخليّ) مشدّدة[3].

«فقائلٌ هو لما به» وهو: من لم يكن له به فضلُ علاقةٍ.

«وَمُمنٍّ لهم إيابَ عافيته» أي: يتمنّى عود عافيته. وفي خبر صخر أخي الخنساء المتقدّم ـ بعد ذكر جواب امرأته السائلين عنه بأنّه لا حيّ ولا ميّت ـ واذا سألوا أُمّه قالت أصبح صالحاً بنعمة الله فقال صخر:

أرى أُمّ صخر لا تملّ عيادتي ... وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغترُّ بالحدثان

وأيّ امرئٍ ساوى بأُمّ حليلة ... فلا عاش إلّا في شقا وهوان

---

(١) الصحاح: (عيا).

(٢) الشعر والشعراء: ١٩٨.

(٣) الصحاح: (شجا).

لعمري لقد نبّهت من كان راقداً واسمعت من كانت له اذنان[١]

وعاد الوليد بن عبد الملك أباه في مرض موته فقال:

ومستخبر عنّا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواجم[٢]

«ومصبّرٌ لهم على فقده» أي: حاملهم على الصبر عليه.

«يُذكِرُهم أسى الماضين من قبله» في (الصحاح): «أسى» بالضم والكسر جمع الأُسوة بالضمّ والكسرة: ما يُؤتسى به ـ أي: يتسلّى[٣]. وفي (ديوان المعاني): مات لأعرابيّ ثلاثة بنين في يوم واحد ودفنهم ،وعاد إلى مجلسه وجعل يتحدّث كأنْ لم يفقد واحداً، فلِيمَ على ذلك فقال: ليسوا في الموت ببدعٍ، ولا أنا في المصيبة بأوحد، ولا جدوى للجزع فعلامَ تلومونني؟[٤]

«فبينما» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: (فبينا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦].

«هو كذلك على جناحٍ من فراق الدُّنيا» في (الأساس): هو في جناح طائر، إذا وصف بالقلق والدهش.

«وترك الأحبّة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد! عش ما شئت فانّك ميّت، وأحبِبْ ما شئت فانّك مفارقه، واعمل ما شئت فانّك لاقيه[٧].

---

(١) الأغاني ١٥: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) البيان للجاحظ ٢: ١٦٧.

(٣) الصحاح: (أسا).

(٤) ديوان المعاني للعسكري ٢: ١٧٢.

(٥) الطبعة المصرية المصححة بلفظ (فبينا): ٤٨٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٢، والنسخة الخطية: ٢١٦ (كما ذكر)، أما شرح ابن ميثم ٤: ٥٨ (فبينما).

(٧) الكافي ٣: ٢٥٥ ح١٧.

«إذ عرضَ له عارضٌ من غصصه» في (الجمهرة): الغُصّة ما اعترض في الحلق فأشرق، وذو الغصّة: لقب رجل من فرسان العرب؛ والغُصص بالريّق، والشرق بالماء، فإذا كان في مرض وضعف فهو جرض، واذا كان من كرب أو بكاء فهو جأز، قال لبيد:

وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه   يحور رمادا بعد إذ هو ساطع[1]

قال ابن أبي الحديد: يقال: إنّ كلّ ميّتٍ من الحيوان لا يموت إلّا خنقاً؛ لأنّه من النَّفس يدخل، فلا يخرج عِوضه، أو يخرج فلا يدخل عوضه، ويلزم من ذلك الاختناق، لأنّ الرّئة لا تبقى حينئذٍ مروحة للقلب، وإذا لم تُروحه اختنق[2].

«فتحيّرت نوافذ فطنته» من باب اضافة الصفة.

«ويبست رطوبة لسانه» قالوا: إنّ الرطوبة اللعابية التي بها يكون الذّوق ينشف حينئذ، ويبطل الإحساس باللّسان تبعاً لسقوط القوّة.

«فكم من مهمٍّ من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه» في (الفقيه) عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت على محمّد بن الحنفية وقد اعتقل لسانه فأمرته بالوصيّة فلم يجب! فأمرت بطشت فجُعِلَ فيه الرمّل، فقلت له: خطّ بيدك فخطّ وصيّته بيده في الرمل ونسخت أنا في صحيفة[3]، وعنه عليه السلام: أنّ أُمامة بنت أبي العاص، وأُمّها زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله ـ كانت تحت علي عليه السلام بعد فاطمة عليها السلام فخلف عليها المغيرة بن نوفل ـ فوجعت وجعاً شديداً حتى اعتقل لسانها، فجاءها الحسن والحسين عليهما السلام وهي لا تستطيع الكلام فجعلا يقولان لها ـ والمغيرة كاره ـ أعتقت فلاناً؟ فجعلت تشير برأسها لا، وكذا كذا، تشير

---

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة: ١٤٢ (ص غ غ) وذكر بيت لبيد لسان العرب ٣: ٣٨٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٧.

(٣) الفقيه ٤: ١٩٧ ح٥٤٥٤.

برأسها نعم ـ لا تفصح بالكلام ـ فأجازا ذلك لها[١]. وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ فاطمة بنت أسد ـ وكانت أوّل امرأة هاجرت من مكّة إلى المدينة على قدميها ـ قالت للنبي صلى الله عليه وآله: أُريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت اعتق الله بكلّ عضو منها عضواً منكِ في النّار، فلمّا مَرِضت اعتقل لسانها فجعلت تومئ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله إيماء، فقبل وصيّتها[٢].

«**ودعاء مؤلم بقلبه**» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: (لقلبه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«**سَمِعَهُ**» في (شعراء القتيبي): كان صخر أخو الخنساء يسمع امرأته إذا سُئلت عنه، تقول: (لاهو حيّ فيُرجى ولا ميّت فيُنسى) فيشقّ عليه، فقال: ناولوني سيفي لأنظر كيف قوّتي ـ وأراد قتلها ـ فناولوه السّيف فلم يطق، ففي ذلك يقول:

أهمّ بأمر الحزم لو استطيعه   وقد حيل بين العير والنّزوان[٥]

«**فتصامّ عنهُ**» في (الصحاح): (أصممته) وجدته أصمّ و «تصامّ» أرى ذلك من نفسه وليس به[٦].

«**من كبيرٍ كان يعظّمه أو صغيرٍ كان يرحمه**» قالوا: الكبير كوالده والصغير كولده.

---

(١) الفقيه ٤: ١٩٨ ح٥٤٥٥.

(٢) الكافي ١: ٤٥٣ ح٢.

(٣) المصرية المصححة بلفظ (لقلبه): ٤٨٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٧ وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ٥٨ والخطية كما ذكر المصنف: ٢١٦.

(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١٩٩ طبعة ليدن.

(٦) الصحاح: (صمم).

«وانّ الموت لغمراتٍ» في (الصحاح): غمرات الموت: شدائده[١].

«هي أفظع من أن تستغرق بصفةٍ» وإنّما بيّنوا غمراته بالمثل.

«أو تعتدل على قلوب» هكذا في (المصرية)[٢]. والصواب: (على عقول) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«أهل الدُّنيا» في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبّدين ـ وكانت العادة فيهم ـ فخرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا، فمرّوا بقبرٍ على ظهر الطريق ـ إلى أن قال بعد دعائهم لحياته ـ قالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت، فقال: لهم سكنت في قبري تسع وتسعين سنة ما ذهب عنّي ألم الموت، ولا كربه، ولا خرجت حرارة طعم الموت من حلقي[٤]...

٩
الخطبة (٢٢٥)

ومن الخطبة له عليه السلام:

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِها يُنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو ٱلْهارِبُ، وَتُنالُ الرَّغائِبُ. فَاعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَٱلدُّعاءُ يُسْمَعُ، وَٱلْحَالُ هادِئَةٌ، وَٱلْأَقْلامُ جارِيَةٌ. وَبادِرُوا بِالْأَعْمالِ عُمْراً ناكِساً، أَوْ مَرَضاً حابِساً، أَوْ مَوْتاً خالِساً. فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَواتِكُمْ، وَمُباعِدُ

---

(١) الصحاح: (غمر).

(٢) المصرية المصححة: ٤٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٧ والنسخة الخطية: ٢١٦ كما ذكر المصنف أما شرح ابن ميثم فكما هو في المصرية ٤: ٥٨.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٠ ح ٢٣٨.

طِيَّاتِكُمْ. زائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ. قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبآئِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَآئِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِيُ ظُلَلِهِ، وَاحْتِدامُ عِلَلِهِ، وَحَنادِسُ غَمَراتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَراتِهِ، وَأَلِيمُ إِرهَاقِهِ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ. فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّى آثارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُراثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ. فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاِسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزّادِ. وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا، كَما غَرَّتْ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا. أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْداثاً، وَأَمْوالُهُمْ مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكاهُمْ، وَلَا يجِيبُونَ مَنْ دَعاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدّارَةٌ غَرّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُها، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

أقول: «فإنّ تقوى الله مفتاح سداد» يجوز في «سداد» هنا كسر السيّن وفتحها كلّ بمعنى، ففي (ديوان المعاني): إنّ المأمون ذكر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله: (إنّ الرّجل اذا تزوّج المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَدادٌ من عَوَزٍ) بفتح السين، فقال له النضر بن شميل: (سِداد) بكسر السّين، فقال له المأمون: فما الفرق؟ قال السَّداد بالفتح القصد في الدين والسبيل، والسِّداد بالكسر البُلْغَة[1]، أي: ما يسدّ به الخُلّة ﴿ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً﴾

---

(١) ديوان المعاني للعسكري ١: ١٠.

ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[١].

«وذخيرة معادٍ» ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى﴾[٢].

«وعتقٌ من كلّ مَلَكةٍ»، لا يملكه شيء من شهوات الدُّنيا وعلايقها كأهل الدُّنيا لما يعلم من فنائها بما فيها، وعدم الإعتبار بشيء منها، ولنعم ما قيل بالفارسية:

غلام همّت آنم كه زير چرخ كبود

زهر چه رنگ تعلّق پذيرد آزاداست[٣]

«ونجاةٌ من كلّ هلكة» روى في (الخصال) في طريق عامي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: بينا ثلاثة نفر في من كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فآووا إلى غار فانطبق عليهم! فقال بعضهم لبعض: والله؛ ما ينجيكم إلّا الصدق فلْيدعُ كلّ رجلٍ منكم بما يعلم عزّوجلّ انّه قد صدق فيه، فقال أحدهم: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّه كان لي أجير عمل لي على فَرَق من أرزٍّ، فذهب وتركه فزرعته، فصار من أمره أنّي اشتريت من ذلك بقراً، ثم أتاني فطلب أُجرته فقلت: اعمد على تلك البقرة فسقها فقال: إنّما لي عندك فَرْقاً من أرزٍّ، فقلت: فانّها من ذاك فساقها، فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، فانساخت الصخرة عنهم شيئاً، وقال الآخر، اللّهمّ ان كنت تعلم أنّه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كلّ ليلةٍ بلَبَن غنم فأبطأت عليهما ذات ليلة، فأتيتهما وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتّى يشرب أبواي، فكرهت أن أيقظهما من رقدتهما وكرهت أن أرجع فيستيقظا لشربهما، فلم أزل أنتظرهما حتّى

(١) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) أمثال وحكم حافظ، علي أكبر دهخدا ٢: ١١٢٦.

طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، فانساخت الصخرة عنهم حتى نظروا إلى السماء. وقال الآخر: اللّهم إن كنت تعلم أنّه كانت لي ابنة عمٍّ راودتها عن نفسها فأبت عليّ الّا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتّى قدرت عليها، فجئت بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلمّا قعدت بين رجليها قالت: اتقّ الله ولا تفضّ الخاتم إلّا بحقّه، فقمت عنها وتركت لها المائة، فان كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا[1] ففرَّج الله تعالى عنهم فخرجوا.

«بها ينجح الطالب» أهم المطالب حصول الجنّة، وقد قال تعالى: ﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّاً﴾[2].

«وينجو الهارب» أحقّ الأشياء بالهرب منها النار، وقد قال تعالى: ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضياً* ثم نُنجي الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[3].

«وتنال الرغائب» الرغائب جمع الرغيبة: العطاء الكثير، ولا رغيبة فوق كون العبد مكرماً عند ربّه قال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾[4].

«فاعملوا والعمل يُرفع»، فبعد الموت ليس عمل يرفع.

«والتوبة تنفع» قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال انّي تبت الآن...﴾[5].

---

(١) الخصال للصدوق: ١٨٤ ح ٢٥٥.

(٢) مريم: ٦٣.

(٣) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٤) مريم: ٨٥.

(٥) النساء: ١٨.

«والدعاء يُسمع» ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركتُ كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾[١].

«والحال هادئة» أي: ساكنة.

«والأقلام جارية» لكتابة الحسنات.

«وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً»، الأصل في النّكس نصل ينكسر ثمّ كثر حتّى سمّوا كلّ ضعيف نكساً، قال تعالى: ﴿ومن نُعمِّرهُ نُنكِسه في الخلق أفلا يعقلون﴾[٢].

«ومرضاً حابساً» عن كثير من الأعمال، فقالوا: إغتنموا صحّتكم قبل سقمكم[٣].

«أو موتاً خالساً» في (الصحاح): خلست الشيء وأخلسته إذا استلبته[٤]، فليغتنم الحياة قال البحتري:

وكانت حياة الحيّ سوقاً إلى الرّدى وأيّامه دون الممات مراحل[٥]

«فإنّ الموت هادم لذاتكم» في (الطبري) عن جبرئيل بن بختيشوع قال: كنت مع الرشيد بالرقّة وكنت أوّل من يدخل عليه في كلّ غداة، أتعرّف حاله في كلّ ليلة، فإن كان أنكر شيئاً وصفه، ثم ينبسط، فيحدّثني بحديث جواريه وما عمل في مجلسه، ومقدار شرابه، وساعات جلوسه، ثمّ يسألني عن أحوال العامّة وأخبارها؛ فدخلت عليه في غداة يوم فسلّمت فلم يكن يرفع طرفه إليّ،

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) يس: ٦٨.

(٣) الأمالي للطوسي ٢: ١٣٩.

(٤) الصحاح: (خلس).

(٥) ديوان البحتري ٢: ٥٨ يرثي أبا سعيد.

ورأيته عابساً مفكّراً مهموماً، فوقفت بين يديه مليّاً من النّهار وهو على تلك الحال، فلمّا كان ذلك أقدمت عليه، فقلت: يا سيّدي ما حالك هكذا، أعلّة؟ فأَخبِرْني، فلعلّه يكون عندي دواؤها أو حادثة في بعض من تحبّ؟ فذاك ما لا يدفع ولا حيلة فيه إلّا التسليم أو فتق ورد في ملكك؟ فلم تخل الملوك من ذلك وأنا أولى من أفضيت إليه بالخبر، وتروحت إليه بالمشورة فقال: ويحك يا جبرئيل! ليس غمّي لشيء! ممّا ذكرت، ولكن لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه، وقد أفزعتني وأقرحت قلبي فقلت: فرّجت عنّي! هذا الغمّ كلّه لرؤيا إنّما تكون من خاطر أو بخارات رديّة أو من تهاويل السّوداء وانّما هي أضغاث أحلام بعد هذا كلّه، فقال: أقصّها عليك: رأيت كأني جالس على سريري هذا، إذ بدت من تحته ذراع وكفّ أعرفها لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكفّ تربة حمراء، فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها، فقلت: وأين هذه التربة؟ قال: بطوس؛ وغابت اليد وانقطع الكلام وانتبهت؛ فقلت: يا سيّدي! أحسبك أخذت مضجعك ففكّرت في خراسان وحرونها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها، قال: قد كان ذاك قلت: فلذلك الفكر خالطك في منامك ما خالطك، فولّد هذه الرؤيا، ثم قدّر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع، فلمّا صار في بعض الطريق ابتدأت به العلّة فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس فنزلنا في منزل جنيد بن عبد الرحمن في ضيعة له تعرف بسناباد فبينا هو يمرّض في بستان في ذلك القصر، إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملاً يقوم ويسقط فاجتمعنا إليه كلّ يقول: يا سيدي ما دهاك! فقال: يا جبرئيل! تذكر رؤيا بالرّقّة في طوس، ثمّ دفع رأسه إلى مسرور فقال: جئني من تربة هذا البستان، فمضى مسرور فأتى بالتربة في كفّه، حاسراً عن ذراعه فلما نظر إليه قال: هذه والله؛ الذّراع الّتي رأيتها في منامي وهذه والله؛ الكفّ بعينها، وهذه والله؛ التربة

الحمراء ما خرمت شيئاً، وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بها بعد ثلاثة ودفن في ذلك البستان[١].

«ومُكدِّر شهواتكم» (نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا).

«ومباعد طيّاتكم أي: نيّاتكم فإنّ لكلّ إنسان نيّات أعمال كثيرة يحول الموت بينه وبينها، فيباعده عنها.

«زائرٌ غير محبوب» لمّا احتضر الحطيئة قال:

لكلّ جديدٍ لذّة غير انّني وجدت جديد الموت غير لذيذ[٢]

«وقرنٌ غير مغلوب» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: الأرض بين يدي ملك الموت كالقصعة يمدّ يده منها حيث يشاء! والقرن (بالكسر) كفوك في الحرب[٣].

«وواترٌ غير مطلوب» الواتر: من قتل منك واحداً فتطلبه بدمه، إلّا أنّ ذاك ا لواتر لا يطلبه أحد، ولنعم ما قيل بالفارسية:

چه شد كز يک كماندارفنا اين لشكر بيحد

به سردارند از لوح مزار خود سپرهارا

«قد أعلقتكم حبائله» جمع الحِبَالَة ما يصاد به.

«وتكنفتكم غوائله» أي: أحاطتكم بلاياه التي تُذهب بعقولكم من شدّتها.

«وأقصدتكم معابله» جمع المعبلة: نصل عريض طويل «وأقصدتكم» أي: وأصابتكم وقتلتكم في المكان. في (الكافي) عن الباقر عليه السلام في جمع جلوس تعتريهم السكتة؛ تلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٢٦.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٨١.

(٣) الكافي ٣: ٢٥٦ ح٢٤.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٥٩ ح٣١.

«وعظمت فيكم سطوته» والسطوة: القهر بالبطش.

«وتتابعت عليكم عدوته» أي: تجاوزه. وعن الصادق عليه السلام ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم كلّ يوم خمس مرّات[١].

«وقلّت عنكم نبوته» نبا السيف، إذا لم يعمل في الضريبة، والمراد بقلّة نبوته: دوام تأثيره.

«فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله» يوشك: يقرب؛ و «الدّواجي» جمع داجية، والأصل في الدّجا: الشمول، فيقال (ثوبٌ داجٍ): غطّى جسده، ويقال: (إنّه لفي عيش داج)[٢] (وماكان ذلك مُذْ دَجَا الاسلام). وقيل لأعرابي: (بِمَ تعرف حمل شاتك؟ فقال: إذا استفاضت خاصرتها ودجت شعرتها، ولازمه في قولهم (بدر الدّجىٰ) و (ليلٍ داجٍ) الظلمة، لا أنّها الأصل.

«واحتدام علله» أي: التهاب أمراضه.

«وحنادس غمراته» في (الصحاح): والحندس: الليل الشديد الظلمة، والغمرات: الشدائد[٣].

«وغواشي سكراته» ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[٤].

«وأليم إزهاقه» أي: اخراجه للروح ونقله ابن أبي الحديد: ارهاقه وجعل «ازهاقه» رواية[٥].

«ودجوُّ إطباقه» قال ابن أبي الحديد: إطباقه: جمع طبق؛ أي: تكاثف ظلماته

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح ٢٢.

(٢) العين للفراهيدي ٦: ١٦٨.

(٣) الصحاح: (خندس).

(٤) قٓ: ١٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥.

كأنّها طبق فوق طبق[١].

قلت: بل الظاهر كون «إطباقه» مصدراً مثل «ازهاقه» وقد عرفت الأُصل في (دجو)، في «دواجي ظلله» فيكون من باب الصّفة التأكيدية.

«وجشوبة» أي: غلظة.

«مذاقه فكانّ قد أتاكم بغتةً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: مات داود النبيّ مفجوءاً، وأظلّته الطير بأجنحتها، ومات موسى كليم الله في ليلة، فصاح صائحٌ من السماء: مات موسى، وأيّ نفس لا تموت؟ وموت سليمان عليه السلام قائماً متّكئاً على عصاه مذكور في القرآن[٢].

«فاسكت نجيّكم» في (الصحاح): النجيّ على فعيل: الّذي تَسارّه، وقد يكون النجيّ والنّجوى اسماً ومصدراً[٣]. وفي (الطبري): لما احتضر المعتصم جعل يقول: ذَهَبَتِ الحيل، ليست حيلة حتّى اصمت[٤].

«وفرّقَ نديّكم» قال الجوهري: الندي على فعيل، مجلس القوم، فإن تفرّق القوم فليس بنديّ، ومنه سمّيت دار الندوة بمكّة التي بناها قصيّ؛ لأنّهم كانوا يندون فيها أي: يُجمعون للمشاورة[٥]، ولمُهَلْهَلْ في أخيه كُليب:

نُـبِّئت أنَّ النـار بـعدك أُوقـدت ... واستبّ بعدك يا كليب المجلس
وتكلّموا فـي كـلّ أمـرٍ عـظيمة ... لو كنت شاهدها اذاً لا ينبسوا[٦]

وللنّاشي:

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥.
(٢) الكافي ٣: ١١١ ح ٤.
(٣) الصحاح: (نجا).
(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣١٤.
(٥) الصحاح للجوهري: (ندا).
(٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٩٨ مع تغيير.

وكـــان لنـــا أصـــدقاء حـمـاة وأعـــداء ســـوء فـلـم يـخلدوا
تساقوا جميعاً كؤوس الحمام فمات الصـديق ومـات العـدوّ

وقال لبيد في أخيه أربد:

وهل حدثت عن أخوين داما على الأيام إلّا ابني شـمام[١]
وإلّا الفـــرقدان وآل نـــعش خوالد ما تـحدّث بـانهدام[٢]

قال الجوهري: شمام: جبل له رأسان يسمّيان ابني شمام، والفرقدان: نجمان قريبان من القطب، والمراد بآل نـعش كـواكب بـنات نـعش الكـبرى، وبنات نعش الصغرى، قال الجوهري: كلّ منهما سبعة كواكب أربـعة مـنها نعش، وثلاث بنات[٣].

قلت: واستثناؤه لرأسي ذاك الجبل ولكوكبي الفرقدين وكواكب بـنات من عدم الدّوام على الأيام بالنسبة إلى البشـر وإلّا فـتلك أيـضاً لا تـدوم إلى المحشر، قال تعالى: ﴿يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسّماوات وبرزوا لله الواحد القهّار﴾[٤].

«وعفّى آثاركم» قال الجوهري (عـفّت الريـح المـنزل): درسـته، و (عـفا المنزل): درس، يتعدّى ولا يتعدّى؛ و (عفّتها الريح) شدّد للمبالغة[٥].

في (بيان الجاحظ): بينا حذيفة وسلمان يتذاكران أعاجيب الدنيا وهما في عرصة أيوان كسرى، وكان أعرابيّ من غامد يرعى شويهات له نهاراً، فاذا كان الليل صيّرهنّ إلى داخل العرصة، وفي العرصة سرير رخام كان كسرى ربّما جلس عليه فصعدت غنيمات الغامدي على سرير كسرى، فقال سلمان

(١ و ٢) لسان العرب ٧: ٢٠٦.

(٣) الصحاح: (شمم).

(٤) إبراهيم: ٤٨.

(٥) الجوهري: (عفا).

ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي على سرير كسرى[١].

«وعطّل دياركم» في (ابن خلكان): إجتاز بعض الأُدباء بدار الرّضيّ رضي الله عنه وقد ذهبت بهجتها واخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنّضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجّباً من صروف الزّمان وطوارق الحدثان فتمثّل بقول الرضي رضي الله عنه:

ولقد وقفت على ربوعهم	وطلولهم بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضجّ من لغب	نضوى ولجّ بعذلي الرّكب
وتلفّتت عيني فمذ خفيت	عنّي الطلول تلفّت القلب[٢]

فمرّ به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له: هل تعرف هذه الدار؟ قال: لا. قال: لصاحب الأبيات، الرّضيّ، فعجب كلاهما من حسن الاتّفاق[٣].

«وبعث ورّاثكم يقتسمون ميراثكم» في (المروج): بلغ رُبُعُ ثمن أزواج عبد الرحمن بن عوف لمّا قسّموا ميراثه أربعةً وثمانين ألفاً، وخلّف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسّر بالفؤوس في تقسيم ميراثه[٤].

«بين حميمٍ خاصٍ» الحميم: القريب الذي يهتمّ لك وتهتمّ له ويعبّر عنه في الفارسية بـ(جانسوز).

«لم ينفع» في جدّه لك.

«وقريبٍ محزونٍ لم يمنع» من نزول الموت بك، قال مطيع بن اياس في صاحبه يحيى بن زياد لمّا مات:

---

(١) البيان والتبيان للجاحظ ٣: ١٤٨.

(٢) ديوان الرضي ١: ١٨١.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤: ٤١٧.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٣٣.

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم يـرح[1]

«وآخر شامت لم يجزع» لعداوته معه، بل قد يفرح كثيراً؛ وفي (مقاتل أبي الفرج): لمّا أتى عايشة نعي أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت:

فألقت عصاها واستقرّت بها النّوى كـما قـرّ عـيناً بـالإياب المسـافرُ

ثم قالت: مَن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نـائياً فـلقد بـغاه غلام ليس في فيه التّراب

فقالت لها زينب بنت أمّ سلمة: أَلِعَليٍّ تـقولين هـذا؟ فـقالت: إذا نسـيت فذكّروني، ثم تمثّلت:

مـازال إهـداء القـصائد بـيننا شتم الصديق وكثرة الألقـاب

حتّى تركت كأنّ قـولك فـيهم في كـلّ مـجتمع طـنين ذبـاب

وروى عن أبي البختري: انّه لمّا جاءها قتله عليه السلام سجدت فرحاً[2].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا توفي الحسن عليه السلام وأتى الخبر معاوية أظهر فرحاً وسروراً حتّى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك ابن عـباس وكـان يومئذ بالشّام، فدخل على مـعاوية فـلمّا جـلس قـال مـعاوية: يـابن عـبّاس! هلك الحسن، فقال ابن عبّاس: نعم هـلك، إنّـا لله وإنّـا إليـه راجـعون، ورجّـع ترجيعاً مكرّراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور، أما والله؛ ما سدّ حفرتك، ولا زاد نقصـان أجله في عمرك، ولئـن أصـبنا بـه لقـد أصـبنا بـمن كان خيراً منه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فجبر الله مـصيبته، وخـلّف عـلينا بـعده أحسن الخلافة؛ ثمّ شهق فبكى وبكى من حضر وبكى معاوية فما رئي يـوم

---

(١) الأغاني ١٣: ٢٨٩.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٢٦.

أكثر باكياً من ذلك اليوم[١].

«فعليكم بالجدّ والاجتهاد» ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله...﴾[٢].

«والتأهّب والإستعداد» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصالحين﴾[٣].

«والتزوّد في منزل الزّاد» ﴿وما تفعلوا من خيرٍ يعلَمْه الله وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى واتّقونِ يا أُولي الألباب﴾[٤].

«ولا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦] «ولا تغرّنّكم الدُّنيا» ﴿يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدُّنيا﴾[٧].

«كما غرّت من كان قبلكم من الأُمم الماضية» ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوّةً...﴾[٨] وفي آية أُخرى بدل (وكانوا) ﴿كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنى

---

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة (الإمامة والسياسة): ١٧٥.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) المنافقون: ١٠.

(٤) البقرة: ١٩٧.

(٥) الطبعة المصرية المصححة بلا لفظ (الحياة): ٥٠١.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥ وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ١٠٠ (٢٢١).

(٧) الأنعام: ١٣٠.

(٨) فاطر: ٤٤.

عنهم ما كانوا يكسبون﴾[١].

«والقرون الخالية» أي: الماضية.

«الّذين احتلبوا» في (الصحاح): (حلب الناقة واحتلبها)[٢].

«درّتها»، أي: لبنها ﴿كما استمتع الّذين من قبلكم بخَلَاقِهِم﴾[٣].

«وأصابوا غرّتها» وحيث أن الدُّنيا لا تدعُ أحداً يذوق حلوها بدون مرّ فمن اتّفق له صاف بلا كدر في أيّام، فكأنّه أصاب منها غرّة وغفلة.

«وأفنوا عدّتها» في (الصحاح): العُدة (بالضمّ): ما أعددته لحوادث الدهر[٤].

في السِّير: قعد الفضل بن مروان لأشغال الناس فرأى رقعة فيها:

تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر   فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

يعني الفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن الربيع والفضل بن سهل.

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم   أبادتهم الأقياد والحبس والقتل

وانّك قد أصبحت في الناس ظالماً   ستودى كما أودي الثّلاثة من قبل[٥]

«وأخلقوا» في (الصحاح): (أَخْـلَقَ الثّوب) بَلَي، و(أَخْـلَقْتُهُ) يتعدّى ولا يتعدّى[٦].

«جدّتها» في (الصحاح): (جدّ الشيء يجِدّ) بالكسر، أي: صار جديداً[٧].

---

(١) غافر: ٨٢.

(٢) الصحاح: (حلب).

(٣) التوبة: ٦٩.

(٤) الصحاح: (عَدَدَ).

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤: ٤٥.

(٦) الصحاح: [بلا].

(٧) الصحاح: (جدد).

«أصبحت مساكنهم اجداثاً» قال شاعرٌ في معمّرٍ:

لقد عاش حتّى قيل ليس بميّت
وأفنى فئاما من كهول وشبّان
فأضحى كأنْ لم يغن في النّاس ساعة
رهين ضريح في سبائب كثبان

«وأموالهم ميراثاً» قال تعالى في فرعون: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ وزورعٍ ومقامٍ كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾[١].

«لا يعرفون من أتاهم» المراد السواد الأعظم، وأمّا المؤمن: ففي (الكافي) عن إسحاق بن عمّار قال لأبي الحسن عليه السلام: يعلم المؤمن من يزور قبره؟ قال: نعم لا يزال مستأنساً به مادام عند قبره، فإذا انصرف دخله من انصرافه وحشة[٢].

«ولا يحفلون من بكاهم» أي: لا يبالون به قال البحتري:

وما علم ثاوٍ في التراب رهين

«ولا يجيبون من دعاهم» في (الطبري): أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بقتلى بدر أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه إلّا ما كان من أُميّة بن خلف، فإنّه انتفخ في درعه حتى ملأها! فذهبوا ليحرّكوه فتزايل فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التّراب والحجارة، فلّما ألقاهم وقف عليهم، فقال: يا أهل القليب! هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟ فقال له أصحابه: أتكلّم قوماً موتى؟ قال: لقد علموا انّ ما وعدتهم حقّ، والنّاس يقولون: قال: لقد سمعوا ما قلت وانّما

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٨ ح ٤.

قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد علموا[١].

«فاحذروا الدُّنيا فإنّها غدّارةٌ غرّارةٌ» هكذا في (المصرية)[٢] وليست «غدّارة» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] والظاهر أنّها كانت في نسخة بدلاً عن (غرّارة) فجمعت (المصريّة) بينهما.

«خدوعٌ» لأهلها.

في (الأغاني): عن علويه قال: كنت مع المأمون لمّا خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أُميّة ويتّبع آثارَهم، فدخل صحناً من صحونهم، فإذا هو مفروش بالرّخام الأخضر كلّه وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصبّ إليها، وفي البِركة سمكٌ، وبين يديها بستان على أربع زواياه أربع سروات كأنّها قُصّتْ بمقراض من أحسن ما رأيته من السّروات قدّاً وقدراً، فاستحسن ذلك، وعَزَم على الصَّبُوح، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأُتي به بين ماء وورد فأكل، ودعا بشراب، وأقبل عليّ وقال: غَنِّني ونشِّطْني، فكأن الله تعالى أنساني الغناء كلّه إلا هذا الصّوت:

لو كان حولي بنو أُميّة لم ... تنطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إليّ مُغضباً وقال: عليك وعلى بني أُميّة لعنة الله! ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أُميّة إلّا هذا الوقت؟ اعدل عن هذا ـ قال: فأنساني الله كلّ شيء أحسنه إلّا هذا الصوت:

الحين ساق إلى دمشق ولم أكن ... أرضى دمشق لأهلنا بلدا

---

(١) الطبري ٢: ١٥٥.

(٢) الطبعة المصرية: ٥٠١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦، وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ١٠١.

فرماني بالقَدَح فأخطأني فانكسر، وقال: قُم عنّي إلى لعنة الله وقام فركب. فكانت والله تلك الحال آخِرَ عهدي به حتّى مرض ومات[١].

وفي (وزراء الجهشياري): قال الربيع للمنصور: كنت عند أبي أيوب فطلب منه عبدالله بن مروان بن محمد حاجةً، فقضاها، فقام عبدالله فقبّل رأسه، وكان المنصور متّكئاً فاستوى جالساً وخرّ ساجداً فأطال ثم قال للربيع: أتدري أي نعمة جدّد الله عندي في هذا الوقت؟ قال: لا، فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر بيّن، ثمّ قال: انّي كنت بدمشق في أيّام مروان، إذ رأيت للناس حركةً فقلت: ماهذا؟ قالوا: ابن الخليفة يركب ـ وما ركب قبل ذلك ـ وقد أمر الجند بالزّينة وانجفل الناس للنّظر، فخرجت في من خرج فازدحم الناس على بعض الطرق وكانت دابّتي صعبة، فسقطت عنها وانكسر ساقي ومكثت دهراً عليلاً وهاهو اليوم يقبّل رأس كاتبي[٢].

«معطيةٌ منوعٌ» عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال: دخلت على امّي يوم أضحى، فرأيت عندها امرأة في أثواب دنسة فقالت أُمّي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هي أمّ جعفر البرمكي، فقلت لها: حدّثيني ببعض أمركم فقالت: أذكر لكَ جملة فيها عِبْرَةٌ لمن اعتبر؛ لقد هجم عليّ مثل هذا اليوم وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وأنا أزعم أنّ ابني جعفر عاقٌّ لي، وقد أتيتكم اليوم في جلدي شاتين شعار ودثار[٣].

وفي (وزراء الجهشياري): كان عبد الرحمن بن زياد على خراسان في أيّام يزيد بن عبد الملك، فاستخلف على عمله وأقبل إلى يزيد وأنكر قدومه

---

(١) الأغاني ١١: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ١١٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٨٣.

وسأله عمّا حصل له فاعترف بعشرين ألف ألف درهم، فسوّغه إيّاها وكان معه من العروض أكثر، فقال يوماً لكاتبه: إنّي لأعجب كيف يأتيني النّوم وهذا المال عندي، إنّي قدّرت ما عندي لمائة سنة في كلّ يوم ألف درهم، لا أحتاج منه إلى شراء رقيق ولا كراع ولا عرض من العروض، فقال له: لا تعجب من نومك وهذا المال عندك، ولكن اعجب من نومك إذا ذهب، قال: فذهب كلّه، أو دع بعضه فذهب، وجحد بعضه، وسرق بعضه[1].

«ملبسةٌ نزوعٌ» في (لطائف الثعالبي): عن بعضهم: ما رأيت ميتة أضيع من ميتة الخلفاء! قد شددت لحيي المأمون والمعتصم والواثق بيدي فما تهيّأ لأحد منهم عند تلك الحال وجود خرقة أشدّ بها لحييه، وانّما كان معوّلي على الدّراريع التي تكون عليّ أخرّق منها، ولمّا توفي المكتفي عن ألف ألف دينار بقي يومه، وتشاغل النّاس عنه بأمر أخيه المقتدر، فاجتاز به صاحب خزانة الكسوة وعلى وجهه رداء قصب، فأخذه! وقال: هذا في ما أحصى عليّ وأخاف أن يذهب فأطالبُ به، فاجتاز به بعض خدمه فلّما رآه مكشوفاً بكى، فأخذ منديلاً كان على رأسه فنشره عليه؛ ولمّا نقل إلى دار التغسيل والتكفين لم توجد مجمرة يبخّر فيها قِطَع نِدّ أحضرها من تولّى أمره من منزله، فأمر الجواري حتّى أخذن غضارة من غضاير الخزف الأحمر؛ فبخّر الموضع بها. وقد كان في ما خلّف الوف من مجامر الذّهب[2].

وفي (المروج): لمّا احتزّ عامر بن إسماعيل رأس مروان بن محمد آخر الأموية ببوصير واحتوى على عسكره، دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فراشه وأكل من طعامه؛ فخرجت إليه ابنة مروان، فقالت: يا عامر! إنّ

---

(١) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٢٩.

(٢) لطائف المعارف للثعالبي: ١٤٦.

دهراً أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها حتّى أكلت من طعامه واحتويت على أمره وحكمت في مملكته؛ لقادر على أن يغيّر ما بك. وبلغ السّفاح فعله وكلامها، فاغتاظ من ذلك[١].

وللبهائي بالفارسية:

عهد جوانى گذشت در غم بود و نبود

نوبت پيرى رسيد صد غم ديگر فزود

كاركنان فلك برسر دستان شدند

آنچه بدادند دير باز گرفتند زود[٢]

«لا يدوم رخاؤها» أي: لينتها.

«ولا ينقضي عناؤها» أي: تعبها.

«ولا يركد بلاؤها» أي: لا يزول. وفي (وزراء الجهشياري): جاء رجل من أهل الأهواز إلى أبي أيّوب وهو وزير فقال له: إنّ ضيعتي بالأهواز، وقد حمل عليّ فيها العمّال، فإن رأى الوزير أن يعيرني اسمه أجعله عليها وأحمل إليه في كلّ سنة مائة ألف درهم، فقال: قد وهبت لك اسمي فافعل ما بدا لك، فحال الحَوْل فأحضَرَ الرّجل المال ودخل على أبي أيوب وهو لا يعرفه، فجلس حتى خَفَّ الناس ثمّ دنا منه وقصّ عليه قصّته وأعلمه أنّه قد انتفع باسمه وأنّه قد حمل المال، فأمر بإحضاره، فأُدخل ووضع بين يديه، ونهض الرجل شاكراً داعياً واندفع أبو أيوب يبكي! فقال له أهله ومن حضر ما رأينا موضع سرور وفرح عقّب ببكاء وحزن غير هذا، فقال لهم: ويحكم! إنّ شخصاً بلغ هذا من

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٥٦.

(٢) البهائي في ديوان أشعاره: ٦٨.

إقباله كيف يكون إدباره! فما بَعُدَ بين الوقت وبين نكبته[١].

١٠
الخطبة (٢٣٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفسِ ٱلْبَقَاءِ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى وَالْمُسِيءُ يُرْجى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ. فَأَخَذَ ٱمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذاهِبٍ لِدائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ ٱللهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلى عَمَلِهِ. امْرُؤٌ لَجَّمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِها، وَزَمَّهَا بِزِمامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجامِهَا عَنْ مَعاصِي ٱللهِ، وَقادَها بِزِمامِها إِلى طَاعَةِ ٱللهِ.

«فاعلموا» هكذا وهو محرّف (فاعملوا) كما هو واضح ويشهد أيضاً (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] له.

«وأنتم في نفس البقاء» أي: سعته.

«والصحف منشورةٌ» للصحف نشرتان: نشرة في الدُّنيا يكتب الكرام الكاتبون فيها أعمال العباد؛ حسناتهم وسيّئاتهم وتطوى بالموت لأنّه لا عمل بعده، وهي المرادة في كلامه عليه السلام ونشرة في الآخرة لمشاهدة الإنسان أعماله في الدُّنيا وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿وإذا الصُّحف نشرت﴾[٣].

«والتوبة مبسوطة» ﴿إنّما التَّوبة على الله للّذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم

---

(١) الكتاب والوزراء للجهشياري: ٦١٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٧، شرح ابن ميثم ورد فيه لفظ «فأعلموا» ٤: ٣٢٥.

(٣) التكوير: ١٠.

يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم...﴾[١]، ﴿كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثمّ تابَ من بعده وأصلح فانّه غفور رحيم﴾[٢]، ﴿ثمّ إنَّ ربَّك للّذين عملوا السوء بجهالة ثمّ تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنَّ ربَّك من بعدها لغفور رحيم﴾[٣].

«والمدبر يُدعى» والمسيء يُرجى» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: مَلَك ينادي: يا صاحب الخير! أتمّ وأبشر، ومَلَك ينادي: يا صاحب الشرّ انزع واقصر، ومَلَك ينادي: إعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، ومَلَك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض[٤].

«قبل أن يحمد العمل» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: (يجمد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦] ولأنَّ العمل إنّما يشبّه بالماء في جريانه، فيجمد بالموت لا بالنار في التهابه فيخمد به، قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾[٧].

«وينقطع المهل» قال تعالى: ﴿وذرني والمكذّبين أولي النّعمة ومهّلهم قليلاً* إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً* وطعاماً ذا غُصّةٍ وعذاباً أليماً﴾[٨].

---

(١) النساء: ١٧.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) النحل: ١١٩.

(٤) الكافي ٤: ٤٢ ح١.

(٥) الطبعة المصرية: ٥٠٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٧، وشرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ٣٢٦.

(٧) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٨) المزمّل: ١١ ـ ١٣.

«وينقضي الأجلُ» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (وتنقضي المدّة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] قال تعالى: ﴿...أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[3]، ﴿فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾[4].

«ويسدُّ بابُ التوبة» ﴿وليست التوبة للّذين يعملون السيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن...﴾[5].

«وتصعد الملائكة» لأنّهم لكتابة الأعمال، وبالموت ينقطع العمل.

«فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه» ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً...﴾[6].

«وأخذ من حيٍّ لميّتٍ» وفي الخبر: (اغتنم حياتك قبل موتك)[7].

«ومن فانٍ لباقٍ» ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[8].

«ومن ذاهب لدائم» ﴿إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وأنّ الآخرة هي دار القرار﴾[9].

«امرؤ خاف الله» ﴿قُل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يومٍ عظيم* من

---

(١) المصرية: ٥٠٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٧، والخطية: ٢٢٨ كما ذكر، وابن ميثم كالمصرية ٤: ٣٢٦.

(٣) فاطر: ٣٧.

(٤) النحل: ٦١.

(٥) النساء: ١٨.

(٦) المزمّل: ٢٠.

(٧) الأمالي للطوسي ٢: ١٣٩.

(٨) النحل: ٩٦.

(٩) غافر: ٣٩.

يُصرف عنه يومئذٍ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾[١].

«وهو معمّر إلى أجله» ﴿وما يعمّر من معمّرٍ ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب...﴾[٢].

«ومنظورٌ إلى عمله» ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت...﴾[٣].

«امرؤٌ لجّم نفسه بلجامها» هكذا في (المصريتين)[٤] والصواب: (ألجم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وفي اللغة لم يذكر غير (ألجم)، وفي (المصباح): ألجمت الفرس: جعلت اللّجام في فِيه[٥]، وباسم المفعول سمّى الرجل[٦].

«وزمّها بزمامها» في (الصحاح): الزّمام: الخيط الذي يشدّ في البرة أو في الخشاش ثمّ يشدّ في طرفه المقود[٧].

«فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى* فانَّ الجنّة هي المأوى﴾[٨].

وفي (الفقيه): من نظرامرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمّض بصره، لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوّجه الله من الحور العين[٩]؛ وفي خبر آخر: لم يرتد

---

(١) الأنعام: ١٥ ـ ١٦.

(٢) فاطر: ١١.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) الطبعة المصرية بلفظ «ألجم»: ٥٠٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٧ كما ذكر، وابن ميثم كالمصرية ٤: ٣٢٦.

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٢٤١ (لجم).

(٧) الصحاح: (زمم).

(٨) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٩) الفقيه ٣: ٤٧٣ ح٤٦٥٦.

إليه طرفه حتّى يعقبه الله ايماناً يجد طعمه[١].

«وقادها بزمامها إلى طاعة الله» ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٢].

١١
الخطبة (٣)

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام لِشُرَيْحِ بْنِ الْحارِثِ قاضيهِ:

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بن الحارث قاضِيَ أَميرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام، ٱشْتَرىٰ عَلَى عَهْدِهِ داراً بِثَمانِينَ ديناراً، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَاسْتَدْعاه، وَقالَ لَهُ:

بَلَغَني أَنَّكَ ٱبْتَعْتَ داراً بِثَمانِينَ دِيناراً، وَكَتَبْتَ كِتاباً، وَأَشْهَدْتَ شُهُوداً.

فَقالَ شُرَيْحٌ: قَدْ كانَ ذٰلِكَ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ. قالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ ثُمَّ قالَ لَهُ:

يا شُرَيْحُ، أَما إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتابِكَ، وَلا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتّى يُخْرِجَكَ مِنْها شاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلى قَبْرِكَ خالِصاً. فَانْظُرْ يا شُرَيْحُ لا تَكُون ٱبْتَعْتَ هذِهِ الدّارَ مِنْ غَيْرِ مالِكِ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ! فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دارَ ٱلدُّنْيا وَدارَ ٱلآخِرَةِ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرائِكَ ما ٱشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلى هذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرآءِ هذِهِ الدّارِ بِدِرْهَمٍ فَما فَوْقُ.

وَالنُّسْخَةُ هذِهِ: هذا ما ٱشْتَرى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، ٱشْتَرى مِنْهُ د اراً مِنْ دارِ ٱلْغُرُورِ، مِنْ جانِبِ ٱلْفانِينَ، وَخِطَّةِ ٱلْهالِكِين.

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٤٧٤ ح ٤٦٥٧.

(٢) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

وَتَجْمَعُ هذِهِ الدّارَ حُـدُودٌ أَرْبَـعَةٌ: اَلْـحَدُّ الأَوَّلُ يَـنْتَهِي إِلى دَواعِـي الآفَاتِ، وَاَلْحَدُّ الثّانِي يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي المُصِيبَاتِ، وَاَلْـحَدُّ الثّـالِثُ يَنْتَهِي إِلَى اَلْهَوَى المُرْدِي، وَاَلْحَدُّ الرّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِيّ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هذِهِ الدّارِ. اَشْتَرَى هذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هذَا الْمُزْعَجُ بِالأَجَلِ، هذِهِ اَلدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ اَلْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي طَلَبِ اَلذُّلِّ وَالضَّراعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هذَا الْمُشْتَرِي فِيما اَشْتَرى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ، فَعَلى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ اَلْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ اَلْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ اَلْمَالَ عَلَى اَلْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَاَدَّخَرَ وَاَعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ؛ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلى مَوْقِفِ اَلْعَرْضِ وَاَلْـحِسَابِ، وَمَـوْضِعِ الثَّـوابِ وَاَلْعِقَابِ، إِذا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ اَلْقَضَاءِ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] شَهِدَ عَلى ذَلِكَ اَلْعَقْلُ إِذا خَرَجَ مَنْ أَسْرِ اَلْهَوى، وَسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ اَلدُّنْيا.

أقول: رواه الصدوق في (أماليه) عن صالح بن عيسى العجلي عن عبد العظيم عن أبيه عن أبان مولى زيد بن علي عن عاصم بن بهدله قال: قال لي شريح القاضي: اشتريت داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً فبلغ ذلك علياً عليه السلام فبعث إليّ مولاه قنبراً فأتيته فلّما أن دخلت عليه قال: اشتريت داراً؟ قلت: نعم، قال: اتقِ الله فانّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيّنتك حتى يخرجك من دارك شاخصاً ويسلّمك إلى قبرك خالصاً فانظر ألّا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها أو وزنت مالاً من غير حلّه فإذن أنت قد خسرت الدارين جميعاً الدنيا والآخرة؛ ثم قال: يا شريح! فلو كنت عندما اشتريت هذه الدّار أتيتني؛ فكتبت لك كتاباً على هذه النسخة إذن لم

---

(١) غافر: ٧٨.

تشترِها بدِرْهَمَين؛ قلت: وما كنت تكتب؟ قال كنت أكتب لك هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت أُزعج بالرّحيل اشترى منه داراً في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين وتجمع هذه الدار حدود أربعة فالحدّ الأوّل منها ينتهي إلى دواعي الآفات، والحدّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات، والحدّ الثالث منها ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحدّ الرابع منها ينتهي إلى الهوى المُرديّ والشيطان المغويّ وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المفتون بالأمل من هذا المزعَج بالأجل جميع هذه الدّار بالخروج من عزّ القنوع والدخول في ذلّ الطلب فما أدرك هذا المشتري في ما اشترى منه من دركٍ فَعَلىٰ مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة مثل كسرى وقيصرَ وتبّعٍ وحميرَ، ومن جمع المال إلى المال فأكثر، وبنى فشيّد، وزخرف فنجدّ، وادّخر بزعمه للولد إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب لفصل القضاء ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ شهد على ذلك العقل إذ اخرج من أسر الهوى ونظر بعين الزوال إلى أهل الدُّنيا وسمع منادي أهل الزّهد ينادي في عرصاتها ما أبين الحقّ لذي عينين إنّ الرحيل أحد اليومين تزوّدوا من صالح الأعمال، وقرّبوا الآمال بالآجال فقد دنا الرّحلة بالزّوال[1].

ورواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته) فقال: حكى الشعبي أنّ شريحاً اشترى داراً بثمانين ديناراً فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فاستدعاه فقال له يا ابن الحارث! بلغني أنّك اشتريت داراً بكذا وكذا وأشهدت على نفسك شهوداً... وفيه: (وفيه يشرع بابها وتجتمع أسبابها) وفيه: (وسيقع الأمر بفصل القضاء ويقتصّ للجمّاء من القرناء) وفيه: (شهد على ذلك التّواني ابن الفاقة والغرور

---

(١) الأمالي للصدوق: ٢٥٦ ح ١٠ المجلس ٥١.

ابن الأمل والحرص ابن الرّغبة واللهو ابن اللعب ومن أخلد إلى محلّ الثوى ومال إلى الدُّنيا ورغب عن الأخرى.

قلت: ولو صحّت روايته في قوله: «شهد على ذلك» ـ إلى آخر ما مرّ ـ كان فيه سقط ولابدّ أنّ الأصل كان: (شهد على ما كتبت يا شريح التّواني ابن الفاقة...)[١]. ومقتضى الجمع بين الروايتين كون الأصل (شهد على ما كتبت أنا العقل اذا خرج من أسر الهوىٰ وشهد علىٰ ما كتبت أنت التواني ابن الفاقة...).

ومن الغريب انّ فضيل بن عياض انتحله وأوهم أنّه منشئه، ففي (حليّة أبي نعيم) في عنوان فضيل ذاك: (قال الفيض بن إسحاق: اشتريت داراً وكتبت كتاباً واشهدت عدولاً فبلغ ذلك الفضيل فأرسل إليّ يدعوني فمررت إليه فلّما رآني قال: يا ابن يزيد بلغني أنّك اشتريت وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً، قلت: قد كان ذلك، قال: فإنّه يأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيّنتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلّمك إلى قبرك خالصاً ـ إلى آخره بعينه[٢] ـ.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه»، قال ابن أبي الحديد: هو شريح بن الحارث الكندي وقيل: انّه حليف لكندة من بني رائش وقال ابن الكلبي: ليس اسم أبيه الحارث وانّما هو شريح بن معاوية بن ثور[٣].

قلت: كلامه خلط وخبط! فمن جعله حليف كندة لم يجعله من بني الرّائش فانّهم من كندة؛ كما أنّ ابن الكلبي إنّما جعل أباه الحارث وجعل معاوية بن ثور جدّ جدّ جدّه لا أباه وإنّما هو أبو الرائش، ففي (استيعاب أبي

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٨٨.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨: ١٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٨.

عمر)، واعتماد (ابن أبي الحديد) من الكتب الصحابيّة عليه، (قال ابن الكلبي: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة)[١].

هذا، وقال: قال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريبه: إنّ رجلاً أتى عليّاً عليه السلام وعنده شريح في قضيّة فقال عليه السلام له: ما تقول أنت أيّها العبد الأبظر، قال أبو عبيد: (قال له: العبد) لأنّه وقع عليه سبي في الجاهليّة، (والأبظر) لأنّه الذي في شفته العليا طول ونتو في وسطها محاذي الأنف[٢].

قلت: ولابدّ إنّه كان كذلك.

قال: وروى الأعمش عن إبراهيم التيمي قال: قال عليّ عليه السلام لشريح وقد قضى قضيّة نقم عليه أمرها: والله لأنفينّك إلى بانِقْيا شهرين تقضي بين اليهود، ثمّ قتل عليّ عليه السلام ومضى عليه دهر فلمّا قام المختار قال لشريح: ما قال لك أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا؟ قال: قال: كذا، قال: والله لا تقعد حتّى تخرج إلى بانقيا تقضي بين اليهود. فسيّره إليها فقضى بين اليهود شهرين[٣].

قلت: وروى (حلية أبي نعيم) عن زيد التيمي قال: وجد علي عليه السلام درعاً له عند يهودي، التقطها فعرفها فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورق، فقال اليهودي: درعي وفي يدي! بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتيا شريحاً فلمّا رأى عليّاً عليه السلام تحرّف عن مجلسه، وجلس عليّ عليه السلام فيه، ثمّ قال عليّ عليه السلام: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس - إلى أن قال -: فقال شريح لعليّ عليه السلام: صدقت، والله إنّها لدرعك، ولكن لابدّ من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢: ٧٠١.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣: ٤٨٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩٨.

وابنه الحسن عليه السلام فقال شريح: أمّا شهادة مولاك فقد أجزناها، وامّا شهادة ابنك لك فلا نجيزها! فقال علي عليه السلام: ثكلتك أُمّك! أما سمعت عمر يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، قال: اللّهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيّد شباب أهل الجنّة؟ والله، لأوجهنّك إلى بانِقْيا تقضي بين أهلها أربعين يوماً، ثم قال لليهودي: خُذ الدرع، فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين، فقضى عليه ورضي، صدقت والله إنّها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد ألّا إله إلّا الله وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسوله، فوهبها له علي عليه السلام وأجازه بتسعمائة، وقتل معه بصفين[1].

ورواه بإسنادٍ آخر وفيه قال اليهودي: وقع الدّرع منك في توجّهك إلى صفّين وقتل اليهودي معه عليه السلام بالنهروان.

وفي (الفقيه) عن الباقر عليه السلام: انّ علياً كان في مسجد الكوفة فمرَّ به عبدالله بن قفل التيمي، ومعه درع طلحة فقال علي عليه السلام: هذه درع طلحة أخذت غلولا، فقال ابن قفل: اجعل بيني وبينك قاضيك الذي ارتضيته للمسلمين، فجعل بينه وبينه شريحاً، فقال علي عليه السلام: هذه درع طلحة أُخذت غلولا يوم البصرة فقال شريح: هات على ما تقول بيّنة فأتاه الحسن عليه السلام، فشهد أنّها درع طلحة، فقال: هذا شاهد، ولا أقضي حتّى يكون معه آخر، فأتى بقنبر فشهد، فقال: هذا مملوك ولا أقضي بشهادته، فغضب علي عليه السلام وقال: خذوا الدّرع، هذا قضى بجورٍ ثلاث مرّات فتحوّل شريح عن مجلسه، وقال: لا أقضي حتّى تخبرَني من أين فقال عليه السلام: لمّا قلتُ: إنّها درع طلحة أُخِذَت غلولا يوم البصرة قلتَ: هات بيّنة، ولقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: حيثما وُجدت غلول أُخذت بغير بيّنة، فقلت: رجل لم يسمع الحديث، ثمّ أتيتك بالحسن فشهد، فقلت: هذا واحد ولا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤: ١٣٩.

أقضي حتّى يكون معه آخر وقد قضى النبي صلى الله عليه وآله بشاهد ويمين فهاتان اثنتان، ثمّ أتيتك بقنبر فشهد، فقلتَ: هذا مملوك، ولا بأس بشهادة المملوك إذا كان عَدْلاً، فهذه الثالثة يا شريح! إنّ إمام المسلمين يؤتمن في أُمورهم على ما هو أعظم من هذا[١].

وفي (الطبري) عن أبي مخنف: إنّ الناس قالوا للمختار اجعل شريحاً قاضياً، فسمع الشيعة يقولون: إنّه عثماني وانّه ممّن شَهَدَ على حِجْر وانّه لم يبلغ عن هاني ما أرسله به، وأنّ علياً عزله عن القضاء[٢].

وفي (أذكياء ابن الجوزي): سُئِلَ الشعبي عن مثل: (شريح أدهى من الثعلب) فقال: خرج شريح أيّام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلّي يجيء ثعلب فيقف تجاهه يحاكيه، فيشغله عن صلاته، فلمّا طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميّه وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب فوقف على عادته فأتى شريح من خلفه، فأخذه بغتة[٣].

«روي أن شريح بن الحارث» إنّ (الاستيعاب) وان نقل في اسم أبيه أقوالاً إلّا أنّ الصحيح كونه حارثاً كما ذكر المصنّف[٤] فلم يذكر ابن قتيبة غيره، وقد عرفت من رواية سبط ابن الجوزي للعنوان أنّه عليه السلام قال له: (يا ابن الحارث).

«قاضي أمير المؤمنين عليه السلام»، في (معارف ابن قتيبة): أوّل قاضٍ قضى بالكوفة، أبو قرّة الكندي اختطّ الناس بها وهو قاضيهم، ثمّ استقضى عمر بعده شريحاً فقضى خمساً وسبعين سنة، لم يتعطّل فيها إلّا ثلاث سنين في

---

(١) الفقيه ٣: ١٠٩ ح٣٤٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٥٥.

(٣) الأذكياء لابن الجوزي: ٦٣.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٧٠١.

فتنة ابن الزبير، فاستعفى الحجّاج فلم يقضِ حتّى مات سنة تسع وسبعين ـ ويقال ثمانين ـ وهو ابن مائة وعشرين سنة[١].

وفي (الفقيه) في باب اتقاء الحكومة: وقال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: قد جلست مجلساً ما جلسه إلّا نبيٌّ أو وصيّ نبيٍّ أو شقيّ[٢].

وقال ابن أبي الحديد: أقرّ عليّ عليه السلام شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه مذكورة في كتب الفقهاء واستأذنه شريح وغيره من قضاة عثمان في القضاء أوّل ما وقعت الفرقة، فقال: اقضوا كما كنتم تقضون حتّى تكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي[٣].

قلت: مراده عليه السلام بأصحابه شيعته الذين ماتوا في التقية كسلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، ولم يقدر عليه السلام على تغيير شريح... لجعل عمر له قاضياً، كما لم يقدر على تغيير بدعهم، وكان عليه السلام يقول: لو استوت قدماي لغيّرت أشياء.

«اشترى على عهده» أي: عهد خلافته.

«داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك فاستدعاه» قد عرفت من رواية (الأمالي) أنّه عليه السلام استدعاه بواسطة قنبر مولاه.

«وقال له: بلغني انّك ابتعت» أي: اشتريت.

«داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً واشهدت شهوداً» قد عرفت أنّ في رواية (الأمالي): وأشهدت عُدُولاً ووزنت مالاً.

«فقال شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين» وفي رواية (الأمالي): قال: قلت: نعم.

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ٥٥٨.

(٢) الفقيه ٣: ٥ ح ٣٢٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢٩.

«قال فنظر إليه نظر مغضبٍ» وفي (ابن أبي الحديد): «المغضب»[١].

«ثمّ قال له: يا شريح أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيّنتك» أي: ملك الموت ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٢]، ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنّهم كانوا في شكٍّ مريب...﴾[٣].

«حتّى يخرجك منها شاخصاً» في (الصحاح): شخص ـ بالفتح ـ ارتفع، وذهب[٤].

«ويُسلمك إلى قبرك خالصاً» في (تاريخ ابن الأثير): قُتل أمير الجيوش أفضل بن بدر صاحب الأمر والحكم بمصر سنة (٥١٥) وكان ركب إلى خزانة السلاح ليفرّقه على الأجناد على جاري العادة في الأعياد، فسار معه عالم كثير من الرّجّالة والخيّالة؛ فتأذّى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفرداً معه رجلان، فصادفه رجلان بسوق الصّياقلة، فضرباه بالسّكاكين فجرحاه، وجاءه ثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته، فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة ـ إلى أن قال ـ فتوفّي ونقل الخليفة من أمواله ما لا يعلمه إلّا الله تعالى وبقي الخليفة في داره أربعين يوماً، والكتّاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً، ووجد له من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجود مثله لغيره واعتقل أولاده[٥].

وعن صاحب (الدول المتقطّعة): خلّف أمير الجيوش ستمائة ألف ألف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٢.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) الصحاح: (شخص).

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠: ٥٨٩ ـ ٥٩٠.

دينار وثلاثين راحلة من حقاق ذهب عراقي وصندوقين كبيرين فيهما أُبر ذهب ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ومائة مسمار ذهب على كلّ مسمار منديل مشدود مذهّب وخمسمائة صندوق كسوة من رقّ تنّيس ودمياط، ومن الرّقيق والخيل، والمراكب والطيب، والتجمّل والحليّ ما لايعلم قدره إلّا الله! ومن البقر والجواميس والغنم ما ضمان ألبانها ثلاثون ألف دينار[1].

«**فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدّار من غير مالك**» الظاهر أنّ «مالك» اسم فاعل (مَلَك) لا مركّب من (مال) مضاف إلى كاف المخاطب وان كان المترائي من قوله بعد «حلالك» ذلك لأنّ (الأمالي) نقله ـ كما عرفت ـ «من غير مالكها» فيتوافقان، ولأنّه لولاه لكان بمعنى قوله بعد.

«**أو نقدت الثمن من غير حلالك**» مع أنّ (أو) يمنع من كونه تأكيداً.

«**فإذن أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة**»، خسر دار الدنيا بتركها وراءه، ودار الآخرة بمؤاخذته في تحصيل دار دنياه من غير الحقّ.

وفي الخبر: من أخذ أرضاً بغير حقّ كلّف في القيامة أن يحمل ترابها؛ ومن خان جاره شبراً جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة[2].

في (أُدباء الحموي): مرّ خالد بن صفوان بأبي نخيلة الشاعر وقد بنى داراً فقال له أبو نخيلة: كيف ترى داري؟ قال: رأيتك سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت لها إسرافاً جعلت إحدى يديك سطحاً وملأت الأُخرى سلحاً فقلت: من وضع في سطحي وإلّا ملأته سلحي[3].

---

(١) الدول المتقطعة، كتاب مخطوط.

(٢) التهذيب ٦: ٢٩٤ ح٢٦.

(٣) معجم الأُدباء للحموي ١١: ٢٧ ترجمة (خالد بن صفوان).

«أما إنّك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبتُ لك كتاباً على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهمٍ فما فوق» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (فما فوقه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«والنسخة هذه» كلمة هذه ليست في (ابن ميثم والخطية) وانما هي في (ابن أبي الحديد)[3] والظاهر زيادتها.

«هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ من عبدٍ قد أزعج بالرّحيل» لما كانوا يكتبون في كتب البيع المتبايعين بالاسم والوصف ذكر عليه السلام البايع بوصف الإزعاج بالرّحلة من الدُّنيا، حيث باع داره؛ والإزعاج: الإقلاق؛ ووصف المشتري بالذّلّة، فلابدّ أن تحملها حتى تمكّن من اشترائها.

«اشترى منه داراً من دار الغرور» أي: من دور الدُّنيا الغرّارة ﴿...وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور﴾[4] وهو كذكر البلدة في قبالة البيع.

«من جانب الفانين وخطّة الهالكين» هو كذكر المحلّة في القبالة و (الخطّة) بالكسر أرض تخطّها لتبنيها داراً، ولنعم ما قيل بالفارسيّة ـ: عاقبت منزل ما وادى خاموشانست.

«وتجمع هذه الدّار حدودٌ أربعة» ذكر عليه السلام حدوداً معنويّة في قبال رسم كتب البيع حدوداً ظاهرية، كما أنّ الكاظم عليه السلام لما قال له الرشيد: حدّ لي فدك حتّى أردّها إليك؛ وقال عليه السلام له: إن حددتها لم تردّها، فقال: بلى أردّها! حدّ الحدود لأصلها، وهي المملكة الإسلامية وخلافتها التي جعلها الله تعالى حقّهم عليهم السّلام، فقال: حَدُّها الأول: عدن، والثاني: سمرقند؛ والثالث: إفريقية؛

---

(١) المصرية المصححة: ٥١٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٠، والخطية ٢٣٠ «كما ذُكر»، أما ابن ميثم فكالمصرية ٤: ٣٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٠.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

والرابع: سيف البحر، فاربدّ وجه الرشيد، فقال عليه السلام: أعلمتك إن حددتها لم تردّها[١].

«الحدّ الأول ينتهي إلى دواعي الآفات» الأصل في الآفة (إيف) قال الجوهري: (إيفَ الزّرعُ) أي: أصابته الآفة[٢] والثاني، هكذا في (المصرية) والصواب:[٣] (والحدّ الثاني) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) ولأنّ[٤] بعده (والحدّ الثالث) (والحدّ الرابع). في (عيون ابن قتيبة): نظرت امرأة إلى أُخرى وحولها عشرة من ولدها كأنّهم الصقور فقالت: لقد ولدت أمّكم حزناً طويلاً[٥].

«والحدّ الثالث ينتهي إلى الهوى المردي» أي: المهلك ﴿أفرأيت من اتّخذ إلٰهه هواه...﴾[٦]، ﴿ولو اتّبع الحقّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض...﴾[٧].

«والحدّ الرابع ينتهي إلى الشيطان المغويّ» أي: المضلّ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء...﴾[٨] ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل﴾[٩] في النمل والعنكبوت.

«وفيه» أي: في الشيطان المغويّ.

«يُشرع» أي: يفتح.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤: ١٤٤ ح٢٠.

(٢) الصحاح: (أوف).

(٣) المصرية بلفظ الحد الثاني: ٥١٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٠ كما ذُكر، أما ابن ميثم فكالمصرية ٤: ٣٤٣.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٧٠، كذلك البيان والتبيين ٣: ١٤٥.

(٦) الجاثية: ٢٣.

(٧) المؤمنون: ٧١.

(٨) البقرة: ٢٦٨.

(٩) النمل: ٢٤.

«باب هذه الدار» ومرّ أنّ في رواية سبط ابن الجوزي: (وفيه يشرع بابها وتجتمع أسبابها).

وفي الخبر ما معناه: أنّ إبليس جاء إلى عيسى عليه السلام وقد اضطجع ووضع تحت رأسه لَبِنَة، فقال له ما تريد منّي؟ وليس لي شيء من متاع الدُّنيا، فقال له: ما دام لك علاقة بهذه اللّبِنة يكون لي فيك مطمع، فأخذ عيسى عليه السلام اللّبِنة ورمى بها.

«اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضّراعة، أي: الذّلة والمسكنة؛ وصف عليه السلام المتبايعين والمبيع بأوصافها المتقدّمة، وزاد هنا ذكر الثمن بقوله: «بالخروج من عزّ القناعة والدّخول في ذلّ الطلب والضّراعة».

قالوا: باع رجل أرضاً من رجل بدراهم وقال له: دفعتها إليك بطيئة الإجابة عظيمة المؤنة، فقال له المشتري: دفعتها إليك بطيئة الاجتماع سريعة التفرّق.

«فما أدرك هذا المشتري في ما اشترى منه» هكذا في (المصرية)[1] وكلمة «منه» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«من درك»، بفتحتين والأصل فيه قطعة حبل تشدّ في طرف الرّشاء إلى عَرْقُوَةِ الدّلو ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفَن الرّشاء، ثم استعير لضمان إنسان للمشتري ما يلحقه في المبيع من العيب أو كونه مستحقاً لغير البايع، وفي المبايعات الرياسيّة كالمبايعات المعامليّة الدّرك أيضاً غالب.

بايع هارون للأمين والمأمون والمؤتمن، فأراد الأمين خلع المأمون

---

(١) الطبعة المصرية المصححة بلا لفظ «منه»: ٥٢٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢٨ والخطية: ٢٣ كما ذُكر، اما ابن ميثم فكالمصرية ٤: ٣٤٣.

فتحاربا، فقتله المأمون، وخلع المأمون المؤتمن أيضاً، وبايع المتوكّل للمنتصر والمعتز والمؤيّد ثمّ أراد خلع المنتصر فقتله المنتصر غيلة، وقتل المعتزّ المؤيّد أيضاً.

«فعلى مبلبل أجسام الملوك» أي: من يتتبّعها فلا يدع منها شيئاً من (تبلبلت الإبل الكلاء)، في (بيان الجاحظ): قال الحسن البصري: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة ـ أي عبد الملك ـ وأمير المصرين ـ أي الكوفة والبصرة ـ وأشبّ النّاس فأقام عندنا أربعين يوماً ثمّ طُعِنَ في قدمه فمات، فأخرجناه إلى قبره فلّما صِرْنا إلى الجبّانة فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبهم إلى قبره، فوضعنا السّرير فصلّينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلّوا عليه ثمّ حملنا بِشْراً إلى قبره، وحملوا صاحبهم إلى قبره، ودفنّا بِشراً ودفنوا صاحبهم، ثم انصرفوا وانصرفنا؛ ثمّ التفتّ فلم أعرف قبر بِشْر من قبر الحبشيّ فلم أرَ شيئاً قطّ كان أعجب منه[1] وبشر هذا هو الذي يقول فيه الشاعر:

بِشْر استوى على العراق بغير سيف ودم مهراق

«وسالب نفوس الجبابرة» في (الطبري): قال الأصمعي: أوّل من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر، كنّا في حلقة يونس فمرّ بنا خلف، فقال: قد طرقت ببكرها أُمّ طبق، قال يونس: وماذا؟ قال:

تنتجوها خير أضخم العنق موت الإمام فلقة من الفلق[2]

«ومزيل ملك الفراعنة» في (الصحاح): فرعون، لقب الوليد بن مصعب مَلِك

(١) البيان والتبيان للجاحظ ٣: ١٤٧.

(٢) تاريخ الأمم للطبري ٦: ٣٥١.

مصر، وكلُّ عاتٍ فرعون[١].

«مثل كسرى» لقب ملوك فارس. في (الصحاح): كسرى جمع بأكاسرة على غير قياس لأنّ قياسه كسرَون (بفتح الرّاء) مثل عيسَون وموسَون (بفتح السين)[٢].

«وقيصر» لقب ملوك الروم؛ وفي (تنبيه المسعودي) معنى قيصر شقّ عنه، ذكروا أنّ أمّه ماتت وهي مُقْرِبٌ به، فشقّ عنه بطنها واستخرج، وصار ذلك كالسِّمة لكثير من ملوكهم فسمّتهم العرب بالقياصرة[٣].

«وتُبَّعٍ» اسم لملوك اليمن.

وفي (تنبيه المسعودي): قال حسّان أو النّعمان بن بشير:

لنا من بني قحطان سبعون تبّعاً   أقرّت لها بالخرج منها الأعاجم

قيل للملك منهم تُبَّع، تشبيهاً بالظّلّ الذي يتفيأ به؛ والتّبع في أصل اللّغة: الظّلّ؛ إذ كانت الملوك السعداء ظِلالاً لرعيّتهم، وكهفاً لهم، واستشهادهم بقول ليلى أو سعدى الجهنيّة:

يرد المياه حضيرة ونفيضة   ورد القطاة إذا اسمأل التّبّع[٤]

يعني ارتفع الظلّ.

«وحِمْيَر» (بالكسر فالسّكون فالفتح) في (الصحاح): هو حِمْير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم كانت الملوك في الدّهر الأول[٥].

«ومن جمع المال على المال فأكثر» قال تعالى في قارون: ﴿وآتيناه من

(١) الصحاح: (فرعن).

(٢) الصحاح: (كسر).

(٣) التنبيه والاشراف للمسعودي: ٣٤٢.

(٤) التنبيه والاشراف للمسعودي: ١٥٧.

(٥) الصحاح: (حمر).

الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولي القوّة إذ قال له قومه لا تفرح انّ الله لا يحبُّ الفرحين* وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدُّنيا وأحسن كما أحسنَ الله إليك ولا تبغِ الفساد في الأرض انّ الله لا يحبُّ المفسدين* قال إنّما أُوتيته على علمٍ عندي أولم يعلم أنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُّ مِنهُ قوّةً وأكثر جمعاً ولا يُسئل عن ذنوبهم المجرمون* فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدُّنيا ياليت لنا مثل ما أُوتيَ قارون إنّه لذو حظٍّ عظيم* وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقّاها إلّا الصابرون* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين* وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون وَيْكَأَنَّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا وَيْكَأَنَّه لا يفلح الكافرون* تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1].

«وشيّد» أي: طوّل؛ وقال الكسائي: المَشيد للواحد، من قوله تعالى: ﴿وقصرٍ مشيد﴾[2]، (والمشيّد) للجمع من قوله تعالى: ﴿في بروجٍ مشيّدةٍ...﴾[3].

قلت: وهو كما ترى، فإنّ الجمعيّة في الثاني من قبل التاء لا التضعيف.

«وزخرف» في (الصحاح): الزّخرف: الذهب، ثمّ يشبّه به كلّ مموّه ومزوّر.

---

(١) القصص: ٧٦ ـ ٨٣.

(٢) الصحاح: (شيّد) والآية ٤٥ من سورة الحج.

(٣) النساء: ٧٨.

«ونجد» أي: زَيَّنَ[١].

«وادّخر» افتعال من ذخرت الشيء.

«واعتقد» يمكن أن يكون من (اعتقد الضّيعة) أي: اقتناها؛ ويمكن أن يكون بمعنى: عقد المال الّذي ادّخره عقداً استحكاماً؛ قال تعالى: ﴿الذي جمع مالاً وعدّده يحسبُ أنّ ماله أخلده﴾[٢].

وفي (بيان الجاحظ): قال صالح المرّي: دخلت دار المورياني أبي أيوب بعد نكبة المنصور له، فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله تعالى في داره ﴿فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلّا قليلاً...﴾[٣] ﴿ولقد تركناها آيةً فهل من مدّكر﴾[٤] ﴿فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا...﴾[٥] فخرج إليّ أسود من ناحية الدّار فقال: يا فلان، هذا سخط المخلوق فكيف سخطة الخالق[٦].

«ونظر بزعمه للولد» لئلّا يحتاج بعده.

في (تاريخ بغداد): قال محمّد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة: لمّا وُلِدْتُ دخل أبي على أُمّي فقال لها: إنّ المنجّمين قد أخذوا مولد هذا الصبيّ وحسبوه، فاذا هو يعيش كذا وكذا، وقد حسبتها أيّاماً وقد عزمت أن أعدّ له لكلّ يوم ديناراً مدّة عمره، فإنَّ ذلك يكفي الرَّجل المتوسّط له ولعياله، فأعدي له حُبّاً فأعدّته وتركه في الأرض وملأه بالدّنانير، ثمّ قال لها اعدّي له حُبّاً آخر اجعل فيه مثل هذا يكون له استظهاراً، ففعلت وملأه ثم استدعى حبّاً آخر وملأه بمثل

---

(١) الصحاح (زخرف).

(٢) الهمزة: ٢ ـ ٣.

(٣) القصص: ٥٨.

(٤) القمر: ١٥.

(٥) النمل: ٥٢.

(٦) البيان للجاحظ ٣: ١٤٩.

ما ملأ كلّ واحد من الحُبيّن ودَفَن الجميع؛ قال ابن شيبة وما نفعني ذلك مع حوادث الزّمان فقد احتجت إلى ما ترون! قال ابن السقطي: رأيناه يجيئنا بلا إزار نقرأ عليه الحديث ونبرّه بالشيء بعد الشيء؛ توفي سنة (٣٣١)[١].

وفي السّير: قال المنصور لعمرو بن عبيد عِظْني؛ قال: رأيت عمر بن عبد العزيز وقد مات، فخلّف أحد عشر ابناً وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً كفّن منها بخمسة دنانير، واشترى موضع قبره بدينارين، وأصاب كلّ واحد من ولده أقلّ من دينار؛ ومات هشام وأصاب كلّ واحد من ولده ألف ألف دينار! ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله ورأيت رجلاً من ولد هشام يسأل الناس ليتصدّقوا عليه[٢].

«إشخاصهم» أي: إذهابهم.

«إلى موقف العرض والحساب» قال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتون* ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون﴾[٣].

«وموضع الثّواب والعقاب» قال الجوهري: الثواب: جزاء الطاعة[٤] والعقاب: العقوبة.

«إذا وقع الأمر بفصل القضاء» ومرّ في رواية (التذكرة)[٥]: «وسيقع الأمر بفصل القضاء وتقتص للجماء من القرناء ﴿وقضي بينهم بالقسط

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣) الزمر: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) الصحاح: (ثَوَبَ).

(٥) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٨٨.

وهم لا يظلمون﴾[١].

«وخسر هنالك المبطلون» الأصل فيه وفي ما قبله قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أمر الله قضي بالحقّ وخسر هنالك المبطلون﴾[٢].

«شَهِدَ على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدُّنيا» فما دام العقل أسير سلطان الهوى لا أثر لحكمه؛ ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

حـــديث عــقل در ايّــام پــادشاهى عشــق
چنان شده است كه فرمان حاكم معزول

وعن السري السّقطي: رأيت على حجر مكتوباً داؤك هواك فإن غلبت هواك فداؤك دواك. وعن بعض الحكماء: المؤمن يخاف على عقله الآفات من الغضب، والهوى، والشهوة، والحرص، والكبر، والغفلة، وذلك أنّ العقل إذا كان هو الغالب، القاهر، ملك هذه الأخلاق الرديّة وإذا غلب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أورثته المهالك وعُدِمَ من الله حسن المعرفة.

ومن كلامه عليه السلام في هذا العنوان: أخذ جمعٌ منهم سعدون الذي ذكره في (عقلاء مجانين النيسابوري) ففيه: قال سعدون للمتوكّل: كأنّي بك وقد أتاك فظّ غليظ فجذبك عن سرير بهائك، وأخرجك عن مقاصير علائك، فلم يستأذن عليك حاجباً ولا قهرماناً، حتّى أخرجك إلى ضيق اللّحد وفراق الأهل والولد[٣].

وفيه أيضاً: أنّه قال للمتوكّل: في الجنّة مرج من ورق الآس، في وسط المرج قصر من دُرر ـ إلى أن قال: لها حدود أربعة؛ الحدّ الأوّل: ينتهي إلى ناحية الوجلين، والحدّ الثاني: ينتهي إلى نعيم المشتاقين، والحدّ الثالث: ينتهي إلى

---

(١) يونس: ٥٤.

(٢) المؤمنون: ٧٨.

(٣) عقلاء المجانين للنيسابوري: ١٦.

طريق المريدين، والحدّ الرابع: ينتهي إلى غرفٍ مملوّة بتحف وصنايع ووصائف ورفارف وإلى خيام وخدّام وإلى ميدان يطوف في ساحتها الولدان[١].

ومنهم بهلول الذي ذكره فيه أيضاً، ففيه: قال عبّاس البهلول: نظر بهلول إليّ وأنا ابني داراً لبعض أبناء الدنيا فقال: لِمَن بُنيت له: إسمع إلى صفة دارٍ كوّنها العزيز، أساسها المسك، وبلاطها العنبر، اشتراها عميد قد أزعج للرّحيل، كتب على نفسه كتاباً، وأشهد على ضمائره شهوداً: هذا ما اشترى العبد الجافي من الرّبّ الوافي؛ اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذلّ الطمع إلى عزّ الورع، فما أدرك المستحقّ في ما اشتراه من دَرك، فَعَلَى المولى خلاص ذلك وتضمينه، شَهِدَ على ذلك العقل، وهو الأمين على الخواطر، وذلك في إدبار الدُّنيا وإقبال الآخرة. أحد حدودها ينتهي إلى ميادين الصفا، والحدّ الثاني: ينتهي إلى ترك الجفا، والحدّ الثالث: ينتهي إلى لزوم الوفا، والحدّ الرابع: ينتهي إلى سكون الرّضا في جوار من على العرش استوى، لها شارع ينتهي إلى دار السلام، وخيام قد مُلئت بالخدّام[٢].

وكتابه عليه السلام كتاب بيع للمعاملة الدنيوية، وفي القرآن كتاب شراء للمعاملة الآخروية، وهو قوله جلّ وعلا: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فَيَقتلون ويُقتَلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[٣]. ولقد عامل هو وأهل بيته عليهم السلام مع

---

(١) المصدر نفسه: ٦٧.

(٢) نفس المصدر: ٧٢.

(٣) التوبة: ١١١.

الله تعالى هذه المعاملة بنحو الأتمّ والأكمل، ففازوا فوزاً عظيماً ولاسيّما ابنه الحسين عليه السلام.

١٢
الحكمة (١٩)

وَقالَ عليه السلام:

مَنْ جَرى في عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

العثرة: الزلّة يقال: (عَثَرَ به فَسَقَطَ)، شبّه عليه السلام من يستغرق في لذّاته بمن ركب فرساً وأغرق في جريه بتخلية عنانه، فيعثر به، فيسقطه ويهلكه.

والمصداق الكامل لكلامه عليه السلام ظاهراً وباطناً، يزيد بن معاوية. وفي (أنساب البلاذري): يزيد كان أوّل من أظهر شرب الشّراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون، من القرود والمعاقرة بالكلاب والدِّيكة ثمّ جرى على يده قتل الحسين عليه السلام وقتل أهل الحرّة ورمي البيت وإحراقه[١]. وفيه: كان ينادم على الشراب سرجون مولى معاوية[٢].

قلت: وهو الّذي أشار عليه بتولية عبيدالله بن زياد على الكوفة لقتل الحسين عليه السلام، وينادم على الشرب مسلم بن عمرو الباهلي أبا قتيبة أيضاً ويغنيّه مسلم أيضاً.

قلت: وهو الذي أرسله يزيد إلى عبيدالله بعهده على الكوفة وجاء معه من البصرة إلى الكوفة، وقال لمسلم بن عقيل لمّا استسقى لا تُسقى إلّا من الحميم.

وفيه: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه ويكنّيه، ويقول: هذا شيخ من بني

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ١ مطبعة المثنى، بغداد.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٢.

إسرائيل أصاب خطيئةً فمسخ.

قلت: استهزاءً بالقرآن في حكمه بمسخ قوم من بني إسرائيل باعتدائهم.

قال: وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع وكان يحمله على اتان وحشيّة ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليه يوماً وجعل يقول:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إنْ هلكت ضمانُ
فقد سبقت خيل الجماعة كلّها وخيل أمير المؤمنين أتانُ

قال: وذكر لي شيخ من أهل الشام أنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قردة على الاتان وهو سكران ثم ركض خلفها فسقط، فاندقّت عنقه أو انقطع في جوفه شيء[1].

وروى عن ابن عياش قال: خرج يزيد يتصيّد بحوارين، وهو سكران، فركب وبين يديه أتان وحشيّة قد حمل عليها قرداً وجعل يركض الأتان ويقول:

أبا خلف احتل لنفسك حيلةً فليس عليها ان هلكت ضمانُ

فسقط فاندقّت عنقه[2].

وفيه: قال ابن عرادة السعدي في موت يزيد:

طرقت منيّته وعند وساده كوب وزقّ راعف مرثوم
ومرنّة تبكي على نشوانه بالصّنج تقعد ساعة وتقوم[3]

وفيه: كان يزيد همّ بإتيان اليمن فقال رجل من تنوخ:

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ إلى أرض القرود يزيد

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ٦١.

فتبّاً لمن أمسى علينا خليفة صحابته الأدنون منه قرود[١]

١٣
الحكمة (٧٤)

وَقَالَ عليه السلام:

نَفَسُ الْمَرْءِ خُطاهُ إِلى اَجَلِهِ.

أقول: الخُطى: جمع خُطوة (بالضمّ) أي: مسافة ما بين القدمين في المشي.

قال ابن أبي الحديد بعد نقل العنوان: لا أدري الكلمة له عليه السلام أو لابن المعتزّ أخذها منه، فإنّه قال: «النّاس وفد البلاء، وسُكان الثرىٰ، وأنفاس الحيّ خطاه إلى أجله، وأمله خادعٌ له عن عمله، والدُّنيا أكذب واعِدِيه، والنفس أقرب أعادِيه، والموت ناظرٌ إليه، ومنتظر فيه أمراً يُمضيه»[٢].

قلت: قول ابن أبي الحديد له عليه السلام أو لابن المعتزّ أخذها منه عليه السلام، بلا محصّل؛ لأنّ الثاني في معنى الأوّل، وإنّما كان له محصّل لو كان قال: هل أخذ الكلمة منه عليه السلام ابن المعتزّ أو قالها بتوارد الخواطر؟

وكيف كان، فأغلب كلمات من تأخّر عنه عليه السلام تلفيق من كلامه عليه السلام وقد اعترف بذلك عبد الحميد، كاتب مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أُميّة، ففي (وزراء الجهشياري): قيل لعبد الحميد: ما الذي مكّنك من البلاغة وخرّجك فيها؟ فقال: حفظ كلام الأصلع، يعني أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

ومرّ في أوّل الكتاب نسبة غير واحدة من خطبه عليه السلام إلى غيره من

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢١.

(٣) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٨٢.

الخلفاء والخوارج؛ لأنّهم خطبوا بها من غير نسبة إليه عليه السلام.

ومرّ في أوّل العنوان (١١) من هذا الفصل: أن فضيل بن عياض أتى بما أوهم انّ ذاك العنوان كلامه، حتّى إنّ (الحلية) نسبه إليه[١].

ومرّ أيضاً: انّ سعدون وبهلولاً أخذا من جملة ذاك العنوان قدراً[٢].

ونعود إلى ذكر ما يناسب العنوان فنقول:

وفي (الكافي) عنه عليه السلام: ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلّا قال: أنا يوم جديد، وعليك شهيد، فقل فيّ خيراً، واعمل فيّ خيراً أشهد لك به يوم القيامة، فإنّك لن تراني بعده أبداً[٣].

وقال بعضهم: ساكن الدُّنيا راحل وأنفاسه رواحل وأيّامه مراحل[٤].

وقال أبو هلال:

في كلّ مجرى نفس تكرّره تهدم من عمرك ما لا تعمّره

١٤
الحكمة (٢٩)

وَقالَ عليه السلام:

اِذَا كُنْتَ فى اِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فى اِقْبَالٍ فَما اَسْرَعَ الْمُلْتَقى.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّ الموت الّذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثُمَّ تُردّون إلى عالم الغيب والشّهادة فيُنبئكم بما كنتم تعلمون﴾[٥] تعدّ السّنون ثمّ تعدّ الشهور ثم تعدّ الأيام ثم تعدّ الساعات ثمّ تعدّ

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨: ١٠١.

(٢) عقلاء المجانين للنيسابوري: ٦٧، ٧٢.

(٣) الكافي ٢: ٥٢٣ ح٨.

(٤) الطرائف للثعالبي: ١٠.

(٥) الجمعة: ٨.

النَّفس ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾[١].

ومثال لما قاله عليه السلام السيّارات العصريّة إذا كانتا متواجهتين فقد يكون بُعدهما بحيث لا ترى احداهما من الأُخرى إلّا شبحاً فلا تمضي إلّا انات يسيرة تلتقيان.

١٥
الحكمة (٢٠٣)

وَقَالَ عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اَللهَ الَّذي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ اَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبادِرُوا الْمَوْتَ الَّذي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ اَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ اَقَمْتُمْ اَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ.

أقول: رواه المبرد في (كامله) عنه عليه السلام[٢].

«أيُّها الناس اتّقوا الله الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم» ﴿يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يُبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾[٣] ﴿إلّا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليمٌ بذات الصدور﴾[٤].

وبادروا الموت الذي إن هربتم منه أدرككم، ﴿قُل إنَّ الموت الّذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[٥]. ويكفي التدبُّر في هذه الآية صدرها وذيلها، لمن أراد التذكّر.

---

(١) الأعراف: ٣٤، والرواية نقلها الكليني في الكافي ٣: ٢٦٢ ح ٤٤.

(٢) الكامل في الأدب للمبرّد ١: ٢٢٣.

(٣) النساء: ١٠٨.

(٤) هود: ٥.

(٥) الجمعة: ٨.

«وإن أقمتم أخذكم» ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة...﴾[١].

«وإن نسيتموه ذكركم» ﴿قُل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون﴾[٢].

وروى (نوادر جنائز الكافي) عن أسباط بن سالم، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يعلم ملك الموت نَفَسُ مَنْ يقبض؟ قال إنّما هي صكاك تنزل من السماء، اقبض نفس فلان بن فلان[٣].

وروى عنه عليه السلام قال: ما أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم كلّ يوم خمس مرّات[٤].

هذا وفي (حمقاء ابن الجوزي): مات لرجل قريبه ولم يخرج في جنازته، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم! أأكون منسيّاً فأذكّر نفسي؟، يعني إنّ ملك الموت نسيني فإذا خرجت في الجنازة يراني؛ فيتذكّرني؛ فيقبض روحي؛ ولا أفعل هذا أبداً[٥].

١٦
الحكمة (٧٥)

وَقَالَ عليه السلام:

كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ.

أقول: «كلّ معدودٍ منقضٍ»، «منقض» مُنْفَعِلْ من (انقضى) لا مَفْعَلْ من

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) الكافي ٣: ٢٥٥ ح٢١.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح٢٢.

(٥) أخبار الحمقى لابن الجوزي، ذكر ما يشابهه: ١٩١.

(أنقَضَ) فإنّه لا مناسبة له، فيقال: أُنقض الحمل ظهرَه أي: أثقله حتّى صوّته. قال ابن أبي الحديد: «كلامه عليه السلام يؤكّد مذهب جمهور المتكلّمين في أنّ العالم كلّه لابدّ أن ينقضي، لكن قالوا: إنّما علمنا انّ العالم يفنى من طريق السّمع لا العقل فيجب أن يحمل كلامه عليه السلام على أنّ العدد ليس علّة في وجوب الإنقضاء، كما يشعر به ظاهر لفظه، وهو الذي تسمّيه أصحاب أصول الفقه ايماء، وإنّما مراده كلّ معدود فاعلموا؛ أنّه فانٍ ومنقضٍ فقد حكم على كلّ معدود بالإنقضاء حكماً مجرّداً عن العلّية، نحو لو قيل: زيد قائم، ليس يعني أنّه قائم لأنّه يسمّى زيدا»[١].

قلت: ما طوّله نفخ في غير ضرام، فإنّ مراده عليه السلام أنّ سنيَ عيش الإنسان وشهوره، وأيّامه، وساعاته، وآناته وأنفاسه في الدنيا معدودة محصورة، فلابدّ أن تنقضي، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إنّما نَعُدّ لهم عَدّاً﴾[٢]؛ ورد في تفسيره أنّ الآباء والأُمّهات يعدّون سنيّه وهو تعالى يعدّ أنفاسه، ومرّ في العنوان السابق خبر تفسير قوله تعالى: ﴿قُل إنَّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم...﴾[٣].

«وكُلُّ متوقَّعٍ آتٍ» قال ابن أبي الحديد: «يماثل قوله عليه السلام قول العامّة في أمثالها (لو انتظرت القيامة لقامت) والقول في نفسه حقّ، لأنّ العقلاء لا يتوقّعون ما يستحيل وقوعه، وانّما ينتظرون ما يمكن وقوعه وما لابدّ من وقوعه، فقد صحّ أنّ كلّ منتظَر فسيأتي»[٤].

قلت: تطويله هنا أيضاً بلا طائل فإن المراد بالمتوقَّع الموت، والموت

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٢.
(٢) مريم: ٨٤.
(٣) الجمعة: ٨.
(٤) ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٢.

حتمٌ آتٍ وانما أتى عليه السلام بلفظة (كلّ) لأنّ المتوقع كلّ حتميّ لا يُعلم ساعة وقوعه، لا ما يمكن وقوعه، فإنّه لا يجب وقوعه كالمطر في الشتاء. وبالجملة: كلامه عليه السلام استدلال بالعلّة والمعلول، حتّى يلتزم بالقبول، وهو جعله ككلام عامّي مرذول.

١٧
الحكمة (١٥)

وَقِيلَ لَهُ: «كَيْفَ تَجِدُكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟» فَقالَ عليه السلام:

كَيْفَ يَكُونُ حَالَ مَنْ يَفْنى بِبَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ وَيُؤْتى مِنْ مَأْمَنِهِ؟

أقول: قوله عليه السلام: «كيف يكون حال من يفنى ببقائه» في (صناعتي أبي هلال): قيل لبعض الأوائل: ما كان سبب موت أخيك؛ قال: كونه فأحسن ما شاء[1]. وقال الشاعر:

ما حال من آفته بقاؤه   نَغَّصَ عيشي كُلّه فناؤه[2]

وقال ابن الرومي:

لعمرك ما الدُّنيا بدار إقامة   إذا زال عن نفس البصير غطاؤها

وكيف بقاء العيش فيها وانّما   يُنال بأسباب الفناء بقاؤها[3]

وقال محمّد بن عليّ ـ يعني الباقر عليه السلام ـ «مالك من عيشك إلّا لذّة تزدلف بك إلى حمامك، وتقرّبك من يومك، فأيّة أكلة ليس معها غَصَص، وشربة ليس معها شَرَق، فتأمّل أمرك فكأنّك قد صِرْتَ الحبيب المفقود أو الخيال المخترم»[4].

---

(١) الصناعتين لابن هلال العسكري: ٤٨.

(٢) ابن أبي الحديد ٣: ٣٤٠.

(٣) الصناعتين للعسكري: ٤٩.

(٤) الأمالي للمفيد: ١٠، والبحار للمجلسي ٧٨: ٤٥٠ ح ١٤.

وقلت:

والمرءُ ينسى والمنايا تَذْكره ... يُميته بقاؤه فيُقبره

«ويسقم بصحّته» قال المصنّف في (مجازاته النبويّة) في شرح قول النبيّ ﷺ: «كفى بالسّلامة داءً» هذا القول مجاز؛ لأنّ السلامة على الحقيقة ليست بداءٍ في نفسها، وإنّما المراد الهرم وعوادي السَّقم، فحسن من هذا الوجه أن تسمّى داءً إذ كانت موقعة فيه، ومؤدّية إليه، وقد أكْثرت الشّعراء نظم هذا المعنى في أشعارهم إلّا أنّ كلمة النبي ﷺ أبهى من جميع ما قالوه، وأبعد منزعاً، وأوجز في تمام، وأكثر مع قلّة كلام، فممّا جاء في هذا المعنى قول حميد بن ثور:

أرى بَصرِي قد رابني بعد صحّةٍ ... وحَسْبك داءً أن تصحَّ وتُسلما[1]

وقول لبيد بن ربيعة:

ودعوت ربّي بالسّلامة جاهداً ... ليصحّني فإذا السّلامة داء[2]

وقول النمر بن تولب:

يودُّ الفتى طول السّلامة والغنى ... فكيف يرى طول السّلامة يفعل[3]

وأني لأستحسن كثيراً الأبيات التي من جملتها هذا البيت وهي:

تغيَّر منّي كلّ شيء ورابني ... مع الدّهر ابدالي التي أتبدّل

فضول أراها في أديمي بعدما ... يكون كفاف الجسم أو هو أجمل

كأنّ مخيطاً في يدي حارثيّة ... صناع علت منّي به الجلد منعل

يردّ الفتى بعد اعتدال وصحّة ... ينوء إذا رام القيام ويحمل

---

(١) نهاية الأرب للنووي ٣: ٦٥.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٧.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٦٧.

تـدارك مـا قـبل الشّـباب وبـعده   حـوادث أيّـام تـمرّ وأغـفل[١]

يود الفتى...

وقال أبو العتاهية:

اسرع في نقص امرئٍ تمامه[٢]

«ويؤتى من مأمنه» ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة...﴾[٣].

١٨
الحكمة (١٢٢)

وَتَبِعَ جِنازَةً فَسَمِعَ رَجُلاً يَضْحَكُ فَقالَ عليه السلام:

كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلى غَيْرِنا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلى غَيرِنا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الّذى نَرى مِنَ الْاَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمّا قَلِيلٍ اِلَيْنا راجِعُونَ! نُبَوِّؤُهُمْ اَجْدَاثَهُمْ، وَنأْكُلُ تُرَاثُهُمْ، ثُمَّ قَدْ نَسِينا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ!

أقول: رواه (تفسير القمي) مرفوعاً عنه عليه السلام[٤] «قول المصنّف».

«وتبع عليه السلام جنازةً فسمع رجلاً يضحك» عن الصادق عليه السلام: (كم ممّن كثر ضحكه لاغياً، يكثر يوم القيامة بكاؤه، وكم ممّن كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً، يكثر يوم القيامة في الجنّة ضحكه وسروره)[٥].

«كأنَّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحقّ فيها على غيرنا وجب» في

---

(١) المجازات النبوية للرضي: ٤٣١.

(٢) المجازات النبوية للرضي: ٤٣١.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٤٤.

(٥) وسائل الشيعة للعاملي ٨: ٤٨.

(الحموي): كان الحسن بن علي، الملقّب بالقاضي المهذّب، الذي اختصّ بالصّالح بن رزيك وزير المصريّين قرظه عنده القاضي عبد العزيز بن الحباب فلّما مات عبد العزيز شمت به الحسن، ولبس في جنازته ثياباً مذهّبة فنقص بهذا السبب واستقبحوا فعله ولم يعش بعد الجليس إلّا شهراً واحداً[١].

هذا، وفي (الأغاني): انّ حمادة بنت عيسى بن علي توفيّت، وحضر المنصور جنازتها، فلمّا وقف على حفرتها، قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمّك حمادة بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتدفن فيها؛ فضحك المنصور حتّى غلب، فستر وجهه؛ وفي (عيون القتيبي): مات رجل من جند أهل الشام فحضر الحجّاج جنازته لكونه عظيم القدر ـ وكان يلقّب سعنة ـ فصلّى الحجاج عليه وقال لينزل قبره بعض اخوانه فنزل نفر منهم، فقال أحدهم ـ وهو يسوّي عليه ـ رحمك الله أبا فلان! إن كان ما علمتك لتجيد الغناء، وتسرع ربّ الكأس، ولقد وقعت موقع سوء لا تخرج منه إلى الدّكة، فما تمالك الحجّاج أن ضحك فأكثر ـ وكان لا يُكثر الضّحك في جدّ ولا هزل ـ ثمّ قال له: لا أُمّ لك! أهذا موضع هذا؟ قال: أصلح الله الأمير! فرسي حبيس لو سمعه يتغنّى: «يالبينى أوقدي النارا» لا نتشر الأمير على سعنة ـ وكان من أوحش خلق الله صورة ـ فقال الحجّاج : إنّا لله، أخرجوه من القبر ثمّ قال: ما أبين حجّة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام! ولم يبقَ أحد حضر القبر إلّا استفرغ ضحكاً.

وحدّثني بعض السّادة: أن امرأة من العرّيفين توفيّت، فحضر العرّيفون تشييعها فقالوا الذاكر: مَنْ زوج هذه المرأة حتى نسلّيه بعد الفراغ من دفنها، فقال: ما أعرف لها زوجاً معيّناً، فما تمالكوا أنفسهم من الضّحك حتّى

---

(١) معجم الأدباء للحموي ٩: ٤٨.

اضطروا إلى الرجوع قبل الفراغ[١].

«وكأنّ الذي نرى من الأموات سفرٌ» (بالفتح فالسكون) جمع سَفِر من (سَفَرَ): خرج إلى السّفر.

«عمّا قليلٍ إلينا راجعون» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: عجب لقومٍ حبس أوّلهم عن آخرهم ثمّ نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون[٢].

«نبوّؤهم أجداثهم» وفي رواية القمّي: «نُنزِّلهم أجداثهم» والأجداث: جمع الجدث، وهو القبر[٣].

«ونأكل تراثهم» التراث: الميراث، وأصله الوراث، وزاد (ابن أبي الحديد[٤] و ابن ميثم[٥]) بعده «كأنّا مخلّدون بعدهم» وكذلك في المستند من خبر القمي فلابدّ من سقوطه في (المصرية[٦] الأولى)، ثم هكذا في (المصرية) والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد)[٧] و (ابن ميثم)[٨] و(الخطية)[٩].

«قد نسينا كلّ واعظٍ وواعظةٍ» هكذا في (المصرية)[١٠] وفي نسخة (ابن أبي الحديد)[١١] والظاهر الأصل في «واعظ» و «واعظة» أحدهما والآخر كان نسخة

---

(١) الأغاني ٢: ٢٦٢.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٨ ح٢٩.

(٣) تفسير القمي ٢: ٧٠.

(٤) ابن أبي الحديد ١٨: ٣١١.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٦ (١١٣).

(٦) المصرية المصححة: ٦٨٥.

(٧) ابن أبي الحديد ١٨: ٣١١.

(٨) ابن ميثم ٥: ٣٠٦.

(٩) النسخة الخطية: ٣١٩.

(١٠) المصرية المصححة: ٦٨٥.

(١١) ابن أبي الحديد ١٨: ٣١١.

بدليّة فجمعت الطبعة المصرية بينهما فاقتصر (ابن ميثم)[١] على الأول، والقمّي على الثاني، ولا معنى للجمع بينهما لأنّه لا مناسبة في أن يقال: «نسينا كلّ رجلٍ واعظ وامرأةٍ واعظة» ثم الظاهر أصحّيتة «واعظة» لكونها قرينة «جائحة» في الفقرة بعدها، والمراد: كلّ صفة وخصلة واعظة.

«ورمينا بكلّ جائحة» أي: رمينا بكلّ خصلة مهلكة؛ والجائحة: الشدّة التي يجتاح المال؛ أي: يستأصله من سنة أو فتنة.

هذا وفي (العيون): (كان الحسن ـ يعني البصري ـ إذا شيّع جنازة لم ينتفع به أهله وولده واخوانه ثلاثاً)[٢].

هذا، وفي (ابن أبي الحديد[٣] و ابن ميثم[٤] والخطية)[٥] جعل (طوبى لمن ذلّ في نفسه...) الذي في (المصرية)[٦] بعد هذا العنوان، جزء هذا العنوان فهو الصحيح ويشهد له مستنده خبر (تفسير القمي) أيضاً.

١٩
الحكمة (١٣٠)

وَقالَ عليه السلام وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ: «يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، يا أَهْلَ التُّرْبَةِ، وَيا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، وَيا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنا فَرَطٌ سابِقٌ، وَنَحْنُ

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٦ بلفظ «واعظة».

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٦٢.

(٣) ابن أبي الحديد ١٨: ٣١١.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٣٦.

(٥) النسخة الخطية: ٣١٩.

(٦) الطبعة المصرية المصححة أعطته رقماً جديداً هو (١٢٤) لفصلها عمّا سبقها راجع صفحة: ٦٨٥ من الطبعة المصرية

لَكُمْ تَبَعٌ لاحِقٌ. أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ ما عِنْدَكُمْ؟

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى أَصْحَابِهِ فَقالَ:

أَما لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه)، و(الطبري في تاريخه) مع اختلاف، روى الأوّل في طيّ ذكر رجوعه عليه السلام من صفّين، عن عبد الرحمن بن جندب قال ثم مضى عليه السلام حتّى جُزنا دُور بني عوف، فإذا نحنُ عن أيماننا بقبور سبعةٍ أو ثمانية، فقال عليه السلام : ماهذه القبور؟ فقال له قُدامة بن عجلان الأزدي: إنّ خبّاب بن الأرت توّفي بعد مَخْرجك، فأوصى أن يدفن في الظّهر، وكان الناس يدفنون في دورهم وأفنيتهم، فقال عليه السلام: رحم الله خبّاباً ـ إلى أن قال ـ فجاء عليه السلام حتى وقف عليهم ثم قال: «السلام عليكم يا أهلَ الدِّيار الموحِشة والمَحالّ المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلفٌ وفَرَط، ونحن لكم تَبع، وبكم عَمّا قليل لاحِقُون. اللّهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم» ثم قال: «الحمد لله الذي جعل الأرض كِفاتاً، أحياءً وأمواتاً، الحمد لله الذي جعل منها خلقنا، وفيها يُعيدنا، وعليها يحشرنا، طوبى لمن ذكر المَعاد، وعَمِل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضِي عن الله بذلك» ثمّ أقبل حتّى دخل سكّة الثَّوريين[1].

ومثله الثاني مع أدنى اختلاف[2] ورواه (عقد ابن عبد ربه) و(بيان الجاحظ) فقالا: «كان عليّ كرّم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال: «أما المنازل فقد سُكِنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، فهذا خبر ما عندنا فليت شعري ما عندكم؛ ثم

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٤٥.

قال: والذي نفسي بيده لو أُذن لهم في الكلام لقالوا: انّ خيرَ الزّاد التقوى؛ وكان يقول عليه السلام إذا دخل المقبرة: «السلام عليكم أهلَ الدِّيار الموحشة، والمحالّ المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات اللّهمّ اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنّا وعنهم، ثم يقول: الحمد لله الذي جعل الأرض كِفاتاً احياءً وأمواتاً، والحمد لله الذي منها خلقنا وإليها يعيدنا وعليها يحشرنا، طوبى! لمن ذكر المعاد وعمل الحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزّوجل»[1] ورواه (الفقيه)[2] مختصراً.

قوله: «وقال عليه السلام وقد رجع من صفّين» بين دور بني عوف وسكّة الثوريّين.

«فأشرف على القبور بظاهر الكوفة» قد عرفت من رواية نصر أنّها قبور حدثت بعد شخوصه عليه السلام إلى الشام والأوّل منها قبر خبّاب.

وفي (تفسير القمي): نظر عليه السلام في رجوعه من صفين إلى المقابر فقال: «هذه كفات الأموات» ـ أي: مساكنهم ـ ثمّ نظر إلى بيوت الكوفة فقال: ـ «هذه كفات الأحياء» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً* أحياءً وأمواتاً﴾[3].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: زوروا موتاكم فإنّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أُمّه بما يدعو لهما[4]. وعن عليّ بن بلال: وكان مشى إلى قبر محمّد بن إسماعيل بن بزيع، قال: قال لي صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السلام: من أتى قبر

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٦٥، والبيان والتبيين للجاحظ ٣: ١٥٥.

(٢) الفقيه ١: ١٧٩.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٠٠، والآية ٢٥، ٢٦ من سورة المرسلات.

(٤) الكافي ٣: ٢٣٠ ح١٠.

أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾[١] سبع مرّات أمِنَ يوم الفزع الأكبر[٢]. وعن عمرو بن أبي المقدام: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة فوقف عليه فقال: «اللّهمّ ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته؛ واسكن إليه من رحمتك ما يستغني به عن رحمة من سواك وألحقه بمن كان يتولّاه»[٣].

«يا أهل الديار الموحشة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في التسليم على أهل القبور: السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين؛ رحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين؛ وانّا إن شاء الله بكم لاحقون[٤].

«والمحال المقفرة» من (أقفرت الدّار): خلت؛ والقفر: مفازة لا نبات فيها ولا ماء.

«والقبور المظلمة يا أهل التربة ويا أهل الغربة ويا أهل الوحشة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما مِن موضع قبر إلّا وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: «أنا بيت التّراب، أنا بيت البِلَى، أنا بيت الدّود. وزاد في خبر آخر: أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران»[٥].

«أنتم لنا فرطٌ سابقٌ» في (الصحاح): الفرط ـ بالتحريك ـ الذي يتقدّم الواردة فيهيّئ لهم الأرسان والدّلاء، ويمدر الحياض، ويستقي لهم، وهو فَعَلٌ بمعنى فاعِلٍ مثل تَبَعٌ بمعنى تابِع[٦]؛ يقال رجل فَرَطٌ وقوم فَرَطٌ، وفي الخبر:

---

(١) القدر: ١.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٩ ح٩.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٢٢٩ ح٦.

(٤) الكافي ٣: ٢٢٩ ح٨.

(٥) الكافي ٣: ٢٤٢ ح٣.

(٦) الصحاح: (فرط).

«أنا فرطكم على الحوض» ومنه قيل للطفل الميّت: «اللّهم اجعله لنا فَرَطاً» أي: اجراً يتقدّمنا حتّى نَرِدَ عليه[١].

«ونحن لكم تبعٌ لاحقٌ» في (الفقيه): في التسليم على أهل القبور: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، رحم الله المتقدّمين منكم والمتأخّرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون[٢].

وفي (المعجم): عزّى المازني بعض الهاشميين فقال:

انّي أعزّيك لا أنّي على ثقة من الحياة ولكن سنّة الدّينِ

ليس المعزّي بباقٍ بعد ميّته ولا المعزّى وإن عاشا إلى حينِ[٣]

وفي (الأغاني): خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد، ومعه عديّ بن زيد، فمرّوا بشجرة، فقال عديّ: أتدري أيّها المَلِك ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا. قال: تقول:

ربّ ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزّلالِ

عَصَفَ الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدّهر حالاً بعد حالِ

ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرة، فقال: أتدري أيّها الملك ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا قال: تقول:

أيها الرّكب المخبّو ن على الأرض المجدُّون

فكما أنتم كنّا وكما نحن تكونون[٤]

وفي (العقد): قيل للرّقاشي، وكان قد جلس بين المدينة والمقبرة: ما أجلسك هاهنا؟ قال: «أنظر إلى هذين العسكرين، فعسكر يقذف الأحياء

---

(١) الصحاح مادة (فرط).

(٢) الفقيه ١: ١٧٩.

(٣) معجم الأُدباء للحموي ٧: ١١٠ ترجمة (بكر بن محمد).

(٤) الأغاني ٢: ٩٥ ـ ٩٦.

وعسكر، يلتقم الموتى»[١].

«أمّا الدّور فقد سُكِنَتْ» هذه الفقرة ـ إلى آخر العنوان ـ جعلها المصنّف جزء كلامه عليه السلام في زيارة القبور بعد رجوعه من صفّين مع أنّها ليست في (كتاب نصر) و(تاريخ الطبري) اللّذين عرفت أنّهما مستندة؛ و(البيان) و(العقد) قد عرفت أنّهما نقلا هذا مستقلاً كذاك، والصواب: كون هذا جزء كلامه عليه السلام بعد الجمل؛ فروى ابن أبي شعبة في (تحفه): قال جابر الأنصاري: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فلمّا فرغ من قتال مَنْ قاتله أشرف علينا في آخر الليل فقال: ما أنتم فيه؟ فقلنا: في ذمّ الدُّنيا، فقال: علامَ تذمّ الدُّنيا يا جابر؟ إلى أن قال: ـ قال: يا جابر امضِ معي، فمضيت معه حتّى أتينا القبور، فقال: يا أهل التّربة، ويا أهل الغربة، أمّا المنازل فقد سُكِنت وامّا المواريث فقد قُسّمت وأمّا الأزواج فقد نُكِحت؛ هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟» ثمّ أمسك عنّي مليّاً ثمّ رفع رأسه، فقال: والذي أقلّ السماء فَعَلَتْ، وسطح الأرض فدحت، لو أذِنَ للقوم في الكلام لقالوا: إنّا وجدنا خير الزّاد التقوى. ثمّ قال: يا جابر! إذا شئت فارجع[٢].

وممّا قلنا يظهر أنّ المصنّف جمع بين كلاميه عليه السلام بعد صفّين وبعد الجمل في عنوان الأول لكونهما في موضوع واحد.

هذا، وقوله: «فَعَلَتْ» و «فَدَحَتْ» في خبر (التحف) الفاء فيهما فاء التعقيب و «علت» و «دحت» فِعلان من العُلوّ والدُّحو.

«وأمّا الأزواج فقد نكحت» ومرّ في سابع الفصل قوله عليه السلام: «وصارت أموالهم للوارثين وأزواجهم لقومٍ آخرين» مع شرحه.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٣٦.

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ١٨٦.

وفي (نفحة اليمن) قيل: إنّ الهادي العبّاسي كان مغرَماً بجارية تسمّى غادر، وكانت من أحسن النساء وجهاً وأكثرهنّ أدباً وألطفهنّ طبعاً وأطيبهنّ غناءً، فبينا هي ذات ليلة تنادمه، وتغنّيه، إذ تغيّر لونه وظهر أثر الحزن عليه فقالت: ما بالك! لا أراك الله ما تكره. فقال: وقع في فكري السّاعة أنّي أموت وأنّ أخي هارون يلي الخلافة بعدي، وإنّك تكونين معه كما أنت معي الآن! فقالت: لا أبقاني الله بعدك أبداً! وأخذت تلاطفه وتزيل هذا الخيال من خاطره، فقال: لابدّ أن تحلفي لي أيماناً مغلّظة ألّا تقربي إليه بعدي، فحلفت على ذلك وأخذ عليها العهود والمواثيق، ثمّ خرج وأرسل إلى أخيه هارون وأحلفه ألّا يخلو بغادر، وأخذ عليه من المواثيق الغليظة ما أخذ عليها، فلم يمضِ إلّا شهر حتى مات الهادي، وانتقلت الخلافة إلى هارون فطُلبت الجارية فحضرت، فأمرها بالأخذ في المنادمة، فقالت: وكيف تصنع بتلك الأيمان والعهود؟ فقال: قد كفّرت عنك وعن نفسي! ثمّ خلا بها ووقعت من قلبه موقعاً عظيماً بحيث لم يكن يصبر عنها ساعة، فبينا هي ذات ليلة نائمة في حجره إذ استيقظت مذعورة فقال: ما بالك فَدَتْكِ نفسي! قالت: رأيت أخاك ينشد:

أخلفت عهدي بعدما ... جاورتُ سكّانَ المقابرْ
ونسيتني وحَنِثت في ... أيمانك الزّور الفواجرْ
ونكحت غادرةً أخي ... صدق الّذي سمّاك غادرْ
لا يهنك الألف الجديد ... ولا تَدُرْ عنك الدوائرْ

فقال: فدتِك نفسي! انّما هي أضغاث أحلام، فقالت كلّا! ثم ارتعدت واضطربت بين يديه حتّى ماتت[١].

وفي (العيون)، قال المدائني: احتضر رجل من العرب وله ابن يدبّ بين

---

(١) نفحة اليمن للشرواني: ٢٤.

يديه وأمّ الصبيّ جالسة عند رأسه، واسم الصبيّ معمر، فقال:

واني لأخشى أن أموت فتنكحي ويقذف في أيدي المراضع معمّر
وترخي ستور دونه وقلائد ويشغلكم عنه خلوق ومجمر

فما لبث أن مات ثمّ تزوّجت ثمّ صار ابنه معمر إلى ما ذكر[1].

ووهب المتوكّل لأحمد بن حمدون جاريةً يقال لها (صاحب) من جواريه، حسنة كاملة، وحَمَلَ كلّ ما كان لها ـ وكان شيئاً كثيراً عظيماً ـ فلمّا مات ابن حمدون تزوّجت صاحب؛ قال أبو علي بن المنجّم: فرأيته في النوم وهو يقول:

أبا عليٍّ ما ترى العجائبا أصبح جسمي في التُّراب غائبا
واستبدلت (صاحبُ) بعدي صاحبا

وكان أبوه حمدون ينادم المعتصم، ثم الواثق، وكان يعاتب المتوكّل في أيّام أخيه، ولمّا مات الواثق نادم المتوكّل، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكّل بإحضار فريدة جارية أخيه الواثق مكرهةً، ودفع إليها عود فغنّت غناءً كالنّدبة، فغضب المتوكّل، فغنّت بتحزّن وشجى، فزاد ذلك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقّة التي تداخلته، فغضب المتوكّل ورأى أنّه فعل ذلك بسبب أخيه، وكان يبغض كلّ من مال إلى أخيه، فأمر بنفيه إلى السّند وضربه ثلاثمائة سوط وتزوّج المتوكّل فريدة بعد ذلك[2].

وفي (الأغاني) ـ والعهدة عليه ـ أعطى عبدالله بن أبي بكر، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل حديقة على ألّا تتزوّج بعده، ولما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول:

---

(١) عيون الأُخبار لابن قتيبة ٤: ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) معجم الأُدباء للحموي ٢: ٢٠٨.

فأقسمت لا تنفكّ عيني سخينة ... عليك ولا ينفكّ جلدي أغبرا
مدى الدّهر ما غنّت حمامة أيكةٍ ... وما طرد الليل الصباح المنوَّرا

فخطبها عمر فقالت: قد كان أعطاني حديقة على ألّا أتزوّج، قال عمر: فاستفتي، فاستفتت أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال عليه‌السلام لها: ردي الحديقة على أهله، فتزوّجها عمر، فلما بنى لها دعا عدّة منهم أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال عليه‌السلام لعمر: مُرْها تَسْتَتِرْ أُكلّمها، فاستترت فقال عليه‌السلام لها:

فأقسمت لا تنفكّ عيني سخينة ... عليك ولا ينفكّ جلدي أغبرا

فقال عمر: وما أردت إلى هذا؟ فقال عليه‌السلام: وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل؟[1] قال تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

هذا، وفي (زنبيل القاجاري): أوصى أحد تجّار البصرة إلى الشيخ عليّ بن كاشف الغطاء مصرف ثلثه، فأنفذ الشيخ وكيله فأخذ الثلث وأوصله إليه وصرفه إلى المستحقين لكنّه نَسِيَ محي الدّين النجفي، وكان شاعراً أديباً وكان الوكيل تزوّج بزوجة البصريّ أيضاً، فاتفق حضور الوكيل ومحيي الدين في درس الشيخ، وكان دأب الشيخ أن يعطي (الشرايع) من كان من الطّلاب جيّد الأدب ليقرأ مسألة، ثم يشرح هو، فأعطى (الشرائع) محي الدين ليقرأ، فأخذ الكتاب وفتحه وقرأ إنشاءً من نفسه: «مسائل، الأولى: تَرِكَة الميّت حبوة للوصيّ، وفي زوجته تردد، والأشبه أنّها جُعالة للوكيل» فقال الشيخ: ما تقرأ؟ فأعاد... فضحك الطّلاب... وفهم الشيخ مراده فأرضى خاطره[3].

«وأمّا الأموال فقد قُسِمَتْ» في (كنايات الجرجاني): قال الخليل مشيراً

---

(١) الأغاني ١٨: ٦٠.

(٢) الصف: ٣.

(٣) معتمد الدولة، زنبيل: ٢٦١.

إلى الأيام والليالي:

ويـــنكحن أزواج الغــيور عـــدوّه
ويقسمن ما يحوي الشّحيح من الوَفْرِ[١]

وفي (صفّين نصر): سَمَعَ أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً ينشد أبيات الأسود بن يعفر في أيوان كسرى:

ماذا أؤمّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إياد[٢]

فقال عليه السلام: هلّا قرأتم: ﴿كم تركوا من جنّات وعيون* وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾[٣] وقال الحارث بن حِلِّزَة:

بينا الفتى يسعى ويسعى له تـاح له مـن أمـره خـالج
يترك ما رقح من عيشه يـعيث فـيه هـمج هـامج
لا تكسع الشول باغبارها إنّك لا تـدري مـن النّاتج[٤]

«هذا خبر ما عندنا» «هذا» اشارة إلى ما مرّ من خبر دورهم وازواجهم وأموالهم وما قاله عليه السلام من أخبار الأحياء لهم هو الأكثر، وعامّ لجميع الناس، وقد يخبرون موتاهم بأمور أُخرى. قال مهلهل في أخيه كليب الّذي يرميه بكونه زيراً لمّا طلب ثأره:

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أيّ زير[٥]

وقال آخر:

---

(١) الكنايات للجرجاني: ٢٣.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٢ ـ ١٤٣، وكذلك في العقد الفريد ٣: ٢٨٩.

(٣) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

(٤) لسان العرب ١٤: ٣٢ و ١٥: ١٢٩.

(٥) المصدر نفسه ٥: ٦٥ وكذا الأصمعيات.

قــد كــان بــعدك أنـباء وهـنبثة   لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب[١]

«ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم إنّ خير الزاد التقوى» روى (أمالي ابن الشيخ) مسنداً عن صهيب بن عباد عن جعفر بن محمد عليه السلام : أنّ علياً عليه السلام مرّ بمقبرة فسلّم ثم قال: السلام عليكم يا أهل المقبرة والتربة؛ اعلموا أنّ المنازل بعدكم قد سُكنت، وأنّ الأموال بعدكم قد قُسّمت، وأنّ الأزواج بعدكم قد نُكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ فأجاب هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما خبر ما عندنا فقد وجدنا ما عملنا، وربحنا ما قدّمنا، وخسرنا ما خلّفنا، فالتفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أسمعتم؟ قالوا: نعم. قال: فتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى[٢].

وفي (الفقيه): وقف النبي صلى الله عليه وآله على القتلى ببدر وقد جمعهم في قليب فقال: يا أهل القليب! انّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟ فقال المنافقون: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يكلّم الموتى، فنظر اليهم فقال؛ لو أُذِنَ لهم في الكلام، لقالوا: نعم وإنَّ خير الزّاد التقوى[٣].

وفي (جمل المفيد) ـ بعد ذكر هزيمة أهل الجمل ـ: ثمّ سار عليه السلام حتى وقف على كعب بن سور القاضي وهو مجدّل بين القتلى، وفي عنقه المصحف فقال عليه السلام : نحّو المصحف وضعوه في مواضع الطّهارة، ثم قال: أجلسوا إليَّ كعباً فأُجلس، فقال: يا كعب! قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال : أضجعوه، وتجاوز عليه السلام فمرّ على طلحة صريعاً،

---

(١) المصدر نفسه ١٥: ١٤٤ وقد نسبه إلى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام .

(٢) الأمالي: ٥٥ المجلس ٢ رقم ٧٦ .

(٣) الفقيه ١: ١٨٠ ح٥٣٦ .

فقال: أجلسوه فأُجلس، فقال يا طلحة! قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوه، فقال رجل من القرّاء: يا أمير المؤمنين! ما كلامك؟ هذه الهامّ قد صديت، لا تسمع لك كلاماً، ولا تردّ جواباً؛ فقال عليه السلام: إنّهما ليسمعان كلامي، كما سمع أصحاب القليب كلام النبي صلى الله عليه وآله ولو أُذِنَ لهما في الجواب لرأيت عجباً[1]. وروى (محاسن البرقي): أنّ سلمان في جمعةٍ مرّ على مقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين هل علمتم أنّ اليوم جمعة؟ فلمّا رجع ونام أتاه آتٍ، فقال: وعليك السلام يا أبا عبدالله، تكلّمت فسمعنا، وسلّمت فرددنا، وقلت: هل تعلمون أنّ اليوم جمعة؟ وقد علمنا ما يقول الطير في يوم الجمعة قال: وما يقول؟ قال: يقول: (قدّوس قدّوس ربّنا الرحمن الملك وما يعرف عظمة ربّنا من يحلف باسمه كاذباً) وذكروا انّ عمر بن عبد العزيز سمع خصياً للوليد بن عبد الملك على قبره وهو يقول: يا مولاي ماذا لقينا بعدك؟ فقال له: اما والله لو أُذِن له في الكلام لأخبر أنّه لقي أكثر[2].

٢٠
الحكمة (١٣٢)

وَقالَ عليه السلام:

إِنَّ لِلهِ مَلَكاً يُنادِي فى كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ.

أقول: «إن لله ملكاً ينادي في كلّ يوم» ينبغي أن يُحْمَل هذا النّداء على لسان الحال لا المقال، ومثله ما في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ للقبر كلاماً في كلّ

---

(١) الجمل للمفيد: ٢١٠.

(٢) المحاسن للبرقي ١: ١١٩.

يوم، يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدّود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار؛ فكلام القبر أيضاً بلسان الحال[١].

«لِدُوا للموت» اللّام فيه لام العاقبة كما في «للفناء» و «للخراب» في ما بعد.

قيل لرجل: لِمَ مات فلان؟ قال: لأنّه وُلِدَ! ولكلّ سَبُعٍ قوتٌ، وابن آدم قوت سبع الموت، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ النُّطفة إذا وقعت في الرّحم، بعث الله تعالى مَلَكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها، فماثها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها[٢].

«واجمعوا للفناء» ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٣].

وقيل بالفارسية:

اندک اندک خانمان آراستن پس بيکبار از سرش برخاستن[٤]

وفي الخبر: أنّ ابن آدم يمثّل له ماله في آخر يوم من دنياه وأوّل يوم من عُقباه، فيقول له: إنّي والله كنتُ عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خُذْ منّي كَفَنَكَ[٥].

«وابنوا للخراب»:

ما أنت معتبر بمن خربت منه غداة قضى دساكره[٦]

قيل ليحيى البرمكيّ بعد قتل الرشيد لابنه جعفر: أمر بتخريب ديارك،

(١) الكافي ٣: ٢٤٢ ح٢.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٠٣ ح٢.

(٣) الأنعام: ٩٤.

(٤) الكشكول للشيخ البهائي: ١٢٢ وذكر في الديوان أنّه لمولوي: ٤٥.

(٥) الكافي ٣: ٢٣١ ح١.

(٦) لأبي العتاهية، ذكره المسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٦٧.

فقال: كذلك تخرّب دياره، فصار كما قال في قتل الأمين[١]!

٢١
الحكمة (١٦٨)

وَقالَ عليه السلام:

اَلْأَمْرُ قَرِيبٌ وَالْاصْطِحَابُ قَلِيلٌ.

أقول: «الأمر قريب»، في (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي) قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن واجب وأوجب، وعجب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب، فقال عليه السلام:

تـوب ربّ الورى واجب	وتـرك الذّنـوب أوجب
والدهر في صرفه عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعب	لكن فوت الثّواب أصعب
وكلّ ما يرتجى قريب	والموت من ذاك أقرب[٢]

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: سُئِلَ أيّ المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم ذكراً للموت، وأشدّهم له استعداداً[٣].

«والإصطحاب قليلٌ»:

وكلّ أخ مفارقه أخوه	لعمر أبيك إلّا الفرقدان[٤]

وفي الخبر: نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمّد! عش ما شئت فانّك ميّت، وأحبب مَن شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك لاقيه![٥]

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٩٤.

(٢) مطالب السؤول ابن طلحة الشافعي: ٦٢.

(٣) الكافي ٣: ٢٥٨ ح٢٧.

(٤) العقد الفريد ٣: ٩٢، والكامل للمبرد: ١٢٤٠ وهو بلفظ الفرقدان.

(٥) الكافي ٣: ٢٥٥ ح١٧.

٢٢
الحكمة (١٨٢)

وَقالَ عليه السلام: اَلرَّحِيلُ وَشِيكٌ.

الوشيك: ما كان سرعته عجيباً؛ قال الشاعر في قتل خالد بن الوليد، مالك بن نويرة وزِنَاهُ بإمرأته:

أتــقتلهم ظـلماً وتـنكح فـيهم؟ لَوُشْكانَ هذا والدّماء تـصبب[١]

وفي (الصحاح): يقال عجبت من وشك ذاك الأمر ومن وُشكه ـ بفتح الواو وضمّها ـ و (وَشْكان ذاك الأمر)[٢]. كذلك أيضاً، في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: عجب لقوم حبس أوّلهم عن آخرهم ثمّ نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون[٣].

وقيل بالفارسية: تا بارنهادى كه صداى كوچ است.

أيضاً:

مرا در منزل جانان چه جاى امن چون هر دم

جرس فرياد ميدارد كه بر بنديد محملها[٤]

٢٣
الحكمة (٤١٩)

وَقالَ عليه السلام:

مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ: مَكْتُومُ الْاَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ البَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ.

---

(١) لسان العرب ١٥: ٣٠٩.

(٢) الصحاح: (وشك).

(٣) الكافي ٣: ٢٥٨ ح ٢٩.

(٤) ديوان حافظ: ١٠.

أقول: روى الفقرات الثلاث الأخيرة الدّميري في كتابه عن (كامل ابن عدي) عن الأصبغ عنه عليه السلام هكذا: قال عليه السلام في خطبةٍ: ابن آدم وما ابن آدم! تؤلمه بقّة وتنتنه عرقة وتقتله شرقة[1].

«مسكين ابن آدم» تقديم الخبر للحصر لإختصاصه دون ساير الحيوانات بمجموع هذه الصفات ولأنّه عليه السلام في مقام بيان مسكنته فتقديم الخبر أهمّ.

«مكتومُ الأجل» حتّى الأنبياء إذا لم يُعلمهم الله تعالى قبل ذلك، فمات داود عليه السلام فجأةً، خطيباً على المنبر، ومات سليمان عليه السلام فجأةً متّكِئاً على عصاه ناظراً في ملكه، فأيّ مسكنة أشدّ منه، والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿وأجلٌ مسمّىً عنده﴾[2] فلا يعلمه غيره. ولنعم ما قيل بالفارسية: ناگهان بانگى بر آمد خواجه مرد.

«مكنون العلل» قال ابن معروف مشيراً إلى قوله عليه السلام هذا، وقوله: «مكتوم الأجل»:

يا بؤس للإنسان في الـ	ـدُّنيا وإن نال الأمل
يعيش مكتوم العلل	فيها ومكتوم الأجل
بينا يرى في صحّة	مغتبطاً قيل اعتلل
وبينما يوجد فيـ	ـها ثاوياً قيل ارتحل
فأوفر الحظّ لمن	يتبعه حسن العمل

وفي (المعجم): كان إسحاق الموصلي يسأل الله أن لا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه فأري في منامه كأنّ قائلاً يقول له: قد أُجيبت

(١) حياة الحيوان للدميري ١: ٢١٨.

(٢) الأنعام: ٢.

دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكن تموت بضدّه؛ فأصابه ذرب، فمات منه سنة (٢٣٥) في خلافة المتوكّل[١].

وفي (المعجم) أيضاً: حدّث يموت بن المزرع قال وجّه المتوكّل في السنّة التي قُتِلَ فيها أن يُحمل إليه الجاحظ من البصرة، فقال لمن أراد حمله: وما يصنع بامرئٍ ليس بطائل، ذي شقّ مائل، ولغاب سائل، وفرج بائل، وعقل حائل[٢] وقال المبرّد دخلت على الجاحظ في آخر أيّامه وقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون مَنْ نِصفه مفلوج لو حزّ بالمناشير ما شعر، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذّباب بقربه لآلمه. وقال لمتطبّب يشكو إليه علّته: اصطلحت هذه الأضداد على جسدي إن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حارّاً أخذ برأسي[٣].

«**محفوظ العمل**» ﴿وكلّ صغير وكبيرٍ مستطرٌ﴾[٤]، ﴿ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيبٌ عتيد﴾[٥] ﴿يومئذٍ يصدر النّاس أشتاتاً ليُرَوا أعمالهم* فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٦]، ﴿...وان كان مثقال حبّة من خردلٍ آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٧] ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً...﴾[٨] ﴿يا بنيّ إنّها إن تكُ مثقالَ حبّةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو

---

(١) معجم الأُدباء للحموي ٦: ٥٣ ترجمة إسحاق الموصلي.

(٢) معجم الأُدباء للحموي ١٦: ١١٢ .

(٣) المصدر نفسه ١٦: ١١٢ ترجمة الجاحظ .

(٤) القمر: ٥٣ .

(٥) ق: ١٨ .

(٦) الزلزال: ٦ ـ ٨ .

(٧) الأنبياء: ٤٧ .

(٨) الكهف: ٤٩ .

في السماوات أو في الأرض يأت بها الله انّ الله لطيفٌ خبير﴾[١].

«تولِمُهُ البقّة» أي: البعوضة؛ روي أنّ المنصور آذاه بعوض فكلّما دفعه عنه عاد إليه، وكان عنده الصادق عليه السلام ـ فقال له: لِمَ خلق الله هذا البعوض؟ قال: ليذلّ به الجبابرة مثلك.

وقال الدّميري: يُقال أنّ البقّ يتولّد من النّفس الحارّ ولشدّة رغبته في الإنسان لا يتمالك إذا شمّ رائحته إلّا رمى نفسه عليه[٢].

وقال وهب بن منبّه: لمّا أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه في عسكره ما لا يحصى، فانفرد النمرود عن جيشه، ودخل بيته، وأغلق الأبواب، وأرخى السُّتور، ونام على قفاه مفكّراً، فدخلت بعوضة في أنفه وصعدت إلى دماغه فعذّب بها أربعين يوماً حتّى أنّه كان يضرب برأسه الأرض، وكان أعزّ النّاس عنده من يضرب رأسه، ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول ﴿كذلك يسلّط الله رُسله على من يشاء من عباده...﴾ ثم هلك حينئذ، قال الطبرخزي:

وبعوضة قتلت بني كنعان[٣]

وكان بعض الجبابرة بالعراق يأخذ من يريد قتله، فيخرجه مجرّداً إلى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركه فيها مكتوفاً تقتله البعوض في أسرع وقت.

«وتقتله الشّرقة» (شرق بريقه) غصّ به، قال عديّ بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصاري[٤]

وفي (الأغاني): نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس ـ بالشّام ـ ومعه

---

(١) لقمان: ١٦.

(٢) حياة الحيوان للدميري ١: ٢١٧.

(٣) الدميري، حياة الحيوان ١: ١٨٢.

(٤) لسان العرب ٧: ٩٧.

حبّابة فقال: زعموا أنّه لا تصفو عيشة لأحدٍ يوماً إلى الليل إلّا يكدّرها شيء عليه وسأُجرّب ذلك، ثمّ قال لمن معه: إذا كان غد فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب، وقد خلا هو وحبّابة فأتيا بما يأكلان فأكلت حبّابة رمّانة فشرقت بحبّة منها فماتت! فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتّى تغيّرت وأنتنت وهو يشمّها ويرشفها فعابوا عليه ما يصنع حتّى اذن في دفنها فما مضت إلّا خمس عشرة ليلة حتّى دُفن إلى جنبها[١].

«وتنتُّنهُ العرقة» «تنتّنه» من باب التفعيل لا الإفعال، ففي (الصحاح): نتن الشيء وأنتن بمعنى، ونتّنه: غيره؛ تنتيناً: جعله منتناً، والنتن: الرائحة الكريهة[٢].

وفي (الفقيه): قال الصادق عليه السلام: علّة غسل الجمعة أنّ الأنصار كانت تعمل في أموالها فإذا حضروا المسجد تأذّى الناس بأرواح آباطهم وأجسادهم، فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله بالغسل فجرت بذلك السُّنَّة[٣].

٢٤
الحكمة (٣٣٤)

وَقالَ عليه السلام:

لَوْ رَأَىٰ الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

رواه (الكافي)[٤] و(أمالي المفيد)[٥] عنه هكذا: لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض الأمل وترك طلب الدُّنيا.

---

(١) الأغاني ١٥: ١٤٣.

(٢) الصحاح: (نتن).

(٣) الفقيه ١: ١١٢ ح٢٣.

(٤) الكافي ٣: ٢٥٩ ح٣٠.

(٥) الأمالي للمفيد: ٣٠٩ ح٨.

وفي (بيان الجاحظ): وُجِدَ في حجرٍ مكتوب: يابن آدم! لو أنّك رأيت يسير ما بقى من أجلك، لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزّيادة في عملك، ولأقصرت من حرصك وحيلك، وانّما يلقاك غداً ندمك لو قد زلّت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك بعائد، ولا في عملك بزائد[1].

وفي (المعجم): قال فضل بن حباب أبو خليفة :

ومتعب السّفر مرتاح إلى بلد ... والموت يرصده في ذلك البلد
وضاحك المنايا فوق هامته ... لو كان يعلم غيباً مات من كمد
آماله فوق ظهر النّجم شامخة ... والموت من تحت اطليه على الرّصد
من كان لم يعط علماً في بقاء غدٍ ... ماذا تفكّره في رزق بعد غد[2]

٢٥
الحكمة (٣٦)

وَقالَ عليه السلام :

مَنْ اَطَالَ الْاَمَلَ اَسَاءَ الْعَمَلَ.

أقول: رواه (الكافي) هكذا: (ما أطال عبدٌ الأمل إلّا أساء العمل)[3] قال بعضهم:

ومنتظر للموت في كلّ ساعة ... يشيّد بيتاً دائماً ويحصّن
له حين يتلوه حقيقة موقن ... وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان وانكار وكالجهل علمه ... بمذهبه في كلّ ما يتيقّن[4]

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ١٦٦ .

(٢) الحموي، معجم الأدباء ١٦: ٢٠٧.

(٣) الكافي ٢: ٢٥٩ ح٣٠.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٠٧ لابن أبي حازم.

وقال خالد بن صفوان: بتّ ليلتي أتمنّى كلّها فكسيت البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذي يكفيني رغيفان وكوزان وطمران.

٢٦
الحكمة (٣٣٥)

وَقالَ عليه السلام:

لِكُلِّ آمْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ.

قال بعضهم:

يا جامعاً للمال يا مانعاً ... ألم تثق بالرّازق الباعث

من شحّ بالمال على نفسه ... جاد به قهراً على الوارث

أيضاً:

امهد لنفسك يا أبا الفيّاض ... واعلم بأنّك عن قليلٍ ماض

ويحوز مالك وارث للمال ... أو موصي إليه أو وكيل القاضي

٢٧
الحكمة (٣٨٠)

وَقالَ عليه السلام:

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ، قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

قال الظاهر: ابن دريد:

ربّ صباح لامرئٍ لم يمسه ... حتف الفتى موكّل بنفسه

حتى يحلَّ في ضريح رَمْسه

يؤمّل أن يعمّر عمر نوح ... وأمر الله يطرق كلّ ليلة

يا راقد اللّيل مسروراً بأوّله ... انّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

وفي (الحلية): كان ابن السّماك يقول:

عجباً لعين تلذّ بالرّقاد ومَلَك الموت معه على وساد

وقال معاذ بن معاذ: دخلت على قاضي البصرة أعوده، فقلت: أراك اليوم صالحاً[1]، فقال:

لا يغرّنّك عشاء سالم سوف يأتي بالمنايا السّحر

فلّما كان السحر سمعت الواعية عليه.

وقيل بالفارسيّة:

سر شب سرِ تخت وسر بتاج سحرگه نه بر تن سر نه سر بتاج

ومصداق هذا الشعر قصّة انقراض ملوكيّة شرفاء العراق: ففي أوّل الليل كانت دولة فيصل الآخر، وفي آخره كانت دولة عبد الكريم قاسم، وهو من غرائب التاريخ، كإخراج الإيرانيّين من العراق.

٢٨
في الخطبة (٨٢)

فَلْيَعْمَلِ ٱلعامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَراغِهِ قَبْلَ أَوانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدارِ إِقامَتِهِ، فَاللهَ ٱللهَ أَيُّهَا النّاسُ، فِيما ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ، وَٱسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهالَةٍ وَلا عَمىً، قَدْ سَمّى آثارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمالَكُمْ، وَكَتَبَ آجالَكُمْ، وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ ٱلْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ. -إلى أن قال- فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيّامِكُمْ، وَٱصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّها قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ٱلأَيّامِ ٱلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيها ٱلْغَفْلَةُ،

---

(١) الحلية لأبي نعيم ٣: ٣٠.

وَالتَّشاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ؛ وَلا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ. فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلا تُداهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْادْهانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ.

عِبادَ اللّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ؛ وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصاهُمْ لِرَبِّهِ؛ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَواهُ.

أقول: «فليعمل العامل منكم ـ قبل إرهاق أجله» من قولهم (لا ترهقني لا أرهقك الله) أي: (لا تعسرني لا أعسرك الله)، وأمّا نقل ابن أبي الحديد هنا قول الشاعر:

تندى أكفّهم وفي أبياتهم ثقة المجاور والمضاف المرهق[١]

فلا ربط ففي (الأساس): (رجل مرهق): مضياف يرهقه الضيوف، وقال ابن هرمة:

خير الرّجال المرهقون كما خير تلاع البلاد اكلؤها[٢]

لكن الأصل في كلام ابن أبي الحديد (الصحاح) وهو كما ترى[٣].

«وفي فراغه قبل أوان شغله» أي: زمان شغله.

«وفي مُتَنَفّسِهِ» المراد زمان تَنَفُّسه؛ قال الشاعر:

والشيب ان يحلل فإنّ وراءه عمراً يكون خلاله متنفّس[٤]

«قبل أن يؤخذ بكظمه» أي: مخرج نفسه.

«وليمهّد لنفسه وقدومه» هكذا في (المصرية)[٥] وفي (ابن أبي الحديد

---

(١) ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٠.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة: ١٨١.

(٣) ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٠.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٥٢.

(٥) المصرية ٢٠٢ ح ٨٢.

و ابن ميثم والخطية)[١] «وقَدَمِهِ».

«وليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته» الظّعْن (بالسّكون والتحرك): مقابل الإقامة؛ قال تعالى: ﴿يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾[٢].

في الخبر: اغتنموا خمساً قبل خمس الغِنى قبل الفقر، والصحّة قبل السّقم، والشباب قبل الهرم، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت[٣].

«فالله الله أيُّها الناس في ما استحفظكم من كتابه» من العمل بها، لا حفظ ألفاظ آياته.

«واستودعكم من حقوقه» وحيث أنّ المال والبدن اللّذين عليهما الحق وديعة منه تعالى، فكأنّما حقوقهما وديعة؛ قال تعالى: ﴿أنفقوا ممّا رزقناكم...﴾[٤].

«فإنَّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً» ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾[٥].

«ولم يترككم سدىً» أي: مهملاً ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدىً * ألم يكُ نطفةً من مَنيٍّ يُمنى﴾[٦].

«ولم يدعكم في جهالةٍ ولا عمىً» ﴿ان تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾[٧].

---

(١) ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٠، وابن ميثم ٢: ٢٨٠ كالمصرية .

(٢) النحل: ٨٠ .

(٣) الأمالي للطوسي ٢: ١٣٩ .

(٤) البقرة: ٢٥٤ .

(٥) المؤمنون: ١١٥ .

(٦) القيامة: ٣٦ ـ ٣٧ .

(٧) الأعراف : ١٧٢ .

«قد سمّى آثاركم» ﴿...ونكتبُ ما قدّموا وآثارهم وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين﴾[١].

«وعلم أعمالكم» هكذا في (المصرية)[٢] و«علّم» بالتشديد وفسّره في الحاشية بقوله: «بيّن لكم أعمالكم وحدّدها»[٣] وهو غلط والصّواب: و(عَلِمَ) بالتخفيف قال تعالى: ﴿والله يعلم أعمالكم﴾[٤].

«وكتبَ آجالكم» ﴿وأجلٌ مسمّىً عنده...﴾[٥]، ﴿لِكلِّ أجلٍ كتاب﴾[٦]، ﴿ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاءُ إلى أجلٍ مُسَمّىً ثمَّ نخرجكم طِفلاً ثُمَّ لِتبلغوا أشدَّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علمٍ شيئاً...﴾[٧].

«وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ» أي: أنزله على نبيّه صلى الله عليه وآله لكم؛ قال تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لِكُلِّ شيء...﴾[٨]، وفي (الصحاح): التبيان (بالكسر) مصدر كالتّلقاء، والقياس (بالفتح) كالتكرار[٩].

«واستدركوا بقيّة أيّامكم» أي: تداركوها.

«واصبروا لها أنفسكم» أي: احبسوها؛ قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع

---

(١) يس: ١٢.

(٢) الطبعة المصرية: ٢٠٢.

(٣) في الحاشية من الطبعة المصرية: ٢٠٢ رقم ٣.

(٤) محمّد: ٣٠.

(٥) الأنعام: ٢.

(٦) الرعد: ٣٨.

(٧) الحج: ٥.

(٨) النحل: ٨٩.

(٩) الصحاح: (بين).

الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ...﴾[١].

«فانّها» أي: الأيام الباقية التي تستدركوها وتصبروا أنفسكم لها.

«قليلٌ في كثير من الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة» قال ابن أبي الحديد: قال عليه‌السلام: «فإنّها قليلٌ» مُخبِراً عن المؤنّث بالمذكر لأنّه في معنى شيء قليل.

قلت: بل لأنّ القليل يأتي للمؤنّث كما يأتي للمذكّر، كما أتى للجمع؛ وفي قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل...﴾[٢].

«والتشاغل عن الموعظة» أي: التذكر بالعواقب.

«ولا تُرخّصوا لأنفسكم» الأصل في الرّخص: الناعم يقال هو رخص الجسد، والرّخصة في الأمر خلاف التشديد فيه.

«فيذهب بكم الرُّخص فيها» هكذا في (المصرية)[٣] وكلمة (فيها) زائدة لعدم وجودها في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[٤].

«مذاهب الظلمة» ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيُغفر لنا وإن يأتِهم عرضٌ مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألّا يقولوا على الله إلّا الحق...﴾[٥].

«ولا تداهنوا» المداهنة: المصانعة؛ قال تعالى: ﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾[٦].

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) الأنفال: ٢٦.

(٣) الطبعة المصرية: ٢٠٣.

(٤) ابن أبي الحديد ٢: ٣٥٢، وابن ميثم كالمصرية ٢: ٢٨١، والنسخة الخطية ٥٧.

(٥) الأعراف: ١٦٩.

(٦) القلم: ٩.

«فيهجم بكم الادهان على المصيبة» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي)[٢] «على المعصية» بمعنى أنّ المداهن مع أهل المعصية مثلهم وشريك وزرهم؛ ففي باب الأمر بالمعروف الكافي عن الباقر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب انّي معذّب من قومك مائة ألف وأربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٣].

«عباد الله إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه» ففاز فوزاً عظيماً.

«وإنّ أغشّ الناس لنفسه أعصاهم لربّه» لأنّه ضلّ ضلالاً بعيداً.

«والمغبون من غبن نفسه» لا ماله، وفي (باب آخر الفقيه): بينا أمير المؤمنين عليه السلام يعبّئ أصحابه للحرب، إذ أتاه شيخ من ناحية الشام، وقال: سمعت فيك من الفضل ما لا أُحصي، وإنّي لأظنّك ستُغتال، فعلّمني ممّا علّمك الله، قال: نعم يا شيخ، من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت همّته الدُّنيا اشتدّت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شرّ يوميه فهو محروم، ومن لم يبالِ بما رُزِئَ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقّص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له[٤].

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدُّنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننُبئكم بما كنتم تعملون﴾[٥].

---

(١) المصرية: ٢٠٣.

(٢) شرح ابن ميثم كالمصرية ٢: ٢٨١، والخوئي ٦: ١٢٤ خ٨٥.

(٣) الكافي ٥: ٥٦ ح ١.

(٤) الفقيه ٤: ٣٨١ ح٥٨٣٣.

(٥) يونس: ٢٣.

«والمغبوط من سلم له دينه» وفي الخبر: (أغبط الناس من صار في التراب، وأمِنَ العقاب)[١].

«والسّعيد من وُعظ بغيره» لا من واطأته دنياه.

«والشقيُّ من انخدع لهواه» هكذا في (المصرية)[٢] وفيها سقط، وفي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[٣] بعده «وغروره»؛ ﴿ومن أضلُّ مِمَّن إتَّبع هواه بغير هدىً من الله﴾[٤].

٢٩

من الخطبة (٨٦)

عِبَادَ ٱللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَحاسِبُوهَا قَبْلَ أَنْ تُحاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الخِناقِ، وَانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلى نَفْسِهِ حَتّى يَكُونَ لَهُ مِنْها واعِظٌ وَزاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زاجِرٌ وَلا واعِظٌ.

«عباد الله زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا» هكذا في (المصرية)[٥] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي)[٦]: «مِنْ قبل» فهو الصحيح، قال عليه السلام: زنوها في الدنيا من قبل زنة الله تعالى لها في الآخرة، حتى تكمل خفّتها وتثقل إن كانت خفيفة، قال تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم

(١) الفقيه ٤: ٣٩٥ ح ٥٨٤٠.

(٢) المصرية: ٢٠٣.

(٣) ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٣، وابن ميثم كالمصرية ٢: ٢٨١، والنسخة الخطية: ٥٧.

(٤) القصص: ٥٠.

(٥) الطبعة المصرية المصححة: ٢١١.

(٦) ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٣، وشرح ابن ميثم ٢: ٣١٥ ح ٨٩، والخوئي ٨: ٢٧٠ ح ٨٩.

القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً...﴾[1].

«وحاسبوها قبل أن تحاسبوا» ﴿...وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[2]. ولقد ألّف عليّ بن طاووس رسالة في (محاسبة النفس).

«وتنفّسوا قبل ضيق الخناق» خنقه وخنّقه: إذا عصر حلقه، وألقى الحبل في عنقه، وحرّمت المنخنقة في الإسلام؛ قال تعالى: ﴿حُرِّمت عليكم الميتة... والمنخنقة...﴾[3] والخُناق هنا (بالضمّ) يقال: أخذ بخُناقه أي: بحلقه، وأمّا (الخناق) بالكسر فهو الحبل الّذي يخنق به وليس بمراد هنا.

«وإنقادوا قبل عنف السياق» ﴿كلّا إذا بلغت التّراقي* وقيل من راقٍ* وظنّ أنّه الفِراق* والتفّت السّاقُ بالسّاق* إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[4].

«واعلموا أنّه من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظٌ وزاجرٌ لم يكن له من غيره زاجرٌ وواعظٌ» في (المستطرفات) عن مشيخة ابن محبوب عن السجّاد عليه السلام قال: يا ابن آدم! إنّك لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّتك، وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً[5].

٣٠
من الخطبة (٩٠)

إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ آللهُ، عَلى أَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَـدْعُوا إِلى دَارِ السَّلامِ، وَأَنْتُمْ فِي دارِ مُسْتَعْتِبٍ عَلى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ؛ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَقْلامُ جارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ

(١ و ٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) القيامة: ٢٦ ـ ٣٠.

(٥) المستطرفات: ٨٣ ح ٢١ رواه عن أبي حمزة الثمالي.

مَسْمُوعَةٌ، وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

«اعملوا ـ رحمكم الله ـ على أعلامٍ بيّنةٍ» ﴿لا إكراه في الدِّين قد تبيّن الرُّشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...﴾[1].

«فالطريق نهج» أي: واضح؛ ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[2].

«يدعو إلى دار السلام» ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقومٍ يذّكّرون... لهم دار السّلام عند ربّهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون﴾[3].

«وأنتم في دار مستعتب» أي: الدُّنيا، فلا استعتاب ـ أي: استرضاء ـ في الآخرة؛ ﴿فإن يصبروا فالنّار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين﴾[4].

«على مهلٍ وفراغٍ» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[5].

«والصُّحف منشورةٌ» أي: لكتابة الأعمال وأمّا القيامة فإنّما تنشر للقراءة.

«والأقلامُ جاريةٌ» ﴿لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظُ الكفّار ولا ينالون من عدوٍّ نيلاً إلّا كتب لهم به عملٌ صالحٌ إنَّ الله لا يضيعُ أجرَ المحسنين* ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الدهر: ٣.

(٣) الأنعام: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٤) فصلت: ٢٤.

(٥) المنافقون: ١٠.

يقطعون وادياً إلّا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾[١].

«والأبدان صحيحةٌ والألسنُ مطلقةٌ» غير معتقلة بحضور الموت.

«والتوبة مسموعةٌ» ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبتُ الآن...﴾[٢].

«والأعمال مقبولةٌ» ﴿لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِلَ منهم﴾[٣].

٣١
من الخطبة (١٧٨)

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَسابِقُوا الآجالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالاِرْتِحَالِ وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزّادِ.

«فبادروا المعاد» ﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير﴾[٤]، ﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فيُنبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٥].

«وسابقوا الآجال» ﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فاصّدّق وأكن من الصالحين* ولن

---

(١) التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) النساء: ١٨.

(٣) المائدة: ٣٦.

(٤) البقرة: ١٤٨.

(٥) المائدة: ٤٨.

يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

«فإنّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل» «يوشك» يقرب؛ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل...﴾[٢].

«ويرمقهم الأجل» أي: يغشاهم؛ ﴿وأنيبوا إلى ربّكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تُنصرون﴾[٣]، ﴿واتّبعوا أحسن ما أُنزل اليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون﴾[٤].

«ويسدُّ عنهم باب التوبة» ﴿وليست التوبة للذين يعملون السّيّئات حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال إنّي تبتُ الآن...﴾[٥].

«فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم» ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون﴾[٦]، ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾[٧].

«وأنتم بنو سبيل» أي: مسافرون إلى الآخرة.

«على سفرٍ من دارٍ ليست بداركم» ﴿إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٨]، ﴿وما هذه الحياة الدُّنيا إلّا لهوٌ ولعبٌ وإنّ الدّار الآخرة لهي

---

(١) المنافقون : ١٠ ـ ١١.

(٢) سبأ: ٥٤ .

(٣) الزمر: ٥٤ .

(٤) الزمر: ٥٥ .

(٥) النساء: ١٨ .

(٦) السجدة: ١٢ .

(٧) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٨) غافر : ٣٩.

الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[١].

«وقد أوذنتم منها بالإرتحال» الإيذان: الإعلام، والأصل فيه إيصال الخبر إلى الأذن ويترجم بالفارسية بقولهم: (گوشزد).

«وأمرتم فيها بالزّاد» ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٢]، ﴿وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى﴾[٣].

٣٢
الخطبة (١٨٨)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، بِتَقْوَى ٱللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلى آلاَئِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلاَئِهِ لَدَيْكُمْ. فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ، وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلالِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ! وطَمَعُكُمْ فِيما لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ! فَكَفى واعِظاً بِمَوْتى عايَنْتُمُوهُمْ. حُمِلُوا إِلى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيها غَيْرَ نازِلِينَ. فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيا عُمّاراً، وَكأَنَّ ٱلْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ داراً. أَوْحَشُوا مَا كانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كانُوا يُوحِشُونَ. وَاشْتَغَلُوا بِمَا فارَقُوا، وَأَضاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا، لاَعَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقالاً، وَلا فِي حَسَنَةٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِها فَصَرَعَتْهُمْ. فَسابِقُوا

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) البقرة: ١٩٧.

ـ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ـ إلى مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ أنْ تَعْمُرُوها، وَالَّتِي رُغِّبْتُم فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا. وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلى طَاعَتِهِ، وَالمُجانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ ٱلسّاعاتِ فِي ٱلْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ ٱلأَيَّامَ فِي ٱلشُّهُورِ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِي ٱلسَّنَةِ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِي ٱلْعُمْرِ.

«أُوصيكم أيُّها النّاس بتقوى الله» فلا عاقبة إلّا لهم؛ قال تعالى: ﴿والعاقبة للمتّقين﴾[1] ولا نجاة إلّا لهم؛ قال تعالى: ﴿ثمّ نُنجي الّذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً﴾[2]، ولذا وصّىٰ تعالى بها الأُولين والآخرين، ﴿ولقد وصّينا الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم ان اتّقوا الله...﴾[3].

«وكثرة حمده على آلائه اليكم» في (الصحاح): الآلآء ـ وهي النعم ـ جمع الأَلَى (بالفتح) وقد يكسر ويكتب بالياء (إِلَىٰ) مثل مِعَىٰ وأمعاء[4].

«ونعمائه عليكم» عن الصادق عليه السلام: إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات اللّهم ما أصبحت بي من نعمةٍ أو عافيةٍ في دينٍ أو دنيا، فمنك وحدك لا شريك لك لكَ، الحمدُ ولك الشكر بها عليّ يا ربّ حتى ترضى، وبعد الرِّضا. فإذن كنت أدّيت شكر ما أنعم عليك في ذلك اليوم وتلك الليلة[5].

وكان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح وأمسى فسمّى عبداً شكوراً[6].

«وبلائه لديكم» قالوا: البلاء: الاختبار بالخير والشّرّ، ولكن المفهوم من

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) مريم: ٧٢.

(٣) النساء: ١٣١.

(٤) الصحاح: (الا).

(٥) الكافي ٢: ٩٩ ح٢٨.

(٦) تفسير القمي: ٣٧٧، ونقله المجلسي في البحار ١١: ٢٩٠.

كلامه انصرافه إلى الأول.

«فكم خصّكم بنعمةٍ» قال أبو هاشم الجعفري: أصابتني ضيقة شديدة فصرت إلى الهادي عليه السلام فلمّا جلست قال: أيّ نعم الله تعالى عليك تريد أن تؤدّي شكرها؟ فوجمت، فلم أدرِ ما أقول له عليه السلام، فابتدأ فقال: رَزَقَك الإيمان فحرّم به بدنك على النّار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذّل، يا أبا هاشم! إنّما بدأتك بهذا لأنّي ظننت أنّك تريد أن تشكو إليّ من فعل بك! هذا وقد أمرت لك بمائة دينار[١].

وعن الصادق عليه السلام: إذا ذكر أحدكم نعمة الله تعالى عليه، فليضعْ خدّه على التراب شكراً له، فإن كان راكباً فلينزل وليضع خدّه، فإن لم يقدر للنزّول للشهرة، فليضع خدّه على قربوسه، فإن لم يقدر فعلى كفّه، ثم ليحمد الله تعالى على ما أنعم عليه[٢].

«وتداركَكم برحمةٍ» وعن الصادق عليه السلام: إذا رأيت الرَّجل وقد ابتلي وأنعم الله عليك فقل: اللّهمَّ إنّي لا أسخر، ولا أفخر، ولكن أحمدك على عظيم نعمائك عليَّ[٣].

«أعورتم له فستركم» أي: بدا منكم موضع الخلل والعوار؛ وفي الخبر: تطوّل على عباده بثلاث، ومنها: ستره لهم ولولاه لما دفن كثير من النّاس[٤].

«وتعرّضتم لأخذه فأمهلكم» ﴿ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة...﴾[٥].

---

(١) الفقيه ٤: ٤٨٦ ح ٣٩.

(٢) الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٩٨ ح ٢٢.

(٤) الصدوق، الخصال ١: ١٣٦ ح ١٥٠.

(٥) فاطر: ٤٥.

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[١]: مامن عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به[٢].

وعنه عليه السلام: تعوّذوا بالله من سطوات الله بالليل والنهار، قيل: وما سطوات الله؟ قال أخذه على المعاصي[٣].

وعن أبي الحسن عليه السلام: ان لله تعالى منادياً ينادي: مهلاً مهلاً ـ عباد الله ـ عن معاصي الله، فلولا بهائم رُتّع وصبيةٌ رُضّع وشيوخ رُكّع، لصُبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّاً[٤]، وعن الكاظم عليه السلام: كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون[٥]، وعن الصادق عليه السلام يقول تعالى: إذا عصاني من عبادي من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني[٦].

«وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه» فإنّ أكيس النّاس من كان أكثر ذكراً له.

«وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم» ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون...﴾[٧] وقال الصادق عليه السلام: مامن أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات[٨]،

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الكافي ٢: ٢٦٩ ح٣.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٦٩ ح٦.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦ ح٣١.

(٥) المصدر نفسه ٣: ٢٧٥ ح٢٩.

(٦) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦ ح٣٠.

(٧) الأعراف: ٣٤.

(٨) الكافي ٣: ٢٥٦ ح٢٢.

وقال الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: أما رأيت الناس يكونون جلوساً، فتعتريهم سكتة، فما يتكلّم أحد منهم، تلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم.

«فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم حُملوا إلى قبورهم غير راكبين» وكانوا رجالاً يركبون في مقاصدهم فلم يقدروا فحملوا على أعواد المنايا[1]، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام تبدأ في حمل السّرير من الجانب الأيمن، ثمّ تمرّ عليه من خلفه إلى الجانب الآخر ثمّ تمرّ حتّى ترجع إلى المقدّم كذلك دوران الرّحى عليه[2]، قال فروة بن عمرو الجذامي الّذي كان عاملاً للروم على من يليهم من العرب، فبعث إلى النبي صلى الله عليه وآله بإسلامه، فبلغ ذلك الروم، فأخذوه وأرادوا صلبه على ماءٍ يقال له عفراء، مكفياً عن خشبة صلبة :

ألا هل أتى سلمى بأنّ حليلها على ماءٍ سلمى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أُمّها مشذّبةٌ أطرافها بالمناجل[3]

«وأُنزلوا فيها غير نازلين» وكانوا ينزلون في مآربهم فلم يقدروا فأنزلوا؛ وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام: إذا أتيت بالميّت شفير قبره، فأمهله ساعة فإنّه يأخذ أهبته للسؤال[4].

«فكأنّهم» هكذا في (المصرية) والصواب: «كأنّهم» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[5].

«لم يكونوا في الدنيا عمّاراً وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً»:

كأن لم يغنَ يوماً في رخاءٍ إذا ما المرءُ منّته المنونُ

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٥٩ ح٣١.
(٢) المصدر نفسه ٣: ١٦٩ ح٤٦.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٢٩٧.
(٤) الكافي ٣: ١٩١ ح٢.
(٥) الطبعة المصرية: ٤٩٠، ابن أبي الحديد ١٣: ٩٩، شرح ابن ميثم كالمصرية ٤: ١٨٨، النسخة الخطية: ١٧٣.

وفي (الأساس): (منّته المنون) أي: قطعته القطوع، وهي المنيّة[1].

وفي الدعاء: وارحمني في طول البلى واذكرني إذا نسيني النّاسون من الورى[2].

«أوحشوا ما كانوا يوطنون» أي: صارت ديارهم وحشة لهم بالقهر.

«وأوطنوا ما كانوا يوحشون» من القبور.

«واشتغلوا بما فارقوا» أي: بحساب ما فارقوا من علائقهم.

«وأضاعوا ما إليه انتقلوا» في (الكافي) عنه عليه السلام: أنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدُّنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة، مثّل له ماله، وولده، وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خُذْ منّي كفنك! فليتفت إلى وُلْدِهِ فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً، ومحامياً، فمالي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك نواريك فيها، فيلتفت إلى عمله فيقول: والله انّي كنت فيك لزاهداً وان كنت عليّ لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربّك، فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً، وان كان عدوّاً لله أتاه أقبح الناس زيّاً وأنتنه ريحاً[3]...

«لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً ولا في حسنةٍ يستطيعون إزدياداً أنِسوا بالدُّنيا فغرّتهم ووثقوا بها فصرعتهم» في (الكافي) عن السجّاد عليه السلام قال: ما ندري ما نصنع بالنّاس! إن حدّثناهم بما سمعنا من النبي صلى الله عليه وآله ضحكوا، وان سكتنا لم يسعنا، فقال ضمرة ابن معبد: حَدِّثنا فقال عليه السلام: يقول عدوّ الله إذا

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٣٨ مادة (منن).

(٢) لا وجود له في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي.

(٣) الكليني ٣: ٢٣١ ح ١.

حُمِلَ على سريره لحملته: أشكو إليكم عدوّاً أوردني، ثمّ لم يصدرني وإخواناً واخيتهم وأولاداً حاميت عنهم، خذلوني! وداراً صارت لغيري؛ فقال ضمرة: إن كان الميّت يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق حملته، فقال عليه السلام: اللّهمّ إن كان ضمرة هزأ من حديث رسولك فخُذْهُ أخذ آسف! فمات بعد أربعين، فأتاه مولاه، وقال له عليه السلام: وضعت وجهي على قبره حين سوّى عليه فسمعت صوته يقول: ويلك يا ضمرة! اليوم خذلك كلّ خليل، وصار الجحيم مبيتك والمقيل، فقال عليه السلام: هذا جزاء من يهزأ من حديث رسوله[1].

«فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أُمرتم أن تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم إليها» ﴿ثم أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير* جنّات عدنٍ يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير* وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوبٌ﴾[2]، ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت للّذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم﴾[3].

«واستتمّوا نعم الله عليكم بالصّبر على طاعته والمجانبة لمعصيته» ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم* ومن يعصِ الله ورسوله وَيَتَعدَّ حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[4] ﴿ومن يطعِ الله ورسوله فقد فاز فوزاً

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٣٤ ح٤.

(٢) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) النساء: ١٥ ـ ١٦.

عظيماً﴾[١] ﴿ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[٢].

«فإنَّ غداً من اليوم قريبٌ» أي: كما أنّ الغد قريب من اليوم، كذلك الآخرة من الدُّنيا، فإنّ من مات قامت قيامته.

«ما أسرع الساعات في اليوم وأسرع الأيام في الشهور وأسرع الشهور في السنين وأسرع السنين في العمر» وحينئذٍ فعمر الإنسان ساعات معدودة تنقضي مسرعة بل أنفاس في آنات؛ قال تعالى: ﴿إنّما نعدُّ لهم عدّاً﴾[٣] أي: أنفاسهم، وامّا أعوامهم وشهورهم فيعدّهما آبائهم وأُمهاتهم وكان الصادق عليه‌السلام كثيراً ما يقول:

اعمل على مهل فإنّك ميّت ... واختر لنفسك أيُّها الإنسان

فكأنّما ما كان لم يك إذ مضى ... وكأنّ ما هو كائنٌ قد كان[٤]

٣٣
من الخطبة (١٨٥)

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ. وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ، وَٱمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ؛ فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيامَةُ؛ وَكَفى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ! وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ ما تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ، وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلاعِ، وَٱسْتِكاكِ ٱلْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ.

---

(١) الأحزاب: ٧١.

(٢) الاحزاب: ٣٦.

(٣) مريم: ٨٤.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ١٥ كذلك بحار الأنوار ٤٧: ٢٥.

«فاعتصموا بتقوى الله» في (الصحاح): اعصم واعتصم به إذا استمسك بشيء من أن يصرعه فرسه أو راحلته[١] قال تعالى: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[٢]، ﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدِي إلى صراطٍ مستقيم﴾[٣].

«فإنّ لها حبلاً وثيقاً عروته» ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا...﴾[٤]، ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأُمور﴾[٥].

«ومعقلاً منيعاً ذروته» المعقل: الملجأ، وذروة الشيء: أعلاه؛ ﴿ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً* ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[٦].

«وبادروا الموت في غمراته» أي: شدائده، ومبادرته بها: منعه عن وروده بها بالاعتصام بالتقوى، فمن لم يبادره يرد بها؛ قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظّالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[٧].

«وامهدوا له قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله» ﴿إنّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثم

---

(١) الصحاح: (عصم).

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٥) لقمان: ٢٢.

(٦) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٧) الأنعام: ٩٣.

استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[١].

«فإنّ الغاية القيامة» ﴿يوم يقومُ النّاسُ لربِّ العالمين﴾[٢].

«وكفى بذلك واعظاً لمن عقل ومعتبراً لمن جهل» في (الإرشاد): قدم عمرو بن معد يكرب بعد تبوك على النبي ﷺ فقال ﷺ له: أسلم يؤمنك الله من الفزع الأكبر. قال: وما الفزع الأكبر؟ فإني لا أفزع، فقال ﷺ: ليست كما تحسب، إنّ الناس يُصاح بهم صيحةً واحدةً فلا يبقى ميّت إلّا نُشر، ولا حيّ إلّا مات، إلّا ما شاء الله، ثم يُصاح بهم أُخرى، فينشر من مات ويصفّون جميعاً، وتنشقّ السماء وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً، وترمي النّار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه، وشُغِلَ بنفسه إلّا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: ألا إنّي اسمع أمراً عظيماً فآمن[٣].

«وقبل الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس» في (الأساس): الرّمس حثي التراب على الميّت[٤] ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم...﴾[٥].

«وشدّة الإبلاس» أي: اليأس والإنكسار والسكوت غمّا؛ ﴿فلما نسوا ما ذُكِرّوا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيءٍ حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[٦]، وبعد القيامة يصيرا إبلاسهم أشدّ؛ قال تعالى: ﴿ويوم

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) المطففين: ٦.

(٣) المفيد، الإرشاد ١: ١٤٥.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ١٧٩ (رمس).

(٥) طه: ٥٥.

(٦) الأنعام: ٤٤.

تقوم السّاعة يبلس المجرمون﴾[١]، ﴿إنَّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون* لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون﴾[٢].

«وهول المطّلع» ـ بفتح اللام ـ الأصل فيه موضع الاطّلاع من إشراف إلى انحدار، شبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة به؛ قال تعالى في هوله ﴿...يوماً يجعل الولدان شيباً﴾[٣].

«وروعات الفزع» أي: بغتات الفزع؛ ﴿يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلّا من شاء الله وكلٌّ أتوه داخرين﴾[٤].

«واختلاف الأضلاع» بمجيء ضلع موضع ضلع من شدّة الضغط.

«واستكاك الأسماع» أي: صممها، قال الشاعر:

وتلك التي تستكّ منها المسامع[٥]

«وظلمة اللّحد» أي: الشقّ في جانب القبر.

«وخيفة الوعد» ﴿ونُفخ في الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم ينسلون* قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون﴾[٦].

«وغمُّ الضّريح» في (الصحاح): يوم غمّ إذا كان يأخذ بالنَّفَس من شدّة الحر[٧]، والضّريح: الشقّ في وسط القبر؛ واللّحد في جانبه[٨].

---

(١) الروم: ١٢.

(٢) الزخرف: ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) المزمل: ١٧.

(٤) النمل: ٨٧.

(٥) لسان العرب ٦: ٣٠٩، والشعر للنابغة الذبياني، وصدره أتاني أبيت اللعن أنّك لمتني.

(٦) يس: ٥١ ـ ٥٢.

(٧) الصحاح: (غمم).

(٨) الصحاح: (ضرح).

«وردم الصفيح» أي: سدّ الحجارة العراض.

٣٤
من الخطبة (١٠٥)

سُبْحَانَكَ خالِقاً وَمَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدبَةً، مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً وَثِماراً، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْها، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلى جِيفَةٍ قَدِ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِها، وَٱصْطَلَحُوا عَلى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَماتَتْ ٱلدُّنْيا قَلْبَهُ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُما أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْها، ولا يَزْدَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ وَلا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى ٱلْمَأْخُوذِينَ عَلَى ٱلْغِرَّةِ حَيْثُ لا إِقَالَةَ وَلا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ ما كانُوا يَجْهَلُونَ، وَجاءَهُمْ مِنْ فِراقِ ٱلدُّنْيا ما كانُوا يَأْمَنُونَ وَقَدِمُوا مِنَ ٱلآخِرَةِ عَلى ما كانُوا يُوعَدُونَ؟ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ ما نَزَلَ بِهِمْ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَها أَطْرافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَها أَلْوانُهُمْ، ثُمَّ ٱزْدادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ! وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَها، أَغْمَضَ فِي مَطالِبِهَا، وَأَخَذَها مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبَهاتِها، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِها وَأَشْرَفَ عَلى فِرَاقِها، تَبْقى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيها، وَيَتَمَتَّعُونَ بِها، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنأُ لِغَيْرِهِ، وَٱلْعِبْءُ عَلى

ظَهْرِهِ، وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِها، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدامَةً عَلى ما أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيما كانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنّى أَنَّ ٱلَّذِي كانَ يَغْبِطُهُ بِها وَيَحْسُدُهُ عَلَيْها قَدْ حازَها دُونَـهُ، فَـلَمْ يَـزَلِ الْمَوْتُ يُبالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتّى خالَطَ سَمْعَهُ، فَصارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لا يَـنْطِقُ بِلِسانِهِ، وَلا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِـالنَّظَرِ فِـي وُجُـوهِهِمْ، يَـرى حَرَكاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلامِهِمْ، ثُمَّ ٱزْدادَ الْمَوْتُ ٱلْتِياطاً بِهِ، فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَما قَبَضَ سَمْعَهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جانِبِهِ، وَتَباعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لا يُسْعِدُ باكِياً وَلاَ يُجِيبُ داعِياً ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلى مَحَطٍّ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلى عَمَلِهِ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: لينظر النّاظر إلى ما عليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة، وما يحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية حتّى لو تليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنّشوْر لهدّت قواه ورعّبت قلبه وأصعقت على نفسه، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به وليّاً من أوليائه، في ما بلغ نصرته له تارةً بيده وسيفه، وتارةً بلسانه ونطقه، وتارةً بقلبه وفكره، إن قيل جهاد وحرب هو سيّد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وان قيل فقه وتفسير، فهو رئيس الفقهاء والمفسّرين، وان قيل عدل وتوحيد، فهو إمام العدل والموحّدين، وليس منه تعالى بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد[1].

«سبحانك خالقاً ومعبوداً» الظاهر أنّ «خالقاً ومعبوداً» تميّزان، أي: أنت خالق ومعبود، منزّه عن النقص.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٢.

«بحسن بلاءك عند خلقك خلقت داراً» أي: دار الآخرة التي قال فيها: ﴿وإنَّ الدّار الآخرة لهي الحيوان...﴾[١]، وخلقة تلك، كانت بلاءً حسناً منه تعالى عند خلقه فقوله: «بحسن» متعلّق بقوله «خَلَقتَ».

«وجعلت فيها مأدبةً» في (المصباح): أدَبَ من باب ضَرَبَ: صنع صنعاً دعا الناس إليه، واسم الصُّنع المأدُبة (بضمّ الدّال وفتحها)[٢].

«مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً» أي: تلك المأدبة مشتملة على الأقسام الثمانية الّتي لوازم كمال كلّ مأدبة، أمّا مشربها فقد قال تعالى: ﴿إنَّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً﴾[٣] واما مطعمها فقد قال عزّوجلّ: ﴿وفاكهةٍ ممّا يتخيّرون* ولحم طيرٍ ممّا يشتهون﴾[٤]، ﴿يُطافُ عليهم بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون﴾[٥] ﴿وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ ممّا يشتهون* يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾[٦] وأمّا أزواجها فقد قال تعالى: ﴿إنَّ المتّقين في مقامٍ أمينٍ* في جنّات وعيونٍ* يلبسون من سُندسٍ وإستبرق متقابلين* كذلك وزوّجناهم بحورٍ عينٍ﴾[٧]، ﴿حورٌ مقصوراتٌ في الخيام﴾[٨]، ﴿وعندهم

(١) العنكبوت: ٦٤.
(٢) المصباح المنير للفيتوري: ١٣ مادة (أدب).
(٣) الدهر: ٥ ـ ٦.
(٤) الواقعة: ٢٠ ـ ٢١.
(٥) الزخرف: ٧١.
(٦) الطور: ٢٢ ـ ٢٣.
(٧) الدخان: ٥١ ـ ٥٤.
(٨) الرحمن: ٧٢.

قاصرات الطرف أتراب﴾(١) وأمّا خدمها فقد قال تعالى: ﴿ويطوفُ عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤٌ مكنون﴾(٢). وأمّا قصورها فعن رسول الله ﷺ: (إنّ في الجنّة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أُمّتي من أطاب الكلام، وأطعم الطّعام، وأفشى السّلام، وصلّى بالليل والنّاس نيام، فقيل: ومن يطيق ذلك؟ قال: من قال إذا أصبح وأمسى: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر) عشر مرات، فقد أطاب الكلام؛ أمّا اطعام الطعام فنفقة الرّجل على عياله؛ وأمّا الصلاة بالليل والنّاس نيام، فمن صلّى المغرب والعشاء الآخرة، وصلّى الغداة في المسجد في جماعة فكأنّما أحيا الليل كلّه؛ وإفشاء السلام، ألّا تبخل بالسّلام على أحد من المسلمين. وامّا أنهارها فقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الجنّة التي وُعد المتّقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمرٍ لذّةٍ للشّاربين وأنهارٌ من عسل مصفّىً...﴾(٣). وامّا زروعها وثمارها فقد قال تعالى: ﴿ولهم فيها من كلّ الثمرات...﴾(٤)، ﴿وإنَّ للمتّقين لحسن مآبٍ* جنّاتِ عدنٍ مفَتَّحةً لهم الأبواب* متّكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾(٥)، ﴿وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ ممّا يشتهون﴾(٦).

«ثمّ أرسلت داعياً يدعو إليها» ﴿يا أيُّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومُبشّراً ونذيراً* وداعياً إلى الله بإذنهِ وسِراجاً منيراً وبَشّر المؤمنين

(١) صٓ: ٥٢.

(٢) الطور: ٢٤.

(٣ و ٤) محمّد: ١٥.

(٥) ص: ٤٩.

(٦) الأمالي للصدوق: ١٩٨، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٨: ١١٨، والآية ٢٢ من سورة الطور.

بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً﴾[١].

«فلا الدّاعي أجابوا» ﴿وقال الرسول يا ربِّ إنَّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[٢].

«ولا فيما رغّبت إليه» هكذا في (المصرية)[٣] وكلمة «إليه» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٤].

«رغِبوا» ﴿إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٥].

«ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا» ﴿إنَّ الأبرار لفي نعيم* على الأرائك ينظرون* تعرفُ في وجوههم نضرة النّعيم* يسقون من رحيقٍ مختومٍ* ختامه مِسكٌ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[٦]، فلم يتنافسوا؛ ﴿بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا ولهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون﴾[٧]، والكلام تحسّر منه عليه السلام على النّاس كتحسّر الله تعالى عليهم في قوله تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلّا كانوا به يستهزءون﴾[٨] وكتحسّر نوح عليه السلام في قوله: ﴿ربِّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً* فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً﴾[٩].

«أقبلوا على جيفةٍ افتضحوا» هكذا في (المصرية)[١٠] والصواب: (قد

---

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧.

(٢) الفرقان: ٣٠.

(٣) الطبعة المصرية: ٢٦١ خ١٠٣ بلفظ: «ولا فيما رغبوا إلى».

(٤) ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٠ وشرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٥٩.

(٥) غافر: ٣٩.

(٦) المطففين: ٢٢ ـ ٢٦.

(٧) المؤمنون: ٦٣.

(٨) يس: ٣٠.

(٩) نوح: ٤ ـ ٥.

(١٠) الطبعة المصرية: ٢٦١.

افتضحوا) كما في الثلاثة[١].

«بأكلها» قالوا: الدُّنيا جيفةٌ وطالبها كلابٌ.

«واصطلحوا على حُبّها» أي: تصالحوا، وإنّما اصطلحوا على حبّها حيث إنّها معشوقة جميعهم، ولذا يبغضون أهل الآخرة حيث أنّهم أعداء محبوبهم ولذا يريدون أهل الدّنيا، ولو كانوا مزاحميهم في كثير من أُمورهم، ويعادون أهل الآخرة ولو لم يزاحموهم في شيء من أُمورهم.

«ومن عَشِقَ شيئاً أعشى بصره» أي: أضعفه؛ قال الشاعر:

وعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلة

وفي (الأساس): اشتقاق العشق من العَشَقة، وهي اللّبلاب لأنّه يلتوي على الشّجر ويلزمه[٢].

هذا وقال بشّار: (والأذن تعشق قبل العين أحيانا)[٣].

«وأمرض قلبه» مرض القلب فوق مرض الجوارح؛ قال تعالى في المنافقين: ﴿في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً...﴾[٤].

«فهو ينظر بعينٍ غير صحيحةٍ ويسمع بأذنٍ غير سميعةٍ» قال تعالى: ﴿...لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون﴾[٥].

وفي (تاريخ بغداد): سئل أحمد بن يحيى عن حديث أبي الدرداء عن النبيّ ﷺ: «حبّك الشيء يعمي ويصمّ» فقال: يعمي العين عن النظر إلى

---

(١) ابن أبي الحديد والنسخة الخطية: ٩٠ كما ذكر أما شرح ابن ميثم فكالمصرية ٣: ٥٩.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٣٠٢ (عشق).

(٣) الأغاني ٣: ١٦٥.

(٤) البقرة: ١٠.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

مساويه ويصمّ الآذان عن استماع العذل فيه، وأنشأ يقول:

وكذّبت طرفي فيك والطرف صادق　　واسمعت أُذني منك ماليس تسمع[١]

«قد خرقت الشهوات عقله» يجوز في (خرقت) التّخفيف والتّشديد يقال: (خَرَقْتُ الثَّوبَ وخَرَّقْتَه).

«وأماتت الدُّنيا قلبه» ﴿...وما أنت بمسمعٍ من في القبور﴾[٢].

«وولهت عليها نفسه» (وَلِهَت) من باب عَلِم، والوله: ذهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد. في رسالة سهل بن هارون في البخل: قال الحصين بن المنذر: وددتُ أنّ لي مثل أُحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء! قيل: فما فائدتك منه؟ قال لكثرة من يخدمني عليه لأنّ المال مخدوم[٣].

«حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها» قال ابن أبي الحديد: نظر إليه الشاعر فقال:

ما النّاس إلّا مع الدُّنيا وصاحبها　　فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظّمون أخا الدّنيا فإن وثبت　　يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا[٤]

«ولا يزدجر من الله بزاجر» هذا في (المصريتين)[٥] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية)[٦]: (لا ينزجر من الله بزاجر) فهو الصحيح ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ١١٧.

(٢) فاطر: ٢٢.

(٣) البخلاء للجاحظ ١: ١٦ مطبعة العرفان.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٨.

(٥) الطبعة المصرية المصححة وغير المصححة: ٢٦٢ خ١٠٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٠ ـ ١٠٨، وشرح الخوئي ٧: ٣٢٥ ح١٠٨، والنسخة الخطية: ٩٠ كما ذُكر، أما ابن ميثم فكالمصرية ٣: ٦٠ ح١٠٦.

من خشية الله﴾[١].

«ولا يتّعظ من الله بواعظ» ﴿سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيم﴾[٢].

«وهو يرى المأخوذين على الغرّة» ﴿فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون﴾[٣]، ﴿فلما نسوا ماذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[٤]، ﴿وما أرسلنا في قريةٍ من نبيٍّ إلّا أخذنا أهلها بالبأساء والضّرّاء لعلّهم يضّرّعون* ثمّ بدّلنا مكان السيئة الحسنة حتّى عفوا وقالوا قد مسّ آباءنا الضّراء والسّرّاء فأخذناهم بغتةً وهم لا يشعرون﴾[٥]، ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر* كذّبوا بآياتنا كُلّها فأخذناهم أخذ عزيزٍ مقتدر﴾[٦].

«حيث لا إقالة ولا رجعة» ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون﴾[٧].

«كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون» من غمرات الموت؛ ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم

(١) الحشر: ٢١.

(٢) البقرة: ٦ ـ ٧.

(٣) يس: ٥٠.

(٤) الأنعام: ٤٤.

(٥) الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥.

(٦) القمر: ٤١ ـ ٤٢.

(٧) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

تُجزون عذاب الهون...﴾[1].

«وجاءهم من فراق الدُّنيا ما كانوا يأمنون» في (تاريخ بغداد): (لمّا استتمّ للمعتصم غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً وعلّق له خمسون ألف مخلاة على فرس وبرذون وبغل، وذلّل العدوّ بكلّ النواحي، أتته المنيّة على غفلة، فقيل: إنّه يقول في حُمّاه التي مات فيها[2] ﴿حتّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[3].

«وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون» في (المروج): وفي سنة (٢٨٢) ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق وكان بنى في سفح الجبل أسفل من دير مروان قصراً، وكان يشرب فيه في تلك الليلة، وعنده طغج، وكان الّذي تولّى ذلك خادماً من خدمهم، وأُتي بهم على أميال، فقتلوا وصلبوا؛ ومنهم من رمى بالنشّاب، ومنهم من شرح لحم من أفخاذه وعجيزته؛ وأكله السّودان من ممالك أبي الجيش. وحُمِلَ أبو الجيش في تابوت إلى مصر، وورد الخبر بذلك إلى مصر، فأُخرِج من التابوت، وجُعِل على السّرير على باب مصر، وخرج ولده الأمير جيش وساير الأمراء والأولياء، فتقدّم القاضي ابن عبدة المعروف بالعبداني وصلّى عليه. وحكى أبو بشر الدّولابي عن أبي عبدالله البخاري ـ وكان شيعيّاً من أهل العراق، وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم ـ انّه كان بات في تلك الليلة ممّن يقرأ عند القبر، وقدّم أبو الجيش ليدلّىٰ في القبر، ونحن نقرأ سورة الدخان، فأُحدر من السرير، ودلّي في القبر، وانتهينا من السورة في هذا الوقت إلى قوله عزّوجلّ

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) الخطيب البغدادي ٣: ٣٤٦ رقم ١٤٥١.

(٣) الأنعام: ٤٤.

﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم* ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم* ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾[١] فخفضنا أصواتنا وأذعرنا حياءً ممّن حضر[٢].

«فغير موصوفٍ ما نزل بهم» روى أنَّ في التوراة : (مثل الموت كمثل شجرة شوك أدرجت في بدن ابن آدم، فتعلّقت كلّ شوكة بعرق وعصب، ثمّ جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع، وبقي ما بقي.

«اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت» قالوا: كان هشام بن عبد الملك كساء ظهره وثياب مهنته لا يحملها إلّا سبعمائة بعير من أجلد ما يكون من الإبل، وكان مع ذلك يتقلّلها، فمات والوليد غائب، فأتاه موته، فأمر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفّنونه، فلم يدفن إلّا بعد ثلاثة أيّام كان الوليد قد قدم[٣].

«ففترت لها أطرافهم» ولو كانت أطرافهم قبل في غاية القوّة؛ وفي (تاريخ بغداد): قال ابن أبي داود: كان المعتصم يُخرج ساعده إليّ ويقول: عضّ ساعدي بأكثر قوّتك! فأقول: ما تطيب نفسي لذلك، فيقول: إنّه لا يضرّني فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنّة فضلاً عن الأسنان! وانصرف يوماً من دار المأمون إلى داره، -وكان شارع الميدان منتظماً بالخيم فيها الجند- فمرّ بامرأة تبكي وتقول: ابني ابني! وإذا بعض الجند قد أخذ ابنها، فأمره المعتصم أن يردّ ابنها عليها، فأبى! فقبض عليه بيده فسُمع صوت عظامه، ثمّ أطلقه من يده فسقط، وأمر بإخراج الصبيّ إلى أُمّه[٤].

وفي (الأخبار الطوال): لمّا خرج الرشيد إلى طوس في سنة (١٩٣)

---

(١) الدخان: ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٥٨.

(٣) الكامل لابن الأثير ٥: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣: ٣٤٦ رقم ١٤٥١.

مرض بها مرضاً شديداً فجمع له الأطباء يعالجونه، فقال:

إنّ الطــبيب بــطبّه ودوائــه	لا يستطيع دفاع محذور جرى
ما للطبيب يموت بـالدّاء الذي	قد كان يشفي مثله فيما مضى

فلمّا اشتدّ به الوجع قال للفضل بن الرّبيع: يا عبّاسي! ما يقول النّاس؟ قال: يقولون: إنّ شانئ الخليفة قد مـات، فأمـر أن يسـرج له حـمار ليـركبه، ويخرج فأُسرج له وحُمِل حتّى وُضِعَ على السّرج استرخت فخذاه، ولم يستطع الثبوت فقال: أرى النّاس قد صدقوا، ثمّ توفّي[(١)].

«وتغيّرت لها ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً» (ولوج) مصدر وَلَجَ يَلِجُ أي: دخل. قال سيبويه: جاء المصدر فُعولاً مع أنّ فـعولا مـن مـصادر غـير المتعدّي، لأنّه على معنى ولجت فيه[(٢)].

«فحيل بين أحدهم وبين منطقه» لسـقوط قـوّة المـنطق قـبل السّـامعة والباصرة.

«وإنّه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحّةٍ من عقله وبقاءٍ من لبّه» روى (الكافي): أنّ رجلاً قال للصادق عليه السلام: انّي خرجت إلى مكّة مع رجل، فمرض في الطريق شديداً فكنت أقوم عليه، ثمّ أفاق حتّى لم يكـن عـندي بـه بأس، فمات؛ فقال عليه السلام: ما من ميّت يحضره الوفاة إلّا ردّ الله تعالى عليه مـن سمعه وبصره وعقله للوصيّة، أخذ الوصيّة أو تركها وهي الرّاحة الّتي يقال لها راحة الموت، وهي حقّ على كلّ مسلم[(٣)].

«يُفكّر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره» في (المروج): لمّـا اشـتدّت عـلّة

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٩٤.

(٢) الصحاح: (ولج).

(٣) الكافي ٧: ٣ ح٣.

معاوية وأيس من بريِّهِ أنشأ يقول:

فياليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أك في اللذّات أعشى النّواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدّهر حتّى زار أهل المقابر[١]

«ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها» الأصل فيه غضّ البصر، كأنّه لم يرَ الحرام.

«وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها» (المصرّح) غير المشتبه من (يوم مصرّح) ليس فيه غيم أو من (تصريح الخمر) بأن يذهب عنها الزّبَد. روي أنّ في القيامة يكون جمع لهم أعمال كالجبال، فتصير هباءً منثوراً لعدم تورّعهم في الدّنيا عن المحرّمات.

«قد لزمتهُ تبعاتُ جمعها» قيل لرجل: إنّ فلاناً مات، وترك عشرة آلاف، فقال: أمّا العشرة آلاف فلا تتركه.

«وأشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتّعون بها» ذكروا ان عمرو بن العاص دخل عليه ابنه في احتضاره فقال له: خُذْ ذلك الصندوق وهو مملوّ مالاً، وليته كان مملوّاً بعرا!

«فيكون المهنأ لغيره» حيث أتاه من غير تعب في تحصيله، والعِبْءُ ـ بالكسر ـ الحمل الثقيل.

«على ظهره» في (المروج): لمّا حضرت الوفاة معاوية بن يزيد بن معاوية اجتمعت إليه بنو أُميّة فقالوا له: اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال: والله ما ذُقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلّد وِزْرَها وتتحلّون أنتم حلاوتها، واتعجّل أنا مرارتها؟ اللّهمّ إنّي بريء منها[٢].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٣.

«والمرءُ قد غلقت رهونه بها» غلق الرّهن: استحقّه المرتَهِن إذا لم يفتك في الوقت المشروط، والمراد أنّه كما لو رهن الإنسان علق مضنّة بمال في مدّة ولم يسع في تلك المدّة لتحصيل مالٍ يفكّه بـه يـعلق ذاك العـلق، كـذلك هـذا الإنسان الّذي رهن نفسه النفيسة بالواجبات التي عليه، ولم يفكّها بأداء تلك الواجبات في مدّة حياته في الدُّنيا، يصير كذلك؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نـفسٍ بـما كسبت رهينة﴾[1].

«فهو يعضُّ يده ندامةً على ما أصحر له عند الموت من أمره» في (الأساس): اصحر بالأمر وأصحره: أظهره[2].

قلت: مقتضى كلامه عليه السلام كون الإصحار بمعنى الظّـهور، لا الإظـهار، ﴿ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقولُ يا ليتني اتّخذتُ مع الرسّول سبيلاً...﴾[3].

«ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره» في (الأخبار الطوال): لمّا اشتدّ وجع عبد الملك تمثّل ببيت أُميّة بن أبي الصّلت:

ليـتني كـنت قـبل مـا بـدا لي — في قلال الجبال أرعى الوعولا

فلم يمسَ حتى قضى[4].

«ويتمنّى أنّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه» ﴿وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويْكَأَنَّ الله يـبسط الرزق لمـن يشـاء مـن عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويْكَأنَّه لا يفلح الكافرون﴾[5].

---

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٢٤٩ (صحر).

(٣) الفرقان: ٢٧.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٢٥.

(٥) القصص: ٨٢.

حافظا ترك جهان گفتن طريق خوش دلی است

تا نه پنداری كه احوال جهانداران خوش است

«فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه سمعه» هكذا في (المصريتين)(١) وليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)(٢) كلمة «لسانه» ولا مناسبة لها أيضاً، فإنّ اللّسان لا يخالط السمع بل الموت يخالطه.

«فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه» سقطت قوّة ناطقته وقوّة سامعته وبقيت قوّة باصرته.

«يُردّد طرفه بالنّظر في وجوههم» في (الصحاح): الطرف: العين ولا يجمع لأنّه في الأصل مصدر فيكون واحداً ويكون جماعة؛ قال تعالى: ﴿لا يرتدّ إليهم طرفهم...﴾(٣)

«يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم» أي: حاصل مرادهم.

«ثمّ ازداد الموت التياطاً به» أي: لصوقاً به. في (كامل المبرّد): قال ابن عباس: دخلت على عمرو بن العاص في احتضاره فقلت له: إنّك كنت تقول: «اشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتّى أسأله كيف يجد»، فكيف تجد؟ قال: أجد السّماء كأنّها مطبقة على الأرض وأنا بينهما، وأراني كأنّي أتنفّس من خرت أبرة ـ يعني ثقبها(٤).

«فقبض بصره كما قبض سمعه» قال ابن ميثم(٥): نبّه عليه السلام على انّ البصر يبطل بعد السمع، كالسمع بعد النطق لعلمه بأسرار الطبيعة، والذي يلوح من

---

(١) الطبعة المصرية المصححة ٢٦٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠١، وابن ميثم كالمصرية ٣: ٦٠، والخطية: ٩١.

(٣) الصحاح: (طَرَفَ) والآية من سورة إبراهيم: ٤٣.

(٤) الكامل للمبرّد: ٢٢٩.

(٥) ابن ميثم.

أسبابه أنّه لمّا كان السبب العامّ القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الأصليّة التي منها خُلِقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها التجفيف والتحليل، كان كلّ عضواً يبس في طبيعته وأبرد، أسرع إلى البطلان، وأسبق إلى الفساد فنقول: أمّا أنّ آلة النطق أسرع فساداً من آلة السمع، فلأنّ آلة النّطق مبنيّة على الأعصاب المحرّكة ومركّبة منها، وآلة السمع من الأعصاب المفيدة للحسّ، واتّفق الأطباء على أنّ الأعصاب المحرّكة أيبس وأبرد لكونها منبعثة من مؤخّر الدماغ دون الأعصاب المفيدة للحسّ، فإنّ جُلّها منبعث من مقدّم الدّماغ فكانت لذلك أقرب إلى البطلان، وأمّا بطلان آلة السمع قبل البصر فلأنّ منبت الأعصاب التي هي محلّ القوّة السامعة أقرب إلى مؤخّر الدّماغ من منابت محلّ القوّة الباصرة فكانت أيبس وأبرد، وأقبل لإنطفاء القوّة الغريزية[1].

«وخرجت الروّح من جسده فصار جيفةً بين أهله» الإنسان أوّله نطفة، وآخره جيفة.

«قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه» لكونهم من أهل الدُّنيا، والميّت من أهل الآخرة، وأنت يوم ترحل عنهم كضيفٍ بتّ فيهم.

«لا يسعدُ باكياً ولا يجيب داعياً» في (المروج): (ذكر المدائني انّ الحجّاج لم يكن يظهر لندمائه بشاشة إلّا في يوم دخلت عليه ليلى الأخيليّة، فقال لها: بلغني أنّك مررت بقبر توبة بن حمير، وعدلت عنه، فوالله ما وفّيت له، ولو كان هو بمكانك وأنت بمكانه ما عدا عنك؛ قالت: لي عذرٌ قال: وما هو؟ قالت: «سمعته وهو يقول:

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت   عليّ ودوني جندل وصفائح

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٦٥.

لسلّمت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معي نسوة قد سمعن قوله، فكرهت أن أُكذّبه، فاستحسن الحجّاج قولها.

وذكر حماد الرّاوية غير هذا الوجه، وهو أنّ زوج ليلى حلف عليها ـ وقد أجاز بقبر توبة ليلى ـ أن تنزل وتأتي وتسلّم عليه وتكذّبه في قوله ذاك البيت، فأبت أن تفعل فأقسم عليها زوجها، فنزلت حتّى جاءت إلى القبر ودموعها على صدرها، فقالت: السلام عليك يا توبة، فلم تستتمّ النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة، فأخذوا في جهازها وكفنها، ودفنت إلى جانب قبره[1].

«ثمّ حملوه إلى محطٍّ من الأرض» بقدر قامته؛ قال الشاعر: (وكأنّني بك راكباً أجيادهم بدل الجياد)، الأجياد جمع الجِيد: العُنُق، والجياد جمع الجَوَاد: الفرس؛ روى «محط» بالحاء المهملة، والخاء المعجمة، والأوّل أحسن فيكون في معنى الحفرة؛ وقيل بالفارسيّة:

هر كه را خوابگه آخر بد و مشتى خاك است

گوچه حاجت كه بر أفلاک كشى ايوان را[2]

ونكّره لأنّه لا تدري نفس بأيّ أرضٍ تموت، وأيّ موضع يدفن. قال مطرود الخزاعي في ولد عبد مناف:

قبر بردمان، وقبر بسلمان، وقبر عند غزّات

وميّت مات قريباً من الحجون عن شرق البنيّات[3]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤٠.

(٢) ديوان حافظ: ٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٢٠٠.

قال البلاذري: أما الّذي بردمان ـ ناحية اليمن ـ المطّلب والّذي بسلمان نوفل والّذي بغزّة هاشم، والّذي مات بمكّة ودفن بقرب الحجون عبد شمس[١].

وفي (معارف ابن قتيبة): قال أبو صالح صاحب التفسير، ما رأينا بني أُمّ قطّ أبعد قبوراً من بني العباس لأُمّ الفضل، مات الفضل بالشام، وعبدالله بالطائف، وعبيدالله بالمدينة، وقثم بسمرقند، ومعبد بافريقية[٢].

«وأسلموه إلى عمله» فالأقرباء إنّما صحابتهم إلى إنزاله في حفرته، وأمّا الّذي يكون معه أبداً فهو عمله، إن خيراً فخير، وان شرّاً فشرّ، وحينئذٍ فكأنّ الأقرباء بعد إنزاله أسلموه بيد العمل.

«وانقطعوا عن زورته» في (الإرشاد): لمّا مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين عليها السلام على قبره فسطاطاً إلى سنة، فلمّا كان رأس السنة، قالت لمواليها: قوّضوا هذا الفسطاط في اللّيل، فلّما أظلم اللّيل سمعت قائلاً يقول:

هل وجدوا ما فقدوا؛

فأجابه آخر:

بل يَئِسوا فانقلبوا[٣].

---

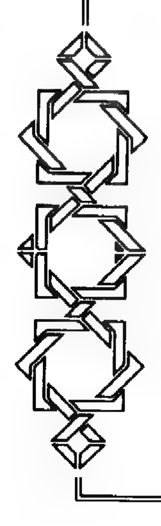
(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٦٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ١٢٢.

(٣) المفيد، الإرشاد: ١٩٧.

الفصل السابع والثلاثون

في ذمّ الدّنيا وفنائها





١
الخطبة (٤٤)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَلْحَمْدُ لِلهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مَنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبادَتِهِ، أَلَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَٱلدُّنْيا دَارٌ مُنِيَ لَهَا ٱلْفَنَآءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا ٱلجَلاَءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خُضْرَةٌ، وَقَدْ عَجِّلَتْ لِلطَّالِبِ، وَٱلْتَبَسَتْ بِقَلْبِ ٱلنَّاظِرِ؛ فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ، وَلا تَسأَلُوا فِيهَا فَوْقَ ٱلْكَفافِ، وَلاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَلاَغِ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: العنوان مشتمل على فصلين من كلامه عليه السلام؛ الأوّل: في حمده تعالى إلى قوله «ولا تفقد له نعمةٌ» والثاني: في ذكر الدّنيا إلى آخره وأحدهما مختلط بالآخر، والرّضيّ رحمه الله يلتقط كلامه عليه السلام ولا يقف مع

الكلام المتوالي؛ لأنّ غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير[١].

قلت: بل العنوان كلّه من خطبة واحدة خطب عليه السلام بها يوم الفطر. والخطبة كانت طويلة أخذ المصنّف أوّل العنوان -إلى قوله- «ولا مستنكفٌ عن عبادته» من أوّل الخطبة؛ وأخذ قوله: «الّذي لا تبرح منه رحمةٌ ولا تفقد له نعمةٌ» من وسط الخطبة؛ وقوله: «والدُّنيا دار مُني لها الفناء...» من أواخر الخطبة. فقال في (الفقيه في باب صلاة العيدين): خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال: (الحمد لله الذي له ما في السماوات والأرض -إلى أن قال-: اللّهمّ ارحمنا برحمتك، وأعممنا بمغفرتك، إنّك أنت العليّ الكبير، والحمد لله الذي لا مقنوطٌ من رحمته، ولا مخلوٌّ من نعمته، ولا مؤيسٌ من رَوْحه، ولا مستنكفٌ عن عبادته، بكلمته قامت السماوات، واستقرّت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرّواسي، وجرت الرّياح اللّواقح، وسار في جوّ السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو إلهٌ لها. وقاهرٌ يذلّ له المتعزّزون، ويتضاءل له المتكبّرون، ويَدِين له طوعاً وكرهاً العالمون؛ نحمده كما حمد نفسه، وكما هو أهله، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يعلم ما تُخفي النُّفوس، وما تجنُّ البحار وما توارى منه ظلمةٌ ولا تغيّب عنه غائبةٌ، وما تسقط من ورقة من شجرةٍ ولا حبّةٌ في ظلمةٍ إلّا يعلمها، لا إله إلّا هو، ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلّا في كتابٍ مبينٍ، ويعلم ما يعمل العاملون، وأيّ مجرىً يجرون، وإلى أيّ منقلبٍ ينقلبون -إلى أن قال-: أوصيكم بتقوى الله، الذي لا تبرح منه نعمةٌ، ولا تنفد منه رحمةٌ، ولا يستغنى العباد عنه، ولا تجزي أنعمه الأعمال، الّذي رغّب في التقْوىٰ، وزهّد في الدُّنيا، وحذّر المعاصي، وتعزّز بالبقاء، وذلّل خلقه بالموت والفناء، والموت غاية

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٥٣.

المخلوقين، وسبيل العالَمين، ومعقودٌ بنواصي الباقين؛ لا يعجزه اباق الهاربين وعند حلوله يأسر أهل الهوى، يهدم كلّ لذّةٍ ويزيل كلّ نعمةٍ، ويقطع كلّ بهجةٍ والدُّنيا دارٌ كتب الله له الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وأكثرهم ينوي بقاءها، ويعظم بناءها، وهي حلوةٌ خضرةٌ، قد عجّلت للطالب، والتبست بقلب النّاظر، ويَضِنُّ بها ذو الثّروة الضّعيف ويحبويها الخائف الوَجِل؛ فارتحلوا منها ـ رحمكم الله ـ بأحسن ما بحضرتكم، ولا تطلبوا منها أكثر من القليل، وأَضَرُّوا بأنفسكم فيها، وإيّاكم والتنعّم والتلهّي والفَكاهات، فإنَّ في ذلك غفلةً واغتراراً[١]...

قوله: «الحمد لله غير مقنوطٍ من رحمته» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً انّه هو الغفور الرحيم﴾[٢].

«ولا مخلوٌ من نعمته» ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً...﴾[٣].

«ولا مأيوس من مغفرته» ﴿ولا تيأسوا من رَوح الله إنّه لا ييأس من رَوح الله إلّا القوم الكافرون﴾[٤].

«ولا مستنكفٍ عن عبادته» قال عليه السلام: «كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً»[٥]، وفي الحديث القدسي: عبدي أطعني أجعلك مثلي[٦]. ولنعم ما قيل بالفارسية:

امید خواجگیم بود بندگیّ تو کردم هوای سلطنتم بود خدمت تو گزیدم

---

(١) الفقيه ١: ٥١٤ ح ١٤٨٢.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) لقمان: ٢٠.

(٤) يوسف: ٨٧.

(٥) الخصال للصدوق ٢: ٤٥ نقله المجلسي في ٧٤: ٤٠٠.

(٦) كما ورد في البحار ٩٠: ٣٧٦: يابن آدم .. أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون.

«الّذي لا تبرح منه رحمةٌ» (لا تبرح): لا تزال.

«ولا تفقد له نعمة» ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين* والله جعل لكم ممّا خلق ظِلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تسلمون﴾[1].

«والدُّنيا دارٌ منى» أي: قدّر لها الفناء، ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح...﴾[2].

«ولأهلها منها الجلاء» قالوا: ساكنها راحل وأنفاسه رواحل وأيّامها مراحل، أشبه شيء بظلّ الغمام وأضغاث الأحلام[3].

«وهي حلوةٌ» في الذّوق الفاسد، كذوق المريض، ومرّة في الذوق الصحيح كذوق السالم.

«خضرةٌ» في ظاهر المرأى وسوداء في المعنى.

«وقد عجلت للطالب» الإنسان عجول، والدّنيا عاجلة، والعجول طالب العاجلة؛ قال تعالى: ﴿كلّا بل تحبّون العاجلة* وتذرون الآخرة﴾[4]، ﴿إنّ هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾[5]. لكن العاجلة خزف والآجلة جوهر، ولا يختار الخزف وان كان عاجلاً على الجوهر وإن كان آجلاً

---

(١) النحل: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) الطرائف للمقدسي: ١٠.

(٤) القيامة: ٢٠ ـ ٢١.

(٥) الدهر: ٢٧.

إلّا مغفّل؛ قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً* ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكوراً* كلّاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً﴾[1].

«والتبست بقلب النّاظر» أي: اشتبهت فظنّها خيراً مع كونها شرّاً، كأعمى أضلّ عصاه فوقعت يده على حيّةٍ أسكنها البرد، فظنّها عصا حسنة.

وفي قصة يوذاسف وبلوهر المرويّة في (اكمال الصدوق في بابه ٥٤): في ملك عارف مرَّ على عارفَين عليهما لباسٌ خَلِق، فنزل عن مركبه احتراماً لهما، وأنكر ذلك وزراؤه الجاهلون، فأراد تنبيههم على صواب عمله، فأمر المَلِك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب، فطلى تابوتين منها بالذّهب، وتابوتين بالقار، ثمّ ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً، وملأ تابوتي الذّهب جيفاً ودماً وعذرة وشَعراً، ثم جمع الوزراء والأشراف الذين أنكروا صنيعه بالرّجُلين، فعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها، فقالوا: امّا في مبلغ علمنا فتابوتا الذهب لا ثمن لهما لفضلهما، وتابوتا القار لا ثمن لهما لرذالتهما، فقال المَلِك: نعم هذا مبلغ علمكم، ثمّ أمر بتابوتي القار، فنزعت عنهما صفايحهما فأضاء البيت بما فيها من الجواهر، فقال: هذان مثل الرّجلين الّذين ازدريتم ظاهرهما ولباسهما، وهما مملوّان علماً وحكمةً وصدقاً وبِرّاً وساير مناقب الخير الّذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب. ثمّ أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أثوابهما فاقشعرّ القوم من سوء منظرهما، وتأذّوا بريحهما ونتنهما، فقال الملك: وهذان مثل القوم المتزيّنين بظاهر الكسوة واللّباس وأجوافهما مملوّة جهالةً

---

(١) الإسراء: ١٨ ـ ٢٠.

وعميً وكذباً وجوراً وساير أنواع الشّرّ التي هي أفظع وأشنع وأقذر من الجِيَف[١].

«فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد» ﴿ولْتنظُرْ نفسٌ ما قدّمت لغدٍ...﴾[٢] ﴿إنَّ الّذين هم من خشية ربِّهم مشفقون* والذين هم بآيات ربِّهم يؤمنون* والّذين هم بربِّهم لا يشركون* والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنّهم إلى ربِّهم راجعون* أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٣].

«ولا تسألوا فيها فوق الكفاف» في (الصّحاح): الكَفاف ـ بالفتح ـ من الرّزق القوت، وهو ما كفّ عن النّاس، أي: أغنى.

وفي الحديث: «اللّهمّ اجعل رزق آل محمّد كفافاً» والتكفّف: أن يمدّ كفّه يسأل الناس»[٤].

«ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ» أي: ما يبلغك مقصدك؛ ففي الخبر: ما من أحد من الأولين والآخرين إلّا وهو يتمنّى يوم القيامة أنّه لم يعطَ من الدُّنيا إلّا قوتاً، إنّ الدُّنيا لو عَدِلَت عند الله تعالى جَناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء[٥]؛ وقال أبو العتاهية:

حسبك ممّا تبتغيه القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر في ما جاوز الكفافا ... من اتّقى الله رجا وخافا[٦]

---

(١) كمال الدين وإتمام النعمة للصدوق: ٥٩٢.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

(٤) الصحاح: (كفف).

(٥) الكافي ٢: ٢٤٦ ح٥.

(٦) ديوان أبي العتاهية: ٣٦١.

وكان مع الرشيد في سفر، فجلس الرّشيد في الطريق في ظلّ ميل، فقال له:

وما تصنع بالدُّنيا وظلّ الميل يكفيكا[١]

٢
من الكتاب (٣١)

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَياةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طالِبُهُ، وَلاَبُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلى حالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْكُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ، فَإِذا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ! أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ، إِلَيْهِ حَتّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيا إِلَيْهَا، وَتَكالُبِهِمْ عَلَيْها، فَقَدْ نَبَّأَ اللهُ عَنْهَا وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّما أَهْلُهَا كِلابٌ عاوِيَةٌ، وَسِباعٌ ضارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وَأُخْرى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عاهَةٍ بِوادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدى، فَتاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِها، وَاتَّخَذُوها رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا،

---

(١) الأغاني ٤: ٨٣ والبيت منسوب للإمام علي عليه السلام حسب الديوان: ٨.

وَنَسُوا ما وَرآءَهَا. رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ؛ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَاْعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ واقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

«**واعلم أنّك انّما خُلقت للآخرة لا للدُّنيا**» ﴿وما هذه الحياة الدُّنيا إلّا لهوٌ ولعبٌ وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[١].

«**وللفناء لا للبقاء**» ﴿كُلّ من عليها فان* ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام﴾[٢].

«**وللموت لا للحياة**» ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت ثمّ إلينا ترجعون﴾[٣].

«**وانّك في منزل قلعةٍ**» (بالضمّ) أي: غير مستوطن.

«**ودار بلغةٍ**» (بالضمّ) ما يتبلّغ به من العيش؛ قال النبي صلّى الله عليه وآله: مثلي والدُّنيا كمن نزل في يوم قيظ تحت شوك، فلّما أبرد شخص[٤].

«**وطريق إلى الآخرة**» ﴿...إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاع وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٥].

أرى كلّ حيّ هالك وابن هالك ... وذا حسب في الهالكين غريق
فقل لمقيم الدّار انّك ظاعن ... إلى سفر نائي المحلّ سحيق[٦]

«**وانّك طريدُ الموت**» أي: صيده.

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) العنكبوت: ٥٧.

(٤) مثله في البحار ذكره المجلسي ٧٣: ١٢٣.

(٥) المؤمن: ٣٩.

(٦) مثله في البحار ٧٣: ١٢٣ وذكر بشكل آخر في المحجّة البيضاء ٥: ٣٧٠.

«الذي لا ينجو منه هاربهُ» ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل...﴾[١].

«ولا يفوته طالبه ولابُدَّ انّه مدركه» ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة﴾[٢].

«فكن منه على حذرٍ ان يدركك وأنت على حالٍ سيّئة قد كنت تحدّث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك» ﴿وليست التّوبة للّذين يعملون السّيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبتُ الآن...﴾[٣]، وعبقريّة الشيطان حمله ابن آدم على تسويف التوبة حتّى تفوته.

«يا بُنيّ أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه» فأكيس النّاس من كان ذاكراً للموت.

«حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك وشددت له أزرك» أي: ظهرك.

اشدد حيازيمك للموت فــانّ المــوت لاقــيكا

«ولا يأتيك بغتة فيبهرك» أي: يحيّرك ويغلبك؛ ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون* أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين* أو تقول لو أنّ الله هداني لكنتُ من المتّقين* أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّةً فأكونَ من المحسنين﴾[٤].

«وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدُّنيا إليها» أي: ركونهم إليها من

---

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) النساء: ١٨.

(٤) الزمر: ٥٥ ـ ٥٨.

قوله تعالى: ﴿ولكنّه أخلد إلى الأرض...﴾[١] قال تعالى: ﴿ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه...﴾[٢].

«وتكالبهم عليها» الدُّنيا جيفة وطالبها كلاب.

«فقد نَبا» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: (فقد نبّأك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[٤].

«الله عنها» ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح...﴾[٥]، ﴿إنّما مثل الحياة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظنَّ أهلها انّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقوم يتفكّرون﴾[٦].

«ونعتْ» هكذا في (المصرية)[٧] و ابن ميثم)[٨] من النعي «ونعتت» من النّعت كما في (الخطيّة وابن أبي الحديد).

«لكَ نفسها» هكذا في (المصرية)[٩] والصواب: «هي لك نفسها» كما في (الخطيّة) وغيرها قال الشاعر:

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) الطبعة المصرية (نبأك): ٥٦٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٨٩، والخطية: ٢٥٦، كما ذكر اما شرح ابن ميثم فكالمصرية ٥: ٣٧.

(٥) الكهف: ٤٥.

(٦) يونس: ٢٤.

(٧) الطبعة المصرية: ٥٦٤.

(٨) شرح ابن ميثم ٥: ٣٧.

(٩) الطبعة المصرية: ٥٦٤.

هـي الدُّنـيا تـقول بـملء فـيها ... حذار حذار من بطشي وفـتكي
ولا يـغررك طـول ابـتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي[١]

«وتكشّفت لك عن مساويها» قال المأمون لو نطقت الدُّنيا ما وصفت نفسها بأحسن من قول أبي نؤاس:

وما النّاس إلّا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين غريق
إذا امتحن الدُّنيا لبيب تكشّفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق[٢]

وقال آخر: أفّ لدنيا الدنية، خبثت فعلاً ونِيّة عيشها بدؤه همّ وعقباه المَنِيَّة.

لمّا تؤذن الدّنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلّا فما يبكيه فيها وانّها ... لأفسح ممّا كان فيها وأرغد
إذا أبصر الدُّنيا استهلّ كأنّه ... بما سوف يلقي من إذاها يهدّد[٣]

وقالوا: الدّنيا غدّارة غرّارة إن بقيت لها لم تبقَ لك.

أيضاً: واجد الدُّنيا سكران وفاقدها حيران.

أيضاً: أفّ من اشغال الدُّنيا إذا أقبلت ومن حسراتها إذا أدبرت.

أيضاً: الدُّنيا أشبه شيء بظلّ الغمام وحلم النيّام.

أيضاً: الدُّنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي شبهاتها عتاب[٤].

وقال الشاعر:

غمومها لا تنقضي ساعة ... عن ملك فيها ولا سوقه

---

(١) الطرائف للمقدسي: ٨، والابشيهي، المستطرف ٢: ٦١٠.

(٢) الطرائف للمقدسي: ٩، والعقد الفريد ٣: ١٧٥.

(٣) الطرائف للمقدسي: ٩.

(٤) أورد هذه الحكم المقدسي في الطرائف: ٧ ـ ٨.

يا عجباً منها ومن شأنها عدوّة للنّاس معشوقه[١]

وقال آخر:

دلّت على عيبها الدُّنيا وصدّقها ما استرجع الدّهر ممّا كان أعطاني

«فانّما أهلها كِلابٌ عاويةٌ» في (الحلية): قال يوسف بن اسباط: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الدُّنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب. قتل المنصور عمّه عبدالله بن علي، وقتل عبد الملك ابن عمّه عمرو بن سعيد الأشدق[٢]. وفي (الطبري): خرج عبد الملك إلى المسجد، وقال لأخيه عبد العزيز: اقتل عَمْرواً، فرجع فوجده حيّاً فقال لأخيه: ما منعك منه! قال: ناشدني الرّحم فرققت له، فقال له: أخزى الله أُمّك البوّالة على عقبيها! فانّك لم تشبه غيرها ثمّ قال: يا غلام! إيتني بالحربة، فأتاه بها فهزّها ثم طعنه بها فلم تجز، ثمّ ثنّى فلم تجز فضرب بيده إلى عضد عمرو، فوجد مسّ الدّرع فضحك، فقال: ودارعٌ أيضاً، ان كنت لمعدّاً. يا غلام! إيتني بالصّمصامة، فأتاه بسيفه ثمّ أمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه، وهو يقول:

ياعمرو! إن لم تدع شتمي ومنقصتي

أضربك حيث تقول الهامة اسقوني[٣]

«وسباعٌ ضاريةٌ» متعوّدة بالصّيد؛ وفي (الطبري) في خروج عبدالله بن علي على المنصور: كان عبدالله خشي ألّا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، أمر صاحب شرطه فقتلهم[٤].

---

(١) منسوب للإمام علي عليه السلام: ٦١، وذكره المقدسي في الطرائف: ٩، وقال: إنّها لابن بسام. والظاهر أنّ العلّامة قد نقلها من الطرائف لأنّها بنفس الألفاظ ولم يذكر نسبتها للإمام أمير المؤمنين، إذ في الديوان بدل غمومها، همومها.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨: ٢٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٠٠.

(٤) المصدر نفسه ٦: ١٢٤.

وفي (الطبري): في قتل مصعب الأسراء من عسكر المختار: «وقال ابن عمر لمصعب: انت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة! عِشْ ما استطعت، فقال مصعب: إنّهم كانوا كفرة سحرة.

قلت: قال ذلك لكونهم شيعة وطالبي ثأر ابن بنت نبيّهم عليه السلام فقال له ابن عمر: والله لو قتلت عدّتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً»[1].

«يهرّ بعضهم بعضاً» في (كامل الجزري): بِيعَ رحل بني جهير ودورهم بباب العامة في سنه (٤٩٣) ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد الملك؛ ثم قتل في سنة (٤٩٤) مؤيّد الملك وبِيعَ ماله وتركته، وأخذ الجميع وحمل إلى الوزير الأعزّ؛ وقُتِلَ الوزير الأعزّ في هذه السنّة وبِيعَ رحله وانقسمت أمواله، وأخذ السلطان ومن ولي بعده أكثرها، وتفرّقت أيدي سبأ[2].

وفي (الطبري) في قتل المنصور أبا مسلم، وتعداده ما أنكر عليه: فقال المنصور لأبي مسلم: ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبلك، قال: أراد الخلاف وعصاني، فقتلته، فقال له المنصور: حالَكَ حاله، تعصيني وأنت مخالف عليّ، قتلني الله إن لم أقتلك، فضربه بعمود وخرج شبيب وحرب من الكمين فقتلاه، وقال المنصور:

زعمت أنّ الدّين لا يقتضى ... فاستوفِ بالكيل أبا مُجرم

سُقيت كأساً كنت تسقي بها ... أمرّ في الخَلق من العَلقم[3]

«ويأكل عزيزها ذليلها» في (لطائف الثعالبي): حدّث الصّولي، قال: حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب: لما ولي المعتز لم تمضِ مديدة حتّى أحضر

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٥٧٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠: ٣٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٦ حوادث سنة ١٣٧.

الناس وأُخرج المؤيّد، أي: أخوه وولّى عهده، وقيل: اشهدوا انّه دعي فأجاب، وليس به أثر قتل، ثمّ مضت أشهر، فأُحضر النّاس، وأُخرج المستعين فقال: إنّ منيّته أتت عليه وهاهو لا أثر بـه، فـاشهدوا! ثـمّ مـضت مـديدة واستُخلِف المهتدي فأُخرج المعتزّ ميّتاً، وقيل: اشهدوا أنّه قد مات حتف أنفه ولا أثر به، ثم لم تدير السّنة حتى استُخلِف المعتمد وأُخرج المهتدي ميّتاً، وقيل اشهدوا أنّه قد مات من جراحته، فتعجّب الناس من تلاحقهم في مدّة يسيرة.

فيه: بعث المعتصم ايتاخ إلى الأفشين وقال: قل له : يا عدوّ الله! فـعلت وصنعت، وكيف رأيت صنع الله بك؟ فقال له الأفشين: قد ذهبت بمثل هذه إلى علي بن هشام، فقال لي: قد ذهبت بمثل هذه الرسالة إلى عجيف بن عنبسة قال: أُنظر من يأتيك بها؟ ـ أي: بمثل هذه الرسالة ـ وأنا أقول لك : الآن أيضاً انظر من يأتيك بها؟ قال: فما مرّت إلّا أيام قلائل حتّى حُبِسَ إيتاخ ثمّ قُتل[١].

وفي (المروج): سخط المتوكّل على عمرو بن فرج الرّخجي ـ وكان من عليّة الكُتّاب ـ فأخذ منه مالاً وجوهراً نحو مائة وألف وعشرين ألف دينار، وأخذ من أخيه نحواً من مائة ألف وخمسين ألف ثمّ صولح على أحد وعشرين ألف ألف درهم على أن يردّ عليه ضياعه، ثمّ غضب عليه غضبة ثانية وأمر أن يصفع كلّ يوم، فأحصى ما صفع فكان ستّة آلاف صفعة وألبسه جبّة صوف، وسخط عليه ثالثة فأحدر إلى بغداد حتّى مات[٢].

فيه أيضاً : في إسماعيل بن بلبل الذي كان وزير الموفّق، وكان آذى ابنه المعتضد في أيّام أبيه، قيّد المعتضد إسماعيل وجعل في عنقه غُلّاً فيه رمّانة حديد، والغُلّ والرُّمّانة مائة وعشرون رطلاً، وأُلبس جُبّة صوف قد صيّرت في

---

(١) لطائف المعارف للثعالبي: ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٩ .

ودك الأكارع ـ الودك، دسم اللّحم والأكارع جمع الكراع، مستدقّ السّاق من البقر والغنم ـ وعلّق معه رأس ميّت فلم يزل على ذلك حتّى مات ودفن بـغُلّهِ وقُيوده[1].

وفيه أيضاً: في قصّة محمّد بن الحسن بن سهل الّذي أخذ من النـاس البيعة لطالبيّ، وطلب المعتضد منه دلالته عليه وآبائه، قال: لو شوَّيتني على النّار لم أقرّ، فاصنع ما أنت صانع! فقال له: لسنا نعذّبك بعد ذلك إلّا بما ذكرت ـ إلى أن قال في كيفيّة شوائه ـ والأشهر أنّه جُعِلَ بين رماح ثلاثة، وشدَّ أطرافها وكُتِّف، وجُعِلَ فوق النار من غير أن يماسّها، وهو في الحياة يدار عليها كما تُشوى الدّجاج إلى أن تفرقع جسمه، وأُخرج فصُلِبَ بين الجسرين[2].

«**ويقهر كبيرها صغيرها**» في الخبر: النّاس على ستّ طبقات: أسد، وذئب، وثعلب، وكلب، وخنزير، وشاة، فالأسد: ملوك الأرض يحبّ كلّ واحد أن يغلِب، والذّئب: التّجار يذمُّون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا، والثعلب: الذين لا يكون في قلوبهم ما يصِفُون بألسنتهم، والكلب: من يكرمه النّاس من شرّ لسانه، والخنزير: المخنّثون لا يُدعَوْن إلى فاحشةٍ إلّا أجابوا، والشّاة: المؤمنون تُجَزُّ شعورُهم وتؤكلُ لحومهم وتكسّر عظامهم، كيف تَصنعُ الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير[3].

«**نعمٌ معقّلةٌ**» في (الصحاح): النَّعم: واحد الأنعام، قال الفرّاء هو الذّكر لا يؤنّث، يقولون (هذا نَعَمٌ واردٌ) والأنعام، يذكّر ويؤنث[4]؛ قال تعالى في

---

(١) المصدر نفسه ٤: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه ٤: ١٤١.

(٣) الخصال للصدوق ٢: ١٦٥.

(٤) الصحاح (نعم).

موضع: ﴿ممّا في بطونه﴾[١] وفي آخر ﴿ممّا في بطونها﴾[٢].

قلت: ما نقله (الصحاح) عن الفرّاء ليس بصحيح، والصحيح ما نقله (المصباح) عن أبي عبيدة: النّعم: الجِمَال فقط، يذكّر ويؤنّث[٣] بشهادة كلامه عليه السلام «مُعَقَّلَةٌ»، كما انّ قول (الصحاح) واحد الأنعام ليس بصحيح، والصواب: ما في (المصباح) من كونه جمعاً لا واحد له[٤] أيضاً، لقوله عليه السلام : «مُعَقَّلَةٌ» وقالوا: (عَقَلْتُ البعيرُ) و (عَقَّلْتُ البعير) و (اعتقلته) كما في (القاموس)، وعقله أن يثني وظيفه، أي: مقدّم ساقه، مع ذراعيه فيشدّهما جميعاً بحبل، هو العِقَال، كما في (الصحاح)[٥].

«وأُخرى مهملة قد أضلّت عقولها» جمع العقال.

«وركبت مجهولها» من قولهم (ركِبَ رَأْسَهُ): مضى على وجهه بغير رويّة.

«سروح عاهةٍ» «سروح» جمع السّرح أي: السائمة؛ والعاهة: الآفة.

«بوادٍ وعثٍ» سهل تفيث فيه الإقدام.

«ليس لها راعٍ يُقيمها ولا مسيم يسيمها» من (أسمتُ الماشية) : أخرجتُها إلى الرّعي؛ قال تعالى: ﴿فيه تسيمون﴾[٦].

وللعطّار النيسابوري أبيات لطيفة في وصف أهل الدنيا بالفارسية وهي:

با خرد دوش در سخن بودم كشف شد بر دلم مثالى چند

---

(١) النحل: ١٦.

(٢) النحل: ٦٦.

(٣) المصباح للفيتوري: مادة (نعم).

(٤) القاموس المحيط (عقل).

(٥) الصحاح: (عقل).

(٦) النحل: ١٠.

گفتم ای مایهٔ همه دانش دارم الحق زتو سؤالی چند
چیست این زندگانی دنیا گفت خوابی است یا خیالی چند
گفتمش چیست مال وملک جهان گفت درد سر و وبالی چند
گفتم اهل زمانه در چه رهند گفت دربند جمع مالی چند
گفتم او را مثال دنیا چیست گفت زالی کشیده خالی چند
گفتمش چیست کد خدائی گفت هفته‌ای عیش وغُصّه سالی چند
گفتم این نَفْس رام کی گردد گفت چون یافت گوشمالی چند
گفتم اهل ستم چه طائفه‌اند گفت گرگ وسگ وشغالی چند
گفتم آری سزای ایشان چیست گفت در آخرت نکالی چند[1]

«سلكت بهم الدُّنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتّخذوها ربّاً» في (المروج): في دخول ابن الأشعث الكوفة لمّا خرج على الحجّاج: كتب الحجّاج إلى عبد الملك كتاباً يذكر فيه جيوش ابن الأشعث وكثرتها، ويستنجد عبد الملك، ويسأله الإمداد وكتب في كتابه : «واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله». فأمدّه بالجيوش وكتب إليه: «يا لبّيك، يا لبّيك، يا لبّيك»[2].

وفي الخبر: من أصغى إلى ناطقٍ فقد عَبَدَه، فان كان الناطقُ يقولُ عن الله فقد عبدَ الله، وإن كان يقول عن غيره، فقد عَبَدَ غير الله[3].

قال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدُّنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون* أولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار وحبط ما

---

(١) لا وجود له في ديوان العطار النيشابوري.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٣٢ .

(٣) القول للرسول ﷺ، عيون أخبار الرضا للصدوق: ١٦٨ .

صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾[١].

«رويداً» مفعول مطلق؛ كقوله تعالى: ﴿أمهلهم رويداً﴾[٢].

«يسفر الظلام» أي: يكشف؛ قال تعالى: ﴿لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[٣].

«كان قد وردت الأظعان» أي: الجمال عليها الهوادج؛ قال تعالى: ﴿كأنّهم يوم يَرَوْنها لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها﴾[٤]، ﴿كأنّهم يوم يَرَون ما يُوعدون لم يلبثوا إلّا ساعةً من نهار...﴾[٥]، ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلّا ساعةً من النهار يتعارفون بينهم...﴾[٦].

«يوشك من أسرع أن يلحق» ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى * وأنَّ سعيه سوف يُرى﴾[٧]، ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ * لسعيها راضيةٌ﴾[٨] الآيات. ﴿إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا﴾[٩].

قال ابن أبي الحديد: استقرأني أبو الفرج محمّد بن عباد وأنا يومئذ حَدَثٌ هذه الوصيّة فقرأتها عليه من حفظي فلمّا وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط، وكان جبّاراً قاسي القلب[١٠].

---

(١) هود: ١٥ ـ ١٦.

(٢) الطارق: ١٧.

(٣) ق: ٢٢.

(٤) النازعات: ٤٦.

(٥) الاحقاف: ٣٥.

(٦) يونس: ٤٥.

(٧) النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

(٨) الغاشية: ٨ ـ ٩.

(٩) الدهر: ٢٢.

(١٠) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩١.

«واعلم أنّ من كان مطيّته الليل والنهار فانّه يسار به وان كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً» من (ودع بالضمّ دعة) وهي الخفض والاستراحة ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضى أجلٌ مسمّىً ثمّ إليه مرجعكم ثمّ يُنبّئكم بما كنتم تعملون﴾[1]، وقال المتلمّس:

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمّما[2]

وفي (لطائف الثعالبي): قال لقمان: يابن آدم! اللّيل والنّهار يعملان فيك، فاعمل فيهما قال: يقال: ليس له ولا لغيره أبلغ وأوجز من قوله ذاك[3].

وفي قصّة يوذاسف وبلوهر المرويّة في (الإكمال في بابه ٥٤): قال بلوهر ليوذاسف: بلغنا أنّ رجلاً حَمَل عليه فيل مغتلم، فانطلق مولّياً هارباً، وأتبعه الفيل حتى غشيه، فاضطرّه إلى بئرٍ، فتدلّى فيها وتعلّق بغصنين نابتين على شفير البئر، ووقعت قدماه على رؤوس حيّات فلّما تبيّن له أنّه متعلّق بالغصنين، فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض، والآخر أسود، فلمّا نظر إلى تحت قدميه، فإذا رؤوس أربع أفاعي قد طلعن بوجوههنّ، فلمّا نظر إلى قعر البئر إذا بتنّين فاغرٍ فاه نحوه، يريد إلتقامه، فلما رفع رأسه إلى أعلى الغصنين إذا عليهما شيء من عسل النحل، فتطعم من ذلك العسل فألهاه ما طعم منه، وما نال من لذّة العسل وحلاوته عن التفكّر في أمر الأفاعي اللّواتي لا يدري متى يبادرنَّه وألهاه عن التنّين، الّذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته. أمّا البئر فالدنيا مملوّة آفات وبلايا وشروراً، وأمّا الغصنان فالعمر، وأمّا الجرذان فاللّيل والنهار يسرعان في الأجل، وامّا الأفاعي الأربعة

---

(١) الأنعام: ٦٠.

(٢) هو لحميد بن ثور حسب نهاية الأرب للنووي ٣: ٦٥.

(٣) لطائف المعارف للثعالبي: ٩.

التي هي السموم القاتلة من المُرَّة والبلغم والريح والدّم التي لا يدري صاحبها متى تهيج به، واما التنّين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الواصل الطّالب، امّا العسل الذي اغترَّ به المغرور فما ينال النّاس من لذّة الدُّنيا وشهواتها من المطعم والمشرب والملبس والمسكن[1].

٣
الحكمة (٣٩١)

وَقالَ عليه السلام:

اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ ٱللهُ عَوْرَاتِها، ولا تَغْفَلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْك.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد في الدُّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه وبَصَّره عيوب الدُّنيا داءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام[2].

وعنه عليه السلام: جُعل الخير كلّه في بيت وجعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا[3].

قال النبي صلى الله عليه وآله: لا يجد الرّجل حلاوة الإيمان حتّى لا يبالي من أكل الدّنيا، وحرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتّى تزهد في الدُّنيا.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: انّ صلاح أوّل هذه الأُمّة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشّحّ والأمل[4].

وعن السجّاد عليه السلام: إنّ الزّهد في آية من كتاب الله ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...﴾ [5].

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٥٩٣.

(٢) الكافي ١: ١٢٨ ح١.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٤ ح٢.

(٤) الكافي ٢: ١٢٨ ح١٢.

(٥) الكافي ٣: ١٩٤ ح٣. والآية ٢٣ من سورة الحديد.

وعن الصادق عليه السلام: ليس الزّهد في الدُّنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال بل ألّا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله[١].

وفي (الاكمال): في قصّة يوذاسف وبلوهر: كان ملك حسن الإنصاف وله وزير صالح له زَهادة، لقي أهل الدّين، وكان كلّ منهما لا يكتم الآخر شيئاً من أمره إلّا أنّ الوزير لم يكن يُطلع المَلِك على أمر الدّين وأسرار الحكمة، فاستشار أصحابه في ذلك فقالوا: إن رأيته موضعاً للكلام فكلّمه، إلى أن قال الملك للوزير بعدما هدأت العيون: هل لك أن نركب فنسير في المدينة فننظر في حال النّاس، فقال: نعم، فركبا يجولان في نواحيها فمرّا على مزبلة تشبه الجبل فنظر الملك إلى ضوء نار تبدو في ناحية المزبلة فقال للوزير: إنّ لهذه النّار لقُصّة فانزل بنا نمشي حتى ندنو منها فنعلم خبرها، ففعلا حتّى انتهيا إلى مخرج الضوء فوجدا ثقباً شبيهاً بالغار وفيه مسكين! فنظر إليه من حيث لا يراهما فإذا هو مشوّه الخَلْق عليه ثياب من خلقان المزبلة متّكِئ على متّكأ قد هيّأه من المزبل وبين يديه إبريق فخّار فيه شراب، وفي يده طنبور يضرب به، وامرأته في خَلْقه ولباسه قائمة بين يديه، تسقيه إذا استسقى وترقص له إذا ضرب، وتحيّيه بتحيّة الملوك، وهو يسمّيها سيّدة النساء، وملكة الآفاق، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والضحك والطرب ما لا يوصف، فقام الملك على رجليه والوزير، يتعجبان منهما ومن إعجابهما بما هما فيه، ثم انصرفا؛ فقال المَلِك للوزير: ما أعلم أنّي وإيّاك أصابنا الدّهر من اللّذة والسرور مثل ما رأينا عند هذين ، فاغتنم الوزير الفرصة وقال له: أخاف أيّها الملك ان تكون دنيانا هذه من الغرور، ويكون مُلكُك وما نحن فيه من البهجة والسرور، في أعين من يعرف ملكوت الدائم مثل هذه المزبلة، ومثل

---

(١) المصدر نفسه ٢: ٧٠ ح ٢.

هذين الشخصين الّذين رأيناهما وتكون مساكننا وما شيّدنا منهما عند من يرجو مساكن السّعادة وثواب الآخرة، مثل هذه الغار في أعيننا، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة الآخروية مثل جسد هذين المشوّهين خَلْقاً في أعيننا، ويكون تعجّبهم من اعجابنا بما نحن فيه كتعجّبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه، قال الملك: وهل تعرف لأهل هذه الصفة أهلاً ؟ قال: نعم، قال: من هم؟ قال: هم الّذين عرفوا ملك الآخرة الّذي لا خوف بعده، والحياة التي لا موت بعدها والمُلك الذي لا زوال بعده، وهي دار البقاء ودار الحَيَوان التي لا انقطاع لها رفع الله تعالى عن مساكنها السُّقم، والهَرَم، والشَّقاء، والمرض، والجوع، والظّمأ والموت، أيّها الملك! هذه صفة ملك الآخرة وخبرها، قال: هل إلى هذه الدار ودخولها سبيلاً؟ قال: نعم هي مهيّأة لمن طلبها من وجه مطلبها وقال: ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم؟ قال: الهيبة لسلطانك! قال: لئن كان ما وصفت يقيناً فلا ينبغي لنا تضييعه[1]...

«ولا تغفل فلست بمغفولٍ عنك» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعرٍ ولا وَبَرٍ إلّا ويتصفّحهم ملك الموت كلّ يوم خمس مرّات[2].

٤
الخطبة (٥١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَلاَ وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَآءِ سُكّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنهَا ما كانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاّ سَمَلَةٌ

(١) كمال الدين للصدوق: ٦٠٥.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٦ ح٢٢.

كَسَمَلَةِ ٱلْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ. فَأَزْمِعُوا عِبَادَ ٱللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هذِهِ ٱلدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلى أَهْلِهَا ٱلزَّوَالُ، وَلاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا ٱلْأَمَلُ، وَلاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ. فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلاَدِ، اِلْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ. وَاللهِ لَوِ ٱنْماثَتْ قُلُوبُكُمْ ٱنْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ ـ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ ـ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱالدُّنْيَا، مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، ما جَزَتْ أَعْمالُكُمْ ـ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ ـ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ، وَهُدَاهُ إِيّاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

أقول: رواه المفيد في (أماليه) في مجلسه العشرين مع اختلاف يسير مسنداً عن المرزباني، عن أحمد المكّي، عن أبي العيناء، عن محمّد بن الحكم، عن لوط بن يحيى، عن الحرث بن كعب، عن مجاهد هكذا، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ازهدوا في هذه الدُّنيا التي لم يتمتّع بها أحد كان قبلكم ولا تبقى لأحدكم بعدكم، سبيلكم فيها سبيل الماضين، قد تصرّمت وأذنت بانقضاء وتنكّر معروفها، فهي تحفز أهلها بالفناء وسكّانها بالموت، وقد أمرّ منها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً. فلم تبقَ منها إلّا سملةٌ كسملة الأداوة وجرعة الإناء لو تمزّزها العطشان لم ينفع بها، فازمعوا بالرّحيل من هذه الدّار المقدور على أهلها بالزّوال، الممنوع أهلها من الحياة المذلّلة فيها أنفسهم بالموت، فلا حيّ يطمع في البقاء، ولا نفس إلّا مذعنة بالمَنون، ولا يغلبنّكم الأمل، ولا يطول عليكم الأمد، ولا تغترّوا منها بالآمال، ولو حننتم حنين الولّه العجّال، ودعوتم مثل حنين الحمام وجأرتم جأر متبتّل الرّهبان، وخرجتم إلى

الله تعالى من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع الدرجة عنده، أو غفران سيّئة أحصتها كَتَبَتَهُ، وحفظتها ملائكته، لكان لكم قليلاً في ما أرجو لكم من ثوابه، واتخوّف عليكم من عقابه، جعلنا وإيّاكم من التائبين[١].

ورواه ابن بابويه في (فقيهه) في باب صلاة العيدين مرفوعاً مع زيادات فقال: وخطب عليه السلام في عيد الأضحى -إلى أن قال: - فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، زنة عرشه، ورضا نفسه، وعدد قطر سمائه وبحاره، له الأسماء الحسنى والحمد لله حتّى يرضى، وهو العزيز الغفور؛ الله أكبر كبيراً متكبّراً، وإلهاً متعزّزاً ورحيماً متحنّناً، يعفو بعد القدرة، ولا يقنط من رحمته إلّا الضّالّون -إلى أن قال: - أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وكثرة ذكر الموت، والزّهد في الدُّنيا التي لمَ يتمتّع بها من كان قبلكم ولن تبقى لأحدٍ بعدكم، وسبيلكم فيها سبيل الماضين، ألا ترون أنّها قد تصرّمت وآذنت بانقضاء وتنكّر معروفها وأدبرت حذّاء، فهي تخبر بالفناء ساكنها تحدّى بالموت، فقد أمرّ منها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً، فلم يبقَ منها إلّا سملةٌ كسملةِ الأداوة، وجرعة كجرعة الإناء لو يتمزّزها الصّديان لم تنفع غلّته، فازمعوا عباد الله، بالرحيل من هذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال، الممنوع أهلها من الحياة المذلّلة أنفسهم بالموت، فلا حيّ يطمع بالبقاء، ولا نَفْس إلّا مذعنةٌ بالمَنُون، فلا يغلبنّكم الأمل، ولايطل عليكم الأمد، ولا تغترّوا فيها بالآمال، وتعبّدوا الله أيّام الحياة فوالله لو حننتم حنين الوَالِه العجلان، ودعوتم بمثل دعاء الانام وجأرتم جؤار متبتّلي الرهبان، وخرجتم إلى الله عزّوجلّ من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيّئة أحصتها كتبته، وحفظتها رسله لكان قليلاً في ما أرجو لكم من ثوابه،

---

(١) الأمالي للمفيد: ١٥٩ ح ٢.

وأتخوّف عليكم من أليم عقابه، وبالله! لو انماثت قلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دماً، ثمّ عمّرتم في الدُّنيا ما كانت الدُّنيا باقية، ما جزت أعمالكم ـ ولو لم تبقوا شيئاً ـ لنعمه العظام عليكم، وهُداه إيّاكم على الإيمان، ما كنتم لتستحقّوا أبداً الدّهر ـ ما الدّهر قائم ـ بأعمالكم جنّة، ولا رحمة، ولكن برحمته تُرحمون وبِهُداه تهتدون، وبهما إلى جنّته تصيرون، جعلنا الله وإيّاكم برحمته من التائبين العابدين، وإنّ هذا يوم حرمته عظيمة[1]...

قول المصنّف: «ومن خطبةٍ له عليه السلام»: زاد ابن أبي الحديد: قد تقدّم مختارها برواية ونذكر ما نذكره هاهنا برواية أُخرى، لتعاير الروايتين[2]. لكن ليست الزّيادة في نسخة ابن ميثم[3] إلّا أنّ الظاهر سقوطها من النسخة لأنّها غير مصحّحة، فالزّيادة موجودة أيضاً في نسخة خطّية مصحّحة تأريخها (١٠٧٥) إلّا أنّ هذه الخطبة لم تتقدّم برواية أُخرى بتمامها وإنّما في الخطبة (٢٧) : «امّا بعد فانّ الدُّنيا قد ادبرت وآذنت بوداع» وفي الخطبة (٤١): «ألا وانّ الدُّنيا قد ولّت حذّاء فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء اصطبّها صابّها» وهذا المقدار من الاشتراك لا يصدّق كون الأصل في الخطبتين واحداً حتّى يقول: «تقدّم مختارها برواية أُخرى».

قوله عليه السلام: «ألا وإنّ الدُّنيا قد تصرّمت» أي: تقطّعت، قال ابن السّكيّت: يقال للذّئب والغراب: أصرمان لأنّهما انصرما من الناس أي: انقطعا[4].

وقال امرؤ القيس:

---

(١) الفقيه لابن بابويه ١: ٥١٨ ح١٤٨٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٣٧.

(٤) الصحاح: (صرم).

وان كنت قد ازمعت صرمي فأجملي[١]

«وآذنتك بوداعٍ» أي: أعلمتك؛ وأصله الإيصال إلى الأذن؛ ويترجم بالفارسيّة بقولهم: (گوشزد):

عمري لقد نصح الزّمان وانّه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق[٢]

«وتنكّر معروفها» أي: تغيّر.

«وأدبرت حذّاء» في (الصحاح): قال الفرّاء: يقال: رَحِمٌ جذاء وحذاء -بالجيم والحاء- ممدودان وذلك إذا توصل.

«فهي تحفز بالفناء سكّانها» الحفز: الدّفع من خلف؛ في الديوان[٣]:

هي الدُّنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي[٤]

«وتحدو بالموت جيرانها» الحدو: سوق الإبل، والغناء لها. وفي (الديوان) أيضاً:

قد رأيت القرون كيف تفانت ... درست ثمّ قيل كان وكانت

هي دنيا كحيّة تنفث السّمّ ... وان كانت المجسّة لانت[٥]

الموت لا والدا يبقي ولا ولداً ... هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا[٦]

«وقد أمرّ منها ما كان حُلواً» في الديوان:

دنيا -عدمتك- ما أمرّك ... للمكثرين وما أضرّك

---

(١) شطر من البيت أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل، وهو لأمرؤ القيس الديوان: ١١٣.

(٢) الكامل للمبرّد: ٣٥٩.

(٣) الصحاح: (جذذ).

(٤) لا وجود له في الديوان وقد ذكره ابن أبي الحديد في ٣: ٣٣٥ قائلاً: وقول بعضهم.

(٥) الديوان المنسوب: ١١٦.

(٦) الديوان المنسوب: ١٥٥.

مــاذاق خــيرك ذائـق إلّا صببت عليه شرّك[١]

«وكدر منها ما كان صفواً»:

أرى الدُّنيا ستؤذن بانطلاق مشمّرة على قدم وساق

فـلا الدُّنـيا بـباقية لحـيّ ولا حيّ على الدُّنـيا بـباق[٢]

«فلم يبق منها إلّا سملةٌ» في (الجمهرة): السَّمَلَة ـ أي: بالتحريك ـ الماء القليل في أسفل الحوض[٣]. قال صخر الغي:

ممغوثةٌ اعراضهم ممرطلة في كلّ ماءٍ آجن وسَمَلَة[٤]

«كسملة الإدواة» أي: المطهرة؛ وفي (الحلية) عن النبي صلى الله عليه وآله: ما الدّنيا في الآخرة إلّا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر بِمَ يرجع[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: مثل الدّنيا في الآخرة كمثل ثوب شُقَّ من أوّله إلى آخره فتعلّق بخيط منها، فما لبث ذلك الخيط أن ينقطع[٦].

«أو جرعةٌ» في (المصباح): الجرعة من الماء: كاللّقمة من الطعام، ما يجرع مرّة واحدة[٧].

«كجرعة المقلة» في (النهاية)، في حديث عليّ عليه السلام: لم يبقَ منها إلّا جرعة كجرعة المقلة، ـ بالفتح ـ: حصاة يقتسم بها الماء القليل في السّفر ليعرف قدر ما يُسقى كلّ واحد منهم.

«لو تمزّزها» تمصّص الماء قليلاً قليلاً.

---

(١) الديوان المنسوب: ٨٨.

(٢) الديوان المنسوب: ٢٩٤.

(٣) الجمهرة لابن دريد: ٨٥٩ (س ل م).

(٤ و ٥) أبو نعيم ٨: ١٣٨ رواه عن المستورد.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨: ١٣١ رواه عن أنس.

(٧) المصباح المنير للفيتوري: ٩٧.

«الصَّدْيانُ» أي: العطشان.

«لم تنقع» أي: لم تسكن العطش[1].

«فازمعوا» أي: صمّموا.

«عباد الله الرحيل عن هذه الدّار»:

طـلّقوا الدُّنـيا ثـلاثاً ... واطلبن زوجاً سواها

انّـها زوجـة سـوءٍ ... لا تـبالي مـن أتـاها

وإذا نـالت مـنها ... مـنه وَلَّـتْهُ قَـفَاها[2]

«المقدور» أي: المقدّر.

«على أهلها الزوال»:

تَحَرَّز من الدُّنيا فإنّ فناءها ... محلّ فناءٍ لا محلّ بقاء

فصفوتها ممزوجة بكدورة ... وراحتها مقرونة بعناء[3]

«ولا يغلبنّكم فيها الأمل» لأنّه ينسي الآخرة فيهلك.

«ولا يطولنّ عليكم الأمد» الأمد كالمَدَى: الغاية؛ قال تعالى: ﴿ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكر الله وما نَزَلَ من الحقّ ولا يكونوا كالّذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾[4].

«فوالله لو حننتم حنين الولّه العِجال» أي: الآبال التي فقدت ولدها فصارت والهة متحيّرة.

«ودعوتم بهديل الحمام» وهديله: صوته، وممّا اشتهر عند العرب: أنّ الهديل كان فرخاً على عهد نوح عليه السلام فصاده أحد جوارح الطيور فليس من

---

(١) ابن الأثير، النهاية ٤: ٣٤٨.

(٢) الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٣٨.

(٣) الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٨.

(٤) الحديد: ١٦.

حمامة إلّا وتبكي عليه في هديلها، قال شاعر:

وما من تـهتفين بـه لنـصر بأسرع جابةً لكِ من هديل[١]

«وجأرتم» في (الصحاح): الجؤار مثل الخوار؛ يقال: جأر الثور أي: صاح[٢].

«جؤار متبتّل الرّهبان» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (متبتّلي الرّهبان) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[٤]، أي: منقطعيهم من الدنيا إلى الله تعالى.

«وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه» في (الجمهرة): أصل اللّمس باليد لتعرف مسّ الشيء ثمّ كثر ذلك في كلامهم حتّى صار كل طالب ملتمساً[٥].

«في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيّئة أحصتها كتبه» ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً﴾[٦].

«وحفِظها رُسُلُهُ» ﴿وإنَّ عليكم لحافظين* كراماً كاتبين* يعلمون ما تفعلون﴾[٧].

«لكان لكم قليلاً فيما أرجو من ثوابه وأتخوّف عليكم من عقابه» عن طاووس

---

(١) لسان العرب ١٥: ٥٤ وهو لأبي ذؤيب الهذلي.

(٢) الصحاح: (جأر).

(٣) المصرية المصحّحة: ١٥٥ خ٥١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٣ وابن ميثم كالمصرية ٢: ١٣٧، والخطية: ٣٧.

(٥) الجمهرة: ٨٥٩ (س ل م).

(٦) الكهف: ٤٩.

(٧) الإنفطار: ١٠ ـ ١٢.

اليماني، قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «الهي وعزّتك وجلالك وعظمتك لو أنّي منذ بدعت فطرتي من أوّل الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيّتك بكلّ شعرة في كلّ طرفة عين سرمد الأمد، بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين، لكنت مقصّراً في بلوغ أداء شكر أخفى نعمة من نعمك عليّ، ولو أنّي كربت معادن حديد الدُّنيا بأنيابي، وحرثت أرضيها بأشفار عيني، وبكيت من خشيتك مثل بحور السماوات والأرض دماً وصديداً، لكان ذلك قليلاً في كثير ما يجب من حقّك عليّ، ولو أنّك إلهي عذّبتني بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين وعظّمت للنّار جسمي وخلقي، وملأت جهنّم وأطباقها منّي حتّى لا يكون في النّار معذّب غيري، ولا يكون لجهنّم حطب سواي، لكان ذلك بعدلك عليّ قليلاً في كثير ما استوجبته من عقوبتك»[1].

وفي دعاء الصحيفة في استقالته عليه السلام من الذّنوب: الهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عيني، وانتحبت حتّى ينقطع صوتي، وقمت لك حتّى تنتشّر قدماي، وركعت لك حتّى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تفقا حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري، وشربت ماء الرَّماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني، ثمّ لم أرفع طرفي إلى افاق السماء استحياءً منك، ما استوجبت بذلك محو سيّئةٍ واحدة من سيّئاتي وإن كنت تغفر لي ـ حين استوجب مغفرتك ـ وتعفو عني ـ حين استحقّ عفوك ـ فانّ ذلك غير واجب لي باستحقاق، ولا أنا أهلٌ له باستيجاب، إذ كان جزائي منك في أوّل ما عصيتك النّار فإن تعذّبني فأنت غير ظالم لي[2].

---

(١) الأمالي للصدوق: ١٨٠ ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٩٤: ٩٠.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاء ١٦: ٩٤ ـ ٩٥.

«والله»، هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (وتالله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٢].

«لو انماثت قلوبكم إنمياثاً» في (الصحاح): مِثْتُ الشيء في الماء، أموثه، إذا دُفته فانماث فيه هو انمياثاً[٣].

«وسالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة» هكذا في (المصرية)[٤]، والصّواب: (ورهبةٍ) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٥].

«منه دماً» أي: سالت عيونكم كسيلان الأنهار بالماء.

«ثم عمّرتم في الدُّنيا ما الدُّنيا باقيةٌ ما جزت أعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم» أي: طاقتكم، ويجوز فيه (الفتح والضّمّ).

«أنعمه عليكم العظام، وهداه إيّاكم إلى الإيمان» عن الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليهما السلام على عبد الملك، فاستعظم ما رأى من أثر السّجود بين عينيه، فقال له: يا أبا محمّد لقد تبيّنَ عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسوله، قريب النّسب، وكيد السّبب، وانّك لذو فضل على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدّين والورع ما لم يؤتَه أحد مثلك ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه فقال عليه السلام له: «كلّ ما وصفته وذكرته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟ كان الرسول صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تَرِمَ قدماه ويظمأ في الصّيام حتى يعصب فوه، فقيل له: ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك

---

(١) المصرية: ١٥٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٣، والخطية: ٣٧ كما ذُكر، اما شرح ابن ميثم بلفظ «والله» ٢: ١٣٨.

(٣) الصحاح: (موث) .

(٤) المصرية: ١٥٥ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد والخطية كما ذكر، أما ابن ميثم فقد وردت عبارته كعبارة الطبعة المصرية ٢: ١٣٨.

وما تأخّر؟ فيقول: (أفلا أكون عبداً شكوراً) الحمد لله على ما أبلى وأولى، وله الحمد في الآخرة والأُولى، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري، على أن أقوم لله تعالى، لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه، التي لا يحصيها العادّون ولا يبلغ حدّ نعمة منها جميع حمد الحامدين، لا والله! لا يراني الله يشغلني شيء من شكره وذكره، في ليل ولا نهار، ولا سرّ ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي عليّ حقّاً، ولسائر النّاس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً، لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوُسْع والطاقة، حتّى أؤدّيها اليهم لرميت بطرفي إلى السّماء وبقلبي إليه تعالى ثمّ لم أرددهما حتّى يقضي الله على نفسي، وهو خير الحاكمين وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك، وقال: شتّان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدُّنيا من أين جاءته ﴿وماله في الآخرة من خلاق﴾[1].

٥
الحكمة (٣٩٣)

وَقالَ عليه السلام:

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ؛ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

«**خذ من الدُّنيا ما أتاك وتولّ عمّا تولّى عنك**» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام: قال عيسى عليه السلام للحواريّين لا تأسوا على ما فاتكم من الدُّنيا كما لا يأسا أهل الدُّنيا على ما فاتهم من دينهم إذا اصابوا دنياهم[2].

«**فإن أنت لم تفعل فاجمل في الطلب**» في (الكافي) عنه عليه السلام: أما أنّ زهد

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٦: ٥٧.

(٢) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢٤.

الزّاهد في هذه الدُّنيا لا ينقصه مما قسم الله له فيها وإن زهد، وإنّ حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدُّنيا لا يزيده فيها وان حرص، فالمغبون من حُرِمَ حظّه من الآخرة[1].

وعن الباقر عليه السلام: أنزِلْ الدُّنيا كمنزلٍ نزلته ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، وإنّها عند أهل العلم كفيء الظّلال[2].

٦
الخطبة (٧٩)

وَقالَ عليه السلام فِي صِفَةِ الدُّنْيا:

ما أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ! وَآخِرُها فَنَاءٌ! فِي حَلاَلِها حِسَابٌ، وَفِي حَرامِها عِقَابٌ. مَنِ اسْتَغْنى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْها واتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

أقول: وإذا تأمّل المتأمّل في قوله عليه السلام: «من أبصر بها بصّرته» وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولا سيّما إذا قرن إليه قوله: «ومن أبصر إليها أعمته» فانّه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها، واضحاً، نيّراً، وعجيباً، باهراً».

أقول: رواه المبرد في (كامله) والمسعودي في (مروجه) وابن طلحة في (مطالب سؤوله) مع اختلاف قال الأول: قال رجل لعليّ عليه السلام ـ وهو في خطبته ـ صف لنا الدُّنيا، فقال عليه السلام: «ما أصف من دارٍ أوّلها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، في

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٠٠ ح١٦.

(٢) المصدر نفسه ٣: ١٩٥ ح٦.

حلالها حساب وفي حرامها عقابٌ، من صحّ فيها أمِنَ، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فُتِن، ومن افتقر فيها حزن»[١].

وقال الثاني: «دخل رجل على عليّ عليه السلام فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ضعيفاً، آكل رزقي وأنتظر أجلي» قال: وما تقول في الدُّنيا؟ قال: «وما أقول في دارٍ أوّلها غمٌّ، وآخرها موتٌ، من استغنى فيها فُتِن، ومن افتقر فيها حزن، حلالها حساب وحرامها عقاب» قال: فأيّ الخلق أنعم؟ قال: «أجسادٌ تحت التّراب قد أمنت العقاب، وهي منتظرةٌ الثواب»[٢].

وقال الثالث: قال عليّ عليه السلام يوماً ـ وأحدق الناس به ـ: أُحذّركم الدُّنيا فانّها منزل قلعةٍ وليست بدار نجعةٍ، هانت على ربِّها، فخلط خيرها بشرّها، وحلوها بمرّها، لم يُسِقْها لأوليائه ولم يضربها على أعدائه، وهي دار ممرٍّ لا دار مستقرٍّ، فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها، إن أعذوذب منها جانباً فحلالها، أمرّ منها جانبٌ فأوكى، أوّلها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، من استغنى فيها فُتِن، ومن افتقر فيها حزن، من سَاعَاها فاتته، ومن قعد عنها أتته ومن أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته، فالإنسان فيها غرض المنايا، مع كلّ جرعةٍ شَرَقٌ ومع كلّ أكْلةٍ غُصصٌ، لا تُنال منها نعمةٌ إلّا بفراق أُخرى[٣].

«**ما أصِفُ من دارٍ أوّلها عناءٌ**» أي: التعب؛ وأوّلها عناء حيث أنّ الإنسان لابدّ أن يكدّ ويجهد في أوّل عمره حتّى يؤمّن معاشه بمشقّات كثيرة.

«**وآخرها فناء**» حيث أنّه بعد تحصيل الأموال والعلائق يتركها ويرحل

---

(١) الكامل للمبرّد ١: ٨٩ طبع لبنان .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٢١ .

(٣) مطالب السؤول لابن طلحة: ٣٢.

إلى الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[1].

ونعم ما قيل بالفارسية:

اندک اندک خانمان آراستن پس بيكبار از سرش برخاستن[2]

ولكليم الكاشاني بالفارسية:

بدنا مى حيات دو روزى نبود بيش
آنهم كليم با تو بگويم چسان گذشت
يكروز صرف بستن دلشد باين وآن
روز ديگر بكندن دل زين وآن گذشت[3]

وفي (الطبري) عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إنّي جالس في تلك الليلة التي قتل ابي في صبيحتها وعمّتي زينب تمرّضني إذ اعتزل أبي أصحابه في خباءٍ له وعنده جون مولى أبي ذرّ وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول:

يا دهر افٍّ لك من خليل كم لك بالإشراق والأُصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدّهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل وكلّ حيٍّ سالك السّبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي، ولزمت السّكوت، فعلمت أنّ البلاء قد نزل؛ فامّا عمّتي فإنّها سمعت ما سمعتُ ـ وهي امرأة ـ وفي النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، وإنّها لحاسرة حتّى انتهت إليه فقالت: «واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة امّي، وعليّ أبي، وحسن أخي، يا خليفة

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) الكشكول للشيخ البهائي: ١٢٢. وذكر أنه لمولوي: ٤٥.

(٣) لا وجود لها في ديوان أبو طالب كليم الكاشاني.

الماضين! وثمال الباقين» فنظر إليها أبي عليه السلام فقال: يا أُخيّة! لا يُذهِبُ حلمك الشيطان، قالت: «بأبي أنت وأُمّي استقتلت، نفسي فداك» فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام. قالت: ياويلتا! أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، فلطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها! فقام إليها أبي فصبّ على وجهها الماء وقال لها: يا أُخيّة اتّقي الله وتَعَزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأنّ أهلَ السماء لا يبقون، وأنَّ كلّ شيء هالكٌ إلّا وجهُ الله، الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير مني، وأخي خيرٌ منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة حسنة[1].

«**في حلالها حسابٌ وفي حرامها عقاب**» عن جنادة بن أُميّة قال: دخلت على الحسن عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه ـ بين يديه طست يقذف عليه الدّم ويخرج كبده قطعة، قطعة، من السمّ الذي سقاه معاوية، فقلت: مالك لا تعالج نفسك، فقال: بماذا أُعالج الموت؟ قلت: انّا لله وإنّا إليه راجعون! ثمّ التفت إليّ فقال: والله لقد عهد الينا النبي صلى الله عليه وآله أنَّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، ما منّا إلّا مسمومٌ أو مقتولٌ، ثمّ رفع الطست وبكى، فقلت له: عظني يا ابن رسول الله! قال: نعم، استعدّ لقبرك، وحصّل زادك، قبل حلول أجلك، واعلم أنّك إنّما تطلب الدُّنيا، والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأتِك على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوّتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ الدُّنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي شبهاتها عتاب، فأنزل الدّنيا منك بمنزلة المِيتة خُذْ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٣١٨.

فأخذت كما أخذت من الميتة وإن كان العتاب فإنّ العتاب يسير، واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته[1].

«من استغنى فيها فتن» ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾[2]، ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين* فلمّا آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[3]، ﴿إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى﴾[4]، ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لَبَغَوْا في الأرض...﴾[5] ولبعضهم:

فمن يحمد الدُّنيا لحسن بلائها فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أقبلت كانت على المرء فتنة وان أدبرت كانت كثيراً همومها[6]

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء رجل درن الثّوب، فجلس إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله بجنب موسر كان جالساً، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أخِفْتَ أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فخِفْت أن يصيبَه من غناك شيء؟ قال: لا. قال فخفت أن توسّخَ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ماصنعت؟ فقال إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح، ويقبّحُ لي كلَّ حسنٍ؛ وقد جعلت له نصف مالي! فقال النبي صلى الله عليه وآله للمعسر أتقبل؟ قال: لا. فقال الرجل

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٤: ١٣٨.
(٢) الأنفال: ٢٨.
(٣) التوبة: ٧٥ ـ ٧٧.
(٤) العلق: ٦ ـ ٧.
(٥) الشورى: ٢٧.
(٦) ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٩.

له: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلَني ما دخَلَك)[١].

وعنه عليه السلام: ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً، ولا كافر إلّا غنيّاً حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا...﴾[٢] فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجةً وفي هؤلاء أموالاً وحاجةً[٣]. وعنه عليه السلام: لولا إلحاح المؤمن على الله في طلب الرزق، لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيق منها[٤].

«**ومن افتقر فيها حزن**» حتى قالوا: «الفقر الموت الأحمر»، «الفقر الموت الأكبر»[٥].

هذا، ونظير قوله عليه السلام في ذكر المفتونيّة والمحزونيّة: أنّ موسى بن عيسى العباسي كان أمير الكوفة فقال لأبي شيبة القاضي: مالك لا تأتيني؟ فقال: ان أتيتك فقرّبتني فتنتني، وإن باعدتني أحزنتني وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوه.

«**ومن ساعاها**» في (الصحاح): ساعاني فلان فسعيته: غلبته، وتقول: (زَنَى الرَّجُل وعَهَر) يكون بالحُرّة والأَمة، ويقال في الزِّنا بالأمة: (ساعاها) ولا تكون المساعاة إلّا في الإماء[٦].

«**فاتته**» في (الصحاح): تقول: (هو منّي فوت الرمح) أي: لا يبلغه[٧]؛

---

(١) الكافي ٣: ٣٦٢ ح ١١.

(٢) الممتحنة: ٥.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٣٦١ ح ١٠.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٣٦٠ ح ٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٧٣.

(٦) الصحاح: (سعا).

(٧) الصحاح: (فَوَتَ).

وشتم رجل آخر فقال: جعل الله رزقه فوتَ فمه) أي: حيث لا يراه ولا يصل إليه.

«ومن قعد عنها واتته» أي: وافقته وطاوعته؛ روى المفضّل عن الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: أوحى الله تعالى إلى الدُّنيا أن أتعبي من خدمك واخدمي من رفضك[1].

وفي (الحلية): قال حاتم الأصمّ: مثل الدُّنيا كمثل ظلّك، إن طلبته تباعد، وإن تركته تتابع[2].

هذا، ولم يذكر (الصحاح) و(القاموس) (وتى) وإنّما قال الأوّل في (أتى): آتيته على ذلك الأمر مواتاةً[3] إذا وافقته وطاوعته، والعامّة تقول: واتيته... وهو قلّة فهم منهما، فيشهد له كلامه عليه السلام.

وفي (الجمهرة): واتيته: وافقته[4]. وفي (مصباح الفيومي) ـ بعد ذكر «أتيته على الأمر» ـ: وافقته. وفي لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واواً فيقال: «واتيته على الأمر مواتاة» وهي مشهورة على ألسنة الناس[5].

«ومن أبصر بها بصّرته» الباء في «بها» للسّببيّة أي: من أبصر بسبب تغيّرات الدُّنيا واعتبر بعبرها بصّرته الدُّنيا وجعلته بصيراً.

«ومن أبصر إليها أعمته» أي: من كان نظره إليها فقط ولتحصيلها تجعله أعمى فلا يرى عيوبها ومهلكاتها؛ ﴿واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه

---

(١) الفقيه ٤: ٢٦٢.

(٢) الحلية لأبي نعيم ١٠: ٤٩.

(٣) الصحاح: (أتى).

(٤) الجمهرة ٢: ١٠٣٣ (ت و واي).

(٥) المصباح المنير للفيتوري: ٤ (أتى).

يلهث...﴾[١]، ﴿ولا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزقُ ربِّك خيرٌ وأبقى﴾[٢].

قول المصنّف: «وإذا تأمّل المتأمّل قوله عليه‌السلام من أبصر بها بصّرته وجد تحته من المعنى العجيب» لما عرفت من كون الباء فيه للسّببيّة.

«والغرض البعيد» أي: المقصود العالي، والأصل في الغرض: الهدف الّذي يرمى فيه.

«مالا تبلغ غايته» أي: نهايته.

«ولا يدرك غوره» أي: قعره.

«ولاسيما إذا قرن إليه قوله (ومن أبصر إليها أعمته)» فانّه يكون في معنى قوله تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها...﴾[٣]، ويكون في مفاد قولهم: انّ أولياء الله نظروا إلى باطن الدُّنيا فاستوحشوا منها فنجوا، وإنَّ أهل الدُّنيا نظروا إلى ظاهر الدُّنيا فأنِسُوا بها وهَلَكُوا».

«فإنّه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها، واضحاً نيّراً وعجيباً باهراً» فإنّ لكلّ حرف جرٍّ معنى؛ وفي (الأغاني): قال بشّار في حمّاد عجرد أبياتاً منها:

ادع غيري إلى عبادة الاثنين ... فانّي بواحدٍ مشغول

فأشاع حمّاد أبياته وجعل المصراع الأخير: «فانّي عن واحد مشغول» فمازالت الأبيات تدور في أيدي النّاس، حتّى انتهت إلى بشّار فاضطرب منها

---

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) الأنعام: ١٠٤.

وجزع، وقال: أشاع ابن الزّانية بدمي، والله ما قلت إلّا «فانّي بواحد مشغول» فغيّرها حتى شهر في الناس[١].

وفي (العيون): (ذكر أعرابيّ رجلاً، فقال: كان والله إذا نزلت به الحوائج قام إليها ثمّ قام بها ولم تقعد به علّات النفوس[٢].

وعن الأصمعي: قال أعرابيّ لرجل: ويحك! إنّ فلاناً وإن ضحك إليك فإنّه يضحك منك).

٧
الخطبة (٨٠)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ الَّذِي ضَرَبَ ٱلْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ ٱلْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ، وَٱلرِّفْدِ ٱلرَّوَافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْها. فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ، حَتّى إِذَا أَنِسَ نافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُها، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ ٱلْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ. قَائِدَةً لَهُ إلى ضَنْكِ ٱلْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذلِكَ ٱلْخَلَفُ بعَقَبِ السَّلَفِ، لاَ تُقْلِعُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱخْتِرَاماً، وَلاَ يَرْعَوِي ٱلْباقُونَ ٱجْتِرَاماً، يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إلى غايَةِ الْانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ ٱلْفَنَاءِ.

---

(١) الأغاني ١٤: ٣٢٥.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٣٥.

أقول: هو جزء من خطبة قال الرّضيّ فيها: (ومن خطبة له عليه السلام عجيبة) وروى (أمالي الشيخ) صدرها، وفي ذيلها: (أوصيكم بتقوى الله فانّ التقوى أفضل كنز، وأحرز حرز، وأعزّ عزّ، فيه نجاة كلّ هارب، ودرك كلّ طالب، وظفر كلّ غالب، وأحثّكم على طاعة الله فانّها كهف العابدين، وفوز الفائزين، وأمان المتّقين، واعلموا أيّها الناس! إنكم سيّارة قد حدى بكم حادي، وناداكم للموت منادي فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور، ألّا وإنّ الدُّنيا دار غرّارة خدّاعة تنكح في كلّ يوم بعلاً، وتقتل في كلّ ليلة أهلاً، وتفرّق في كلّ ساعة شملاً، فكم من منافس فيها وراكن إليها من الأُمم السالفة، وقد قذفتهم في الهاوية، ودمّرتهم تدميرا وتبّرتهم تتبيراً، وأصلتهم سعيراً، أين من جمع فأوعى، وشدّ فأوكى، ومنع فأكدى، بل أين من عسكر العساكر، ودسكر الدّساكر، وركب المنابر، أين من بنى الدّور وشرّف القصور وجمهر الألوف؟ قد تداولتهم أيّاماً وابتلعتهم أعواماً فصاروا أمواتاً، وفي القبور رفاتاً، قد يأسوا ممّا خلّفوا ووقفوا على ما أسلفوا ثمّ ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، وكأنّي بها وقد أشرفت بطلائعها، وعسكرت بفظائعها، فأصبح المرء بعد صحّته مريضاً، وبعد سلامته نقيضاً، يعالج كرباً، ويقاسي تعباً، في حشرجة السّياق، وتتابع الفراق، وتردّد الأُنين، والذّهول عن البنات والبنين، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل، وهول هائل، قد اعتقل منه اللّسان، وتردّد منه البيان، فأصاب مكروباً، وفارق الدُّنيا مسلوباً، لا يملكون له نفعاً، ولا لما حلّ به دفعاً؛ يقول عزّوجلّ في كتابه: ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين* ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[1] ثمّ من دون ذلك أهوال يوم القيامة، ويوم الحسرة والنّدامة، يوم تنصب الموازين، وتنشر

---

(١) الواقعة: ٨٦ ـ ٨٧.

الدواوين، بإحصاء كلّ صغيرة وإعلاء كلّ كبيرة؛ يقول تعالى في كتابه: ﴿ووجدوا ما عمِلوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً﴾[١]. أيّها النّاس! الآن! الآن! من قبل النّدم، ومن قبل أن تقول نفسٌ: ﴿يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين* أو تقول لو أنّ الله هداني لكنتُ من المتقين* أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّةً فأكون من المحسنين﴾[٢] فيردّ الجليل جلّ ثناؤه ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾[٣] فوالله لا يسأله الرّجوع إلّا ليعمل صالحاً[٤]...

«أُوصيكم عباد الله بتقوى الله» ﴿...واتّقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[٥].

«الذي ضرب الأمثال» هكذا في (المصرية)[٦]. ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي)[٧] «الذي ضرب لكم الأمثال» وهو الصحيح لنقص الكلام بدونه، ثمّ أمثاله التي ضربها للنّاس كثيرة، منها: ﴿مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٨]، ﴿يا أيّها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذُّباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[٩]، وفي سورة الزمر: ﴿ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كُلِّ مثلٍ لعلّهم يتذكرون* قرآناً عربيّاً

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢ و ٣) الزمر: ٥٦ ـ ٥٩.

(٤) الأمالي للصدوق ٢: ٢٩٧.

(٥) المجادلة: ٩.

(٦) المصرية: ١٨٦.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٣٣.

(٨) العنكبوت: ٤١.

(٩) الحج: ٧٣.

غير ذي عِوَجٍ لعلّهم يتّقون﴾[1]، ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سَلماً لرجلٍ هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾[2]، ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكرون﴾[3]، ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّةٍ أنبتت سبع سنابل في كُلّ سنبلةٍ مائة حبّةٍ والله يضاعف لمن يشاء...﴾[4].

«**ووقّت لكم الآجال**» في سورة الأعراف: ﴿ولكلِّ أُمّة أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾[5].

«**وألبسكم الرّياش**» في (الصحاح): الرّيش والرّياش: اللّباس الفاخر، ويقال: المال والخصب والمعاش[6].

قلت: الظاهر الثاني لقوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً...﴾[7]. وأمّا كلامه عليه السلام فأعمّ حيث يمكن أن يكون قوله: (وألبسكم) كناية كقوله تعالى﴿قد أنزلنا عليكم﴾.

«**وأرفغ لكم المعاش**» عيش رفيغ، أي: واسع طيّب، قال تعالى : ﴿ولقد مكّناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[8]، ﴿وجعلنا

---

(١) الزمر: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الزمر: ٢٩.

(٣) الحشر: ٢١.

(٤) البقرة: ٢٦١.

(٥) الأعراف: ٣٤.

(٦) الصحاح: (رَيَش).

(٧) الأعراف: ٢٦.

(٨) الأعراف: ١٠.

لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾[١].

«وأحاطكم بالاحصاء» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٣]: «وأحاط بكم الاحصاء» فهو الذي كان في النهج قطعاً ثم قال ابن أبي الحديد: يحتمل أن يكون (الاحصاء) مفعولاً مطلقاً من غير لفظ فعله أو مفعولاً له أو مفعولاً به[٤]، وقال ابن ميثم: يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً أو تميزاً[٥]، واستظهر الخوئي: كونه مفعولاً مطلقاً.

قلت: بل هو مفعول به معيّناً كالمعاش والجزاء في الفقرتين قبل وبعد، والتّميز إنّما يصحّ لو كان نكرة كقوله تعالىٰ: ﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾[٦].

«وأرصد لكم الجزاء» ﴿فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٧]، ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين﴾[٨].

«وآثركم بالنّعم السوابغ» أي: الكوامل؛ قال تعالىٰ: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً...﴾[٩].

«والرّفد الرّوافغ» أي: عطايا واسعة.

«وأنذركم بالحجج البوالغ» العقول والرّسل والفطرة التي فطرهم عليها؛

---

(١) الحجر: ٢٠.

(٢) المصرية: ١٨٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٤ والنسخة الخطية: ٥٠ كما ذكر شرح ابن ميثم كالمصرية انظر ٢: ٢٣٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٤.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ٢٣٣.

(٦) الكهف: ٩١.

(٧) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٨) الأنبياء: ٤٧.

(٩) لقمان: ٢٠.

قال تعالىٰ: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كُنّا عن هـذا غافلين* أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذُريّة من بعدهم أفتُهلكنا بما فعل المبطلون﴾[١].

«وأحصاكم» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (فأحصاكم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٣].

«عدداً» ﴿إن كلّ من في السماوات والأرض إلّا آتي الرّحمن عبداً* لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً﴾[٤].

«ووظّف لكم مدداً» قال هود عليه السلام لقومه عاد كما حكى تعالىٰ عنه: ﴿واتّقوا الذي أمدّكم بما تعلمون* أمدَّكم بانعامٍ وبنين* وجنّاتٍ وعيونٍ﴾[٥].

«في قرار خِبرةٍ» ـ بالكسر ـ تقول خبرته خُبراً ـ بالضمّ ـ وخبرة ـ بالكسر ـ إذ أبلوته واختبرته، والمراد دار الدُّنيا التي هي دار امتحان.

«ودار عبرةٍ» يعتبر الناس بحوادثها كما اعتبر الذين تمنّوا مكان قارون بما وقع له من الخسف به وبماله.

«أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها» قال ابن أبي الحديد: «الضمير في (فيها) يرجع إلى الدّار، وفي (عليها) إلى (النّعم) و (الرّفد) ويجوز أن يرجع إلى الدّار أيضاً على حذف المضاف أي: على سكناها»[٦].

---

(١) الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) المصرية: ١٨٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد والخطية: ٥٠ كما ذُكر، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٣٣ كالمصرية.

(٤) مريم: ٩٣ ـ ٩٤.

(٥) الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٤.

قلت: بل يرجع في (عليها) إلى الدّار معيّناً كما في (فيها) بدون حذف مضاف بل من قبيل ﴿واسأل القرية...﴾[1] والمراد فيه أهلها، وهنا أعمالها قال تعالىٰ: ﴿وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[2].

«فإنّ الدُّنيا رنقٌ مشربها» أي: كدر.

«ردغٌ مشرعها» الرَّدَغ ـ بالتحريك ـ: الوحل الشديد، والمشرع الشريعة أي: مورد الشاربة.

«يونق منظرها» أي: يعجب.

«ويوبق مخبرها» أي: يهلك؛ والمخبر خلاف المنظر.

«غرور حائلٌ» من (حال عن العهد): انقلب؛ قال تعالىٰ في فاطر ولقمان: ﴿إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرَّنّكم بالله الغرور﴾[3]، ﴿وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[4].

«وضوءٌ آفلٌ» أي: زائل.

«وظلٌّ زائلٌ» في الديوان:

ومن يذق الدُّنيا فانّي طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابُها

فلم أرَها إلّا غروراً وباطلاً كما لاح في أرض الفلاة سَرابُها[5]

«وسنادٌ مائلٌ» السناد: المعتمد.

«حتّىٰ إذا أنس نافرها واطمأنّ ناكرها قمصت بأرجلها» من (قمص الفرس): رمح ورمىٰ برجله شبّه عليه السلام الدُّنيا بدابّة قامصة.

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) لقمان: ٣٣.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

(٥) الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٨٦.

«وقنصت باحبلها» أي: صادت بحبالاتها، شبّه عليه السلام الدُّنيا بصائد نصب حبالته.

«وأقصدت بأسهمها» (قصد السّهم): أصاب فقتل مكانه؛ شبّه عليه السلام الدُّنيا برامٍ لا يخطي سهمه القاتل.

«وأعلقت المرء أوهاق المنيّة» في (الجمهرة): «الوهق: الحبل الذي يطرح في أعناق الدواب حتّى تؤخذ، والجمع أوهاق»[1]، و (أعلق الصائد): علق الصيد في حبالته.

«قائدةً» حال من ضمير الدُّنيا، والعامل (وَأَعْلَقَتْ).

«له إلى ضنك المضجع» أي: ضيقه.

«ووحشة المرجع» ﴿ثم إلى ربّكم مرجعكم فيُنبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[2].

«ومعاينة المحل» ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذاب وإمّا الساعة فسيعلمون من هو شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً﴾[3]، ﴿حتّى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقلّ عدداً﴾[4].

«وثواب العمل» الثّواب هنا مثله في قوله تعالىٰ: ﴿هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون﴾[5]، في كونه بمعناه الأصلي من مطلق الجزاء.

«وكذلك الخلف يعقب» هكذا في (المصرية)[6]، والصواب: (بعقب) كما في

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢: ٩٨٠ (ق و ه).

(٢) الأنعام: ١٦٤.

(٣) مريم: ٧٥.

(٤) الجن: ٢٤.

(٥) المطففين: ٣٦.

(٦) المصرية: ١٨٧.

(ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[١].

«السّلف» ﴿يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلّا كانوا به يستهزؤون﴾[٢]، ﴿لتركبنّ طبقاً عن طبقٍ﴾[٣].

«**لا تقلع المنيّة اختراماً**» أي: لا تكفّ عن اقتطاعهم واستيصالهم.

«**ولا يرعوني الباقون اجتراماً**» أي: لا يكفّون عن الذنب والجريمة.

«**يحتذون مثالاً**» أي: يقتدي الخلف بالسلف؛ قال تعالىٰ: ﴿تشابهت قلوبهم...﴾[٤].

«**ويمضون أرسالاً**» أي: متتابعة وقطيعاً قطيعاً.

«**إلى غاية الإنتهاء**» في الرجوع إليه تعالىٰ؛ ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾[٥].

«**وصيّور الفناء**» أي: ما يصير إليه ﴿كُلُّ من عليها فانٍ* ويبقىٰ وجه ربّك ذو الجلال والإكرام﴾[٦].

٨
الخطبة (٩٥)

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلىٰ مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلىٰ مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي ٱلأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلأَبْدَانِ. عِبَادَ ٱللهِ، أُوصِيكُمْ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤٦، والخطية: ٥٠ كما ذُكر، وشرح ابن ميثم كالمصرية ٢: ٢٣٥.

(٢) يس: ٣٠.

(٣) الإنشقاق: ١٩.

(٤) البقرة: ١١٨.

(٥) العنكبوت: ٥٧.

(٦) الرحمن: ٢٦.

بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَادِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ وَكَمْ عَسَىٰ ٱلْمُجْرِي إلى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتّىٰ يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَتّىٰ يُفَارِقَهَا، فَلاَ تَنَافَسُوا فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرّآئِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إلى ٱنْقِطَاعٍ، وإِنَّ وَزِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إلى زَوَالٍ، وَضَرّآءَهَا وَبُؤْسَهَا إلى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إلى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إلى فَنَاءٍ. أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وَفِي آبَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوَ لَمْ تَرَوْا إلى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وَإِلى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لاَ يَبْقَوْنَ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلىٰ أَحْوَالٍ شَتّىٰ: فَمَيْتٌ يُبْكىٰ، وَآخَرُ يُعَزّىٰ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلىٰ، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؛ وَعَلىٰ أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي! أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ؛ وَٱسْتَعِينُوا ٱللهَ عَلىٰ أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لاَ يُحْصىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

أقول: خطب عليه السلام بهذه الخطبة في الجمعة، قال الصدوق في فقيهه: خطب عليه السلام في الجمعة فقال: ـ الحمد لله الوليّ الحميد الحكيم المجيد، الفعّال لما يريد، علّام الغيوب، وخالق الخلق، ومنزل القطر، ومدبّر أمر الدُّنيا والآخرة، ووارث السماوات والأرض، الذي عظم شأنه فلا شيء مثله، تواضع كلّ شيء

لعظمته، وذلّ كلّ شيء لعزّته، واستسلم كلّ شيء لقدرته، وقرّ كلّ شيءٍ قراره لهيبته، وخضع كلّ شيء لملكه وربوبيّته، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وان تقوم السّاعة إلّا بأمره، وان يحدث في السماوات والأرض شيء إلّا بعلمه، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونستغفره ونستهديه، ذو الجلال والإكرام، ديّان يوم الدّين، ربّ آبائنا الأوّلين، ونشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ داعياً إلى الحقّ، وشاهداً على الخلق، فبلّغ رسالات ربّه كما أمره، لا متعدّياً ولا مقصّراً، وجاهد في الله أعداءه، لا وانياً ولا ناكلاً، ونصح له في عباده صابراً محتسباً، فقبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبّل سعيه، وغفر ذنبه، صلّى الله عليه وآله. أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله واغتنام ما استطعتم عملاً به من طاعته في هذه الأيام الخالية، وبالرّفض لهذه الدُّنيا التاركة لكم، وان لم تكونوا تحبّون تركها، والمبلية لكم وإن كنتم تحبّون تجديدها، فانّما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلاً، فكأن قد قطعوه وأفضوا إلى عَلَم فكأن قد تبعوه، وكم عسى المُجري إلى الغاية أن يجري إليها حتّى يبلغها وكم عسىٰ أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث في الدُّنيا يحدوه حتّى يفارقها، فلا تنافسوا في عزّ الدُّنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها، فإنّ عزّ الدُّنيا وفخرها إلى انقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى زوال، وإن ضرّها وبؤسها إلى نفاذ، وكلّ مدّة منها إلى منتهى، وكلّ حيّ منها إلى فناء وبلاء، أوليس لكم في آثار الأولين وفي آبائكم الماضين معتبر وتبصرة، ان كنتم تعقلون. ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين منكم لا يقفون، قال الله تعالىٰ وتقدّس: ﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أنّهم لا

يرجعون﴾ [١]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت وإنّما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾ [٢] أولستم ترون إلى أهل الدُّنيا وهم يصبحون ويمسون على أحوال شتّى فميّت يبكى، وآخر يعزّى، وصريع يتلوّى، وعائد ومعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب الدُّنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي يمضي الباقي [٣]....

«**نحمده على ما كان**» في الخبر أنّ النبيّ ﷺ كان إذا ورد شيء يوافقه قال الحمد لله على هذه النّعمة، وان كان شيء يخالفه، قال: الحمد لله على كلّ حال [٤].

«**ونستعينه من أمرنا على ما يكون**» لأنّه لا حول ولا قوّة إلّا به ولا يكون منّا شيءٌ إلّا بمعونة، فكما لا يجوز .العباد إلّا له، لا تجوز الاستعانة إلّا به ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ [٥].

«**ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان**» فعافية الأبدان راحة الأرواح في الدّنيا، وعافية الأديان لراحتها في الآخرة، وإذ كانت الدُّنيا موقّتة والآخرة دائمة فاذا وقع تعارض بينهما فليرجّح عافية الأديان، ففي الدُّعاء: «اللّهمّ لا تَجعل مصيبتنا في دينِنا» [٦]، وفي (ذيل الطبري): لمّا هاجر الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي انقطعت إصبعه فقال مخاطباً لها:

---

(١) الأنبياء: ٩٥.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الفقيه ١: ٤٢٧ ح١٢٦٣.

(٤) الكافي ٢: ٩٧ ح١٩.

(٥) فاتحة الكتاب: ٥.

(٦) بحار الأنوار للمجلسي ٩٨: ٤١٤.

هل أنت إلّا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[١]

«عباد الله» ليس هذه الكلمة في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٢] وانّما هي في (المصرية)[٣].

«أوصيكم بالرفض» أي: الترك.

«لهذه الدُنيا التاركة لكم وإن لم تحبّوا تركها» ﴿قل إنّ الموت الذي تفرون منه فإنّه ملاقيكم ثمّ تُردّون إلى عالم الغيب والشهادة فيُنبئكم بما كنتم تعلمون﴾[٤].

«والمبلية لأجسامكم» من بَلَى الثوب؛ قال العجاج:

والمرءُ يبليه بلاء السّربال كرّ الليالي واختلاف الأحوال[٥]

وفي ديوان الأعشىٰ:

بينما المرء كالرديني ذي الجبّة سوّاه مصلح التثقيف
أو إناء النضّار لاحمه القين وداري صدوعه بالكتيف
ردّه دهره المضلّل حتّى عاد من بعد مشيه للدليف[٦]

«وإن كنتم تحبّون تجديدها» في (أمالي القالي): دعا مالك بن أسل بن خارجة جارية له لتخضبه فقالت: كم أرقّع خَلِقك؟ فقال:

عيّرتني خلِقاً أبليت جدّته وهل رأيت جديداً لم يَعِدْ خَلِقا[٧]

---

(١) ذيل تاريخ الطبري ٨: ٢٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد والخطية كما ذُكر، لكن في ابن ميثم فالعبارة موجودة بخلاف ما ذُكر انظر ٣: ٢ ح٩٦.

(٣) الطبعة المصرية: ٢٤٢.

(٤) الجمعة: ٨.

(٥) لايوجد في ديوان العجاج.

(٦) ديوان الأعشى: ١١١ في مدح بني المنذر.

(٧) ذيل الأمالي للبكري: ١١١ دار الآفاق الجديد ـ لبنان.

وفي (الطبري): لمّا ثقل معاوية وحدّث الناس أنّه الموت قال لأهله: (احشوا عيني أُثمداً وأوسعوا رأسي دهناً) ففعلوا وبرّقوا وجهه بالدّهن، ثمّ مهّد له فجلس وقال: اسندوني، ثم قال: (ايذنوا للنّاس، فليسلّموا قياماً ولا يجلس أحداً) فجعل الرّجل يدخل فيسلّم قائماً فيراه مكتحلاً مدّهناً فيقول: «يقول النّاس هو لما به، وهو أصحّ النّاس» فلمّا خرجوا من عنده قال :

وتجلُّدي للشّامتين أريهم ... اني لريب الدّهر لا أتضعضعُ

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ... ألفيت كلّ تميمة لا تنفعُ

وكان به النّفاثات، فمات من يومه ذلك[1].

«وإنّما مثلكم ومثلها كسفرٍ سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه» (سَفْر) جمع سَافِر: الخارج إلى السّفر كصاحب وصَحْب.

«وأمُّوا عَلماً فكأنّهم قد بلغوه» قال ابن أبي الحديد: العَلَم: الجبل أو المنار في الطريق يُهتدى به[2].

قلت: يتعيّن هنا الثاني لعدم مناسبته للأوّل.

«وكم عسى المُجْرِي إلى الغاية أن يُجرِيَ إليها حتّى يبلغها» المجري ويجري من (أجريتُ الفرس). في (الطبري): كان عامل معاوية إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية نادى من له حاجة يكتب إليه فكتب زر بن حبيش ـ أو أيمن بن خريم ـ كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب :

إذا الرّجال ولّدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها

وجَعَلت أسقامها تعتادُها ... فهي زروع قد دنت حصادها

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٠.

فلمّا قرأ معاوية هذا الكتاب في الكتب قال: نعى إلى نفسي[1].

«**وما عسى أن يكون بقاء من له يومٌ لا يعدوه**» أي: يجاوزه و(ما عسىٰ) هنا و(كم عسىٰ) قبلُ، مثل (عسيتم) في قوله تعالىٰ: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض...﴾[2].

«**وطالبٌ حثيثٌ يحدوه في الدُّنيا حتىٰ يفارقها**» الحدو: سوق الإبل والغناء لها؛ هذا، وفي (ابن أبي الحديد): وطالب حثيث من الموت يحدوه، ومزعج في الدُّنيا عن الدُّنيا حتىٰ يفارقها رغماً[3].

«**فلا تنافسوا في عزّ الدُّنيا وفخرها**» التنافس: الرغبة.

«**ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها**» أي: لا يكن منكم عجب بهما من (أعجب فلان برأيه).

«**ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها**» يقال (يومُ بؤس) في قبال (يومُ نَعَم).

«**فإنّ عزَّها وفخرها إلى انقطاع**» علّة لقوله: «فلا تنافسوا في عزّ الدُّنيا وفخرها»، في (الطبري): لمّا كان المأمون بدمشق، ركب يريد جبل الثّلج فمرّ ببركة عظيمة من بُرك بني أُميّة وعلى جوانبها أربع سروات، وكان الماء يدخلها سيحاً ويخرج منها، فاستحسن المأمون الموضع فدعا ببزماورد ورطل وذكر بني أُميّة وتنقّصهم فأقبل العلويّة على العود واندفع يغنّي:

أولئك قومي بعد عزٍّ وثروة تفانوا فان لا أذرف العين أكمدا

فقال له المأمون: يا ابن الفاعلة! لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلّا في هذا الوقت؟ فقال: مولاكم زرياب عند موإلى كان يركب في مائة غلام، وأنا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٨.

(٢) محمد: ٢٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٠.

عندكم أموت من الجوع[١].

«وإنّ زينتها» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (وزينتها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٣].

«ونعيمها إلى زوالٍ» علّة لقوله «ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها»، في (تاريخ بغداد): لمّا غضب الرشيد على البرامكة أُصيب في خزانة جعفر بن يحيى في جرّة ألف دينار، في كلّ دينار مائة دينار، على أحد جانبي كلّ دينار.

واصفر من ضرب دار الملوك ... يلوح على وجهه جعفرُ
يزيد على مائة واحداً ... متى تعطه معسراً يوسرُ[٤]

«وضرائها وبؤسها إلى نفاد» أي: فناء وآخر، علّة لقوله: «وتجزعوا من ضرّائها وبؤسها».

«وكلّ مدّةٍ فيها إلى انتهاء وكلّ حيٍّ فيها إلى فناء» قال لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ... وكلّ نعيم لا محالة زائلُ[٥]

وفي حديث الباقر عليه السلام مع جابر (فانزل الدُّنيا كمنزل نزلت فيه، ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء وانّها عند أهل اللبّ كفيء الظّلال»[٦]. ومن كلام أبي ذر: (يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك فأنت يوم تفارقهم كضيف بِتَّ فيهم ثمّ غدوت عنهم إلى غيرهم، والدُّنيا والآخرة كمنزل تحوّلت عنه إلى غيره وما بين

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢١٦.

(٢) المصرية: ٢٤٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٠ والخطية ٧٩ كما ذكر وشرح ابن ميثم ٣: ٢.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ١٥٦.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٥: ٢٧٣ (أصدق بيت قالته العرب).

(٦) الكافي ٣: ٢٠٠ ح١٦.

الموت والبعث إلّا كنومة نمتها ثمّ استيقظت عنها)[١].

«أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر» هكذا في (المصرية)[٢] وليس في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) كلمة[٣]: «مزدجر».

«وفي آبائكم الأوّلين تبصرةٌ ومعتبرٌ» هكذا في (المصرية)[٤] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٥]: «الماضين» بدل «الأوّلين».

«إن كنتم تعقلون» ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾[٦].

«أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين» هكذا في (المصرية)[٧]، ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٨]: «الباقي».

«لا يبقون» قد عرفت انّ الفقيه رواه «لا يقفون» وهو أحسن.

«أولستم ترون أهل الدُّنيا يصبحون ويمسون على أحوالٍ شتّىٰ» هكذا في (المصرية) بتقديم «يصبحون» على «يمسون»[٩]، وفي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[١٠] بالعكس.

«فميّتٌ يبكى وآخر يعزّى» أي: يسلّى.

«وصريعٌ مبتلىً» الصريع: يقال للقتيل، والمريض الشديد، والمراد هنا الثاني؛ والأصل فيه غصن تهدّل وسقط إلى الأرض.

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٠١ ح١٨.

(٢) المصرية: ٢٤٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٠، شرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٢.

(٤) المصرية بلفظ «الماضين»: ٢٤٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٠، وشرح ابن ميثم ٣: ٢، والخطية: ٧٩.

(٦) القمر: ٤.

(٧) المصرية: ٢٤٣.

(٨ و ٩) شرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٢.

(١٠) المصرية: ٢٤٣، وشرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٣.

«**وعائدٌ يعود وآخر بنفسه يجود**» روى (العيون) عن يحيى بن محمّد بن جعفر قال مرض أبي مرضاً شديداً فاتاه الرضا عليه السلام يعوده، وعمّي إسحاق جالس يبكي قد جزع عليه جزعاً شديداً، فالتفت الرضا عليه السلام إليَّ وقال: ممّا يبكي عمُّك؟ قلت: يخاف عليه ما ترى، فقال: لا تغتمّنّ فإنّ إسحاق سيموت قبله، فبرئ أبي محمّد، ومات عمّي إسحاق[1].

«**وطالب الدُّنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفولٍ عنه**» في (الكافي) عن جابر: سألت الباقر عليه السلام عن لحظة ملك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة لا يتكلّم أحد منهم، تلك لحظة يلحَظُهم ملك الموت[2].

«**وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي**» قال ابن أبي الحديد: ما زائدة أو مصدرية وقد أخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد حين مات عمّه مسلمة، واجتمع بنو اُميّة في جنازته فوقف على هشام، وقال: انّ عقبي من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصّيد لمن رمىٰ، واختلّ الثغر فوهى، وارتجّ الطود فهوى، وعلى أثر من سلف ما يمضي من خلف.

قلت: بل مصدريّة معيّناً أي: على أثر الماضي مضى الباقي ومثله كلام الوليد[3].

«**ألا فاذكروا هادم اللّذّات ومنغّص الشّهوات**» أي: مكدّرها؛ قال الشاعر:

لا أرى الموت يشبه الموت شيء   نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا[4]

«**وقاطع الأُمنيات**» كلّها أوصاف الموت، فهو هادم ومنغّص وقاطع.

«**عند المساورة**» أي: مواثبة النفس.

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق: ٢٠٦ ح٧.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٩ ح٢١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨١.

(٤) لسان العرب ١٤: ٢١٩ لعدي بن زيد.

«للأعمال القبيحة» لكون ذكره مانعاً عن المساورة.

«واستعينوا الله على أداء واجب حقّه» في الخبر: حقّ الله الأكبر عليك، أن تعبده بإخلاص، فيكفيك أمر دنياك وآخرتك[١].

«وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه» في (المناقب): قرأ أُبيّ عند النبي صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة...﴾[٢] فقال صلى الله عليه وآله لقوم عنده وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وعبد الرحمن: قولوا الآن: ما أوّل نعمة خصّكم الله بها وأبلاكم بها، فخاضوا في المعاش، والرّياش، والذريّة، والأزواج، فلمّا أمسكوا، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: قل يا أبا الحسن: فقال: إنّ الله خلقني ولم أكُ شيئاً مذكوراً، وأن أحسن بي فجعلني حيّاً لا مواتاً، وأن أنشأني في أحسن صورة وأعدل تركيب، وأن جعلني متفكّراً واعياً لا أبله ساهياً، وأن جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت وجعل فيّ سراجاً منيراً، وأن هداني لدينه ولم يضلّني عن سبيله، وأن جعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلني مالكاً لا مملوكاً، وأن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذُكراناً قوّاماً على حلائلنا لا أُناثاً؛ ويقول النبي صلى الله عليه وآله في كلّ كلمة: (صدقت) ثم قال له: فما بعد هذا؟ فقال علي عليه السلام: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها...﴾[٣] فتبسّم وقال: (ليهنك الحكمة، ليهنك العلم، يا أبا الحسن! أنت وارث علمي والمبيّن لأُمّتي ما اختلفت فيه بعدي)[٤].

---

(١) وسائل الشيعة للعاملي ١١: ١٣٢ ح٣.

(٢) لقمان: ٢٠.

(٣) إبراهيم: ٣٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ١٧٧.

٩
الخطبة (٩٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

ٱنظُرُوا إلى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا ٱلصَّادِفِينَ عَنْهَا فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِي ٱلسَّاكِنَ ـ وَتُفَجِّعُ ٱلْمُتْرَفَ ٱلآمِنَ لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّىٰ مِنْهَا فَأَدْبَرَ وَلاَ يُدْرىٰ مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ وَجَلَدُ ٱلرِّجَالِ فِيهَا إلى ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهْنِ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا ـ.

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَٱعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَكُلُّ قَرِيبٌ دَانٍ.

«**انظروا إلى الدُّنيا نظر الزاهدين فيها**» ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...﴾[١].

«**الصادفين عنها**» أي: المعرضين عنها؛ وفي (غاية السّؤول): رأىٰ أمير المؤمنين عليه السلام جابر الأنصاري وقد تنفّس الصعداء فقال عليه السلام له: علامَ تنفّسك، أعلَى الدُّنيا؟ فقال: نعم، فقال له: ياجابر! ملاذّ الدُّنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والمشموم، والمسموع، فألذّ المأكولات العسل وهو بصق من ذبابة، وأعلىٰ المشروبات الماء وكفىٰ بإباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلىٰ الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلىٰ المنكوحات النساء وهو مبال في مبال ومثال لمثال، وإنّما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها، وأعلىٰ المركوبات الخيل وهي قواتل، وأجلّ

---

(١) الحديد: ٢٣.

المشمومات المسك وهو دم من سرّة دابّة، وأجلّ المسموعات الغناء والترنّم وهو إثم، فما هذه صفته لا ينفّس عليه عاقل! قال جابر: فوالله! ما خطرت الدنيا علىٰ قلبي[١]. وفي (الكافي) عن النبي ﷺ مرَّ بِجَدِي اسكّ ـ أي: مقطوع الأُذنين ـ ملقى على مزبلة ميتاً فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّاً لم يساوِ درهماً، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده! إنّ الدُّنيا أهون علىٰ الله تعالىٰ من هذا الجَدِي علىٰ أهله[٢].

«فانّها والله عمّا قليل تزيل الثّاوي السّاكن» أي: المقيم المطمئن.

«وتفجع المترف الآمن» أي: توجّع المتعوّد باللذائذ والمشتهيات. وفي (وزراء الجهشياري) عن مسرور خادم الرّشيد دخلت على جعفر البرمكيّ في الليلة التي قتله فيها، وبين يديه أبو زكار الأعمىٰ المغنّي وهو يغنّي:

عداني أن أزورك غير بغضٍ مقامك بين مصفحةٍ شداد

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يُغادي

فقلت له: الّذي جئت له والله من ذاك، قد والله طرقك، فأجب الخليفة قال: فدعني حتّى أوصي، فتركته حتّى أوصىٰ بما أراد وأتتني رسل الرشيد تستحثّني لحمله، إلى أن قال: فأخذ رأسه في بريكة قبائه وألقاه بين يدي الرشيد وحملت جثّته والقيد في رجليه. قال سلام الأبرش: فدخلت على أبيه في ذاك الوقت، وقد هتكت السّتور، وجمعت المتاع فقال لي: هكذا تقوم الساعة[٣]! وحبس الفضل ومحمّد وموسىٰ بنو يحيى، ووكّل سلام الأبرش بباب يحيى، وقطّعت جثّة جعفر بنصفين، صلباً على الجسرين، ونصب رأسه.

---

(١) لم نعثر على كتاب بهذا العنوان لعلّه المقصود هو مطالب السؤول لأبي طلحة الشافعي حيث ورد ما ذكره العلّامة التستري رحمه الله: ٥٦ عن مطالب السؤول.

(٢) الكافي ٣: ١٩٦ ح ٩.

(٣) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٢٥٣.

«لا يرجع منها ما تولّى وأدبر» كما لا يرجع أمس.

«ولا يدري ما هو آتٍ فينتظر» فلعلّ الأجل لم يمهله ولعلّ الفرصة لم تساعده.

«سرورها مشوبٌ بالحزن» فلم يرَ فيها سرور لم يحصل فيه أسباب حزن.

«وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن» الجَلَد: إظهار الصلابة والقوّة.

«فلا تغرنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها» فمن ألبستها الكفن ومن أملاكها اللّحْد.

«رَحِمَ الله امرأً تفكّر فاعتبر» في (الكافي) عنه عليه السلام: نبّه بالتفكّر قلبك، وجافِ عن الليل جنبك واتّقِ الله ربّك؛ وعنه عليه السلام: التفكّر يدعو إلى البرّ[1].

«واعتبر فابصر في (الكافي): سُئِل الصادق عليه السلام عمّا يروى أنّ (تفكّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة) كيف يتفكّر؟ قال يمرّ بالخربة أو الدّار فيقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالكِ لا تتكلّمين؟[2]

«وكأنّ ما هو كائنٌ من الدُّنيا عن قليل لم يكن، وكأنّ ما هو كائنٌ من الآخرة عمّا قليل لم يزد» هو نظير قوله الآخر: «وكأنّ الدُّنيا لم تكن لهم داراً وكأنّ الآخرة لم تزل لهم قراراً».

«وكلُّ معدودٍ منقضٍ» بالكسر من الانقضاء.

«وكلّ متوقّعٍ آتٍ وكلُّ آتٍ قريبٌ دانٍ» من الدّنوّ قال ابن أبي الحديد: هذا مثل قول قسّ بن ساعدة: مالي أرى النّاس يذهبون ثمّ لا يرجعون أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ أقسم قسّ قسماً أنّ في السماء لخبراً، وأنّ في الأرض لعِبَراً، سقفٌ مرفوع، ومهادٌ موضوع، ونجومٌ تمور، وبحارٌ لا تغور؛ اسمعوا أيّها

---

(١) الكافي ٣: ٩١ ح ١.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٩١ ح ٢.

النّاس وعوا: من عاش مات ومن مات فات وكلّ ماهو آتٍ آت»[1].

١٠
الخطبة (١٠٧)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لاَ تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[2]. لَمْ يَكُنِ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلاَّ أَعْقَبَتْهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ وَٱحْلَوْلىٰ، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبىٰ! لاَ يَنَالُ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً! وَلاَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلاَّ أَصْبَحَ عَلىٰ قَوَادِمِ خَوْفٍ! غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلاَّ ٱلتَّقْوىٰ. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ! وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٧.

(٢) الكهف: ٤٥.

رَدَّتْهُ ذَلِيلاً! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَىٰ آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ. أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا. وَاٰثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ ٱلْأَبَدِ. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلّا ٱلسَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلّا ٱلضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلّا ٱلظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلّا ٱلنَّدَامَةَ! فَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَىٰ وَجَلٍ مِنْهَا! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَٱتَّعِظُوا بِالَّذِينَ قَالُوا: ﴿...مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾[1] حُمِلُوا إلى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعُونَ ضِيْفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْنَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً. إنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ

---

(١) فصّلت: ١٥.

أَحْقَادُهُمْ. لاَ يُخْشىٰ فَجْعُهُمْ، وَلاَ يُرْجىٰ دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً. وَبِالسَّعَةِ ضِيْقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاؤُهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إلى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١].

أقول : قال ابن أبي الحديد: رواها الجاحظ في (بيانه)[٢] لقَطَرِي بن الفجاءة والنّاس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام وقد رأيتها في كتاب الموفق لأبي عبدالله المرزباني لأمير المؤمنين عليه السلام وهي بكلامه عليه السلام أشبه، وليس يبعد عندي أن يكون قَطَرِيّ قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحابه عليه السلام ، فانّ الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره عليه السلام وقد لقي قَطَرِيّ أكثرهم»[٣].

قلت: ونسبها ابن عبد ربه في (عقده) في عنوان خطب الخوارج إلى قَطَرِيّ[٤] تبعاً للجاحظ وليس نسبتهما خطبة له عليه السلام إلى غيره منحصرة بهذه الخطبة بل نسباً كثيراً من خطبه عليه السلام إلى غيره وقد قلنا في موضع آخر انّهما نسبا خطبة له عليه السلام إلى المأمون، فلو كانا لم يفعلا ذلك عناداً رأيا أنّهم خطبوا بخطبه عليه السلام فتوهّموا أنّها من إنشاءاتهم ، كما أنّه لم ينحصر روايتها له عليه السلام بكتاب مونق المرزباني الذي قال: فرواه عنه من الخاصّة ابن أبي شعبة الحلبي في (تحف عقوله) في عنوان ومن كلامه عليه السلام في الزّهد وذمّ الدّنيا[٥]

---

(١) الأنبياء: ١٠٤ .

(٢) البيان والتبيان ٢: ١٢٦ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٣٦ .

(٤) ابن عبد ربّه، العقد الفريد ٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

(٥) تحف العقول لابن شعبة الحراني : ١٨ .

ومن العامّة ابن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السّؤول) في عنوان النوع الثاني من كلامه عليه السلام المنثور[١] مع اختلاف يسير، وروي مقداراً منها الكليني في (روضته)[٢] وأبو هلال العسكري في (صناعتيه)[٣] وابن الأثير في (نهايته)[٤] وله عليه السلام خطبة أُخرىٰ شبيهة بهذه الخطبة رواها الشيخ في (أماليه)، فروى مسنداً عن شريح القاضي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً لأصحابه ـ وهو يعظهم ـ: «ترصّدوا مواعيد الآجال وباشروها بمحاسن الأعمال، ولا تركنوا إلى ذخائر الأموال، فتخلبكم خدائع الآمال، إنّ الدُّنيا خدّاعة، صرّاعة، مكّارة، غرّارة، سحّارة، ظاهرها سرور، وباطنها غرور، تأكلكم بأضراس المنايا، وتبيركم باتلاف الرّزايا،...»[٥].

«أما بعد فإنّي أُحذّركم الدُّنيا» كما تحذّرون ممّن يقتلكم كأعدائكم، وممّا يهلككم كالسّباع والسموم.

«فانّها حلوةٌ خضرةٌ» في ظاهرها، ومرّة سوداء.

«باطنها حفّت بالشّهوات» أي: أُحيطت بها.

«وتحبّبت بالعاجلة» ﴿كلّا بل تُحبّون العاجِلةَ * وتذرون الآخرة﴾[٦] إلّا أنّ العقلاء يذرون عاجلهم برجاء آجل أكثر منه ولو بجزء، فكيف بعاجلٍ هو لا شيء وآجل هو كلّ شيء.

«وراقت بالقليل» أي: أعجبت به ﴿نُمتّعهم قليلاً ثمّ نضطرّهم إلى عذابٍ

(١) مطالب السؤول لابن طلحة: ٥٦.

(٢) الكافي ٨: ٢٥٦ ح٣٦٨.

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٣٠٦.

(٤) النهاية لابن الأثير ٢: ٤١ اكتفىٰ (ان الدّنيا خلوة خضرة).

(٥) الأمالي للصدوق ٢: ٢٦٦.

(٦) القيامة: ٢٠ ـ ٢١.

غليظ﴾[١] ﴿أرضيتم بالحياة الدُّنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدُّنيا في الآخرة إلّا قليل﴾[٢].

«وتحلّت بالآمال» أي: تزيّنت بها ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾[٣].

«وتزيّنت بالغرور» ﴿إعلموا أنّما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حُطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدُّنيا إلّا متاعُ الغرور﴾[٤].

وقال ابن سكرة في هجو امرأة:

فقلت للزّوج لا يغررك حمرتها ... فانّها القفل موضوع على خربة

«لا تدوم حبرتها» أي: سرورها؛ ﴿متاعٌ قليلٌ ولهم عذابٌ أليم﴾[٥].

وفي (الطبري): لمّا قتل عبد الملك مصعباً، ودخل الكوفة، أمر بطعامٍ كثيرٍ فصنع وأمر به إلى الخورنق وأذن إذناً عامّاً فدخل النّاس، فأخذوا مجالسهم ثمّ جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك: ما ألذّ عيشنا لو أنّ شيئاً يدوم ولكنّا كما قال الأوّل:

وكلّ جديد يا أميم إلى بلىٰ ... وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كان

فلما فرغ من الطعام طاف في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بنىٰ هذا البيت، وعمر يخبره، فقال عبد الملك:

---

(١) لقمان: ٢٤.

(٢) التوبة: ٣٨.

(٣) الحجر: ٣.

(٤) الحديد: ٢٠.

(٥) النحل: ١١٧.

وكـلّ جـديد يـا أمـيم إلى بـلى وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كان

ثمّ أتى مجلسه فاستلقى وقال:

إعــمل عـلى مـهل فـانّك مـيّت واكـدح لـنفسك أيـُّها الإنسـان

فكأنّ ما قد كان لم يك إذ مضىٰ وكأنّ ما هـو كـائن قـد كـان[1]

«**ولا تؤمن فجيعتها**» أي: رزّيتها.

«**غرّارةٌ ضرّارةٌ**» ﴿وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[2]، ﴿الّذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدُّنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا...﴾[3].

«**حائلةٌ زائلةٌ**» حائلة من (حالت القوس): انقلبت عن حالها، وحصل فيها اعوجاج.

«**نافذةٌ**» من (نفد الشيء): فنىٰ.

«**بائدة**» من (باد الشيء يبيد ويبود): هلك.

«**أكّالةٌ غوّالةٌ**» من (غاله الشيء) إذا أخذه من حيث لم يدرِ.

«**لاتعدو**» أي: لا تجاوز.

«**إذا تناهت إلى اُمنيّة أهل الرّغبة فيها والرّضاء بها**» وأمنيتهم، تمنيّاتهم كما في البرامكة، فتناهت الدُّنيا بهم إلى أن كانوا يزوّجون بنات هارون بمن يعلمون بدون مراجعته أوّلاً.

«**أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالىٰ**» هكذا في (المصرية)[4] ولم تكن كلمة «سبحانه» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وكلمة «تعالىٰ» في

---

(١) تاريخ الاُمم للطبري ٥: ١٥ وقد مر في صفحة ١٩٨.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٥١.

(٤) الطبعة المصرية المصحّحة: ٩٣ بلفظ «تعالى سبحانه».

(الخطية)[1] والظاهر كون النّسخ مختلفة فيهما فجمعت (المصرية)[2] بينهما.

«﴿كماءٍ أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً﴾» أي: يابساً متكسّراً.

«تذروه الرّياح» من (ذرت الريح التّراب).

«وكان الله على كلّ شيء مقتدراً» والآية التي ذكرها عليه السلام (٤٥) من (الكهف) وأوّلها ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا...﴾، وقريب منها قوله تعالىٰ أيضاً في (يونس): ﴿إنّما مثل الحياة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعام حتّى إذا أخذت الأرض زُخرفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يتفكّرون﴾[3].

وبدّلت (روضة الكافي) تلك بهذه فروت خطبة عنه عليه السلام في الجمعة ـ إلى أن قال ـ لن تعدو الدُّنيا إذا تناهت إليها أُمنيّة أهل الرّغبة فيها المحبّين لها، المطمئنين إليها، المفتونين بها، ان يكون كما قال الله عزّوجلّ ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعام...﴾[4].

«لم يكن امرؤٌ منها في حبرةٍ إلّا أعقبتها» هكذا في (المصرية)[5]، والصّواب: «من سّراءها» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[6].

«عَبْرةً» فتبدّل ضَحِكه بالبكاء؛ قال البحتري:

---

(١) شرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٨٣، وشرح ابن أبي الحديد٧: ٢٢٦، أما في النسخة الخطية: ٩٣ ف«سبحانه وتعالىٰ».

(٢) الطبعة المصرية: ٢٦٧.

(٣) يونس: ٢٤.

(٤) الكافي ٨: ١٧٤ ح١٩٤، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٥) الطبعة المصرية المصححة بلفظ (أعقبته): ٢٦٧.

(٦) ابن ميثم كالمصرية ٣: ٨٣، أما الخطية: ٩٣ فبلفظ «أعقبتها».

إذا عـاجل الدّنـيا ألمّ بـمفرح فمن خلفه فجعٌ سيتلوه آجـل[١]

«ولم يلق في سرائها بطناً» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: «من سّراءها» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية).

«إلّا ممتحنهُ» أي: أعطته.

«من ضرّائها ظهراً» خصّ عليه السلام البطن بالسّراء، والظّهر بالضّراء، لأنّ سراءها في إقبالها، ومن أقبل عليك يريك بطنه، والضّراء في إدبارها ومن أدبر عنك يريك ظهره. وقال ابن ميثم: يحتمل أن يريد بطن المجن وظهره، لأنّ العادة في الحرب أن يلقى الإنسان ظهر المجن وفي السّلم بطنه. وما ذكره في غاية السقوط فأين قولهم (قلّبت لفلان ظهر المجنّ)[٣] من هذا الكلام.

«ولم تطلّه فيها» من (طلّت الأرض): أمطر عليها مطر ضعيف.

«ديمة رخاءٍ» في (الصحاح) عن أبي زيد: الدّيمة: مطر ليس فيه رعد وبرق، وأقلّه ثلث النّهار أو الليل[٤].

«إلّا هتنت عليه مزنة بلاءٍ» في (القاموس): (هتنت السّماء): إنصبّت أو هو فوق الهطل، والضعيف الدائم، أو مطر ساعة ثمّ يفتر ثم يعود[٥].

قلت: الأصحّ الأول كما يقتضيه كلامه عليه السلام كما أنّ ما فيه «المُزن (بالضّمّ): السّحاب أو أبيضه أو ذو الماء؛ القطعة: مُزنة» الأصحّ الأخير لما قلنا، بل كانّ المُزن سحاب ذو بَرَدٍ؛ فقالوا: البَرَد: حَبُّ المُزن.

هذا، وفي (صناعتي أبي هلال العسكري): «قال علي عليه السلام في بعض

---

(١) ديوان البحتري ٢: ٥٨ يرثي أبا سعيد.

(٢) المصرية: ٢٦٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٨٤.

(٤) الصحاح: (دوم).

(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ١٥٩٩ (هتنت).

خطبه: إنّ امرأً لم يكن منها في فرحة إلّا أعقبته بعدها ترحة، ولم يلقَ من سرّائها بطناً الّا منحته من ضرّائها ظهراً، ولم تظلّه فيها غبابة رخاء إلّا هبّت عليه مُزنة بلاء...»[1]، ولا يبعد أن يكون (هبّت) فيه مصحّف «هتنت» كما لا يخفى.

«وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرةً أن تُمسي له متنكّرة» قال الرضي رحمه الله في قصيدته التي يصف فيها القبض على الطائع العبّاسي:

من بعدما كان ربّ الملك مبتسماً إلى أُدنيه في النّجوى ويُدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العزّ والهون
ومنظرٌ كان بالسّرّاء يُضحكني يا قرب ما عاد بالضّرّاء يُبكيني[2]

و (حَري) في كلامه عليه السلام ـ بالفتح ـ ففي (الصّحاح): «هو حَري أن يفعل» ـ بالفتح ـ أي: خليق وجدير لا يثنّى ولا يجمع؛ أنشد الكسائي:

وهُنّ حَري ان لا يُثبنك نَقرةً[3]

فقول ابن أبي الحديد: «لم يقل عليه السلام حرية مع أنّه يخبر عن الدُّنيا لأنّه أراد الشّأن» في غير محلّه، ولعلّه جعله على فَعِيل أو فعل (بالكسر)[4].

«وإن جانبٌ منها إعذوذب واحلولى» في (النهاية) (وفي كلام علي عليه السلام اعذوذب جانب منها واحلولى» هما (افعوعل) من العذوبة والحلاوة، وهو من أبنية المبالغة).

ومن الغريب خلوّ باقي كتب اللّغة من (اعذوذب) كخلوّ كثير منها

---

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٣٠٦.

(٢) ديوان الرضي ٢: ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٣) الصحاح: (حرا).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٢٧.

من (هتن) المتقدّم[١].

«أمرّ» من المرارة.

«منها جانب فأوبى» من الوباء؛ قال البحتري:

اعن واجب الّا يسامح جانب   من العيش الّا جانب يتمنّع[٢]

«ولا ينال امرؤٌ من غضارتها» أي: طيب عيشها.

«رغباً إلّا أرهقته» أي: أعسرته.

«من نوائبها تعباً» قال الشاعر:

ألا إنّما الدُّنيا غضارةُ أيكةٍ   إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانبُ[٣]

«ولا يمسي منها في جناح اَمنٍ إلّا أصبح على قوادم خوفٍ» وما على قوادم الطائر -وهي عشر ريشات في مقاديم كلّ جناح- لابدّ أن يسقط والمراد بكونه في جناح الأمن، كالفرخ الذي تحت جناح اُمّه، ورواه أبو هلال[٤] وكذا (الروضة)[٥].

«غرّارة غرورٌ ما فيها»:

يا عاشق الدُّنيا لغيرك وجهها   ولتندمنّ إذا أرتك قفاها[٦]

«فانيةٌ فانٍ من عليها»:

تحرّز من الدُّنيا فإنّ فناءها   محلّ فناءٍ لا محلّ بقاء

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ١٩٥.

(٢) ديوان البحتري ١: ١٩٧ يمدح أبا عيسى بن صاعة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٢٨.

(٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٣٠٦.

(٥) الكافي ٨: ١٧٤ ح ١٩٤.

(٦) منسوب لأمير المؤمنين: ٣٩.

فصفوتها ممزوجة بكدورة وراحتها مقرونة بعناء[١]

«لا خير في شيء من أزوادها إلّا التقوىٰ» ﴿وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوىٰ واتّقونِ يا أُولي الألباب﴾[٢].

«مَنْ أقلّ منها» أي: من الدُّنيا.

«إستكثر ممّا يؤمِنهُ»:

بيت وثوب وقوت يوم يكفي لمن في غد يموت
وربّما مات نصف يوم والنّصف من قوته يفوت[٣]
بيت يواري الفتى وثوب ليستر من عورة وقوت
هذا بلاغ لمن يحيى وذا كثير لمن يموت[٤]

«ومن استكثر منها استكثر ممّا يوبقه» لأنّه كماء البحر من استكثر منه ازداده عطشاً حتّى يهلكه. وفي (تحف العقول)[٥] و(غاية السؤول)[٦]: «ومن استكثر منها لم يدمْ له».

«وزال عمّا قليل عنه» ﴿إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٧].

«كم واثقٍ بها فجعته» هكذا في (المصرية)[٨]، والصواب: «قد فجعته» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية[٩]).

---

(١) منسوب لأمير المؤمنين: ٨.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣ و ٤) منسوب لأمير المؤمنين: ٦٥.

(٥) تحف العقول: ١٨١.

(٦) مطالب السؤول: ٥٠.

(٧) غافر: ٣٩.

(٨) المصرية: ٢٦٧.

(٩) الخطية: ٩٤ كما ذُكر، شرح ابن ميثم ٣: ٨٤ كالمصرية.

في (الطبري): لبس سليمان بن عبد الملك يوم جمعة ثياباً خضراء من خزّ ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشابّ فخرج إلى الصلاة فلم يرجع حتّى وعك فلمّا ثقل عهد...[١].

«وذي طمأنينةٍ» زاد (ابن ميثم والخطية)[٢] «إليها».

«قد صرعته» في (الطبري): كانت خلافة المعتصم ثماني سنين وثمانية أشهر ولمّا احتضر جعل يقول: إنّي أخذت من بين هذا الخلق، لو علمت أنّ عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت[٣].

«وذي أُبّهةٍ قد جعلته حقيراً وذي نخوةٍ قد ردّتهُ ذليلاً» زاد (التحف)[٤] و(الغاية)[٥]: «وكم ذي تاج قد أكبّته لليدين والفم».

في (الطبري): استوزر الواثق محمد بن عبد الملك الزّيّات، وفوّض إليه الأُمور ثم غضب عليه المتوكّل، فقبض ما في منزله من متاع ودواب وجوارٍ وغلمان، ووجّه راشد المولى إلى بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدمه، وأمر بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت! وحُبِس وكان أوّلاً في حبسه مطلقاً ثمّ قيّد فامتنع من الطعام، وكان شديد الجَزَع في حبسه، كثير البكاء، قليل الكلام، فمكث أيّاماً ثمّ سوهر ومنع من النوم، يساهر وينخس بمسلة، ثمّ ترك يوماً وليلة، فنام وانتبه فاشتهى فاكهة وعنباً، فأُتي به فأكل ثمّ أعيد إلى المساهرة ثم بتنّور من خشبٍ فيه مسامير من حديد، وكان هو أوّل من أمر بعمل ذلك، فعذّب به ابن أسباط المصري حتّى استخرج منه جميع ما

---

(١) تاريخ الأُمم للطبري ٥: ٣٠٥.

(٢) شرح ابن ميثم كالمصرية، اما الخطية: ٩٤ فقد ورد فيها «وذي طمأنينة إليها وقد صرعه».

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣١٤.

(٤) تحف العقول: ١٨١.

(٥) مطالب السؤول: ٥٠.

عنده، ثم ابتلي به فعذّب به أيّاماً؛ قال المتوكّل به: كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمدّ يديه إلى السماء جميعاً، حتّى يدقّ موضع كتفيه ثمّ يدخل التنّور، فيجلس والتنّور فيه مسامير من حديد وفي وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعذّب إذا أراد أن يستريح فيجلس على الخشبة ساعة ثم يجيء الموكّل به، فاذا هو سمع صوت الباب يُفتح، قام قائماً كما كان، ثمّ شَدّدوا عليه قال المعذّب له: خاتلته يوماً وأريته أنّي أقفلت، ولم أقفله إنّما أغلقته ثمّ مكثت قليلاً ثم دفعت الباب غفلة، فاذا هو قاعد في التنّور على الخشبة فقلت: أراك تعمل هذا العمل، فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خناقه فكان لا يقدر على القعود! واستللت الخشبة حتّى كادت تكون بين رجليه، فما مكث بعد ذلك إلّا أيّاماً حتّى مات، وقيل في قتله: إنّه بُطِحَ فضُرِبَ على بطنه خمسين مقرعة، ثمّ قُلِبَ فضُرِب على استه مثلها، فمات وهو يُضْرَب وهم لا يعلمون فأصبح ميتاً، قد التوت عنقه ونتفت لحيته؛ وعن مبارك العرفي: ما أظنّه أكل في طول حبسه إلّا رغيفاً واحداً وكان يأكل العنبة والعنبتين، وكنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه: يا محمّد بن عبد الملك لم يقنعك النّعمة والدّواب الفره والدّار النظيفة والكِسوة الفاخرة وأنت في عافية حتّى طلبت الوزارة، ذُقْ ما عملت بنفسك؛ فكان يكرّر ذلك على نفسه، فلمّا مات أحضر ابناه ـ وكانا محبوسين ـ وقد طُرِحَ على باب من خشب في قميصه الّذي حُبِسَ فيه وقد اتّسخ، فغسلاه على الباب ودفناه وحفرا له فلم يعمّقا، فذُكِرَ أنّ الكلاب نبشته وأكلت لحمه[1].

«سلطانها دولٌ» ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس...﴾[2]، ﴿قل اللّهمّ مالك

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٤٢.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

المُلك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير﴾[1].

وفي (الطبري): هتف بالمنصور هاتف من قصره بالمدينة، فسمعه يقول:

أما وربّ السّكون والحرك … انّ المنايا كثيرة الشّرك
عليك يا نفس ان اسأت وان … أحسنت بالقصد كلّ ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا … دارت نجوم السماء في الفلك
إلّا لنقل السلطان عن ملك … إذا انقضى ملكه إلى ملك
حتّى يصيرا به إلى ملك … ما عزّ سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والأرض و … المرسي الجبال المسخّر الفلك

فقال هذا والله أوان أجلي![2]

وفيه: وجد المعتصم في علّته التي توفّي فيها افاقةً فقال: هيّئوا لي الزلّال لأركب غداً فركب، وركب معه زنام الزّامر، فمرّ في دجلة بأزاء منزله، فقال يا زنّام أزمر لي:

يا منزلاً لم تبل اطلاله … حاشى لاطلالك أن تبلى
لم أبكِ أطلالك لكنّني … بكيت عيشي فيك إذ ولّى
والعيش أولى ما بكاه الفتى … لابدّ للمخزون أن يسلى

قال زنّام: فما زلت أزمر هذا الصوت، حتّى دعا برطليّة فشرب منها قدحاً وجعلت أزمره، واكرّره، وقد تناول منديلاً بين يديه فمازال يبكي

(١) آل عمران: ٢٦.
(٢) تاريخ الطبري٦: ٣٤٦.

ويمسح دموعه فيه وينتحب حتّى رجع إلى منزله ولم يستتمّ شرب الرّطليّة![1]

«وعيشها رنقٌ» أي: كدر.

«وعذبها أُجاجٌ» أي: ماؤها الطيّب ملح مرّ.

«وحلوها صَبِرٌ» بكسر الباء: دواء مرّ.

«وغذاؤها سمامٌ» جمع سمّ.

«وأسبابها رِمامٌ» أي: حبالها حبال بالية.

«حيُّها بعرض موتٍ» عنه عليه السلام: لكلّ ذي رمق قوت، ولكلّ حبّة آكل، وأنت قوت الموت[2].

«وصحيحها بعرض سقمٍ» وزاد (التّحف)[3] و(الغاية)[4]: «ومنيعها بعرض اهتضام».

في (الطبري): قال سعيد العلّاف: دخلت على المأمون لمّا كان ببلاد الرّوم، فوجدته جالساً على شاطئ البدندون، والمعتصم جالس عن يمينه وهما مدليان أرجلهما في الماء، وقال: أدلِ رجليك في هذا الماء وذُقْه، فهل رأيت قطّ أشدّ برداً وأعذب وأصفى منه، ففعلت، وقلت: ما رأيت مثله قطّ فقال: أيّ شيء يطيب أن يؤكل ثمّ يشرب هذا الماء عليه؟ فقلت: أنت أعلم، فقال: رطب الآزاد، فبينا هو يقول إذ سمع وقع لجم البريد، فالتفت فإذا بغال من بغال البريد على اعجازها حقاب فيها الألطاف، فقال لخادم له: اذهب فانظر هل في هذه الألطاف رطب فانظر فان كان آزاد فأتِ به؟ فجاء يسعى بسلّتين فيهما رطب آزاد كأنّما جُني من النخل في تلك الساعة! فكثر تعجّبنا منه، فقال: الآن فَكُلْ،

---

(١) المصدر نفسه ٧: ٣١٤.

(٢) الكافي ٨: ٢٣ ح ٤.

(٣) تحف العقول: ١٨١.

(٤) مطالب السؤول: ٥٠.

فأكل هو والمعتصم وأكلتُ، وشربنا جميعاً من ذلك الماء فما قام منّا أحد إلّا وهو محموم فكانت ميتة المأمون من تلك العلّة، ولم يزل المعتصم عليلاً حتى دخل العراق ولم أزَلْ عليلاً حتىٰ كان قريباً[1].

«وملكها مسلوبٌ وعزيزها مغلوبٌ» في (تاريخ بغداد): لما احتضر الواثق، جعل يردّد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك ... لا سوقة بينهم يبقىٰ ولا ملك

ما ضرّ أهل قليل في تنافرهم ... وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا[2]

ثمّ أمر بالبُسُط فطويت، وألصق خدّه بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول مُلكه، إرحم من قد زال مُلْكُه.

«وموفورها منكوبٌ» في (الصحاح): النكبة: واحد من نكبات الدهر[3].

«وجارها محروبٌ» زاد (التحف): «ومن وراء ذلك سكرات الموت، وزفراته، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الحاكم العدل»[4]؛ ﴿ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنىٰ﴾[5]، والمحروب من سُلِبَ ماله؛ وقال تعالىٰ: ﴿مثل الذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لَبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[6].

«ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً» في (غيبة الشيخ): روىٰ من ذكر أخبار العرب: أنّ لقمان بن عاد كان أطول الناس عمراً عاش ثلاثة آلاف

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٠٧.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ١٩.

(٣) الصحاح: (نكب).

(٤) تحف العقول: ١٨١.

(٥) النجم: ٣١.

(٦) العنكبوت: ٤١.

وخمسمائة سنة ويقال عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النّسر الذّكر، فيجعله في الجبل، فيعيش النّسر ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه حتّى كان آخرها (لبد) وكان أطولها عمراً فقيل: «طالَ العمرُ عَلَى لبد» وفيه يقول الأعشى:

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلدت إلى نسر
فعمّر حتّى خال انّ نسوره خلود وهل تبقى النّفوس على الدّهر
وقال لأدناهنّ إذ حلّ ريشه هلكت وأهلكت ابن عادٍ وما تدري[1]

ومن المعمّرين ربيع بن ضبيع الفزاري عاش ثلاثمائة وأربعين سنة[2]، ومنهم المستوغر عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة[3]، وعاش أكثم بن صيفي الأسدي ثلاثمائة وثلاثين سنة أدرك النبيّ ﷺ وآمن به ومات قبل أن يلقاه[4]، وله أخبار كثيرة، وحِكَم وأمثال، وعاش أبوه مائتين وسبعين سنة لا يُنْكَرُ من عقله شيء، وهو المعروف بذي الحِلْم الذي قال فيه المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا وما علّم الإنسان إلّا ليعلما

وعاش ضبيرة بن سعيد مائتين وعشرين سنة ولم يشِبْ، أدرك الإسلام ولم يسلم[5]. وعاش دريد بن الصمّة مائتي سنة أدرك الإسلام ولم يسلم، كان أحد قوّاد المشركين يوم حنين فقتل يومئذٍ[6]، وعاش محصن بن

---

(١) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٤ ـ ٥.
(٢) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٨ ـ ٩.
(٣) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ١٤.
(٤) ذكر في [المعمرون والوصايا]: ١٤ ـ ١٥.
(٥) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٢٥.
(٦) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٢٧.

عتبان الزبيدي (٢٥٦) سنة[١]، وعاش عمرو بن حممة الدّوسي أربعمائة سنة[٢]، وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتّى كأنني سليم افاعٍ ليلة غير مودع

فما الموت أفناني ولكن تتابعت عليّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مائة قد مررن كواملاً وها أنا هذا أرتجي منه أربع

وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

بلىٰ نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر[٣]

وعاش عبد المسيح الغسّاني (٣٥٠) سنة كان نصرانياً أدرك الإسلام ولم يسلم[٤]، وخبره مع خالد بن الوليد لمّا نزل الحيرة معروف، قال له خالد: ما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ترقا إلينا في هذا الجرف، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تضع مَكْتلَها على رأسِها لا تزوَّد إلّا رغيفاً واحداً حتّى تأتي الشام وقد أصبحت خَراباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد، ومن قوله:

النّاس أبناء علّات لمن علموا ان قد أقلّ فمجفوّ ومحقور

وهم بنون لامّ ان رأو نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومحصور

وعاش ذو الأصبع العدواني (٣٠٠) سنة وهو أحد حكّام العرب في الجاهلية[٥]، وأخباره وأشعاره وحِكَمَه معروفة، وعاش زهير بن الحباب

(١) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٢٦.

(٢) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٥٨.

(٣) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٨.

(٤) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ٤٧.

(٥) ذكر في (المعمّرون والوصايا): ١١٣.

الحميري (٤٢٠) سنة[١] وواقع مائتي وقعة، وكان سيّداً مطاعاً عاش شريفاً في قومه ويقال كان فيه عشرُ خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه، كان سيّد قومه، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم، وفارسهم، وله البيت فيهم، والعدد منهم، وأوصى إلى بنيه فقال: إنّي كَبُرتْ سِنّي وبلغت خرساً من دهري، فاحكمتني التجارب، فاحفظوا عنّي ما أقول، إيّاكم والخَوَر عند المصائب والتواكل عند النوائب! فانّ ذلك داعية الغمّ، وشماتة العدوّ، وسوء الظنّ بالرّبّ، وإيّاكم أن تكونوا بالأحداث مغترّين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فانّه ما سخر قوم قط إلّا ابتلوا، ولكن توقّعوها فإنّ الإنسان غرض تعاوره الرّماة، فمقصّر دونه، ومجاوز موضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثمّ لابدّ أن يصيبه[٢]؛ وعاش رويد بن زيد القضاعي (٤٥٦) سنة ومن قوله:

ألقى عليَّ الدهر رجلاً ويدا والدّهر ما أصلح يوماً أفسدا

يُفسد ما أصلحه اليوم غدا

ومن المعمّرين: يعرب بن قحطان أبو اليمن كلّها، وأوّل من تكلّم بالعربيّة على ما ذكره أبو الحسن النسّابة الأصفهاني في كتابه الفرع والشجر[٣]. ومن المعمّرين: عمرو بن عامر مزيقيا روي عن شرقي بن قطامي أنّه عاش (٨٠٠) سنة (٤٠٠) سنة سوقة و(٤٠٠) سنة مَلِكاً، وكان في سِنِيّ مُلْكِهِ يلبس في كلّ يوم حُلّتين، فإذا كان بالعَشِيّ مزّقت الحلّتان عنه لئلا يلبسهما غيره، فسمّي مزيقيا وقيل: إنّما سمّي بذلك لأنّ على عهده تمزّقت الأزد، فصاروا إلى أقطار الأرض وكان ملك سبأ، فحدّثته الكهّان بأنّ الله

---

(١) ذكر في (المعمّرون والوصايا) بعنوان زهير بن الجناب: ٣١.

(٢) المعمّرون والوصايا: ٣١.

(٣) ذكره المجلسي في البحار ٥١: ٢٩٠.

يُهلكها بالسيّل العَرِم، فاحتال حتّى باع ضياعه وخرج في من أطاعه من أولاده وأهله قبل سيل العرم ومنه انتشرت الأزد كلّها والأنصار كلّها من ولده.

ومن المعمّرين: جلهمة بن أدد، وإليه ينسب طيّ كلّها، وكان له ابن أخ يقال له يحابر بن مالك، وكان قد أتى على كلّ واحد منهما خمسمائة سنة، ووقع بينهما ملاحاة بسبب مرعىٰ، فخاف جلهمة هلاك عشيرته، فرحل عنه وطوى المنازل فسمّي طيّاً وهو صاحب أجا، وسلمى ـ جبلين بطيّ ـ.

ومن المعمّرين: عمرو بن لحي[١] كان رئيس خزاعة في حربها مع جرهم، وهو الذي سنّ السّائبة والوصيلة والحام ونقل صنمي (هبل) و (مناة) من الشام إلى مكّة فسلّم(هبل) إلى خزيمة بن مدركة فقيل: هبل خزيمة، وصعد علىٰ أبي قبيس ووضع مناة بالمشلل وكان يلي من أمر الكعبة ما كان يليه جرهم قبله حتّى هلك وهو ابن (٣٤٥) سنة وبلغ وُلده وأعقابهم ألف مقاتل في ما يذكرون.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «رفعت لي النّار فرأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار فقلت: من هذا؟ قيل عمرو بن لحي»[٢].

هذا طرق من أخبار معمّري العرب، واستيفاؤه في الكتب المصنّفة في هذا المعنى. وامّا الفرس فانّها تزعم أنّ في ما تقدّم من ملوكها جماعة طالت أعمارهم، فيروون أنّ الضحاك صاحب الحيّتين عاش ألفاً ومائتي سنة، وأفريدون العادل عاش فوق ألف سنة[٣]، ويقولون: إنّ الملك الّذي أحدث المهرجان عاش ألفين وخمسمائة سنة[٤]....

---

(١) المعمّرون والوصايا: ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) كنز العمال ١٢: ٨١ رقم ٣٤٠٨٨.

(٣) تاريخ الطبري ١: ١٣٨.

(٤) الغيبة للطوسي: ١١٤ ـ ١٢٥ بشكل متقطع.

هذا، وقوله عليه السلام: «من كان قبلكم أطول أعماراً» خبر كان «قبلكم» لا «أطول» كما توهمه ابن أبي الحديد؛ وإنّما هو حال.

«وأبقى آثاراً» الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوّةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ﴾[1]. وقال تعالى في قارون مع إيتائه من الكنوز: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أُولي القوّة...﴾[2]، ﴿أولم يعلم أنّ الله قد أهلك قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّةً وأكثر جمعاً...﴾[3].

وقال الأسود النهشلي:

ماذا تؤمّل بعد آل محرّق	تركوا منازلهم، وبعد اياد
أهل الخورنق والسدير وبارق	والقصر ذي الشرفات من سنداد
كانوا بانقرة يفيض عليهم	ماء الفرات يخرّ من أطواد
جرت الرّياح على رسوم ديارهم	فكأنّهم كانوا على ميعاد
فإذا النّعيم وكلّ ما يلهى به	يوماً يصير إلى بلى ونفاد[4]

وفي (مروج المسعودي): كان عبد العزيز عاملاً لأخيه عبد الملك على مصر فأتاه رجل متنصّح فقال له: بالقبّة الفلانية كنز عظيم، قال عبد العزيز: وما مصداق ذلك؟ قال: هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر، ثمّ ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب من الصفر تحت عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدُّنيا وجناحاه مضرّجان بالياقوت

---

(١) غافر: ٢١.

(٢) القصص: ٧٦.

(٣) القصص: ٧٨.

(٤) العقد الفريد ٣: ٢٨٩، والأغاني ١٣: ١٦ ـ ١٧.

والزمرّد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود؛ فأمر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأُجرة من يحفر من الرّجال في ذلك، ويعمل فيه، وكان هناك تلٌّ عظيمٌ فاحتفروا حفرة عظيمة في الأرض والدلائل المقدّم ذكرها من الرّخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصاً على ذلك، وأوسع في النفقة وأكثر من الرجال فانتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الدّيك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدّة نوره ولمعان ضيائه، ثم بان جناحاه ثمّ بانت قوائمه، وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الأحجار والرّخام وقناطر مقنطرة، وطاقات على أبوابه معقودة، ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الأحجار، قد أطبقت عليها أغطيتها وسبكت، وقيّد ذلك بأعمدة الذهب، فركب عبد العزيز حتّى أشرف على الموضع فنظر إلى ما ظهر من ذلك، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسكبة من نحاس تنتهي إلى ما هنالك فلمّا استقرّت قدمه على المرقاة الرابعة، ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها، فالتّفا على الرجل فلم يدرك حتّى جزّتاه قطعاً وهوى جسمه سفلاً، فلمّا استقرّ جسمه على بعض الدّرج اهتزّ العمود، وصفّر الديك تصفيراً عجيباً سمعه من كان بالبعد من هنالك، وحرّك جناحه فظهرت من تحته أصوات عجيبة، قد عملت بالكواكب والحركات إذا ما وقع على بعض تلك الدّرج شيء أو ماسّها، تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة، وكان فيها ممّن يحفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرّك ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعاً فجزع عبد العزيز، وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النّيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس، فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبراً لهم.

وقد كان جماعة ممّن أغرى بحفر الحفائر، وطلب الكنوز، وذخائر الملوك المستودعة، وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفة، فيه وصف موضع ببلاط على أذرع من الأهرام بأن فيه مطلباً عجيباً، فأخبروا الأخشيد محمد بن طغج بذلك فأذن لهم في حفره، وأباحهم استعمال الحيلة في إخراجه فحفروا حفراً عظيماً إلى أن انتهوا إلى إزج وأقباء وحجارة مجوّفة، في صخر منقور، فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طلّيت بالأطلية المانعة من سرعة البِلىٰ وتفرّق الأجزاء، والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبّان ونساء وأطفال، أعينهم من أنواع الجواهر، كالياقوت، والزمرّد، والفيروزج، والزّبرجد، ومنها ما وجوهها ذهب وفضّة، فكسروا بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمماً بالية وأجساماً بالية، وإلى جانب كلّ تمثال منها نوع من الأبنية كالبرابي وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطّلاء الذي قد طلي منه ذلك الميّت، الموضوع في تمثال الخشب، وما بقي من الطّلاء متروك في ذلك الاناء، والطّلاء دواء مسحوق وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النّار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب، وقد جُعِلَ كلّ تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم، وبإزاء كلّ تمثال منها تمثال من الحجر المرمر أو الرّخام الاخفّه على هيئة الصّنم حسب عبادتهم للتّماثيل والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد، وكان ذلك في سنة (٣٢٨) وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون وغيره إلى هذا الوقت، وهو سنة (٣٣٢) أخبار عجيبة في ما استخرج في أيّامهم من الدّفائن والأموال والجواهر وما أُصيب في هذه المطالب من القبور والخزائن ، وطول الأهرام عظيم وبنيانها عجيب، عليها

أنواع من الكتابات بأقلام الأُمم السالفة، والممالك الدائرة، لا يدرىٰ ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها، وقد قال: من عُنِيَ بتقدير ذرْعها أنّ مقدار ارتفاع ذهابها في الجوّ نحو من أربعمائة ذراع، أو أكثر، وكلّما علا به الصّعداء دقّ ذلك، وأنّ من تلك الكتابة: إنّا بنيناها فمن يدّعي موازاتنا في الملك، وبلوغنا في القدرة، وانتهاءنا من السلطان، فليهدمها وليزل رسمها؛ فانّ الهدم أيسر من البناء، والتفريق أيسر من التأليف، وقد ذكر أنّ بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر وغيرها لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرّخام[1].

وفي (الطبري): (خطّ خالد بن برمك مدينة المنصور له، وأشار بها عليه فلمّا احتاج إلى الأنقاض قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة أيوان كسرىٰ بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه؟ قال: لا أرىٰ ذلك. قال: ولِمَ؟ قال لأنّه علم من علم الإسلام يستدلّ به النّاظر إليه على أنّه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا وإنّما هو على أمر دين ومع هذا فانّ فيه مصلّى علي بن أبي طالب عليه السلام قال: هيهات يا خالد! أبيت إلّا المَيْلَ بأصحابك العجم، وأمرْ أن ينقضَ القصر الأبيض فنُقِضت ناحية منه، وحمل نقضه، فنظر في مقدار ما يلزمهم النقض والحمل، فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور فدعا بخالد فأعلمه ما يلزمه، في نقضه وحمله وقال له: ما ترىٰ؟ قال: قد كنت أرى قبل ألّا تفعل، فامّا إذ فعلت فانّي أرى أن تهدم الآن حتّى تلحق بقواعده، لئلّا يُقال أنّك عجزت عن هدمه، فأعرض المنصور عن ذلك وأمر ألا تهدم[2].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٤٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٢٦٤.

وقال البحتري أبياتاً في أيوان كِسرىٰ، ومنها:

مشـمخرّ تـعلو له شـرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس

ليس يـدري أصنع إنسٍ لجنٍّ صـنعوه أم صنع جنٍّ لانس

غير أنّي أراه يشهد ان لم يكُ بـانيه في المُلوك بنكس[1]

«وأبعد آمالاً وأعدّ عديداً» ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّةً وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾[2].

«وأكثف جنوداً» ﴿ألم تر كيف فعل ربّك بعادٍ* إرَمَ ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد* وثمود الّذين جابوا الصخر بالواد* وفرعون ذي الأوتاد* الّذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيها الفساد* فصبّ عليهم ربّك سوط عذابٍ﴾[3]، ﴿هل أتاك حديث الجنود* فرعون وثمود﴾[4]، ﴿فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم* وأضلّ فرعون قومه وما هدىٰ﴾[5].

قال الشاعر:

ألم يـخبرك أنّ الدّهـر غـول ختور العـهد يـلتقم الرجـالا

أزال عن المصانع ذا ريـاش وقد ملك السّهولة والجبالا

وأنشب في المخالف ذا منار ولـلـزّرّاد قـد نـصب الحـبالا

«تعبّدوا للدُّنيا أيّ تـعبّدٍ» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام مرّ عيسىٰ عليه السلام

---

(١) ديوان البحتري ١: ١٠٩.

(٢) غافر: ٨٢.

(٣) الفجر: ٦ ـ ١٣.

(٤) البروج: ١٧ ـ ١٨.

(٥) طه: ٧٨ ـ ٧٩.

على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابّها، فقال: أما إنّهم لم يموتوا إلّا بسخط ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله! ادع الله تعالى أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها، فدعا عيسىٰ عليه السلام ربّه فنودي من الجوّ أن نادهم فقام عيسىٰ عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية! فأجابه مجيب منهم، لبيّك يا روح الله! فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحُبّ الدُّنيا مع خوف قليل، وأمل بعيد، وغفلة في لهو، فقال: كيف كان حبّكم للدُّنيا؟ قال كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنا، قال: فكيف كان عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي. قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية ـ إلى أن قال ـ: فالتفت عيسىٰ عليه السلام إلى الحواريّين، فقال لهم: أكل الخبز اليابس، بالملح الجريش، والنّوم على التراب، خير كثير مع عافية الدُّنيا والآخرة[1].

«وآثروها أي إيثارٍ» لمّا خرج محمّد بن عبدالله المحض بالمدينة على المنصور بعث إليه جنداً فقتلوه، وقال: لو خرج عليَّ صاحب القبر ـ أي: النبيّ صلى الله عليه وآله ـ لقتلته.

«ثمّ ظعنوا» أي: ارتحلوا.

«عنها بغير زادٍ مبلغٍ» وفي (التحف)[2] و(الغاية)[3]: ثمّ ظعنوا عنها بالصغار.

«ولا ظهرٍ قاطعٍ» أي: راحلة ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطتُ في

---

(١) الكافي ٤: ٦ ح١١.

(٢) تحف العقول: ١٨٢.

(٣) مطالب السؤول: ٥٠.

جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾[١]، ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت...﴾[٢]، ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصدّق وأكن من الصالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٣].

«فهل بلغكم انّ الدُّنيا سخت لهم نفساً بفدية» ﴿إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّارٌ فلن يقبل من أحدهم مِلءُ الأرض ذهباً ولو افتدىٰ به أولئك لهم عذابٌ أليمٌ ومالهم من ناصرين﴾[٤].

«أو أعانتهم بمعونةٍ أو أحسنت لهم صحبةً» بدّله (الغاية)[٥] (أو أغنت عنهم فيما أهلكهم من خطب) وكيف كان، قال تعالىٰ ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[٦].

«بل أرهقتهم» نقله ابن ميثم هكذا بالرّاء، أي: «غشيتهم»[٧]. ونقله ابن أبي الحديد: «أوهقتهم» بالواو؛ قال أي: جعلتهم في الوهق وهو حبل كالطول[٨].

«بالفوادح» من (فدحه الدَّين): أثقله؛ وقال ابن أبي الحديد: ويروى (بالقوادح) بالقاف، وهي آفة تظهر في الشجر وصدوع تظهر في الأسنان[٩].

---

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٤) آل عمران: ٩١.

(٥) مطالب السؤول: ٥٠.

(٦) الدخان: ٢٩.

(٧) شرح ابن ميثم ٣: ٨٤.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٣٦.

(٩) المصدر نفسه ٧: ٢٣٦.

«وأوهنتهم بالقوارع» أي: الشدائد.

«وضعضعتهم بالنوائب» أي: المصائب.

«وعفّرتهم للمناخر» أي: ألصقت ثقب انافهم بتراب الأرض.

«ووطئتهم بالمناسم» أي: توطأتهم باخفافها كدوس البقر البيد.

«وأعانت عليهم ريب المنون» أي: حوادث الدهر.

«فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها» أي: كان مطيعاً لها يعني شاهدتم بأعينكم معاملتها مع أهل عصركم فضلاً عن سماع أخبار الماضين.

«وآثرها» أي: اختارها على آخرته.

«وأخلد لها» هكذا في (المصرية)[١]، والصّواب: (وأخلد إليها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٢] من قوله تعالىٰ ﴿ولكنّه أخلد إلى الأرض...﴾[٣].

«حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد»:

وكلّ غائب يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

«وهل» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: (هل) كما في الثلاثة.

«زوّدتهم إلّا السغب» أي: الجوع.

«أو أحلّتهم إلّا الضّنك» أي: الضّيق.

«أو نوّرت لهم إلّا الظّلمة» الثلاثة: نظير قوله تعالىٰ ﴿فبشّرهم بعذابٍ أليم﴾[٥].

---

(١) الطبعة المصرية: ٢٦٩.

(٢) شرح ابن ميثم كالمصرية ٣: ٨٤، النسخة الخطية: ٩٢.

(٣) الأعراف: ١٧٦.

(٤) المصرية: ٢٦٩.

(٥) آل عمران: ٢١.

«أو أعقبتهم إلّا الندامة» ﴿ولو أنّ لكلّ نفسٍ ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسرُّوا النّدامة لمّا رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾[١].

«فهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ! إنّ الدُّنيا دار عقوبة، عاقبت فيها آدم عند خطيئته وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي، يا موسى! إنّ عبادي الصّالحين زهدوا في الدُّنيا بقدر علمهم، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلّا انتفع بها[٢]، وعنه عليه السلام من أصبح وأمسىٰ والدُّنيا أكبر همّه جعل الله تعالىٰ الفقر بين عينيه، وشتّت أمره ولم يَنَلْ من الدُّنيا إلّا ما قُسِمَ له، ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبرُ همّه جعل الله تعالى الغناء في قلبه، وجمع له أمره[٣].

«فبئست الدّار لمن لم يتّهمها ولم يكن فيها على وجلٍ» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد في الدُّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدُّنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدُّنيا سالماً[٤].

وعنه عليه السلام: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو محزون، فأتاه مَلَك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمّد! هذه مفاتيح خزائن الأرض، يقول لك ربّك: افتح وخُذْ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: الدُّنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فقال له المَلَك: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً! لقد سمعت هذا الكلام من مَلَكٍ يقوله في السّماء الرابعة

---

(١) يونس: ٥٤.

(٢) الكافي ٤: ٥ ح٩.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٨ ح١٥.

(٤) الكافي ٣: ١٩٣ ح١.

حين أُعطيت المفاتيح[١].

وعنه عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: مالي وللدُّنيا، وما أنا والدُّنيا، إنّما مَثَلي ومَثَلُها، كمثل راكبٍ رفعت له شجرة في يوم صائف، فَقَالَ ـ من القَيْلُولَة ـ تحتها ثمّ راح وتركها[٢].

وعنه عليه السلام: مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله بِجَدِي أسكّ ملقىً على مزبلة ميّتاً، فقال: والّذي نفسي بيده! الدُّنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله[٣].

وعنه عليه السلام: مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان إزداد عطشاً حتّى يقتله[٤].

وعنه عليه السلام: مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً[٥].

«**فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنّكم تاركوها وظاعنون عنها**» أي: مرتحلون عنها؛ وزاد (التحف)[٦] «وانّما هي كما نعت الله ﴿لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾[٧].

وانّما قال عليه السلام: «فاعلموا» مع علم المخاطبين بمعلومه ولذا استدركه بقوله (وأنتم تعلمون) لعدم جريهم على مقتضى علمهم.

وقالوا في علم البيان: ينزّل العالمُ التّاركُ لمقتضى علمه منزلة الجاهل

---

(١) المصدر نفسه ٣: ١٩٥ ح٥.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢٠٢ ح١٩.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٦ ح٩.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٠٥ ح٢٤.

(٥) المصدر نفسه ٣: ٢٠٢ ح٢٠.

(٦) تحف العقول: ٢٨٢.

(٧) الحديد: ٢٠.

فيخاطب خطابه فيقال لتارك الصلاة مع كون وجوبها ضرورياً يعلمه كلّ أحد: الصلاة واجبة.

وفي الخبر: ما خلق الله يقيناً أشبه بالشّك من الموت[١].

«واتّعظوا بالّذين قالوا: من أشدّ منّا قوّةً؟» إشارة إلى قوله تعالىٰ في سورة حم السجدة ﴿فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدُّ منّا قوّةً أوَلَم يروا انّ الله الّذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوّةً وكانوا بآياتنا يجحدون﴾[٢].

«حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً وأُنزلوا الأجداث» هكذا في (المصرية)[٣]، وكلمة «الأجداث» زائدة لعدم وجودها في الثلاثة، ولأنّ البلاغة تقتضي تركها ولابدّ أنّها كانت حاشية في بيان المراد، فخلطت بالمتن.

«فلا يدعون ضيفاناً» قال ابن ميثم: يعني أنّهم مختلفون مع الأحياء إذ كان من عادة الأحياء إذا حملوا أن يسمّوا ركباناً، وإذا نزلوا أن يُدْعَوا ضيفاناً[٤].

وقال الخوئي: يعني انّهم مختلفون مع الأحياء، إذ كانت عادة العرب أنّهم إذا ركبوا يسمّون ركباناً، وإذا نزلوا يسمّون ضيفاناً[٥].

قلت: ما ذكراه مضحك، فكون من رَكَبَ رَاكِباً، توضيح واضح، وكون من نزل عن مركبه يسمّى ضيفاً لم يقله أحد لا عرب ولا عجم، وإنّما المراد أنّهم لمّا رفعوا نعشهم، وحملوهم على أكتافهم فيكونوا ركبوا أكتاف الناس، إلّا أنّهم لا يسمّون بهذا ركباناً كما أنّهم لمّا أنزلوا من الأكتاف إلى القبور

---

(١) الخصال ١ : ١٤، ونقله المجلسي في البحار ١ : ١٢٧.

(٢) فصلت: ١٥ .

(٣) الطبعة المصرية: ٢٦٩ .

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٨٨ ـ ٨٩ .

(٥) الخوئي ٨ : ٢٤ خ ١١٠ .

لا يسمّون ضيفاناً، وإنّما الضيفان من أُنزل من مَرْكَبه في قرية للضيافة.

«وجعل لهم من الصّفيح» أي: الحجارة العِراض.

«أجنانٌ» أي: أستار؛ قال الشاعر :

عداني أن أزورك غير بغض ... مقامك بين مصفحة شداد

وقيل بالفارسية :

چه شد كز يک كماندار فنا اين لشكر بيحدّ

بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

هذا، وقال الخوئي: «أي: جعل لهم من وجه الأرض العريض قبور»[1].

وهو كما ترى بلا معنى، ومثله قول ابن أبي الحديد: إلّاجنان القبور.

«ومن التراب أكفانٌ» هكذا في النسخ، ونقله ابن أبي الحديد «أكنان» فقال: «الأكنان: جمع كنّ وهو السّترة»[2] وهو الأنسب، لأنّه كان لهم أكفان من الملبوس، فلِمَ نقول من التراب؟ وإنّما يقولون لميّتٍ، لم يجعل له كفن، ولا عجّل دفنه حتّى نسفت الرياح عليه التراب، إنّه كفّن من تراب، ولأنّ الأكفان أمر مرغوب عنه، يشمئزّ عنه الأحياء، ولو كان من الملبوس.

«ومن الرّفاة» أي: الحطام.

«جيرانٌ» وإنّما خصّ عليه السلام الرّفاة بجيرانه دونه لأنّه أوّل إنزاله سالم الجسد، وإنّما يصير رفاتاً بعد.

«فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً»:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيخبر بالذّنائب أي: زير[3]

---

(١) الخوئي ٨: ٢٤ خ ١١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٣٦.

(٣) الأصمعيات: ١٥٤.

«ولا يمنعون ضيماً» أي: تحمّل ظلم .

«ولا يبالون مندبةً» من يندبهم، يعدّد محاسنهم ويبكي عليهم.

«إن جيدوا» أي: جاد المطر عليهم.

«لم يفرحوا» كالأحياء.

«وإن قحطوا لم يقنطوا» كناسٍ في الدُّنيا.

«جميعٌ وهم آحادٌ، وجيرةٌ وهم أبعادٌ، متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون» قال ابن أبي الحديد: قال الرّضيّ في رثاء أبي إسحاق الصّابي:

أعزز عليّ بان نزلت بمنزل ... متشابه الأمجاد بالأوغاد

في عصبة جلبوا إلى آجالهم ... والدّهر يعجلهم عن الإرواد

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم ... من غير اطناب ولا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجّى منهم ... قصد لاتهام ولا انجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة ... للدهر نازلة بكلّ مقاد

فتهافتوا عن رحل كلّ مذلّل ... وتطاوحوا عن سرح كلّ جواد

بادون في صور الجميع وانّهم ... متفرّقون تفرّق الآحاد[1]

«حُلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم» كانت أضغانهم بحيث يقولون لخصمائهم:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... كما دماؤهم للغيظ لا ترويني

وكانت أحقادهم بحيث لا يقدرون أن يكالموهم، فقالوا: كان عبد الرحمن بن عوف مهاجراً لعثمان حتّى مات، وطاووس مهاجراً لوهب بن منبّه حتىٰ مات، وهجر سعيد بن المسيّب أباه فلم يكلّمه إلى أن مات، وجرى بين الحسن وابن سيرين شيء فمات الحسن ولم يشهد ابن سيرين جنازته.

(١) ديوان الرضي ١: ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

وكان الثّوري يتعلّم من ابن أبي ليلى فمات ابن أبي ليلى ولم يشهد جنازته.

وفي (الكامل): مات يعقوب بن الليث الصفّار في سنة (٢٦٥) بجند نيسابور من القولنج، وكان أمره الأُطباء بالاحتقان، فلم يفعل، واختار الموت؛ وكان المعتمد أنفذ إليه رسولاً يستميله ويقلّده أعمال فارس، فجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار وبصلاً وقال للرّسول: قل للمعتمد: إنّي عليل، فإن متّ استرحت أنا وأنت، وان عُوفِيت فليس بيني وبينك إلّا هذا السيف، أمّا آخذ ثأري، وأمّا أرجع إلى هذا الخبز والبصل، فمات. وكان الحسن بن زيد العلوي يسمّيه السِّنْدَان لثباته[1].

وفي (تقريب المعاهد) ـ بعد ذكر بشّار وحمّاد عجرد وما بينهما من الهجاء وموت حمّاداً أوّلاً ودفن بشّار بعده إلى جنبه ـ مرّ بقبرهما أبو هاشم فقال:

قد تبع الأعمىٰ قفا عجرد ... فأصبحا جارين في دار
قالت بقاع الأرض لا مرحباً ... بقرب حمّاد وبشّار
تجاورا بعد تنائيهما ... ما أبغض الجار إلى الجار[2]

وامّا قول مهلهل في أخيه كُليب وائل، وتمثّل به مصقلة بن هبيرة على قبر المغيرة بن شعبة :

انّ تحت الأحجار خرما وغرما ... وخصيماً ألدّ ذا معلاق
حيّة في الوجار أربد لا ... ينفع منه السّليم نفثّ الرّاقي[3]

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧: ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) تقريب المعاهد ١: ١٠١.

(٣) الأغاني ٥: ٥٥.

فالمراد به أنّه كان كذلك في الدُّنيا وإنّ من تحت الأحجار كان شخصاً هكذا.

هذا، وفي (كنايات الجرجاني): قال بعضهم رأيت قبرين مكتوباً على أحدهما: «من رآني فلا يصغّر قدري، أنا كنت أجلب الرّيح وافرّقها» وعلى الآخر: «كذب ابن الفاعلة إنّما كان يجمع الرّياح في الزّق ينفخ فيه» فما رأيت مشاجرة بين موتى غيرهما.

قلت: إنّما كانت بينهم صورة، وإلّا فلابدّ أنّ الأوّل وصّىٰ بأن يكتب على قبره أو كتب بنفسه على لوح ما على الأوّل والثاني، كذلك ما علىٰ الثاني[1].

«لا يخشىٰ فجعهم ولا يرجى دفعهم» قال ابن أبي الحديد: قال الرضيّ رحمه الله :

متوسّدين على الخدود كأنّما	كرعوا على ظمأ من الصّهباء
صور ضنت على العيون بحسنها	أمست فوقرها من البوغاء
ونواظر كحل التّراب جفونها	قد كنت أحرسها من الأقذاء
قربت ضرائحهم على زوّارها	ونأوا عن الطّلّاب أيَّ تناء[2]

«استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسّعة ضيقاً وبالأهل غربةً وبالنور ظلمةً».

روي أنّ هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قبر سيف بن ذي يزن آخر ملوك اليمن :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم	غلب الرّجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم	فأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعدما دفنوا	أين الأسرّة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت محجّبةً	من دونها تضرب الأستار والكلل

---

(١) منتخب الكنايات للجرجاني : ٥٧ .

(٢) ديوان الرضي ١: ٢٩ ـ ٣٠.

فأفصح القبر عنهم حين ساءَلَهم تلك الوجوه عليها الدود تنتقل!
قد طالما أكلوا شيئاً وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أُكُلوا[1]

ولمّا أحضر المتوكّل الهادي عليه السلام لمّا اتّهمه بممالاته عليه أمره بالتّغني فتمثّل عليه السلام بهذه الأبيات، فبكى المتوكّل حتّى ابتلّت لحيته واعتذر إليه من فعله!

«**فجاؤها كما فارقوها حفاةً**» جمع الحافي؛ الماشي بلا نعل.

«**عُراةً**» جمع العاري؛ ﴿ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أوّل مرّةٍ وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[2].

«**قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدّار الباقية**» ﴿وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان...﴾[3].

«**كما قال سبحانه**» في (١٤) (الأنبياء) ﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين﴾[4] وقال تعالىٰ أيضاً ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إنّ ذلك علىٰ الله يسير﴾[5] ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشئ النّشأة الآخرة إنّ الله علىٰ كلّ شيءٍ قديرٍ﴾[6]، ﴿وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾[7]، ﴿إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنّه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١، وبحار الأنوار ٥٠: ٢١١. وذكر انّه منسوب إلى الإمام علي عليه السلام حيث ورد في ديوانه.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) العنكبوت: ٦٤.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

(٥ و ٦) العنكبوت: ١٩ ـ ٢٠.

(٧) الأعراف: ٢٩.

والّذين كفروا لهم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون﴾[١].

١١
الخطبة (١٠٩)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. هَانَتْ عَلىٰ رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالىٰ لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلىٰ أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ يُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ. وَعُمُرٍ يَفْنىٰ فِيهَا فَنَاءَ ٱلزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ! ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِتِكُمْ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ كَمَا سَأَلَكُمْ. وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعىٰ بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلآمَالِ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانُ دِينِ ٱللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ. فَلاَ تَوَازَرُونَ وَلاَ تَنَاصَحُونَ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ وَلاَ تَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تَمْلِكُونَهُ، وَلاَ يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ

(١) يونس: ٤.

عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ رَفْضِ ٱلآجِلِ وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَىٰ لِسَانِهِ، صَنِيعُ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

«وأُحذّركم الدُّنيا» فانها كما قال العباس بن الأحنف في ذات الخال:

وصالكم صرم وحبّكم قلى وعطفكم صدّ وسلمكم حرب[1]

«فإنّها منزلُ قلعةٍ» ـ بالضمّ ـ أي: ليس بمستوطن.

«وليست بدار نجعةٍ» بالضمّ ـ أي: طلب الكلأ قال ذو الرّمة:

رأيت النّاس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا[2]

«قد تزيّنت بغرورها وغرّت بزينتها» لا يخفى لطفه حيث ردّ العجز على الصّدر والفقرة الثانية عكس الأُولىٰ لفظاً، ومتّحدة معها معنى، أمّا تزيّنها بغرورها؛ فقد قال تعالىٰ ﴿إنّما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفّار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[3] وامّا غرّتها بزينتها؛ فقد قال تعالىٰ ﴿يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور﴾[4].

(١) ديوان العباس بن الأحنف: ٣٤.

(٢) لسان العرب ٧: ٢٩٧ بلفظ «سمعت الناس»، وذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد ٦: ٣٨٦.

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) لقمان: ٣٣.

«هانت على ربّها» هكذا في (المصرية)[١] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٢]: (دارٌ هانت على ربّها) فهو الصحيح ويلزمه حسن الكلام. وروى (الكافي) في باب حبّ الدُّنيا عن الصادق عليه السلام قال في مناجاة موسىٰ: «يا موسى! إنّ الدّنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي، يا موسىٰ! إنّ عباديَ الصالحين زهدوا في الدُّنيا بقدر علمهم، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلّا انتفع بها»[٣]. وفي باب ذمّ الدُّنيا: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرَّ بِجَدِيٍ أسكَ ملقىً على مزبلة ميّاً فقال للصحابة: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّاً لم يساوِ درهماً، فقال: والذي نفسي بيده! الدّنيا أهون على الله تعالىٰ من هذا الجدي على أهله[٤].

«فخلط حلالها بحرامها» وجعل في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب.

«وخيرها بشرّها» ﴿وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخيرٍ فلا رادّ لفضله يصيبُ به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾[٥].

«وحياتها بموتها» ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا ليجعل الله ذلك حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويميت

---

(١) المصرية المصححة كما ذكر العلّامة قدس سره.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٦، والخطية: ٩٥، وشرح ابن ميثم ٣: ٩٢ بلا لفظ «دار».

(٣) الكافي ٤: ٥ ح٩.

(٤) المصدر نفسه ٤: ١٩٦ ح٩.

(٥) يونس: ١٠٧.

والله بما تعملون بصير﴾[1].

«وحلوها بمرّها» وفي الخبر: أحلى أُمور الدنيا مشي الشابّ بين يدي أبيه وأمرّها موت الولد الشابّ منه.

«لم يصفها الله تعالى» من (أصفى) من قولهم (ماء صاف): ليس فيه كدر.

«لأوليائه» حتّى لأنبيائه حتّى لنبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

«ولم يضنّ» بفتح الضّاد والكسر، لغة من (ضَنَّ) إذا بخل.

«بها على أعدائه» ﴿ولولا أن يكون النّاسُ أُمّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّةٍ ومعارج عليها يظهرون* ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون* وزخرفاً وان كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدُّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين﴾[2].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً، ولا كافرٌ إلّا غنيّاً حتّى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا...﴾[3] فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجةً وفي هؤلاء أموالاً وحاجةً[4].

«خيرها زهيد» ﴿قل متاع الدُّنيا قليلٌ والآخرة خيرٌ لمن اتّقى ولا تظلمون فتيلاً﴾[5].

«وشرّها عتيد» أي: حاضر مهيّأ.

«وجمعها ينفدُ» ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[6].

---

(١) آل عمران: ١٥٦.

(٢) الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥.

(٣) الممتحنة: ٥.

(٤) الكافي ٣: ٣٦١ ح١٠.

(٥) النساء: ٧٧.

(٦) النحل: ٩٦.

«وملكها يُسلب» ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾[١]، ﴿قُلِ اللّهمَّ مالك المُلك تؤتي المُلك مَن تشاء وتنزع المُلك ممّن تشاء...﴾[٢].

«وعامرها يخرب»:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرُ
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثرُ[٣]

«فما خير دارٍ ينقض نقض البناء» ﴿أفلا يرون أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾[٤]، ﴿أولم يَرَوا إنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقِّب لحكمه...﴾[٥].

«وعُمُرٍ» بضمّتين جمع عمر بسكون الثاني.

«يفنى فيها فناء الزّاد» هكذا في (المصرية)[٦]، ولكن ليس في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٧] كلمة «فيها» ولا وجه لها فانّها تجعل الكلام ركيكاً وقال تعالى ﴿ومن نعمّره ننكِسه في الخلق أفلا يعقلون﴾[٨].

«ومدّةٍ تنقطع إنقطاع السّير» فكما أنّ كلّ مسافة طويلة أو قصيرة معيّنة تنقطع بالسّير إليها قدماً قدماً، كذلك مدّة بقاء الإنسان في الدُّنيا معيّنة، فكلُّ نَفَسٍ يتنفّس يكون خطوة إلى انقضائها.

«اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلِبتكم» ـ بكسر اللّام ـ يعني اجعلوا

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٠٢، كذلك ذكره الكراجكي في الكنز: ١٠٦، والمجلسي في البحار ١٥: ١٧٣.

(٤) الأنبياء: ٤٤.

(٥) الرعد: ٤١.

(٦) الطبعة المصرية: بلا فيها: ٢٧١.

(٧) شرح ابن أبي الحديد مع فيها ٧: ٢٤٦، كذلك شرح ابن ميثم ٣: ٩٣، أما النسخة الخطية بدون لفظ «فيها»: ٩٦.

(٨) يس: ٦٨.

مفترضات الله تعالى مطلوبات أنفسكم، كمطلوباتكم في أمور الدُّنيا التي تجدّون في تحصيلها.

«واسألوه من أداء حقّه ما سألكم» سؤالنا إيّاه تعالى بالدّعاء وسؤاله تعالى إيّانا بالأمر؛ قال سبحانه ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[1]، ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج...﴾[2].

«واسمعوا» من الإسماع.

«دعوة الموت آذانكم قبل أن يُدعىٰ بكم»

هي الدُّنيا تقول بملءِ فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم حسن ابتسامي	فقولي مضحك والفعل مبكي[3]

وكان السجّاد عليه السلام يقول في الليلة (٢٧) من شهر رمضان من أوّلها إلى آخرها: اللّهمَّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل حلول الفوت[4].

«إنّ الزّاهدين في الدُّنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا ويشتدّ حزنهم وإن فرحوا» في (الكافي) عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر! والله إنّي لمحزون وإنّي لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك، وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟ فقال: يا جابر! إنَّهُ من دخل قلبه صافي خالص دين الله، شُغِلَ قلبه عمّا سواه، يا جابر! ما الدُّنيا وما عسىٰ أن تكون الدُّنيا هل هي إلّا طعام أكلته، أو ثوب لَبِسته أو امرأه أصبتها، يا جابر! إنّ المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدُّنيا ببقائهم فيها، ولم

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) جواهر الأدب للهاشمي: ٧١٧ كذلك الطرائف للمقدسي.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٩٨: ٦٣.

يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر! الآخرة دار قرار والدُّنيا دار فناء وزوال، ولكن أهل الدُّنيا أهل غفلة، وإنّ المؤمنين أهل فكر وعِبْرة، لم يصمّهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا بآذانهم ولم يُعمِهم عن ذكر الله ما رأوا من الزّينة بأعينهم، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك، واعلم، يا جابر! أنّ أهل التقوى من أيسر أهل الدُّنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكّروك قوّالون بأمر الله، قوّامون على أمر الله، قطعوا محبّتهم بمحبّة ربّهم ووحشوا من الدنيا بطاعة مليكهم، ونظروا إلى الله تعالى بقلوبهم، وعلموا أنّ ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه، فأنزل الدُّنيا كمنزلٍ نزلته ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، إنّما ضربت لك هذا مثلاً لأنّها عند أهل اللبّ والعلم كفيء الظّلال[1].

«**ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رُزِقوا**» من عبادة الله فيَرَوْن أنفسهم مقصّرين.

«**قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال**» ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[2]، ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيءٍ حتّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[3].

«**وحضرتكم كواذب الآمال**» ﴿ذَرْهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾[4].

«**فصارت الدُّنيا أملك بكم من الآخرة**» ﴿فأمّا من طغى * وآثر الحياة الدُّنيا*

---

(١) الكافي ٢: ١٩٩ ح١٦.

(٢) الحشر: ١٩.

(٣) الأنعام: ٤٤.

(٤) الحجر: ٣.

فإنّ الجحيم هي المأوىٰ﴾[١]، ﴿بل تؤثرون الحياة الدُّنيا* والآخرة خيرٌ وأبقىٰ﴾[٢] ولنعم ما قيل بالفارسية:

دره آن ميدوى از جان و دل   در ره اين ميروى چون خربگل

در ره آن موشكافى اى شقى   در ره اين كند فهم و احمقى[٣]

قال ابن أبي الحديد: قوله «أملك بكم» مثل (أولىٰ بكم).

قلت: بل بمعنى أكثر تسلّطاً وسلطاناً عليكم من باب تسمية المسبّب باسم السبّب، فانّ المُلْك سبب التّسلط[٤].

«**والعاجلة أذهب بكم من الآجلة**» ﴿كلا بل تحبّون العاجلة* وتذرون الآخرة﴾[٥].

وإنّما أنتم إخوانٌ على دين ألله، ما فرّق بينكم إلّا خبث السرائر، وسوء الضمائر؛ ﴿ما كان الله ليذَرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب...﴾[٦].

وفي (عقاب الأعمال) عن النبي ﷺ سيأتي على أُمّتي زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن علانيتهم طمعاً في الدُّنيا، لا يريدون به ما عند الله يكون أمرهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم[٧].

---

(١) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

(٢) الأعلىٰ: ١٦ ـ ١٧.

(٣) ديوان بهائي: ١٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٨.

(٥) القيامة: ٢٠ ـ ٢١.

(٦) آل عمران: ١٧٩.

(٧) عقاب الأعمال: ٢٩٩ ح٣.

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الله تعالىٰ أنزل على نبيّ من أنبيائه كتاباً فيه: يكون من خلقي من يجلبون الدُّنيا بالدّين يلبسون مسوك الضّأن على قلوب كقلوب الذّئاب قلوبهم أشدّ مرارة من الصبر، وألسنتهم أحلىٰ من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف، أبي يغترّون؟ أم إيّاي يخادعون؟ أم عليّ يجترون؟ فبعزّتي حلفت لأبعثنّ عليهم فتنة تطأُ في خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحليم فيها حيران[١].

«فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّونَ» في (عقاب الأعمال) عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا ظهر العلم واحترز العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وتقاطعت الأرحام، هنالك لعنهم الله فأصمّهم وأعمىٰ أبصارهم[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: إذا تصامّت أُمّتي عن سائلها، ومشت بتبخترٍ، حلف ربّي عزّوجلّ أن يعذّب بعضهم ببعض[٣].

«ما بالكم لا تفرحون باليسير من الدُّنيا تملكونه» هكذا في (المصرية)[٤]، ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٥]: «تدركونه» فهو المعيّن وهو المناسب للمقام، فانّ أهل الدُّنيا يفرحون بما يدركونه، ولو لم يكن ملكهم.

«ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه» مع أنّه كان الواجب العكس، وفي الدّعاء: اللّهمّ لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدُّنيا أكثر همّنا ولا مبلغ

---

(١) المصدر نفسه: ٣٠٢ ح ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩٨ ح ١.

(٤) الطبعة المصرية (تدركونه): ٢٧٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٦، وشرح ابن ميثم (يملكونه) ٣: ٩٣، والخطية (تدركونه): ٩٦.

علمنا[١]. وللبهائي بالفارسيّة مشيراً إلى عمل النّاس لدنياهم ولآخرتهم:

در ره اين مو شكافي اى شقى　　در ره آن كنند فهم واحمقى
در ره اين ميدوى از جان و دل　　در ره آن ميروى چون خر بگل[٢]

ولبعضهم:

باعُوا جديداً جميلاً باقياً أبدا　　بدارس خلقٍ يا بئس ما اتّجروا

هذا، وقال الأقيشر الشّاعر، في ابن عمّ له موسر، سأله فمنعه، فشكاه إلى قومه فوثب إليه فلطمه:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه　　وليس إلى داعي النّدى بسريع
حريص على الدُّنيا مضيع لدينه　　وليس لما في بيته بمضيع[٣]

وقال ابن أبي الحديد: قال الرّضيّ رضي الله عنه:

نقص الجديدين من عمري يزيد على　　ما ينقصان من الأيام من حالي
دهر تؤثّر في جسمي نوائبه　　فما اهتمامي أنْ أودى بسربالي[٤]

«**ويقلِقكم اليسير من الدُّنيا يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم**» مثل أهل الجاهلية؛ الّذين كان ﴿إذا بُشِّر أحدهم بالأُنثىٰ ظلّ وجهه مسْودّاً وهو كظيم﴾[٥].

«**وقلّة صبركم عمّا زوي منها عنكم**» مع أنّ الله تعالى قال؛ ﴿ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتابٍ من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسيرٌ* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٩٨: ٤١٤.

(٢) ديوان البهائي: ١٧ وقد مرّ في ص٨١.

(٣) خزانة الأدب للنووي ٤: ٤٨٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٩، وفي ديوان الرضي ٢: ٢١٥.

(٥) النحل: ٥٨.

لا يحبّ كلّ مختالٍ فخور﴾[1].

«كأنّها دار مقامكم» مع أنّها دار مجاز.

«وكأنّ متاعها باقٍ عليكم» مع أنّه ينفد، وما عند الله باقٍ.

«وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخافُ من عيبه إلّا مخافة أن يستقبله بمثله» هكذا في النسخ، ولا يبعد أن تكون كلمة «يخاف» محرّف (يخفي) كما لا يخفىٰ، فالمراد أنّ كلّهم معيوبون فلا يستطيع أحد منهم أن يقول لصاحبه: لك عيب كذا تخفيه لئلّا يقول صاحبه له وأنت أيضاً لك عيب كذا تخفيه.

«قد تصافيتم على رفض الآجل وحبّ العاجل» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: بينما عيسىٰ عليه السلام في سياحته إذ مرّ بقرية أهلها موتى في الطريق والدّور فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطه تعالىٰ ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، فقال أصحابه: وددنا أن تعرّفنا قصّتهم فقيل له: نادِهم يا روح الله! فقال: يا أهل القرية! فأجابه مجيب لبيّك قال: ما قصّتكم؟ قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية! فقال: ما الهاوية؟ قال: بحار من نارٍ، فيها جبال من نارٍ، قال: وما بلغ بكم ما أرىٰ؟ قال: حبّ الدُّنيا وعبادة الطاغوت، كانوا إذا أمرونا أطعناهم. قال: فكيف أجبتني من دونهم؟ قال: لأنّهم ملجمون بلُجم من نار، وعليهم ملائكة غلاظ شداد وانّني كنت فيهم، ولم أكن منهم فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، وأنا معلّق بشعرة أخاف أن أنكبّ في النار، فقال عليه السلام لأصحابه: النّوم على المزابل، وأكل خبز الشعير يسير، مع سلامة الدّين[2].

«وصار دين أحدكم لعقةً على لسانه» في (الأساس): (لعق العسل بالملعقة واللعقة؛ اسم ما تأخذه بالملعقة).

---

(١) الحديد: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) عقاب الأعمال: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

قال ابن أبي الحديد: قال الفرزدق للحسين عليه السلام ـ وقد لقيه قادماً إلى العراق وسأله عن النّاس ـ: «أمّا قلوبهم فمعك، وامّا سيوفهم فعليك، والدّين لعقة على ألسنتهم فإذا امتحنوا قلّ الدّيّانون»[١].

قلت: وفي (المناقب): لمّا نزل الحسين عليه السلام كربلاء أقبل على أصحابه فقال: الناس عبيد الدُّنيا، والدِّين لَعْقَة على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون[٢].

«صنيع من فرغ عن عمله وأحرز رضا سيّده» هكذا في (المصرية)[٣] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي والخطية)[٤] «من عمله» فهو الصحيح، ولا وجه لمعنى التجاوز هنا، ثمّ كأنّه سقط قبل قوله «صَنِيع...» شيء، لأنّه لا ربط كامل له بقوله قبل (وصارَ) لكن يمكن أن يكون مستأنفاً بأن يكون الأصل (صنعكم صنيع من) أو (وتصنعون صنيع) فيجوز فيه الرّفع والنّصب.

١٢
الخطبة (١١٠)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْوَاصِلِ اَلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَاَلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَىٰ آلائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَىٰ بَلائِهِ. وَنَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ هٰذِهِ اَلنُّفُوسِ اَلْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، اَلسِّرَاعِ إِلى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ. وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٩.

(٢) لاوجود له في مناقب ابن شهرآشوب.

(٣) الطبعة المصرية (من عمله): ٢٧٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٧ موجود في البحار ٤٤: ٣٨٣ والنسخة الخطية: ٩٢ بلفظ (من عمله) أما شرح ابن ميثم فبلفظ (عن عمله) ٣: ٩٣.

كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ ٱلْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَىٰ ٱلْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَىٰ إِخْلاَصُهُ ٱلشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ ٱلشَّكَ. وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ ٱلْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ ٱلْعَمَلَ. لاَ يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلزَّادُ وَبِهَا ٱلْمَعَادُ: زَادٌ مُبَلِّغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا. وَفَازَ وَاعِيهَا. عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ تَقْوَى ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّىٰ أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ. وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَاءِ، وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلأَجَلَ، فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا ٱلأَمَلَ، فَلاَحَظُوا ٱلأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ؛ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوَتِّرٌ قَوْسَهُ، لاَ تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلاَ تُؤْسَىٰ جِرَاحُهُ. يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ. وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ المَرْءَ يَجْمَعُ مَالاَ يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَالاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلى ٱللهِ تَعَالىٰ لاَ مَالاً حَمَلَ، وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى المَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً؛ لَيْسَ ذٰلِكَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ، وَبُؤْساً نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَىٰ أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ. فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحىٰ فَيْئَهَا لاَ جَاءٍ يُرَدُّ، وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ. فَسُبْحَانَ ٱللهِ، مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ المَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ! إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ

شَيْءٍ مِن ٱلْآخِرَةِ عيانُه أعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ. فَلْيَكْفِكُمْ مِنْ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّماعُ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنْ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا: فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ. وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ. قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ؛ فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلىٰ بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَٱللهِ، لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ، وَدَخَلَ ٱلْيَقِينُ حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ. فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلأَجَلِ، فَإِنَّهُ لاَ يُرْجىٰ مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمْرِ مَا يُرْجىٰ مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ. مَافَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَافَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ ٱلْجَائِي، وَٱلْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي. فَـ﴿اتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

«الحمد لله الواصل الحمد بالنّعم» ﴿وقالوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله...﴾[1]، ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾[2]، ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن* إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب﴾[3]، ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً* قيّماً ليُنذر بأساً شديداً من لدنه ويُبشّر

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) الزمر: ٧٤.

(٣) فاطر: ٣٤ ـ ٣٥.

المؤمنين الّذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً * ماكثين فيه أبداً * وينذر الّذين قالوا اتّخذ الله ولداً﴾[١]، ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور...﴾[٢].

«والنّعم بالشُّكر» ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إيّاه تعبدون﴾[٣]، ﴿ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديَّ...﴾[٤]، ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديدٌ﴾[٥].

«نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه» لأنّ بلاءه إنّما هو عن حكمة، فيستحقّ الحمد عليه كما عليها. وفي الخبر أنّ النبي صلى الله عليه وآله إذا كانت نعمة قال: الحمد لله على هذه النّعمة؛ وإذا كانت بليّة، قال: الحمد لله على كلّ حال؛ وما قاله عليه السلام من الحمد على آلائه وبلائه درجة العارفين وأنّهم يريدون ما يريد الله تعالىٰ بهم[٦]. قال الباقر عليه السلام لجابر الأنصاري: نحن أهل البيت لو أحبّ تعالى لنا المرض والفقر والموت، تكون هي أحبّ إلينا من أضدادها وبالعكس بالعكس.

«ونستعينه على هذه النفوس البِطاء عمّا أُمرت به، السِّراع إلى ما نهيت عنه» الأصل فيه قوله تعالى حكايةً عن الصدّيق ﴿وما أُبرئُ نفسي إنّ النّفس لأمّارةٌ بالسّوء إلّا ما رحم ربّي إنّ ربّي غفورٌ رحيم﴾[٧].

---

(١) الكهف: ١ ـ ٤.
(٢) الأنعام: ١.
(٣) النحل: ١١٤.
(٤) النّمل: ١٩.
(٥) ابراهيم: ٧.
(٦) الكافي ٢: ٩٧ ح١٩.
(٧) يوسف: ٥٣.

«ونستغفره ممّا أحاط به علمه» ﴿الله الذي خلق سبع سماواتٍ ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً﴾[1].

«وأحصاه كتابه» ﴿وكلُّ شيءٍ أحصيناه كتاباً﴾[2].

«علمٌ غير قاصرٍ» ﴿وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتابٍ مبين﴾[3]، ﴿عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرّةٍ في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتابٍ مبينٍ﴾[4]، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرِّ والبحرِ وما تسقط من ورقةٍ إلّا يعلمها ولا حبّةٍ في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلّا في كتابٍ مبينٍ﴾[5].

«وكتابٌ غير مغادرٍ» ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُّك أحداً﴾[6].

«ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود» قال ابن أبي الحديد: إشارة إلى إيمان العارفين والذي يعتبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيّدهم ورئيسهم، ولذلك قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[7].

---

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) النبأ: ٢٩.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) سبأ: ٣.

(٥) الأنعام: ٥٩.

(٦) الكهف: ٤٩.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٣.

«ايماناً نفى إخلاصه الشرك» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال «من قال لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة، وإخلاصه بها أن يحجزه لا إله إلّا الله عمّا حرّم الله»[١].

«ويقينه الشّكّ» عطفٌ على «إخلاصه الشّرك» روي عن حذيفة قال: «لا إله إلّا الله» تردّ غضب الرّبّ عن العباد، ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم، ثمّ قالوها ردّت عليهم، وقيل كذبتم ولستم بها صادقين[٢].

«ونشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له» ﴿شهِدَ الله انّه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقِسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾[٣].

«وانَّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم» ﴿هو الّذي ينزّل علىٰ عبده آياتٍ بيّناتٍ ليخرجكم من الظلمات إلى النّور...﴾[٤]، ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كُلّه وكفىٰ بالله شهيداً* محمدٌ رسول الله...﴾[٥].

«شهادتين تُصعِدان القول وترفعان العمل» ورواه (روضة الكافي) مسنداً جزء خطبة الوسيلة، هكذا: (شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خفّ ميزان ترفعان عنه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنّة، والنّجاة من النّار، والجواز على الصّراط، وبالشّهادة تدخلون الجنّة، وبالصلاة تنالون

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٤ ح١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٥ ح٣.

(٣) آل عمران: ١٨ .

(٤) الحديد: ٩ .

(٥) الفتح: ٢٨ ـ ٢٩.

الرّحمة، فأكثروا من الصلاة على نبيكم)[١] ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تسليماً﴾[٢].

قال ابن أبي الحديد: «قوله عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه...﴾[٣] ويروي (يسعدان) بالسين.

قلت: إنّ الآية وقوله عليه السلام بعدَ (وترفعان) يؤيّدان (تصعدان) بالصّاد؛ وروى (ثواب الأعمال) عن أبي الطفيل عنه عليه السلام قال: (مامن عبد مسلمٍ يقول لا إله إلّا الله إلّا صعدت تخرق كلّ سقف لا تمرّ بشيءٍ من سيّئاته إلّا طمستها حتّى تنتهي إلى مثلها من الحسنات فتقف)[٤].

هذا، وقوله عليه السلام: «شهادتين» مفعول مطلق عددي ونوعي؛ أمّا عدديّته فواضح، وأمّا نوعيته فلوصفه بقوله: «تصعدان القول وترفعان العمل» وهو يفيد على أنّه ليس كلّ شهادة مفيداً بل مع اجتماع شرائطها.

وروى (عيون ابن بابويه) عن إسحاق بن راهويه أنّ الرضا عليه السلام لمّا وافى نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله! ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث نستفيده منك، وكان قد قعد في عمارية ـ فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر، يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد، يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ، يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين، يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ، يقول: سمعت أبي عليّ بن أبي طالب، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: سمعت جبرئيل، يقول: سمعت الله عزّوجلّ، يقول: (لا إله إلّا الله حصني، ومن دخل حصني أمن

---

(١) الكافي ٨: ١٨ ح ٤.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٣، والآية ١٠ من سورة فاطر.

(٤) ثواب الأعمال وعقابها: ٢١ ح ٧.

من عذابي) قال إسحاق فلما مرّت الرّاحلة نادىٰ: بشروطها، وأنا من شروطها[١]. وروى عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في نفر من أصحابه فيهم عليّ عليه السلام إذ قال: من قال (لا إله إلّا الله دخل الجنّة) فقال: رجلان من أصحابه، فنحن نقول لا إله إلّا الله فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: انّما تقبل شهادة لا إله إلّا الله من هذا، ووضع يده على رأس عليّ عليه السلام، وشيعته الّذين أخذ ربّنا ميثاقهم، ثمّ قال: علامة ذلك ألّا تحلّا عقده، ولا تجلسا مجلسه، ولا تكذّبا حديثه[٢].

«لا يخِفُّ ميزانٌ توضعانِ فيه» وفي خبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيّئاته جئت بالصلاة عليّ حتّى أثقل بها حسناته[٣].

«ولا يثقل ميزانٌ ترفعان منه» ﴿وقَدِمنا إلى ما عمِلوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً﴾[٤].

«أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله التي هي الزّاد» الإتيان بالجملة الإسميّة مع تعريف الخبر للدلالة على حصر زاد الآخرة فيها.

«وبها المعادُ» من العائدة يقال: (هذا الشيء أعْوَدُ عليك من كذا) أي: أنفع؛ وقال ابن أبي الحديد مصدر من (عدت بكذا) أي: لجأت إليه واعتصمت[٥].

قلت: لم أقفْ على من قال بما قال في (عاد) وإنّما قالوه في (عاذ) ولعلّه قرأه (وبها المعاذ) إلّا أنّه يأباه قوله بعد (ومعاد منجح) ولا يناسبه قوله قبل

---

(١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه: ١٣٤ ح ٤.

(٢) ثواب وعقاب الأعمال: ٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٧ ح ١.

(٤) الفرقان: ٢٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٩.

(هي الزّاد) وجعله الخوئي من الإعادة حيث قال: «أي: وبها المرجع»[١] وهو أيضاً كما ترى؛ فالإعادة في القيامة للكلّ المتّقي والفاجر.

«زادٌ مبلِّغٌ» بخلاف زاد الدُّنيا فانّها لا تبلّغ المقصد في الأغلب.

«ومعادٌ منجحٌ» من (أنجح): صار ذا نَجَح وهو الظَّفَر بالحوائج، وعوائد الدُّنيا غير منجحة في الأكثر.

«دعا إليها أسمع داعٍ» قال ابن أبي الحديد: بناء (أفعل) هنا من الرّباعي كما جاء (ما أعطاه للمال)[٢].

قلت: بل الظاهر أنّه من الثّلاثي وأنّ السّمع إذا جاء مع الدّاعي يكون بمعنى الإسماع سواء كان بلفظ التفضيل كما في كلامه عليه السلام أو بلفظ آخر، كما في قول عمرو بن معد يكرب.

أمن ريحانة الدّاعي السميع

أي: المسمع؛ وامّا منفرداً فانّما هو على أصله كقوله:

أغرّ طويل الباع اسمع من سمع

والسّمع: ولد الذّئب من الضّبع وبه يضرب المثل في شدّة السّمع، كالقراد؛ فقالوا: يسمع صوت إخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرّك! وكالفرس فقالوا: يسمع سقوط الشّعرة منه[٣].

«ووعاها خير واعٍ» أي: مستمع، يجعل أذنه كالوعاء لدعوته؛ تعالى ويترجم بالفارسية بقولهم (گوش گير) قال تعالىٰ ﴿...وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ﴾[٤].

«فاسمع داعيها» فقال صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: (مامن شيء يقربكم من

(١) الخوئي ٨: ٥٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٤.

(٣) الصحاح: (سمع) وكذلك المنجد: ٣٥.

(٤) الحاقة: ١٢.

الجنّة إلّا أمرتكم به وما من شيءٍ يقرّبكم من النار إلّا نهيتكم عنه).

«**وفاز واعيها**» ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[١]، قال ابن أبي الحديد: قيل أراد عليه السلام به نفسه، لأنّه نزل فيه عليه السلام[٢] ﴿وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ﴾[٣].

«**عباد الله إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه**» ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ * فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[٤].

«**وألزمت قلوبهم مخافته**» ﴿وأنذر به الّذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ لعلّهم يتّقون﴾[٥].

«**حتّى أسهرت لياليهم**» والسهر عدم مجيء النّوم، ونسبته إلى الليالي مجاز، وانما المراد سهر المتّقين في لياليهم قال تعالىٰ: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٦].

«**وأظمأت هواجرهم**» جمع الهاجرة: نصف النّهار عند اشتداد الحرّ، والمراد صومهم في الأيام الحارّة، وتحمّلهم الظّمأ لريّ آخرتهم؛ قال تعالىٰ ﴿إنّ المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصّادقات، والصّابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدّقين والمتصدّقات، والصّائمين والصّائمات، والحافظين فروجهم

---

(١) الأحزاب: ٧١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٤.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) الأنعام: ٥١.

(٦) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

والحافظات، والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات، أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾[١].

وروى (الكافي): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استقبل حارثة بن مالك الأنصاري فقال له: كيف أنت؟ قال: مؤمن حقّاً. قال: فما حقيقة قولك؟ قال: عزفت نفسي عن الدُّنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت هواجري، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد وضع للحساب، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وكأنّي أسمع عواء أهل النار في النّار، فقال صلى الله عليه وآله: عبدٌ نوّر الله قلبه، فقال: أُدعُ الله أن يرزقني الشهادة فقال: اللّهمّ ارزقه؛ فلم يلبث حتّى بعث سريّة فبعثه فيها فقتل سبعة أو ثمانية فقتل[٢].

«**فأخذوا الرّاحة**» أي: راحة الآخرة.

«**بالنّصب**» أي: بتعب الدُّنيا؛ في (العقد): قالت الحكماء لا يواظب أحد على باب السّلطان فيلقي عن نفسه الأنفة ويحتمل الأذىٰ ويكظم الغيظ، إلّا وصل إلى حاجته. ونظر رجل إلى روح بن حاتم واقفاً في الشّمس، فقيل له في ذلك فقال: ليطول وقوفي في الظلّ، ونظر آخر إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم النّاس على باب محمد بن سليمان فقال له: مثلك يرضى بهذا؟ فقال:

اهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولا يكرم النّفس الذي لا يهينها[٣]

«**والرّيّ بالظّمأ**» من (روى من الماء) فأصل الرّيّ: الرّوي؛ وفي الخبر، قال تعالىٰ: الصوم لي، وأنا أجزي به[٤]، وفي آخر: للصّائم فرحتان فرحة عند

---

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) الكافي ٣: ٩٠ ح٣.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربّه ١: ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) الكافي للكليني ٤: ٦٣ ح٦.

إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه[١].

«واستقربوا الأجل فبادروا العمل وكذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل» ﴿إنّ الّذين هم من خشية ربّهم مشفقون* والّذين هم بآيات ربّهم يؤمنون* والّذين هم بربّهم لا يشركون* والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنّهم إلى ربّهم راجعون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٢]. وفي الدعاء: وأعنّي على استغفارك واستقالتك قبل أن يفنى الأجل، وينقطع العمل، وأعنّي على الموت وكربته، وعلى القبر ووحشته، وعلى الميزان وخفّته، وعلى الصّراط وزلّته، وعلى يوم القيامة وروعته، وأسألك نجاح العمل قبل انقطاع الأجل[٣].

«ثم إنّ الدُّنيا دار فناء وعناء وغيرٍ وعبرٍ» رواه (أمالي الشيخ)[٤] إلى آخر الخطبة مع اختلاف يسير.

«فمن الفناء انّ الدّهر مؤتّرٌ قوسه» وزاد (الأمالي) «مُفوِّقٌ نبلهُ».

«لا تُخطئ سِهامه» في (الطبري): وقع الطاعون في الكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة، فلمّا ارتفع الطاعون، قيل له: لو رجعت؟ فقدمها فطعن فمات[٥].

«ولا تؤسىٰ جراحه» من (أسوت الجرح): داويته. في (عيون القتيبي): قَدِمَ رجل من عبس، ضرير محطوم الوجه على الوليد، فسأله عن سبب ضرّه، فقال: بتّ ليلة في بطن وادٍ ولا أعلم عبسيّاً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فأذهب ما كان لي من أهل ومال وولد إلّا صبيّاً رضيعاً وبعيراً صعباً، فندّ

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٦٥ ح١٥.

(٢) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

(٣) البلد الأمين للكفعمي: ٦١.

(٤) الأمالي للصدوق: ٩٧ ح٨.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ١٧٤.

البعير، والصبيّ معي، فوضعته واتّبعت البعير، فاستدار فرمحني رمحة حطّم بها وجهي، وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد! فقال الوليد: إذهبوا به إلى عروة بن الزبير ـ وكان أصيب بابن له، وأصابه الداء الخبيث في إحدىٰ رجليه فقطعها ـ ليعلم أنّ في النّاس من هو أعظم بلاءً منه[1].

«يرمي الحيّ بالموت والصّحيح بالسّقم» روى (الكافي) عن سيف بن اللّيث قال: خلّفت أبناً لي عليلاً بمصر عند خروجي منها، وابناً لي آخر أسنُّ منه كان وصيّي وقيّمي على عيالي وفي ضياعي، فكتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله الدعاء لابني العليل، فكتب عليه السلام: تدعو في ابنك المعتلّ، ومات الكبير وصيّك وقيّمك فاحمد الله ولا تجزع فيحبط أجرك؛ فورد الخبر عليّ، أنَّ ابني قد عُوفي من علّته، والكبير مات يوم ورد عليّ جوابه[2].

وفي (الطبري): دخل سلمة بن زيد الفهمي على عبد الملك فقال له عبد الملك: أي: الزّمان أدركت أفضل، وأيّ الملوك أكمل؟ قال: أمّا الملوك فلم أرَ إلّا ذامّاً وحامداً! وأمّا الزَّمان فيرفع أقواماً ويضع أقواماً وكلّهم يذمّ زمانه، لأنّه يبلي جديدهم، ويهرم صغيرهم، وكلّ ما فيه منقطع إلّا الأمل. قال: فاخبرني عن (فهم)؟ قال: هم كما قال، من قال:

درج اللّيل والنّهار على ... فهم بن عمرو فأصبحوا كالرّميم
دخلت دارهم فأضحت يبابا ... بعد عزٍّ وثروةٍ ونعيم
وكذاك الزّمان يذهب بالنّاس ... وتبقى ديارهم كالرّسوم[3]

«والنّاجي بالعطب» أي: الهلاك.

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٦٤.

(٢) الكافي ٢: ٤٤٤ ح١٨.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٢.

«آكلٌ لا يشبع وشاربٌ لا ينقع» لا يشبع من لحومهم، ولا يشفى غليله من دمائهم.

«ومن العناء أنّ المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن» في (الكافي): أنّ ركباً لقوا النبيّ صلى الله عليه وآله في سفر، فسلّموا عليه فقال: من أنتم؟ قالوا: مؤمنون، قال: ما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرّضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: علماء، حكماء، كانوا أن تكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون[1].

هذا، وفي (المعجم): البيضاء؛ دار عمّرها عبيدالله بن زياد بالبصرة، ولمّا تمّ بناؤها أمر وكلاءه ألّا يمنعوا أحداً من دخولها، وان يتحفّظوا كلامهم، فدخل فيها أعرابيّ وكان فيها تصاوير، فقال: لا ينتفع بها صاحبها، ولا يلبث فيها إلّا قليلاً، فأُتي به ابن زياد، وأُخبر بمقالته، فقال له: لِمَ قلت هذا؟ قال: فلأنّي رأيت فيها أسداً كالحاً وكلباً نابحاً وكبشاً ناطحاً، فكان الأمر كما قال ولم يسكنها إلّا قليلاً حتّى أخرجه أهل البصرة إلى الشام ولم يَعُد إليها[2].

«ثمّ يخرجُ إلى الله لا مالاً حمل، ولا بناءً نقل» في (تاريخ بغداد): أشرف أحمد بن يوسف ـ وهو من أفاضل كُتّاب المأمون ـ وهو بالموت على بستان له على شاطئ دجلة، فجعل يتأمّله ويتأمّل دجلة ثم تنفّس فقال متمثّلاً:

ما أطيب العيش لولا موت صاحبه ... ففيه ما شئت من عيب لعائبه[3]

فما انزل حتّى مات.

---

(١) الكافي ٢: ٤٨ ح١.

(٢) معجم البلدان للحموي ١: ٥٣٠.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥: ٢١٨.

«ومن غيره أنّك ترى المرحوم مغبوطاً» في (العيون) عن الحسين بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: كنّا حول الرضا عليه السلام، ونحن شبّان من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي وهو رثّ الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض وضحك من هيئة جعفر، فقال الرّضا عليه السلام: لترونه عن قريب كثير المال، كثير التّبّع فما مضى الّا شهر أو نحوه حتّى ولّي المدينة، وحسنت حاله وكان يمرّ بنا ومعه الخصيان والحشم[1].

«والمغبوط مرحوماً، ليس ذلك إلّا نعيماً زَلَّ وبؤساً نزل» لما مات الحجّاج خرجت عجوز من داره، وهي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا[2]

وفي (الكامل): كان قتال بين مراد وهمدان، فظفرت همدان، وأكثروا القتل في مراد، فقال فروة بن مسيك المرادي:

فان نغلب فغلّابون قدما وان نهزم فغير مهزّمينا
وما ان طبّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدّهر دولته سجال تَكِرُّ صروفه حيناً وحينا
فبينا ما يسرّ به ويرضى ولو لبست غضارته سنينا
إذا انقلبت به كرّات دهر فألقى للأولى غبطوا طحينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم يجد ريب الزّمان لهم خؤنا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا ولو بقي الكرام إذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قوم كما أفنى القرون الأولينا[3]

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ٢٠٩ ح١١.

(٢) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ٢٠٩ ح ١١.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٩٦.

وفي السير: في سنة (٣٨١) سأل بهاء الدولة (الطائع) أن يجدّد عهده فلما دخل عليه جاء بعض الديلم ليقبّل يده، فأمسكها وأنزله عن سريره وهو يسترجع فخلع، وكانت خلافته (١٧) سنة، وكان من جملة الحاضرين الشريف الرّضيّ فأنشد:

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العزّ والهون

وبعدما كان بالسرّاء يضحكني يا قرب ما عاد بالضّرّاء يبكيني[1]

وفي سنة (٥٥٠) ملك الغزّ نيسابور وقتلوا نحواً من ثلاثين ألفاً وكان السّلطان سنجر له اسم السلطنة، وهو معتقل لا يلتفت إليه، حتّى أنّه أراد كثيراً من الأيام أن يركب، فلم يكن له من يحمل سلاحه فيشدّه على وسطه ويركب، وكان إذا قُدِّم إليه طعام، يدّخر منه ما يأكله وقتاً آخر خوفاً من انقطاعه عنه، لتقصيرهم في واجبه.

وفي (الطبري)[2]: كان عثمان بن حيّان المرّي على المدينة من قبل سليمان بن عبد الملك، وكان أبو بكر بن حزم استأذنه أن ينام في غدوّ تسع بقين من شهر رمضان، ليقوم ليلة إحدى وعشرين فأذن له، وكان عنده أيّوب بن سلمة المخزومي وكان بينه وبين ابن حزم شيء، فقال لعثمان: هذا منه رياء، فقال عثمان: لست لأبي إن أرسلت إليه غدوة، ولم أجده جالساً لأجلدنّه مائة ولأحلقنّ رأسه ولحيته، فقال أيّوب: فجاءني أمر أحبّه، فعجّلت من السحر فإذا شمعة في الدار؛ فقلت: عجّل المرّي، فاذا رسول سليمان قد قدم على ابن حزم بتأميره وعزل عثمان وحدّه؛ قال: فدخلت دار الإمارة، فإذا عثمان جالس وإذا بابن حزم على كرسيّ يقول للحدّاد: إضرب في رجل هذا

---

(١) المصدر نفسه ٩: ٨٠ والشعر مذكور في ديوان الرضي ٢: ٤٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٢.

الحديد، ونظر إلى عثمان فقال:

آبـوا عـلى أدبـارهم كشـفا والأمر يحدث بعده الأمـر[١]

وفي (البلاغات) قيل لابنة النّعمان بن المنذر: صفي ما كنتم فيه؟ قالت: أصبحنا والنّاس يغبطوننا، فلم نمسِ حتى رحمنا عدوّنا[٢].

وفي (البيان): بينا حذيفة وسلمان يتذاكران أعاجيب الزمان وتغيّر الأيّام، وهما في عرصة إيوان كسرىٰ، وأن أعرابيّ من غامد يرعىٰ شويهات له نهاراً، فإذا كان الليل صيّرهن إلى داخل العرصة، وفي العرصة سرير رخام كان كسرىٰ ربّما جلس عليه، إذ صعدت غنيمات الغامدي على سرير كسرىٰ! فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي علىٰ سرير كسرى، وكانت ملوك الزّمان إذا وصلوا إلى قرب سريره طرحوا أنفسهم على التراب[٣].

وعن صالح المورياني قال: دخلت دار أبي أيّوب المورياني بعد نكبة المنصور له، فتذكّرت ثلاث آيات من الكتاب فيها ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلّا قليلاً...﴾[٤]، ﴿ولقد تركناها آيةً فهل من مُدّكِرٍ﴾[٥]، ﴿فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا...﴾[٦]، فخرج إليّ أسود من ناحية الدار، فقال: هذا سخط المخلوق فكيف سخط الخالق[٧]!

---

(١) الكامل لابن الأثير ١١: ٢٠١.

(٢) بلاغات النساء لابن أبي طاهر : ١٤١ طبع النجف الأشرف.

(٣) البيان والتبيان للجاحظ ٣: ١٤٨.

(٤) القصص: ٥٨.

(٥) القمر: ١٥.

(٦) النمل: ٥٢.

(٧) لم نعثر عليه.

وفي (وزراء الجهشياري): طلب المنصور يوماً الربيع فلم يجده، فلما دخل عليه سأله عن خبره، فقال: كنت عند سليمان الكاتب ـ يعني أبا أيّوب ـ فقال: ومن رأيت عنده؟ قال: عبدالله بن مروان بن محمّد، وقد طلب منه حاجة فقضاها، وقام عبد الله فقبّل رأس سليمان، وكان المنصور متّكئاً فاستوى جالساً، وقال : يا ربيع! قَبّل عبدالله رأس سليمان؟ فقال: نعم، فقال: الحمد لله وخرّ ساجداً، فأطال، ثمّ قال: يا ربيع! أتدري، أيّ نعمة جدّد الله عندي في هذا الوقت ؟ قال: لا . فكشف المنصور عن ساقه، فإذا فيها أثر بيّنٍ، ثم قال: كنت بدمشق في أيّام مروان، إذ رأيت للنّاس حرك، فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: عبدالله بن الخليفة يركب ـ وما ركب قبل ذلك ـ وقد أمر الجند بالزّينة، وانجفل الناس للنظر، فخرجت فيمن خرج، فازدحم النّاس على بعض الطرق زحمة شديدة وكانت دابتي صعبة فسقطت عنها، وانكسرت ساقي وغشينا النّاس ومكثت دهراً عليلاً، وهاهو اليوم يقبّل رأس كاتبي[1].

وفي (لطائف الثعالبي) قال الصولي: لا يعرف خليفة قَبّل يد خليفة، ثم قبّل ذلك الخليفة بعينه يده، إلّا ما كان من فعل المعتصم بإبراهيم بن المهدي ثمّ فعل إبراهيم بالمعتصم مثله؛ قال: ومن عجائب الزّمان التي رأيتها وشاهدتها أنّي بكّرت يوم الأربعاء إلى دار الوزير القاسم بن عبيدالله، وهو لمّا به، فرأيت ابنيه أبا علي الحسين، وأبا جعفر محمّداً، قد خرجا فقام النّاس إليهما، ودنا العبّاس بن الحسن فقبّل أيديهما، ومات القاسم في ذلك اليوم، واستوزر العباس! فرأيت العبّاس قد ركب إلى دار القاسم معزّياً، وخرج ابنا القاسم اللّذان قبّل العباس أيديهما ذلك اليوم، فقبّلا يد العبّاس

(١) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ١١٣ .

في عشيته، أي: في مسائه[1].

وفي (المعجم): قال أبو علي التنوخي: كنت في سنة (٣٥٢) ببغداد فحضر أوّل يوم من شهر رمضان فاصطبحت أنا وأبو الفتح الكاتب في دار أبي الغنائم ابن الوزير أبي محمّد المهلّبي لنهنئه بالشهر عند توجّه أبيه إلى عمّان، وبلغ أبوه إلى موضع من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيّته عن الخروج واستوحش معزّ الدولة منه، وفسد رأيه فيه، واعتلّ المهلبي هناك ثمّ أمره معزّ الدّولة بالرّجوع وقد اشتدّت علّته، والنّاس بين مرجفٍ بأنّه يقبض عليه إذا حصل بواسط، أو عند دخوله بغداد، ومرجف بوفاته؛ وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد، أبو الفضل وأبو الفرج، فدخلنا على ابن الوزير وهو جالس في عرضيّ داره التي كانت لأبيه على دجلة على الصّراط عند شبّاك على دجلة، وهو في دستٍ كبيرٍ عالٍ وبين يديه النّاس على طبقاتهم، فهنّأناه بالشّهر، وجلسنا وهو إذ ذاك صبيّ غير بالغ إلّا أنّه محصّل، فلم يلبث أن جاءه أبو الفضل وأبو الفرج فدخلا إليه وهنّآه بالشهّر، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره على طرف دسته في الموضع الذي فيه فضلة المخادّ إلى الدّست وما تحرّك لأحدهما ولا شاركاه في الدّست، وأخذا معه في الحديث وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم فيسارّه فيمضي ويعود، ويخاطبه سرّاً، إلى أن جاءه بعد ساعة، فسارّه فنهض - وكان زوج بنت بنت الوزير - فحين دخل واطمأنّ قليلاً وقع الصُّراخ وتبادر الخدم والغلمان، ودعي الصبي - وكان يتوقّع أن يرِدَ عليه خبر موت أبيه، لأنّه كان عالماً بشدّة علّته - فقام فأمسكه أبو الفرج، وقال: إجلس، وقبض عليه، وخرج أبو الفضل وقد قبض على أُمّ الصّبيّ، ووكّل بها خدماً وختم الأبواب، ثمّ قال للصَّبيّ: قُم إلى مولانا - يعني

---

(١) لطائف المعارف للثعالبي: ١٣٣ .

معزّ الدولة ـ فقد طلبك، وقد مات أبوك، فبكى الصّبي وسعى إلى أبي الفضل وعلق بدرّاعته وقال: يا عمّ! الله الله! ـ يكرّرها ـ فضمّه أبو الفضل إليه واستعبر وقال: ليس عليك بأس، وانحدروا إلى زبازبهم، فجلس أبو الفرج في زبزبه، وجلس أبو الفضل في زبزبه، وأجلس الغلام بين يديه، وأصعدت الزّبازب تريد معزّ الدّولة بباب الشماسيّة، فقال أبو الفتح: ما رأيت مثل هذا قطّ ولا سمعت! لعن الله الدُّنيا، أليس الساعة كان هذا الغلام في الصّدر معظّماً وكان خليفتا أبيه بين يديه وما افترقا حتّى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً؟ ثمّ جرى من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحد[1].

وفي (الكامل): لمّا قبض محمّد بن محمود الغزنوي على أخيه مسعود الملك أرسل إليه يطلب منه مالاً ينفقه فأنفذ له خمسمائة درهم! فبكى مسعود، وقال: كان بالأمس عليّ ثلاثة آلاف جمل من الخزائن، واليوم لا أملك الدرهم الفرد فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار[2].

هذا وفي (أدب الكاتب للصّولي) قال عديّ بن الرّقاع في تشبيه قرن ولد الظّبي بالقلم:

تزجى أغنُّ كأنّ أُبرة روقه   قلم أصاب من الدُّواة مدادها

ويروى أن جريراً كان حاضراً عند عديّ، وهو ينشد قصيدته، قال: فلمّا أنشد صدر البيت:

تزجى أغنّ كأنّ ابرة روقه

رحمته، وقلت: هلك. فلمّا قال:

قلم أصاب من الدواة مدادها

---

(١) لا وجود له في ترجمة أبو علي التنوخي.

(٢) الكامل لابن الأثير ٩: ٤٨٥ حوادث ٤٣٢.

حالت الرحمة حسداً[١].

ودعا أبو العيناء ضريراً ليعشّيه فلم يدع شيئاً إلّا أكله! فقال: يا هذا! دعوتك رحمة، فتركتني رحمة؛ وقال البحتري في أبي الصّقر:

جزتك جوازي الخير عن متهضّم تكفا عليه جائر الحكم قاسطه
ولمّا أتاه الغوث من عدلك انثنى وراحمه من ذلك الجور غابطه[٢]

وقال عبيد بن شبرمة الجهني ـ وقد عاش ثلاثمائة سنة ـ لمعاوية: مررت يوماً بقوم يدفنون ميّتاً لهم، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي، فتمثّلت بقول الشاعر:

وبينما المرء في الأحياء مغتبطٌ إذ صار في الرّمس تعفوه الأعاصيرُ
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيّ مسرورُ

فقال لي رجل: أتعرف قائل الشعر؟ قلت: لا، قال: قائله هذا المدفون وأنت غريب تبكي عليه ولا تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره أقرب النّاس إليه وهو أسرُّهم بموته[٣]!

«ومن عِبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقطعه حضور أجله» في (المعجم): غلب الدَّيْن على يحيى الحنفي من يمامه فهرب، وكان غاية أمله أن يؤدّي دَيْنه وأن يرجع إلى وطنه، فقال في ذلك أشعاراً غنّى بها عند الرشيد، فأمر بردّه وقضاء دينه، لكنّه كان مات قبل أمر الرشيد بشهر. وفي الخبر: أنّ علي بن اسماعيل بن جعفر، وأخوه محمّد سعىٰ إلى الرشيد في عمّه موسىٰ بن جعفر عليه السلام، طمعاً في جائزة عظيمة منه، أمر له الرشيد

---

(١) أدب الكتاب للصولي: ٧٩.

(٢) ديوان البحتري ١: ١٧٤.

(٣) هو عبيد بن شريه الجرهمي كما ورد في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠٥.

بشيء فوصل إليه حين نزعه[١].

وفي السيَر: أنّ مروان بن محمد نقف بعد قتله برأسه، ونفض مخّه، وقطع لسانه، وألقي مع لحم عنقه، فجاء كلب فأخذ اللسان، فقال قائل: إنّ من عبر الدُّنيا أن رأينا لسان مروان في فم كلب[٢].

ولكن في (تاريخ خلفاء السيوطي) عن الصولي عن محمد بن صالح: لمّا قُتل مروان الحمار قُطع رأسه ووجّه به إلى عبدالله بن عليّ، فنظر إليه وغفل، فجاءت هرّة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه، فقال عبدالله بن علي: لو لم يُرِنا الدّهر من عجائبه إلّا لسان مروان في فَمِ هِرّة لكفانا[٣].

«فلا أملٌ يدرك ولا مؤمَّلٌ يترك» في (الكامل): حادثة يُعتَبَر بها؛ بيع في سنة (٤٩٣) رحل ابن جهير ودورهم بباب العامّة، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد الملك ثمّ قتل مؤيّد الملك في سنة (٤٩٤) وبيع ماله وتركته، وأخذ الجميع وحمل إلى الوزير الأغر وقتل الوزير الأغرّ هذه السنّة، وبيع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولّي بعده أكثرها وتفرّقت أيدي سبا[٤].

وفي (مقاتل أبي الفرج): نعي عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن المثنّى إلى المتوكّل ثم نعي بعده أحمد بن عيسى، فاغتبط بوفاتهما، وسُرّ وكان يخافهما خوفاً شديداً، ويحذر حركتهما لما يعلمه من فضلهما، واستنصار الشيعة الزيدية بهما، وطاعتها لهما لو أرادا الخروج عليه، فلما ماتا أمن واطمأنّ، فما لبث بعدهما إلّا اسبوعاً حتى قُتل![٥]

---

(١) لا وجود ليحيى الحنفي في المعجم.

(٢) جاء في الكامل لابن أثير في فم كلب ٥: ٤٢٧، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «في فم هر».

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠٥.

(٤) انظر ابن الأثير في الكامل ١٠: ٢٩٩ و ١٠: ٣٠٤ ـ ٣٠٥ حيث ذكر الأمرين.

(٥) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٤١٧ ـ ٤١٨.

«فسبحان الله ما أعزّ سرورها» (عزّ الشيء: إذا قلّ لا يكاد يوجد). عن المدائني: دخلت امرأة من بني مروان على عبدالله بن عليّ بالشّام، فبكت فقال: ممّ تبكين؟ أجزعاً لأهلك على ما أصابهم؟ قالت: لا والله ولكنّه ما كان يوم سرور إلّا وهو رهن بيوم مكروه.

«وأظمأ ريّها» فالدُّنيا كماء البحر، كلّما ازداد إنسان من شربه، إزداد عطشه وظمأه.

«وأضحى فيئها» من (ضَحِي ـ بالكسر والفتح ـ للشمس): برز لها؛ و (الفيء): الظلّ الحادث.

«لا جاء يردّ ولا ماضٍ يرتدّ» قال ابن أبي الحديد: أخذه أبو العتاهية فقال:

فلا أنا راجعٌ ما قد مضى لي ولا أنا دافع ما سوف يأتي[1]

«فسبحان الله ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به وأبعد الميّت من الحي لإنقطاعه عنه» كلّ شيء كان قريباً من شيء آخر كان الآخر مثله، وكذلك كلّ شيء كان بعيداً لكن تخلّف هذا الأصل في الحيّ والميت فالحي في غاية القرب من الميّت للحاقه به تقول في زيارة القبور (وإنّا إنشاء الله بكم لاحقون) والميّت في غاية البعد لاستحالة رجوعه.

«إنّه ليس شيء بشرٍّ من الشّر إلّا عقابه وليس شيءٌ بخيرٍ من الخير إلّا ثوابه» قال ابن أبي الحديد: وقال الشّاعر:

فالخير خير وخيرٌ منه فاعلُه والشرُّ شرٌّ وشرٌّ منه صانعه[2]

«وكلّ شيء من الدُّنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه» ولذا عبّر تعالى في وصف شدائد الآخرة في مواضع بلفظ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٧: ٢٥٧.

(ولو ترىٰ) فقال سبحانه: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربِّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون﴾[١]، ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخذوا من مكانٍ قريبٍ﴾[٢]، ﴿وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكانٍ بعيدٍ﴾[٣]، ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربِّهم يُرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين﴾[٤]، ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردُّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾[٥]، ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربِّهم قال أليس هذا بالحقّ قالوا بلى وربّنا...﴾[٦]، ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[٧].

وقال عليه السلام في موضع آخر في وصف المحتضرين: «فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت».

«فليكفكم من العيان» أي: من رؤية تلك الأمور بالعيان السّماع من الرسل.

«ومن الغيب الخبر» فالخبر إذا كان من صادق بالبرهان، يحكم العقل بوجوب تصديقه والعمل بمقتضىٰ خبره.

«واعلموا أنَّ ما نقص من الدُّنيا وزاد في الآخرة خير ممّا نقص في الآخرة»

---

(١) السجدة: ١٢.

(٢) سبأ: ٥١.

(٣) سبأ: ٥٣.

(٤) سبأ: ٣١.

(٥) الأنعام: ٢٧.

(٦) الأنعام: ٣٠.

(٧) الأنعام: ٩٣.

هكذا في (المصرية)[1] والصواب: «من الآخرة» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[2].

«وزاد في الدُّنيا» لأنّ الحياة الدُّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار.

«فكم من منقوصٍ رابحٍ ومزيدٍ خاسرٍ» فمن يزرع بذره ينقص في العاجل ماله، ويربح في الآجل أضعاف ما نقص إذا قام بسقيه وقمع دغله كما أنّ من زاد زرعه بالنّباتات الدّغلية يخسر ولا يحصل له كثير حاصل.

«إنّ الذي أُمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه» ﴿فكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إيّاه تعبدون* إنّما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فإنَّ الله غفور رحيم﴾[3]، ﴿كلوا من طيّبات ما رزقناكم...﴾[4].

«وما أُحِلَّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم» ﴿يا أيُّها الناس كُلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين﴾[5]، ﴿يسألونك ماذا أُحِلّ لهم قل أُحلّ لكم الطيّبات...﴾[6]، ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدُّنيا خالصةً يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يعلمون﴾ ﴿قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله مالم ينزّل به

---

(١) الطبعة المصرية المصححة بلفظ «عن»: ٢٧٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥١ والخطية: ٩٨ بلفظ «من» وشرح ابن ميثم بلفظ «في».

(٣) النحل: ١١٤ ـ ١١٥.

(٤) البقرة: ٥٧.

(٥) البقرة: ١٦٨.

(٦) المائدة: ٤.

سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾[1].

«فذروا ما قلّ لما كثر وما ضاق لما اتّسع» مثلاً أحلّ لنا استعمال الأواني من كلّ فلزّ ومعدن وجنس سوى الذّهب والفضّة، وأحلّ للرّجال منّا الزّينة بكلّ لبس وحلية سوى الحرير والذّهب، فالواجب علينا أن نشكره تعالىٰ حيث وسّع علينا في التمتّع ولم يجعل علينا حرجاً فيما أوجب علينا منه التمنّع، مع أنّه منع ما منع لمفاسد ومضارّ؛ وقال ابن أبي الحديد: دخل إنسان على عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام وعليه ثياب مرتفعة القيمة، فقال: يا ابن رسول الله أتلبس مثل هذا؟ فقال عليه السلام له: ﴿...مَن حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق...﴾[2].

وروى (الكافي): أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بعث ابن عباس إلى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيّب بأفضل طيبه، وركب أفضل مراكبه، فلمّا وافقهم قالوا: يا ابن عبّاس! بينا أنت أفضل النّاس، إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم، فتلا عليهم هذه الآية ﴿قل مَن حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...﴾[3].

وروي أنّ سفيان الثوري رأى الصادق عليه السلام في المسجد الحرام وعليه ثياب كثيرة القِيمة حِسان، فقال: يا ابن رسول الله! ما لبس النبيّ صلى الله عليه وآله ولا عليّ عليه السلام مثل هذا اللباس فقال عليه السلام: كان النبيّ صلى الله عليه وآله في زمان قترٍ مقترٍ، وكان يأخذ لقتره وإقتاره، وإنّ الدُّنيا بعد أرخت عزاليها فأحقّ أهلها بها أبرارها ثم تلا الآية[4].

---

(١) الأعراف: ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٩، والآية ٣٢ من سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ٣٢، والرواية في الكافي ٦: ٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٤٤٢ ح٨.

كما أنّه روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كسا أُسامة بن زيد حُلّة حريرٍ فخرج فيها، فقال: مهلاً يا اسامة! انّما يلبسها من لا خلاق له في الآخرة فاقسمها بين نساءك[١].

«قد تكفّل لكم بالرزق» هكذا في (الخطية)[٢] والظاهر أنّ الأصل (وقد تكفّل) فانّ المقام مقام الوصل، وكيف كان فقال تعالىٰ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية املاقٍ نحن نرزقهم وإيّاكم...﴾[٣].

«وأمرتم بالعمل» ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[٤].

«فلا يكونن المضمون لكم» وهو الرّزق.

«أولى بكم من المفروض عليكم عمله» في (توحيد ابن بابويه) عنه عليه السلام: «إنّ الاهتمام بالرزق غير زائد في الموظوف وفيه يضيع الزّاد، والإقبال على الآخرة غير ناقص من المقدور وفيه إحراز المعاد» وأنشد عليه السلام:

لو كان في صخرة في البحر راسية ... صمّاء ملمومة ملس نواصيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت ... عنه فادّت إليه كلّ ما فيها
أو كان بين أطباق السبع مجتمعة ... لسهّل الله في المرقى مراقيها
حتّى يوافي الذي في اللّوح خطّ له ... ان هي أتته وإلّا فهو آتيها[٥]

وفي (الكافي) عنه عليه السلام أيضاً: أيها الناس اعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم، والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال

(١) الكافي للكليني ٦: ٤٥٣ ح ٢.
(٢) النسخة الخطية: ٩٨، وجميع النسخ الأُخرىٰ.
(٣) الاسراء: ٣١.
(٤) الكهف: ١٠.
(٥) التوحيد لابن بابويه: ٣٧٢ ح ١٥.

مقسوم مضمون قد قسمه عادل بينكم، وضمنه، وسَيَفِي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه[١].

«مع أنّه والله لقد اعترض الشّك» أي: عرض وحال دون العمل.

«ودخل اليقين» أي: صار دخيلاً ومعيوباً.

«حتّى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم» قال عليه السلام: كان في ما وعظ لقمان ابنه أن قال: يا بنيّ! ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته، وطلب الرّزق أنّ الله تعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره، وآتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة أنّه تعالى سيرزقه في الحالة الرابعة، أمّا أوّل ذلك فانّه كان في رحم أمّه يرزقه هناك لا يؤذيه في حرّ ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أُمّه يكفيه به ويربّيه وينعشه من غير حول ولا قوّة، ثم فُطم من ذلك فأجرىٰ له رزقاً من كسب أبويه برأفة له ورحمة من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة حتّى إذا كبر وعقل، واكتسب بنفسه ضاق به أمره وظنَّ الظنون بربّه، وجحد الحقوق في ماله، وأقتر على نفسه وعلى عياله مخافة إقتار رزق، وسوء ظنّ، ويقين بالخلف من الله تعالىٰ في العاجل والآجل فبئس العبد هذا يابنيّ[٢].

«فبادروا العمل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إذا همّ أحدكم بخيرٍ أو صِلَة فإنّ عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفّاه عن ذلك[٣].

وعنه عليه السلام: إذا هممت بشيءٍ من الخير فلا تؤخّره فإنّه تعالى ربّما اطّلع على العبد، وهو على شيءٍ من الطاعة فيقول: وعزّتي وجلالي! لا أُعذّبك بعدها

---

(١) الكافي ١: ٣٥ ح٦.

(٢) الخصال ١: ٦٠ ـ ٦١ . ونقله المجلسي في البحار ١٣: ٤١٤ رواية (٥) .

(٣) الكافي ٣: ٢١٣ ح٨.

أبداً، وإذا هممت بسيئةٍ فلا تعملها فانّه ربّما اطّلع على العبد وهو على شيء من المعصية، فيقول وعزّتي وجلالي! لا أغفر لك بعدها أبداً[١].

قلت: ويمكن تفسير الخبر بأنّ بعض الأعمال الحسنة يؤدّي إلى ما فوقه كما في تأدّب الحرّ مع الحسين عليه السلام، وبالعكس كما في كتابة عمر بن سعد إلى يزيد يخبره بورود مسلم الكوفة، وعدم كفاية النعمان وإفشائه سرّ مسلم لمّا وصّى إليه فأدّياه إلى تصدّيه لقتل الحسين عليه السلام الموجب لهلاكه الابد مع أنّه كان ساعياً في التنكّب عنه.

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: لا تستقل ما تتقرّب به إليه تعالى ولو بشِقّ تمرة.

«وخافوا بغتة الأجل» ﴿وما أرسلنا في قرية من نبيٍّ إلّا أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء لعلّهم يضّرّعون ثمّ بدّلنا مكان السّيئة الحسنة حتّى عفوا وقالوا قد مسَّ آباءنا السَّراء والضَّراء فأخذناهم بغتةً وهم لا يشعرون﴾[٢].

«فإنّه لا يُرجى من رجعة العمر ما يُرجى من رجعة الرّزق» ﴿وأنفقوا مِن مّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٣].

«ما فات من الرّزق رُجيَ غداً زيادته» هكذا في (المصرية)[٤]، وفيه سقط والأصل «مافات اليوم من الرزق رجي غداً زيادته» كما في

(١) المصدر نفسه ٢: ٢١٣ ح٧.

(٢) الكافي ٢: ١٤٢ ح٥، والآية ٩٤ ـ ٩٥ من سورة الأعراف.

(٣) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٤) المصرية المصححة: ٢٧٥.

(ابن أبي الحديد) وغيره[١].

«وما فات أمس من العمر لم يُرجَ اليوم رجعته» فيجب أن يغتنم الفرصة.

«الرّجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي» هو كالتعليل لقوله قبل «لا يرجى..» و «مافات...».

«فاتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتُنّ إلّا وأنتم مسلمون» الأصل فيه قوله تعالىٰ ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتُنَّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[٢].

١٣
الخطبة (١٢٩)

مِنْهَا:

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهىٰ بَصَرِ الْأَعْمىٰ، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا. فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمىٰ إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمىٰ لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

«وإنّما الدُّنيا منتهى بصر الأعمىٰ» أي: أعمى القلب عن رؤية الآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصُّدور﴾[٣].

قال ابن قتيبة: صار ابن عباس وأبوه وجدّه مكافيف في آخر عمرهم، فقال معاوية لابن عبّاس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم! فقال ابن عبّاس: وأنتم يا بني أُميّة تصابون في بصائركم[٤].

«لا يبصر ممّا وراءها شيئاً» ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدُّنيا وهم عن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥١.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) الحج: ٤٦.

(٤) المعارف لابن قتيبة: ٥٨٩.

الآخرة غافلون﴾[١]، ﴿فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يُرِد إلّا الحياة الدُّنيا* ذلك مبلغهم من العلم...﴾[٢].

«والبصير ينفذها بصره ويعلم أنّ الدّار وراءها» ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنّهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فَقِنا عذاب النّار* ربّنا إنّك من تدخل النّار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار* ربنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار* ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزِنا يوم القيامة إنّك لا تُخلف الميعاد* فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أُضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أُنثى...﴾[٣].

«فالبصير منها شاخصٌ» في (الجمهرة): شخص من مكان: إذا سار في ارتفاع، فإن سار في انحدار فهو هابط[٤].

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٥].

«والأعمى إليها شاخص» ﴿ويلٌ لكلِّ هُمزةٍ لُمزةٍ* الذي جمع مالاً وعدّده* يحسبُ أنّ ماله أخلده* كلّا لينبذنَّ في الحطمة* وما أدراك ما الحطمة* نار الله الموقدة* التي تطّلع على الأفئدة* إنّها عليهم مؤصدةٌ*

---

(١) الروم: ٧.

(٢) النجم: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥.

(٤) الجمهرة: ٦٠١ (شخص).

(٥) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

في عمدٍ ممدَّدةٍ﴾[١].

«والبصير منها متزوّد، والأعمىٰ لها متزوّد» ﴿فأمَّا من ثقُلت موازينه* فهو في عيشةٍ راضيةٍ* وأمّا من خفَّت موازينه* فأمُّه هاوية* وما أدراك ماهيه* نارٌ حامية﴾[٢]، ﴿فأمَّا من أعطى واتَّقى وصدّق بالحسنىٰ* فسنيسِّره لليُسرىٰ* وأمّا من بخل واستغنى* وكذّب بالحسنىٰ* فسنيسّره للعسرى* وما يغني عنه ماله إذا تردّى﴾[٣] مثله كمثل الأعمى الذي افتقد عصاه فتفقَّدها بيده فوقعت على حيّة اسكنتها البرد فسُرَّ بها بدلاً.

١٤
الخطبة (١٤١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ! لاَ تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرىٰ، وَلاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاّ بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلاَ تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أُكْلَةٍ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ، إِلَّا مَاتَ لَهُ آخَرُ؛ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

---

(١) الهمزة: ١ ـ ٩.

(٢) القارعة: ٦ ـ ١٠.

(٣) الليل: ٥ ـ ١١.

من الحكمة (١٩١)

وَقَالَ عليه السلام:

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ؛ وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ. وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ. وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرىٰ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ؛ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءِ وَهٰذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!

أقول: ترى أنّ الثاني تكرار مع اختلاف يسير، ولم يتفطّن له المصنّف حتى ينبّه عليه كما هو دأبه في مثله، وتفطّن له ابن أبي الحديد أيضاً، ورواه (الأمالي) هكذا «أيُّها النّاس أصبحتم أغراضاً، تنتضل فيكم المنايا، وأموالكم نهب للمصائب ما طعمتم في الدُّنيا من طعام، فلكم فيه غصص، وما شربتموه من شراب، فلكم فيه شرق، وأشهد بالله ما تنالون من الدُّنيا نعمة تفرحون بها إلّا بفراق أُخرىٰ تكرهونها، ايّها الناس: إنّا خلقنا وإيّاكم للبقاء لا للفناء، ولكنّكم من دار تنقلون فتزوّدوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه»[1].

قوله عليه السلام فيهما: «**أيُّها الناس إنّما أنتم في الدُّنيا غرض تنتضل فيه المنايا، إنّما المرءُ في الدُّنيا غرضٌ تنتضل فيه المنايا**» في (الصحاح): انْتَضِلُوا: رَمَوا للسبق، والغرض: الهدف؛ قال زهير بن جناب الذي عدّوه في المعمّرين، لبنيه في وصيّته: إنّما الإنسان غرض تعاوره الرُّماة فمقصّر دونه، ومجاوز موضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثمّ لابدَّ أن يصيبه[2].

---

(١) الأمالي للطوسي ٢: ٢٢٠.

(٢) بلفظ «زهير بن جناب»، المعمّرون والوصايا: ١٢٩.

قوله عليه السلام في الثاني «ونهب تبادره المصائب» قال الشاعر:

وكنت إذا أصابتني سهام تكسّرت النّصال على النّصال

قوله عليه السلام فيهما: «مع كلّ جرعةٍ شرقٌ» قالوا: إنّ يزيد بن عبد الملك خلا مع محبوبته حبابة، فأكلت عنباً فشرقت فماتت، فجزع عليها، ومنع من دفنها حتى أنتنت.

«وفي كلّ أكلةٍ غصصٌ» بالفتح ـ قالوا: كان الحصين بن يزيد الحارثي الذي رأس بني الحارث بن كعب مائة سنة، يقال له ذو الغصّة، لأنّه كان بحلقه غصّة لا يبيّن بها الكلام[1].

وفي (الحلية) عن أبي تراب النخشبي، قال: ما تمنّت عليَّ نفسي قطّ إلّا مرّةً، تمنّت عليّ خبزاً وبيضاً وأنا في سفر، فعدلت من الطريق إلى قرية فلمّا دخلتها وثب إليّ رجل، فتعلّق بي وقال: إنّ هذا كان مع اللصوص! فبطحوني وضربوني سبعين جلدة، فوقف علينا رجل فصرخ: هذا أبو تراب، فأقاموني واعتذروا إلي وأدخلني الرّجل منزله، وقدّم إلى خبزاً وبيضاً، فقلت: كُلْها بعد سبعين جلدة[2].

«لا تنالون منها نعمةً إلّا بفراق أُخرى، ولا ينال العبد نعمةً إلّا بفراق أُخرى» ففي الأغلب ، النّاس لا ينالون نعمة الثروة إلّا بعد سلب نعمة الشّباب، وصحّة المزاج منهم.

«ولا يعمَّر معمَّر منكم يوماً من عمره إلّا بهدم آخرٍ من أجله، ولا يستقبل يوماً من عمره إلّا بفراق آخر من أجله» فكلّ نَفَسٍ يتنفسُّه الإنسان خطوة منه إلى قبره.

قوله عليه السلام في الأول: «ولا تجدّد له زيادةٌ في أكلةٍ إلّا بنفاد ما قبلها من رزقه»

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١: ٦٣٢.

(٢) الحلية لأبي نعيم ١٠: ٤٧.

حتى الغنيّ وإن تمكّن من أكل ما شاء، لا يمكنه أن يأكل أكثر من متعارفه من الأكل، ثلاث مرّات في يوم وليلة فما دام لم يهضم طعامه الذي أكله قبلاً لا يشتهي طعاماً، وان كان لذيذاً.

«ولا يحيا له أثرٌ إلّا مات له أثر» كأصحاب السيف والقلم لا يحيا لهم أثر من هزيمة عسكر أو تصنيف إلّا بعد أن يموت أثرهم السابق في ذلك.

«ولا يتجدّد له جديد إلّا بعد أن يخلق له جديدٌ» قالوا: كان عمرو بن عامر من ملوك اليمن، يقال له مزيقيا، لأنّه كان يلبس كلّ يوم حُلّتين فيمزّقهما بالعشيّ! يكره أن يعود فيهما، ويأنف أن يلبسهما غيره[١].

«ولا تقوم له نابتةٌ إلّا وتسقط منه محصودة» كما أنّ الأرض لا يمكن إنباتها نباتاً جديداً إلّا بعد أن يحصد نباتها القديم.

«وقد مضت أصولٌ نحن فروعها فما بقاء فرعٍ بعد ذهاب أصله» قال ابن أبي الحديد: قال أبو العتاهية:

كلُّ حياة إلى ممات ... وكلّ ذي جدّةٍ يحول
كيف بقاءُ الفرع يوماً ... وقد ذوت قبلها الأُصول![٢]

قلت: وقال أبو نؤاس:

ألا يابن الذين فَنَوا وبادوا ... أما والله ما ذهبوا لتبقىٰ
أخي ما بالُ قلبك ليس يَتْقي ... كأنّك لا تظنُّ الموتَ حقّاً![٣]

وفي الخبر عن الصادق عليه السلام: «عجب لقومٍ حبس أوّلهم عن آخرهم ثمّ نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون»[٤].

---

(١) الكامل لابن الأثير ١: ٦٥٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٣.

(٣) ديوان أبي نؤاس: ٣٩.

(٤) الكافي ٣: ٢٥٨ ح ٣٩.

قوله عليه السلام في الثاني: **«فنحن أعوان المنون»** أصل المنّ القطع والنقص، والمراد المنيّة لأنّها تقطع المدد، وتنقص العدد.

«وأنفسنا نصب الحتوف» أي: منصوبة لترمى بالهلاكات، قال الشاعر:

فنفسك أحرز فانّ الحتوف ... ينبأّن بالمرء في كلّ واد

«فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنّهار لم يرفعا من شيء شُرفاً إلّا أسرعا الكرّة في هدم ما بنيا» قيل: لما فُتحت الشام، أُصيب جبل فيه غار عليه قفل فكسر فوجد فيه لوح من حديد مكتوب عليه بماء الذهب:

ما اختلف اللّيل والنّهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلكِ

الّا لنقل النّعيم عن ملك ... قد انقضى ملكه إلى ملكِ

وملك ذي العرش دائم أبداً ... ليس بفان ولا بمشتركِ[1]

وقال ابن نباتة:

وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما أخذ المساء من الصّباح

اما في أهلها رجل لبيب ... يحسّ فيشتكي ألم الجراح

أرى التشمير فيها كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح

ومن تحت التّراب كمن علاه ... فلا يغررك أنفاس الرياح

وكيف يكدّ مهجته حريص ... يرى الأرزاق في ضرب القداح[2]

وفي (أدب الصّولي) يروى للمستوغر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وازددت من عدد السنين سنينا

مئة أتت من بعدها مائتان لي ... وازددت من عدد الشهور مئينا

(١) الأغاني ٤: ١٠٥، وعيون الأخبار ٢: ٣٠٧.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

هـل مـا بـقى إلّا كـما قـد فـاتنا   يـوم يكـرّ وليـلة تـحدونا[١]

وفي (طبقات كاتب الواقدي) عن سعيد بن المسيب: كانت (قصواء ناقة النبيّ ﷺ تسبق كلّما رفعت في سباق، فسُبقت، فكانت على المسلمين كأبة أن سُبقت فقال النبي ﷺ: إنّ النّاس إذا رفـعوا شـيئاً، أو أرادوا رفـع شـيء وضـعه الله[٢].

وروى (الإكمال): أنّ في ليلة مولد النبيّ ﷺ ارتـجس إيـوان كسـرى وسقطت منه أربعة عشر شرفاً، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك ألف سنة، إلى أن قال: بعد ذكر بعث كسرىٰ عبد المسيح إلى سطيح ووروده عليه وإنشاد عبد المسيح أبياتاً، فلما سمع سطيح شعره فتح عينيه فقال: «عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح وقد أوفى على الضّريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الأيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانـتشرت فـي بـلادها، وغـاضت بحيرة ساوة -إلى أن قال- يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشّرفات وكلّ ما هو آت آت، ثمّ قضى سطيح مكانه -إلى أن قال-: فلمّا قدم عـلى كسـرى وأخبره بما قال سطيح قال: «إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور» فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى إمارة عثمان[٣].

«وتفريق ما جمعا»:

تقاضاك دهرك ما اسلفا   وكدّر عيشك بعد الصّـفا

فلا تـنكرنّ فـانّ الزّمـان   جدير بتشتيت ما ألّـفا[٤]

---

(١) لا وجود له في كتاب أو الكتاب للصولي، ولكنه موجود في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٤٤ طبع القاهرة.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرىٰ ١: ٤٩٣، طبع بيروت ١٩٨٥ .

(٣) كمال الدين للصدوق : ١٩٢ .

(٤) الطرائف للمقدسي : ١٤ لأبي محمد المروزي .

١٥
من الخطبة (١٧٠)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهم، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهمْ. مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِين، وَإلى غَيْرِهِ رَاغِبِين! كَأَنَّكُمْ نَعمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إلى مَرْعًى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ إِنَّمَا هِيَ كَالمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بهَا! إذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسِبُ يَوْمهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات[1].

وعن الباقر عليه السلام: سئل عن لحظة مَلَك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السّكتة فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[2].

وقال البحتري:

غفلنا عن الأيّام أطول غفلة وما خوفها المخشيّ عنّا بغافل[3]

«**والتاركون المأخوذ منهم**» يعني: من يتركون الله تعالى، ولكنّه تعالى لا يتركهم ويأخذهم ويؤاخذهم؛ قال تعالىٰ ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾[4]، ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدىً * ألم يكُ نطفةً من منيٍّ

(١) الكافي ٣: ٢٥٦ ح٢٤.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢٥٩ ح٣١.

(٣) ديوان البحتري ٢: ٢٢٧ يمدح الشاه بن مكيال.

(٤) المؤمنون: ١١٥.

يمنى* ثم كان علقةً فخلق فسوّى* فجعل منه الزّوجين الذّكر والأُنثى﴾[١]، ﴿أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾[٢].

وعن الصادق عليه السلام: الأرض بين يدي ملك الموت، كالقصعة يمدّ يده إليها حيث يشاء![٣]

«مالي أراكم عن الله ذاهبين وإلى غيره راغبين» ﴿وإذا ذُكِر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[٤].

«كأنّكم نعمٌ» في (الصحاح): النَّعم: واحد الأنعام، وهي المال الرّاعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل؛ قال الفرّاء هو للمذكّر لا يؤنّث يقولون (هذا نَعَمٌ واردٌ) ويجمع على نِعمان مثل جَمَل وجِملان؛ والأَنْعَام تذكّر وتؤنّث؛ قال تعالىٰ في موضع «مِمّا في بطونه» وفي موضع آخر «ممّا في بطونها...»[٥].

قلت: أمّا ما قاله نفسه من كونه واحد الأنعام فيأباه قول البريق الهذلي كما في (الأساس):

قد أشهد الحيّ جميعاً بها لهم نعام وعليهم نعم[٦]

فإنّ مفاده في البيت مفاد الأنعام، وأمّا ما نقله عن الفرّاء فيردّه قوله عليه السلام (أراح بها) وقول ابن دريد في (جمهرته): والنَّعم اسم يلزم الإبل خاصّة يذكّر ويؤنث فيقال (هذه النّعم وهذا النّعم...).

---

(١) القيامة: ٣٦ ـ ٣٩.

(٢) الزخرف: ٥.

(٣) الكافي ٣: ٢٥٦.

(٤) الزمر: ٤٥.

(٥) الصحاح: (نَعَمَ).

(٦) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٦٤ (نعم).

«أراح بها» في (الصحاح) أراح إبله: ردّها إلى المراح، ولا يكون إلّا بعد الزوال[١].

«سائمٌ إلى مرعىً وبيٍّ» الظاهر أنّ المراد بالسّائم: الرّاعي؛ لكن في (الجمهرة): (سام الرّجل ماشيته يسومها سوماً، إذا رعاها، فالماشية سائمة، والرّجل مسيم، ولم يقولوا سائم خرج هذا من القياس)[٢].

«ومشربٍ دويٍّ» من الداء؛ قال الشاعر:

هي دنيا كحيّة تنفث السّمّ وإن كانت المجسّة لانت

«إنّما هي كالمعلوفة للمُدى» ـ بالضم ـ جمع المُدية: السّكين.

«لا تعرف ماذا يراد بها» شبّه عليه السلام الغافلين أوّلاً بإبل وصفها، وثانياً بغنم نعتها؛ قال تعالىٰ: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدُّنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[٣]، ﴿ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهينٌ﴾[٤].

«إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها» قال الخوئي: الظاهر أنّ «يومها» مفعول ثانٍ وكذلك «شبعها» يعني تظنّ أنّ دهرها مقصور على ذلك اليوم وانحصار شأنها في الشّبع.

قلت: بل المفعولان بالترتيب، والمراد أنّها تحسب أنّ في جميع دهرها مثل يومها وانّ شبعها هو أمرها، ولا تعرف أنّ لها يوماً تُجعل المُدية على حلقها وتشبع لأكل لحمها[٥]؛ قال تعالىٰ ﴿أفرأيت إن متّعناهم سنين* ثمّ

---

(١) الصحاح: (روَحَ).

(٢) ابن دريد، الجمهرة: ٨٦٢ (سوم).

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) آل عمران: ١٧٨.

(٥) الخوئي ١٠: ١٧٨.

جاءهم ما كانوا يوعدون* ما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتّعون﴾[١]،
﴿...قُل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النار﴾[٢]، ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾[٣]، ﴿والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم﴾[٤].

١٦
من الخطبة (١٩١)

أُوصِيكُمْ عِبادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ، وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَـإِنَّهَا دَارُ شُـخُوصٍ وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَقَاطِنُهَا بَآئِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِيقُ الْوَبِقُ وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَآءِهَا وَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ عِبَادَ ٱللهِ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَعْضَآءُ لَدْنَةٌ وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِزْهَاقِ الْفَوْتِ وَحُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

«أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله» ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّهُ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نُكلّف نفساً إلّا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكرون* وإنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم

---

(١) الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٢) الزمر: ٨.

(٣) الحجر: ٣.

(٤) محمّد: ١٢.

عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾[١].

«واحذّركم الدُّنيا» فانّها عدوّة غرّارة.

«فانّها دار شخوصٍ» من قولهم (شَخَصَ من البلد).

«ومحلّة تنغيصٍ، من (عيش منغّص): مكدَّر، ومن شواهده ما في (الكامل) في حوادث (٦١٢): في هذه السنة أرسل أوزبك رأس (منكلي) صاحب همدان واصفهان والرّي وما بينهما من البلاد إلى بغداد، وكان يوم دخولها يوماً مشهوراً إلّا أنّه لم تتمّ المسرّة للخليفة بذلك، فإنّه وصل، ومات ولده في تلك الحال! فأعيد ودفن، وكان الخليفة رشّح ولده للخلافة، فأصابه إسهال، فتوفّي وحزن أبوه عليه حزناً لم يُسمع بمثله، حتّى أنّه أرسل إلى أصحاب الأطراف ينهاهم عن إنفاذ رسول إليه يعزّيه بولده، ولم يقرأ كتاباً، ولا سمع رسالة، وانقطع وخلا بهمومه ورئي عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله، ولمّا توفّي أُخرج نهاراً، ومشىٰ جميع النّاس بين يدي تابوته إلى تربة جدّته عند قبر معروف الكرخي، ولمّا أُدخل التابوت أُغلقت الباب، وسمع الصُّراخ العظيم من داخل التربة، فقيل: إنَّ ذلك صوت الخليفة وأمّا العامّة ببغداد فإنّهم وجَدُوا عليه وَجْداً شديداً، ودامت المناحاة عليه ليلاً ونهاراً في أقطار بغداد ولم تبق محلّة إلّا وفيها النّوح، وما سمع ببغداد مثل ذلك في قديم الزمان وحديثه[٢].

وهذا دأب الدُّنيا أبداً.

«ساكنها ظاعنٌ» أي: سائر؛ الناس كركب يسار بهم وهم نيام.

«وقاطنها بائنٌ» أي: مقيمها مفارق؛ قال عنترة:

---

(١) الأنعام: ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

ظعن الّذين فراقهم أتوقّع وجرى ببينهم الغراب الأبقع[1]

«تميد» أي: تتحرّك.

«بأهلها ميدان السّفينة» ميدان: مفعول مطلق نوعي لقوله (تميد).

«تقصِفها» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: «تصفِقها» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[3]، وفي (الصحاح) الصّفق: الضّرب الذي يسمع له صوت، وكذلك التّصفيق يقال: (صَفَقَتْهُ الرِّيح وصَفَّقَتْهُ)[4].

«العواصف» أي: الرياح الشديدة.

«في لجج البحار» ولجّة البحر أمواجه وغمرته.

«فمنهم الغريق الوبق» أي: الهالك.

«ومنهم النّاجي على بطون الأمواج»:

ألم تَرَ بالنّعمان كان بنجوةٍ من الشّر لو أنّ امرأً كان ناجيا

«تحفزه الرّياح بأذيالها» أي: تدفعه وتسوقه.

«وتحمله على أهوائها» معلوم أنّ جريان النّاجي على لوح منكسر ليس على إرادته وهواه، بل على حسب ميل الرّياح فهو يريد السّاحل والرّيح تدفعه إلى الوسط.

«فما غرق منها فليس بمستدرك» معلوم أنّ الغريق في البحر لا يستدركه أحد.

«وما نجا منها فإلى مهلكٍ» كمن نجا من الغرق فهلك بالحرق، فمهلكات الدُّنيا لا تحصىٰ؛ قال شاعر:

---

(١) لسان العرب ١: ٣٢٥.

(٢) الطبعة المصرية: ٤٤٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٧٦ بلفظ «تقصفها»، كذلك الخطية:١٩٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٣٧.

(٤) الصحاح: (صفق).

يا هارباً من جنود الموت منهزماً　عنها توقّف إلى أين المفرّ لكا
هب عِشت أكثر من نوح فحين نجا　بقدرة الله من طوفانه هلكا
لو كان حيّ في الحياة مخلّد　في الدّهر أدركه أبو يكسوم
بكتائب خرس تعوّد كبشها　نطح الكباش شبيهة بنجوم

شبّه عليه السلام هنا الدُّنيا مع أهلها ببحرٍ، ركب الإنسان فيه سفينةً، وصفها ما ذكر عليه السلام وقد يشبّه ببحر يريد الإنسان قطعه، فلا يقطع إلّا بسفينة صالحة جامعة لجميع مصالحها؛ قال لقمان لابنه ـ كما في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام ـ: يا بنيّ! إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكّل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكّانها الصّبر[1].

«عباد الله فاعملوا والألسن مطلقةٌ» وأوّل ما يحتبس من المحتضر لسانه.

«والأبدان صحيحة» فالأبدان المريضة لا يأتي منها كثير من الأعمال، كما أنّ ما يأتي منها كالذّكر له تعالى والصلاة قاعداً ومضطجعاً، يمنعه المرض من أن يكون له فيه إقبال، وتوجّه حال.

«والأعضاء لدنةٌ» ـ بسكون الدّال ـ أي: ليّنة، تقدرون أن تمدّوا يداً ورجلاً وتعملوا عملاً.

«والمنقلب فسيحٌ» أي: مكان التحرّك متّسعاً. وفي الخبر: أنّ مَلَك الموت يحبس المحتضر وإلّا لَمَا استقرّ[2].

«والمجال عريضٌ» أي: مكان جولانه فتقدر أن تجول وتكون من السّابقين الفائزين بالسّبقة.

---

(١) الكافي ١: ١٨ ح ١٢.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢٥ ح ٢.

«قبل إرهاق الفوت» أي: إعساره.

«وحلول الموت» ﴿وليست التوبة للذين يعملون السّيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبتُ الآن﴾[1].

«فحققوا عليكم نزوله» في الخبر: لم يخلق يقين أقرب إلى الشك من الموت.

«ولا تنتظروا قدومه» أي: للعمل، فبعد قدومه لا يمكنه العمل، وان طلب المهلة يقال له: قد مضت سنوك وشهورك وأيّامك ولياليك وساعاتك وآناتك.

١٧
الخطبة (١٩٨)

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لِلّٰهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُونُ لَكُمْ، وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونُ عَلَيْكُمْ.

أقول: رواه الصدوق في (أماليه) مرفوعاً مع زيادات واختلاف فقال: قال عليه السلام في بعض خطبه: أيّها الناس! إنّ الدّنيا دار فناء، والآخرة دار بقاء، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففي الدُّنيا حييتم وللآخرة خلقتم، إنّما الدّنيا كالسّمّ يأكله من لا يعرفه، إنّ العبد إذا

---

(١) النساء: ١٨.

مات، قالت الملائكة: ما قدّم؟ وقال النّاس: ما أخّر؟ فقدّموا فضلاً لكم يكن لكم، ولا تؤخّروا كَلّاً يكن عليكم، فانّ المحروم من حرم خير ماله، والمغبوط من ثقل بالصّدقات والخيرات موازينه، وأحسن في الجنّة بها مهاده، وطيّب على الصّراط بها مسلكه[1].

ورواه المفيد في (إرشاده) مرفوعاً هكذا: «خذوا ـ رحمكم الله ـ من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدُّنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، فللآخرة خلقتم، وفي الدّنيا حبستم، إنّ المرء إذا هلك قالت الملائكة: ما قدّم؟ وقال النّاس ما خلّف؟ فللّه آباؤكم قدّموا بعضاً يكن لكم، ولا تخلّفوا كلّا فيكن عليكم، فإنّما مثل الدُّنيا مثل السمّ يأكله من لا يعرفه»[2] ونقلهما الخوئي أيضاً.

«أيُّها النّاس إنّما الدُّنيا دارُ مجازٍ» اسم مكان من (جاز الموضع): سلكه وتجاوز عنه؛ و (ذو المجاز) كان موضعاً بمنىٰ، كان به سوق في الجاهلية.

«والآخرة دار القرار» قال تعالىٰ حاكياً عن مؤمن آل فرعون: ﴿يا قوم إنّما هذه الحياةُ الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[3].

«فخذوا من ممرّكم لمقرّكم» كما هو القاعدة عند العقلاء.

«ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم» ﴿سواءٌ منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنَّهار﴾[4].

وروى (الكافي) عنه عليه السلام قال: لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال

---

(١) الأمالي للصدوق: ٩٧ ح٨ المجلس ٢٣.

(٢) الارشاد للمفيد ١: ٢٩٤.

(٣) غافر: ٣٩.

(٤) الرعد: ١٠.

الفاضحة، ولا يأمن البيات من عمل السيّئات[١].

وعن الصادق عليه السلام: من هَمَّ بسيئةٍ فلا يعملها، فإنّه ربّما عمل العبد سيّئة فيراه الرّبّ، فيقول: وعزّتي وجلالي! لا أغفر لك بعد ذلك[٢].

وعن أبي الحسن عليه السلام: إنّ لله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً! ـ عباد الله ـ عن معاصي الله، فلولا بهائم رُتّع، وصِبية رُضّع، وشيوخ رُكّع لصُبّ عليكم العذاب ترضّون به رضّاً[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلّا وعليه أربعون جُنَّة حتّى يعمل أربعين كبيرة فإذا عمل انكشف عنه الجنن، فيوحي تعالى إلى الملائكة أن استروا عبدي بأجنحتكم فتستره الملائكة بأجنحتها فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه، حتّى يتمدّح إلى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكة: ياربّ! هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركب، وإنّا لنستحيي ممّا يصنع، فيوحي تعالى إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه، فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت، فعند ذلك ينتهك ستره في السماء، وستره في الأرض، فتقول الملائكة: ياربّ! هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر، فيوحي تعالى إليهم لو كان لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه[٤].

«**وأخرجوا من الدُّنيا قلوبكم، من قبل أن تخرج منها أبدانكم**» إخراج القلوب عن الدّنيا كناية عن الزهد فيها، كما أنّ إخراج الأبدان عنها كناية عن الموت. وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد في الدُّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدّنيا داؤها ودواؤها، وأخرجه من الدّنيا

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٥ ح٢١.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٢١٣ ح٧.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٣٧٨ ح٣١.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٣٨١ ح٩.

سالماً إلى دار السلام[١].

وعنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدّنيا وفقّهه في الدِّين، وبصّره عيوبها، ومن أُوتيهنّ فقد أُوتِيَ خير الدُّنيا والآخرة إلّا أنّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتّى تزهدوا في الدّنيا[٢].

«ففيها اختبرتم» أي: امتحنتم.

«ولغيرها خُلقتم» ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾[٣].

«إنّ المرء إذا هلك قال الناس ما ترك؟ وقالت الملائكة ما قدّم؟» فلابدّ أنّ ما يسأل عنه الملائكة شريف نفيس، وما يسأل عنه أهل الدّنيا دون وخسيس، فليعمل ما يجاب به الملائكة دون السّفلة. روى الكشي: أنّه قيل لأبي ذرّ عند الموت: ما مالك؟ قال عملي، قالوا: إنّا نسألك عن الذّهب والفضّة، قال: ما أصبح فلا أمسي، وما أمسي فلا أصبح، لنا كندوج ندع فيه خير متاعنا، وسمعت حبيبي النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: كندوج المرء قبره[٤].

«لله آباؤكم فقدّموا بعضاً يكن لكم» قد عرفت أنّ (الأمالي) نقله «فقدّموا فضلاً لكم يكن لكم» وهو أحسن، ليكون مضمون قوله تعالىٰ ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكّرون* في الدُّنيا والآخرة﴾[٥]، فانّ المراد بالعفو هنا، الفاضل عن الحاجة، والعفو هو الإنفاق الذي حثّ عليه الشرع حتى أنّهم سألوا عن جنس ينفقونه، فأجيبوا بما كان

(١) المصدر نفسه ٣: ١٩٣ ح١.

(٢) المصدر نفسه ٣: ١٩٦ ح١٠.

(٣) الملك: ٢.

(٤) رجال الكشي للطوسي: ٢٨ رقم ٥٤.

(٥) البقرة: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

صلاحهم أن يسألوه من مقداره، وإن كان ما في المتن أنسب بقوله عليه السلام بعد «كُلّاً»، وكيف كان قال بعضهم:

فلا تحسبنّ الوفر مالاً جمعته ولكنّ ما قدّمت من صالح وفر
مضى جامعوا الأموال لم يتزوّدوا سوى الفقر يا بؤسي لمن زاده الفقر

«ولا تخلّفوا كُلّاً يكون عليكم» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

وفي الخبر: كان في بني اسرائيل مجاعة حتى نبشوا الموتى، فنبشوا قبراً فوجدوا فيه لوحاً مكتوب فيه: «أنا فلان النبيّ ينبش قبري حبشي، ما قدّمناه وجدناه، وما أكلناه ربحناه، وما خلّفناه خسرناه»[٢].

١٨
الخطبة (٢٢١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

دَارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلَمُ نُزَّالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا. وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَاراً؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً فاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ

---

(١) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٢) الصدوق، الأمالي: ٣٦ ونقله المجلسي في البحار ٧٣: ١٣٧.

الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللاَّطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلىٰ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ. وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلىٰ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرىٰ! وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إلى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الأُمُورُ، وَبُعْثِرَتْ الْقُبُورُ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى ٱللهِ مَوْلاَهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أقول: رواها ابن الجوزي في (مناقبه) جزء الخطبة المعروفة بالبالغة، كما نقل عنه المجلسي هكذا: فانّها دار بالبلاء محفوفة، وبالعناء والغدر موصوفة، وكلّ ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم، والرّخاء فيها لا يدوم، أهلها فيها أغراض مستهدفة، كلّ حتفه فيها مقدور، وحظّه من نوائبها موفور، وأنتم ـ عباد الله ـ على محجّة من قد مضى، وسبيل من كان ثمّ انقضى، ممّن كان منكم أطول أعماراً، وأشدّ بطشاً وأعمر دياراً، أصبحت أجسادهم بالية، وديارهم خالية، واستبدلوا بالقصور المشيّدة والنمارق الموسّدة، بطون اللّحود، ومجاورة الدّود، في دارٍ ساكنها مغترب، ومحلّها مقترب، بين قوم مستوحشين، متجاورين غير متزاورين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، ودنّو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل، وقد طحنتهم البلى، وأظلّتهم الجنادل والثرى، فأصبحوا

بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، قد فجع بهم الأحباب، واسكنوا التُّراب وظعنوا وليس إياب، وتمنَّوا الرّجوع فحيل بينهم وبين مايشتهون ﴿كلّا إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[١].

قال: وقد أخرج أبو نعيم طرفاً من هذه الخطبة في كتابه المعروف بـ(الحلية)[٢] ونقله (البحار) أيضاً عن (عيون الواسطي) جزء خطبة طويلة مع اختلافات[٣]، وقد نقلهما الخوئي عن (البحار) أيضاً[٤].

«دارٌ بالبلاء محفوفةٌ» في (نسب قريش الزبير بن بكار): لمّا جاء نعي أهل قديد، نعي لأُمّ حكيم بنت عكاشة بن مصعب بن الزبير، خالها صالح بن عبدالله بن عروة بن الزبير، فبكت عليه في داره، فبينا هي تبكي عليه قد أقامت المناحة، إذ جاءها نعي عمّها حمزة بن مصعب بن الزبير وابن عمّها عمارة بن حمزة، فخرجت في سترين فأقامت عليهما المناحة في منزلها، فبينما هي تبكي عليهما، إذ جاءها نعي أخيها مصعب بن عكاشة، فاستترت وخرجت إلى منزله، فبكته فيه، فبينا هي تبكي عليه إذ جاءها نعي زوجها عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام، فرجعت إلى منزلها، فأقامت المناحة فيه على زوجها! وكان ممّا ندبتهم به؛ قول الهذليّ:

وكأنّ قلبي للحوادث مروة ... بقفا المشقّر كلّ يوم تقرع[٥]

---

(١) لا وجود لكتاب (المناقب) لعبد الرحمن بن الجوزي وانما تنقل عنه المصادر الشيعية، وقد ذُكرت الخطبة في البحار نقلاً عن المناقب في ٧٧: ٢٩٨.

(٢) لا وجود للخطبة في ترجمة الإمام علي عليه السلام.

(٣) كتاب عيون الحكم للواسطي غير مطبوع هناك مخطوطة للكتاب في مكتبة آية الله المرعشي وقد نقل المجلسي عنه في ٧٣: ١١٧.

(٤) الخوئي ١٤: ٢٢٠ ح ٣٢٤.

(٥) جمهرة نسب قريش لابن بكار: ٣١٥ ـ ٣١٦.

وروى (أمالي الشيخ) أنّ عروة بن الزبير قدم على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه، فدخل ابنه دار الدّواب فضربته دابّة فخرَّ ميّتاً، ووقعت في رجل عروة الآكلة، ولم تدع وركه تلك الليلة، فقال له الوليد: إقطعها، فقال: لا؛ فترقَّت إلى ساقه، فقال له: إقطعها وإلّا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير لم يمسكها أحد! وقال ﴿لقد لقينا من سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾.

وقدم على الوليد تلك السنّة قوم من عبس، فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن سبب عماه؟ فقال: بتّ ليلةً في بطن وادٍ، ولا أعلم عبسيّاً يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل، فذهب ما كان لي من أهلٍ وولدٍ ومالٍ غير بعير وصبيّ مولود، وكان البعير صعباً فنداً، فوضعت الصّبيّ واتّبعت البعير، فلم أجاوز إلّا قليلاً، حتّى سمعت صيحة ابني، ورجعت إليه ورأس الذئب في بطنه يأكله، فلحقت البعير لأحتبسه فرمحني برجله في وجهي فحطّمه وذهب بعيني، فأصبحت لا أهل ولا مال ولا ولد ولا بصر، فقال الوليد: إنطلقوا به إلى عروة ليعلم انّ في النّاس من هو أعظم منه بلاءً[١].

«وبالغدر معروفةٌ» في (الطبري): قال أبو نؤاس في البرامكة:

ان يغدر الزّمن الخؤون بنا فقد ... غدر الزّمان بجعفر ومحمّد[٢]

وقال بعضهم: الدهر لا يؤمن يومه، ويخاف غده، ويرضع ثديه، وتجرح يده[٣].

أيضاً:

أيّ خير يرجو بنو الدّهر في الـ ... ـدّهر ومازال قاتلاً لبنيه[٤]

---

(١) الأمالي للطوسي: ٩٣، ونقله المجلسي في ٤٦: ١١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦٦٤، حوادث سنة ١٨٧.

(٣) الطرائف للمقدسي: ١٢.

(٤) الطرائف للمقدسي: ١٤.

مـن يـعمّر يُـفجع بـفقد الأخـلا ء ومـــن مــات فــالمصيبة له

أيضاً:

يا خاطب الدُّنيا إلى نـفسه تــنحّ عـن خـطبتها تسـلم
إنّ الـتـــي تــخطب غـدّارة قريبة العرس من المأتم[١]

وفي الخبر: كان النبيّ ﷺ يسمّي الدُّنيا أُمّ الدّفر[٢]، والدّفر: النّتن

وفي (كنايات الجرجاني): يـقال للـدّنيا أُمّ خـنّور وهـي الضَّـبع، ولمّـا استقام الأمر لعبد الملك قال: «اليوم تمكّنّا من أُمّ خنّور» فما أتت عليه سبعة أيّام حتّى مات[٣].

وكان الأصمعي يستحسن قول من قال:

مـــا عـــذر مــرضعةٍ بكأ س الموت يفطم من غـذت

ونظيره بالفارسية:

آبستنى كه اين همه فرزند زاد و كُشت
ديگر كه چشم دارد از او مـهر مـادرى

أيضاً:

بـرو از خـانهٔ گـردون بـدر و نـان مـطلب
كاين سيه كاسه در آخر بكشد مهمان را[٤]

وفي الخبر: تمثّلت الدّنيا للمسيح في صورة زرقاء، فقال: كم تزوّجت؟ قالت: لا أُحصي، قال: كلُّ طلّقك؟ قالت: بل كلّاً قتلت، قال: ويح أزواجك الباقين!

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٧٤.

(٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١: ٢٠٠.

(٣) الكنايات للجرجاني: ٨٨.

(٤) ديوان حافظ الشيرازي: ٨.

كيف لا يعتبرون من الماضين[١].

وقيل بالفارسية:

چو طفل با همه بازيد و بى وفائى كرد

عجب تر آنكه نگشتند ديگران استاد

«لا تدوم أحوالها» قيل لابنة النّعمان، صفي ما كنتم فيه؟ قالت: أقول موجزاً: أصبحنا والنّاس يغبطوننا، فلم نمسِ حتّى رحمنا عدوّنا. وفي (المعجم): قدم عبيد ابن سرية الجرهمي على معاوية فقال له: كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة! قال: وما أدركت؟ قال: يوماً إثر يوم، وليلة إثر ليلة، متشابهاً كتشابه الحَذَف ـ بالتحريك ـ غنم سود صغار بلا أذناب ولا آذان ـ يحدوان بقوم في ديار قوم يكدحون في ما يبيد عنهم، ولا يعتبرون بمن مضىٰ، منهم حيُّهم يتلف ومولودهم يخلف، في دهر أيّامه تقلّب بأهلها كتقلّبها بدهرها، بينا أخوها في الرّخاء إذ صار في البلاء، وبينا هو في الزّيادة إذ أدركه النقصان، وبينا هو حُرٌّ إذ أصبح قنّاً، لا يدوم على حال بين مسرور بمولود ومحزون بمفقود، فلولا أنّ الحيَّ يتلف لم يسعهم بلد، ولولا أنَّ المولود يخلف لم يبقَ أحد[٢].

«ولا تسلم نُزّالها» في (الطبري): في غارة خالد بن الوليد على مضيح بني البرشاء في ليلة واعد مع أصحابه، فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن آوى إليه، وهم نائمون من ثلاثة أوجه، فقتلوهم وامتلأ الفضاء قتلىٰ، فما شبهوا بهم إلّا غنماً مصرعة، قال عدي بن حاتم: أغرنا على أهل المضيح، وإذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان من النّمر، وإذا حوله بنوه وامرأته، وبينهم جفنة

---

(١) من وصيّة الامام موسى بن جعفر لهشام بن الحكم في البحار ١: ١٥٢ ح ٣٠.

(٢) معجم الأدباء للحموي ١٢: ٧٣.

من خمر وهم عليها عكوف، يقولون له: ومن يشرب هذه الساعة وفي اعجاز الليل؟ فقال: اشربوا شرب وداع، فما أرى أن تشربوا بعدها، هذا خالد بعين التّمر وجنوده بحصيد، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا، فسبق إليه بعض الخيل وهو في ذلك فضرب رأسه، فاذا هو في جفنته وأخذنا بناته وقتلنا بنيه[1].

«أحوالٌ مختلفة» في (الطبري): خرج هشام يوماً وهو كئيب، يعرف ذلك فيه، مسترخ عليه ثيابه، وقد أرخى عنان دابّته، فسار ساعة ثمّ انتبه، فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابّته، فقال له الأبرش: رأيتك قد خرجت على حال غمّني، قال: وكيف لا أغتمّ وزعم أهل العلم إنّي ميّت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً؛ فلمّا كان في الليلة التي استكمل فيها المدّة سمع الصّراخ عليه، فلّما مات أغلق الخُزّان الأبواب، فطلبوا قمقماً يسخن فيه الماء لغسله، فما وجدوا حتّى استعاروا قمقماً من بعض الجيران فقال بعض من حضر: إنّ في هذا لمعتبراً لمن اعتبر، وكانت وفاته بالذبحة، وكان هشام حبس عياض بن مسلم كاتب الوليد بن يزيد، فلّما صار في حدّ لا تُرجىٰ له الحياة لمثله، أرسل عياض إلى الخُزّان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلنَّ أحد منه إلى شيء، وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئاً فمنعوه، فقال: أرانا كنّا خُزّاناً للوليد، ومات من ساعته، فخرج عياض من السّجن، فختم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فرشه، فما وجدوا له قمقماً حتّى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزائن فكفَّنه غالب مولى هشام، وكتب الوليد إلى بعضهم أن يأتي الرّصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده ويأخذ عمّاله وحشمه وقال:

ليت هشاماً كان حيّاً يرى   مجلسه الأوفر قد اترعا

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠.

كِلْناه بـالصّاع الّـذي كـاله ... ومـا ظـلمناه بـه إصـبعا

ومـا اتـينا ذاك عـن بـدعة ... أحلّه الفرقان لي أجـمعا[١]

وقال البحتري:

وما أهل المنازل غير ركب ... مـنايـاهم رواح وابـتكار

لنا في الدهـر آمـال طـوال ... نرجّيها وأعـمار قـصار[٢]

وفي (لطائف الثعالبي): يقال ما جمعه السّفاح والمنصور والمهدي والرشيد فرّقه الأمين، وما جمعه المأمون والمعتصم والواثق فرّقه المتوكّل[٣].

«وتاراتٌ متصرّفة» من قولهم تارةً كذا، وتارةً كذا، في (المروج): لما وفد سعد بن وقاص القادسية أميراً عليها أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر في حفدة من قومها وجواريها عليهنّ المسوح والمقطّعات السّود، مترهّبات تطلب صلته، فلمّا وقفن بين يديه أنكرهنّ سعد، فقال: أيّتكن حرقة؟ قالت ها أنا ذِه، ثمّ قالت: إنّ الدّنيا دار زوال، ولا يدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالاً، وتعقبهم بعد حال حالاً، كنّا ملوك هذا المصر يُجبى لنا خراجه، ويطيعنا أهله مدى المدّة وزمان الدولة، فلّما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدّهر، فصدع عصانا وشتّت شملنا، وكذلك الدّهر ليس يأتي قوماً بمسّرة، إلّا ويعقبهم بحسرة، ثمّ أنشأت تقول:

فبينا نسوس النّاس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فـأُفٍّ لدنـيا لا يـدوم نـعيمها ... تـقلّب تـارات وتـصرّف

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥١٤.

(٢) ديوان البحتري ٢: ٢٨١ في الحسن بن وهب.

(٣) لطائف المعارف للثعالبي: ١٨٨.

فقال سعد: قاتل الله عديّ بن زيد كأنّه ينظر إليها حيث يقول:

انّ للدّهر صولة فاحذرنّها لا تبيتنّ قد أمنت الدّهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمناً مسرورا

وكأنّي زمان أبيها إذا خرجت إلى بيعتها، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج، مغشّى بالخزّ والوشي، ثمّ تقبل في جواريها حتّى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها[1].

وعن الذهبي: هلك نوح بن منصور مَلِك ما وراء النهر، وفخر الدولة مَلِك الرّيّ والجبال، والعزيز العبيدي صاحب مصر على نسق في (٣٨٧ و ٣٨٨) فقال الثعالبي:

فنوح بن منصور طوته يد الرّدى على حسرات ضمّنتها الجوانح

ويا بؤس منصور ففي يوم سرخس تمزّق عنه ملكه وهو طائح

وفرّق عنه الشّمل بالسّمل واغتدى أميراً ضريراً تعتديه الجوائح

وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال غيّبته الضّرائح

وصاحب جرجانيّة في ندامة ترصّده طرف من الحين طامح

وخوارزمشاه شاه وجه نعيمه وعزّ له يومٌ من النّحس طائح

وكان علا في الأرض يخطبها أبو عليّ إلى أن طوّحته الطوائح

وصاحب بستٍ ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرقين مفاتح

أناخ به من صدمة الدّهر كلكل فلم تغن عنه والمقدّر سانح

جيوش إذا أربت على عدد الحصى تغصّ بها قيعانها والصّحاصح

ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوءٍ سلبهن فوادح

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٩.

وقد جاز والي الجوزجان قناطر الحياة فوافته المنايا الطّوافح[١]

وفي السّير: تنفّس الأمين يوماً أيّام حصاره في مجلسه فالتفت إلى أحد جلسائه فقال: أتراني ما تذكّرت؟ قال: قول الشاعر:

ذُكِرَ الهوى فتنفّس المشتاق وبدا عليه الذّل والإطراق

فقال: لا والله، ثم التفت إلى آخر فقال: ما تذكّرت؟ قال : قول الشاعر:

تذكرت بالرّيحان منك شمائلاً وبالرّاح عذباً من مقبّلك العذب

قال: لا والله، فالتفت إلى كوثر الخادم، وقال: ما تذكّرت؟ قال: قول ابن نفيلة الغسّاني :

إن كان دهر بني ساسان فرّقهم فإنّما الأمر أطوار دهارير
وربّما أصبحوا يوماً بمنزلة تهاب صولتها الأسد المهاصير[٢]

قال: صدقت.

وفي (الطبري): قال بشّار التركي: خرج الرّشيد إلى الصّيد في اليوم الذي قُتل جعفر البرمكيّ وجعفر معه قد خلا به دون ولاة العهد، وهو يسير معه وقد وضع يده على عاتقه، وقبل ذلك ما غلّفه بالغالية بيد نفسه ولم يزل معه ما يفارقه، حتّى انصرف مع المغرب فلّما أراد الدُّخول ضمّه إليه، وقال له: لو لا أنّي على الجلوس اللّيلة مع النساء لم أُفارقك، فأقم أنت في منزلك واشرب واطرب لتكون أنت في مثل حالي، فقال: ما اشتهي ذلك إلّا معك، فقال له : بحياتي! لمّا انصرفت فانصرف عنه إلى منزله، فلم تزل رسل الرّشيد عنده ساعة بعد ساعة تأتيه بالأنفال والأبخرة والرّياحين حتّى ذهب الليل ثمّ بعث إليه مسروراً، وأمره بقتله، وحبس الفضل ومحمّد وموسى، ووكّل سلاماً

(١) لطائف الثعالبي: ١٤٩ ـ ١٥١.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦: ٤٠٥.

الأبرش بباب يحيى أبيه، فقال سلام: لمّا دخلت على يحيى في ذلك الوقت وقد هتكت الستور، وجمع المتاع، قال لي: هكذا تقوم السّاعة!

وقال السندي: قدم عليّ هرثمة بن أعين، ومعه جعفر مضروب العنق على بغل بلا أكاف، وإذا كتاب هارون يأمرني أن أشطره بإثنين، وان أصلبه على ثلاثة جسور، ففعلت ما أمرني به حتى أراد هارون الخروج إلى خراسان، فلّما صار بالجانب الشرقي قال للسندي: ينبغي أن يحرق هذا ـ يعني جعفراً ـ فلّما مضى جمع السندي له شوكاً وحطباً وأحرقه[1]، وفي (المروج): قال علي بن أبي معاذ في البرامكة:

يا أيّها المغترّ بالدّهر	والدّهر ذو صرف وذو غدر
لا تأمن الدّهر وصولاته	وكن من الدّهر على حذر
إن كنت ذا جهل بتصريفه	فانظر إلى المصلوب بالجسر
فانّ فيه عبرة فاعتبر	ياذا الحجا والعقل والفكر
وخذ من الدُّنيا صفي عيشها	واجر مع الدّهر كما يجري
كان وزير القائم المرتضى	وذا الحِجا والفضل والذكر
وكانت الدُّنيا باقطارها	إليه في البرّ وفي البحر
يشيّد الملك بآرائه	وكان فيه نافذ الأمر
فبينما جعفر في ملكه	عشيّة الجمعة بالعَمْر
يطير في الدُّنيا باجناحه	يأمل طول الجلد والعمر
إذ عثر الدّهر به عثرة	ياويلنا في عثرة الدّهر
وزلّت النّعل به زلّة	كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس في ليلة	السّبت قتيلاً مطلع الفجر

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٩٤.

وأصبح الفضل بن يحيى وقد أُحيط بالشيخ وما يدري
وجيء بالشيخ وأولاده يحيى معاً في الغلّ والأسر
والبَرْمَكِيّين واتباعهم من كان في الآفاق والمصر
كأنّما كانوا على موعد كموعد النّاس إلى الحشر
فأصبحوا للنّاس احدوثة سبحان ذي السلطان والأمر[1]

أيضاً: قال أبو مسلم النّخعي: دخلت على عبد الملك في قصر دار الإمارة بالكوفة، وقد كان رأس مصعب وضع بين يديه، فرأى منّي اضطراباً، فسألني فقلت: دخلت هذه الدّار فرأيت رأس الحسين عليه السلام بين يدي عبيدالله بن زياد، ثمّ رأيت رأس عبيدالله بين يدي المختار في هذا الموضع، ثمّ دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب، وهذا رأس مصعب بين يديك، فوقاك الله، فوثب عبد الملك وأمر بهدم الطّاق الّذي على المجلس[2].

وفي (المعجم): قال البيهقي: من العجائب أنّ آلات تناسل الوزير أبي نصر الكندري الذي قتله السلطان ألب أرسلان مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الرّوذ، وجسده مقبور بقرية كندر، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور، وشواته ـ أي: جلده رأسه ـ محشوّة بالتّبن دفنت في كرمان؛ فقال الباخرزي:

مفترقاً في الأرض أجزاؤه بين قرىً شتّى وبلدان
جبّ بخوارزم مذاكيره طغرلبك ذاك الملك الغاني
ومصّ مرو الرّوذ من جيده معصفراً يخضبها قان
فالشّخص في كندر مستبطن وراء ارماس وأكفان

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٨١.
(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١١٠.

ورأســه طــار ولهــفي عـلى مــجثمه فــي خــير جـثمان
حــلّوا بــنيسابور مـضمونه وقــــحفه الخــالي بكــرمان
والحكم للجبّار في مـا مـضىٰ «وكـلّ يـوم هـو فـي شـان»[١]

«العيش فيها مذموم» لامتزاجه بالسُّقم والهرم والخوف والقحط والحاجة والآلام والآفات:

ومـن يـحمد الدُّنـيا بـعيش يسـرّه فسوف لعمري عـن قـليل يـلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وان أقبلت كانت كـثيراً هـمومها[٢]

وقال عروة بن أذينة في أخيه بكر بن أذينة:

وأيّ العيش يصلح بعد بكر

«والأمان منها معدومٌ» قيل: الدّنيا أمـل بـين يـديك، وأجـل مـظلّ عـليك، وشيطان فتّان، وأماني جرّارة العنان، تدعوك فتستجيب، وترجوها فتخيب.

«وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفةٌ» الغرض الهدف.

«ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها» ـ بالكسر ـ الموت المقدّر؛ في (كامل المبرّد): روى أنّ يزيد بن عبد الملك قال يوماً: إنّ الدُّنيا لم تصفُ لأحدٍ قطّ يوماً، فاذا خلوت يوماً فاطووا عنّي الأخبار، ودعوني ولذّتي وما خلوت له، ثمّ دعا بحبابة فقال: اسقيني وغنّيني فخلوا في أطيب عيش، فتناولت حبابة حبّة رمّان فوضعتها في فيها، فغصّت بها فماتت، فجزع يزيد جزعاً أذهله ومنع من دفنها، حتّى قال له مشايخ بني أُميّة: إنّ هذا عيب لا يستقال، وإنّما هذه جيفة فأذن في دفنها. وتبع جنازتها فلمّا واراها، قال: أمسيت والله فيك كما قال كثير:

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى فــباليأس تسـلو عـنك لا بـالتجلّد

---

(١) معجم البلدان للحموي ١٣: ٤٤ ترجمة «علي بن الحسن».

(٢) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام في الديوان: ٨٢، وذكره النووي في نهاية الأرب ٥: ٢٤٤.

وكـل خـليل رآنـي فـهو قـائل من أجلك هـذا هـامة اليـوم أو غـد

فعدّ بينهما خمسة عشر يوماً[١].

يا دهـر افٍّ لك مـن خـليل كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يـقنع بـالبديل[٢]

«واعلموا عباد الله أنّكم وما تأملون من هذه الدُّنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممّن كان منكم أطول أعماراً وأعمر دياراً» قال البحتري:

قـصّر فـإنّ الدهـر ليس بـمقصر حـتّى يـلفّ مـقدّماً بـمؤخّر

أودى بـلقمان بـن عـاد بـعدما أودت شـبيبة بسـبعة أنسـر

وتناول الضّحاك من خلف القنا والمشـرفيّة والعـديد الأكـثر

وجـذيمة الوضّـاح عـطّل تـاجه مـنه وأتـبع تـبّعاً بـالمنذر

وإذا ذكـرت بـني عـبيد عـبّدوا حـرّ الدّمـوع للـوعة المـتذكّر

أكـلتهم دول الزمـان وفـلّلت من حدّ شوكتهم صروف الأدهر

مـن بـعدما كـانوا ذؤابـة طـيّئ عـدداً غـدوا وهـم أهـلّة بـحتر[٣]

وقالوا: بنى عضد الدولة داراً بشيراز مشتملة عـلى ثـلاثمائة وسـتين حجرة، قال المقدسي في وصفها: لم أرَ في شرقٍ ولا غربٍ مثلها، ما دخـلها عامّي إلّا افتتن بها، ولا عارف إلّا استدلّ بها على نعيم الجنّة وطيبها[٤].

وفي (الطبري): خرج القعقاع بن عمرو يوم القادسية في الطّلب، فلحق بفارسي يحمي الناس، فاقتتلا فقتله، وإذا مع المقتول جـنيبة عـليها عـيبتان وعلاقان، وفي العـيبتين أدراع وإذا الأدراع درع كسـرى، ومـغفره، وسـاقاه،

---

(١) الكامل في الأدب للمبرّد ١: ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) تمثّل به الامام الحسين عليه السلام في كربلاء. المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٦ ح١.

(٣) ديوان البحتري ٢: ١٨٦ يرثي قومه.

(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي: ٤٤٩.

وساعداه، ودرع هرقل، ودرع خاقان، ودرع داهر، ودرع بهرام شوبين، ودرع سياوخش، ودرع النّعمان، استلبوها أيّام غزاتهم خاقان وهرقل وداهر، وأمّا النعمان وبهرام فحين هربا وخالفا كسرىٰ، وأمّا أحد العلاقين ففيه سيف كسرى وهرمز وقباد وفيروز، وإذا السُّيوف الأُخرىٰ سيف هرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنّعمان[1].

ولنعم ما قيل بالفارسية:

تكيه بر اختر شبگرد مكن كاين عيّار   تاج كاوس ربود وكمر كيخسرو[2]

«وأبعد آثاراً» في (المعجم): قرطاجنة بلد قديم، من نواحي إفريقيّة، كانت مدينة عظيمة شامخة، أسوارها من الرّخام الأبيض، وبها من العمد الرّخام المتنوّع الألوان ما لايعدّ ولا يحصىٰ، وقد بنى المسلمون من رخامها لمّا خربت عدّة مدن ولم يزل الخراب فيها منذ زمان عثمان، وإلى هذه الغاية على حالها عمودان أحمران من الحجر المانع في مجلس الملك، أحدهما قائم والآخر واقع، دور كلّ منها ستّة وثلاثون شبراً وطوله فوق أربعين ذراعاً، وعمرت تونس من خراب قرطاجنة وحجارتها، وقد بقي من حجارتها ما يعمّر به مدينة أُخرىٰ، ومن نظر إلى هذه المدينة عرف عظم شأن بانيها، وسبّح مبيد أهلها ومفنيها[3].

«أصبحت أصواتهم هامدة» أي: ساكتة؛ وقيل بالفارسية: عاقبت منزل ما وادى خاموشانست.

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة): كان شبث بن ربعي يتنحنح في داره

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٢٧.

(٢) ديوان حافظ الشيرازي: ٢٨١.

(٣) معجم البلدان للحموي ٤: ٣٢٣.

فيسمع تنحنحه بالكُناسة، ويصيح براعيه، فيسمع نداؤه على فرسخ وسمعه أبو المجيب النّهدي في أذانه لسجاح المتنبيه، فقال: ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه[1].

«ورياحهم راكدةٌ» أي: ساكنة من قولهم (ركدت ريحهم) إذا زالت دولتهم وأخذ أمرهم يتراجع؛ كقوله تعالىٰ ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...﴾[2].

«وأجسادهم بالية» من (بَلِي الثّوبُ) بالكسر.

«وديارهم خالية» ﴿وكم أهلكنا من قريةٍ بَطِرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلّا قليلاً وكنّا نحن الوارثين﴾[3]. ولأحمد بن موسىٰ الثقفي كما في الحلية:

جهول ليس تنهاه النواهي ... ولا تلقاه إلّا وهو ساهي
يسّر بيومه لعباً ولهواً ... ولا يدري وفي غده الدّواهي
مررت بقصره فرأيت أمراً ... عجيباً فيه مزدجر وناهي
بدا فوق السرير فقلت من ذا؟ ... فقالوا ذلك الملك المباهي
رأيت على الباب سود الجواري ... ينحن وهنّ يكسرن الملاهي
تبيّن أيّ دارٍ أنت فيها ... ولا تسكن إليها وادرِ ماهي؟[4]

ولخيثم العجلي كما فيه:

يا خاطب الدُّنيا على نفسها ... انّ لها في كلّ يومٍ حليل
ما أقتل الدُّنيا لخطّابها ... تقتلهم قدماً قتيلاً قتيل

---

(١) العيون لابن قتيبة ١: ١٨٦.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) القصص: ٥٨.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ١٣٨.

تستنكح البعل وقد وطّئت في موضع آخر منه بديل
انّي لمغترّ وانّ البلىٰ يعمل في جسمي قليلاً قليل
تزوّدوا للموت زاداً فقد نادى مناديه الرّحيل الرّحيل[1]

«وآثارهم عافية» من (عفَا المنزل): دَرَسَ ـ يستعمل متعدّياً ولازماً.

«فاستبدلوا بالقصور المشيّدة» أي: المطوّلة.

«والنّمارق المُمهّدة» ذكر (المصباح) و(الأساس): النّمارق في (نمر) فكأنّهما جعلا قافه زائدة[2]، وأمّا (الصحاح) و(القاموس) فذكراه في (نمرق) كما أنّ الأوّلَين فسّراه بمطلق الوسائد، والأخِيرَين بالوسادة الصغيرة[3]. والصحيح الأول، كما هو مقتضىٰ كلامه عليه السلام وفسّره أيضاً به السجستاني في (تفسير غريبه)[4]، والجزري في (نهايته)[5].

«الصخور» الحجارة العظام.

«والأحجار المسنَّدة» المرفوعة.

وقيل بالفارسية:

چه شد كز يک كماندار فنا اين لشكر بيحدّ
بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

«والقبور اللّاطئة» من (لَطِئَ بالأرض): لصق بها.

«الملحدة» من (ألْحَدْتُ لِلقَبرِ): جعلت له لَحْداً، أي: شقّاً في جانبه؛ قال الشاعر:

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ١٣٩.

(٢) المصباح المنير للفيتوري: ٣٢٧ (نمر).

(٣) الصحاح: (نمرق).

(٤) غريب القرآن للسجستاني: ١٨١.

(٥) النهاية لابن الأثير ٥: ١١٨.

أضحت منازلهم قفراً معطّلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

وفي (الأغاني): عن ابن شيخة قال: كان رسمنا ألاّ يحضر أحد منّا في خدمة الواثق إلّا في يوم نوبته، وانّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ أرسل إليّ وقد هجموا عليَّ وقالوا لي: إحضر، فقلت: الخير، قالوا: خير، فقلت: إنّ هذا يوم لم يحضِرني فيه الخليفة قطّ، ولعلّكم غلطتم، فقالوا: لا تطوّل وبادر، فقد أمرنا ألّا ندعك تستقرّ على الأرض، فداخلني فزع شديد، وخفت أن يكون سُعِي بي، فتقدّمت بما أردت، حتّى وافيت الدّار، فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل، فمنعت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني، وعدلوا بي إلى ما لا أعرفه، فزاد ذلك في جزعي، ثمّ لم يزل الخدم يسلّمونني من خدم إلى خدم حتّى أفضيت إلى دار مفروشة الصّحن ملبَّسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ثمّ أفضيت إلى رواقٍ أرضه وحيطانه ملبّسة بمثل ذلك، وإذا الواثق في صدره، على سرير مرصّع بالجوهر، وعليه ثياب منسوجة بالذّهب، وإلى جانبه (فريدة) جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود، فلّما رآني قال: طلبت ثالثاً يؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك، فبحياتي بادر، فكُلْ شيئاً وبادر إلينا، فقلت: قد أكلت وشربت، قال: فاجلس فجلست، فقال: هاتوا له رطلاً في قدح، فأحضرت ذلك، واندفعت (فريدة) تغني:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة عليّ ولكن ملء عين حبيبها

وما هجرتك النفس ياليل انّها قلتك وما أن قلّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسِّحر! وجعل الواثق يجاذبها وفي خلال ذلك تغنّي الصّوت بعد الصّوت وأُغنّي أنا في خلال ذلك، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد فإنّا لكذلك إذ رفع الواثق رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض، وتفتّت عودها، ومرّت تعدو وتصيح، وبقيت أنا

كالمنزوع الرّوح، ولم أشكّ في أنَّ عينه وقعت عليَّ وقد نظرت إليها ونظرت إليّ، فأطرق ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقت أتوقّع ضرب العنق، فانّي لكذلك إذ قال لي: يا محمّد! فوثبت فقال: ويحك! أرأيت أغرب ممّا تهيّأ علينا، فقلت: يا سيدي الساعة والله يخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله، فما كان السّبب؟ ألِذَنبٍ؟ قال: لا والله؛ ولكن فكّرت أنّ جعفراً يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطِقِ الصّبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت؛ فسرى عنّي، وقلت: بل يقتل الله جعفراً! ويحيى الخليفة أبداً، وقبّلت الأرض، وقلت: يا سيّدي! الله الله! ارحمها، ومر بردّها، فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها فلم يكن بأسرع من أن خرجت، وفي يدها عود، وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلمّا رآها جاذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي، واندفعت أنا في البكاء، فقالت: ما ذنبي ياسيدي، وبأيّ شيء استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله وهو يبكي وهي تبكي، فقالت: سألتك بالله ألّا ضربت عنقي الساعة وأرحت قلبك من الهمّ بي، وجعلت تبكي ويبكي ثمّ مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها! وأومى الواثق إلى خدم وقوف بشيء لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين وورق، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عِقْداً ما رأيت قطّ مثل جوهر كان فيه فألبسها إيّاه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي، وخمسة تخوت فيها ثياب؛ وعدنا إلى أمرنا أحسن ما كنّا فيه، فلم نزل كذلك إلى اللّيل ثمّ تفرّقنا، وضرب الدّهر ضربةً، وتقلّد المتوكّل فوالله انّي لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليَّ رُسل المتوكّل، فما أمهلوني حتّى ركبت، وصرت إلى الدار فادخلت والله الحجرة بعينها وإذا بالمتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه (فريدة) فلّما رآني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من

هذه؟ أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنّيني فتأبىٰ ذلك فقلت لها: يا سبحان الله! أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البشر، بحياته غنّي! فعزفت والله ثمّ اندفعت تغنّي:

مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالأجيفر فالثّماد

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي

ثمّ ضربت بالعود الأرض، ثمّ رمت بنفسها عن السّرير، ومرّت تعدو وهي تصيح واسيّداه! فقال لي: ويحك! ما هذا؟ فقلت: لا أدري والله يا سيدي فقال: فما ترىٰ؟ فقلت: أرىٰ أن أنصرف أنا، وتحضر هذه ومعها غيرها، فإنّ الأمر يؤول إلى ما تريد قال: فانصرف، فانصرفت ولم أدرِ ما كانت القصّة[1].

«**الّتي قد بنى بالخراب فنائها**» (بالكسر) وفناء الدّار: ما امتدّ من جوانبها.

«**وشيد بالتّراب بناؤها**» أي: رفع وطوّل. ـ بالفارسية ـ:

هر كه را خوابگه آخر بدو مشتى خاك است

گو چه حاجت كه بر افلاک کشی ايوان را

«**فمحلّها مقتربٌ، وساكِنها مغتربٌ**»:

غريبٌ وأطراف البيوت تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريب[2]

«**بين أهل محلّةٍ موحشين**» فالقبر ينادي كلّ يوم بلسان حاله أنا بيت الوحشة.

وأهل فراغٍ متشاغلين، ﴿كُلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ﴾[3].

ولو انّا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كلّ حيّ[4]

---

(١) الأغاني ٤: ١١٦.

(٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٦١ لعبد الله بن ثعلبة يُرثي ولده.

(٣) المدثر: ٣٨.

(٤) الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام: ٢٢٠

«لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدّار» كما هو قاعدة الأحياء، كما أنّ مع قرب جوارهم ودنوّ دارهم قد يكون أحدهم مصداق قوله تعالىٰ ﴿فأمّا إن كان من المقرّبين* فروحٌ وريحانٌ وجنّة نعيم﴾[1]؛ وآخر مصداق قوله تعالىٰ ﴿وأمّا إن كان من المكذّبين الضّالّين* فنزلٌ من حميمٍ وتصلية جحيم﴾[2].

وكان الرضا عليه السلام يقول كراراً: أنا وهارون كهاتين[3]، ويشير إلى سبّابته ووُسطاه؛ فلم يفهموا مراده عليه السلام حتّى دفنه المأمون إلى جنب قبر أبيه

«وكيف يكون بينهم تزاورٌ وقد طحنهم بكلكله» أي: صدره.

«البِلىٰ» ـ بالكسر ـ من بلى الثّوب.

«وأكلتهم الجنادل» أي: الأحجار الكبيرة.

«والثّرىٰ» أي: ندى التُّراب.

ابعد الّذي بالنّعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل[4]

«وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه» ومن سرعته كأنّه وقع.

«وأرتهنكم ذلك المضجع وضمّكم ذلك المستودع» ويعبّر عن هذا المعنىٰ بالفارسية (شما هم پاک مانند آنها اسيران خاک بشويد).

وفي (المروج): قيل للمتوكّل: إنّ في منزل الهادي عليه السلام سلاحاً وكتباً من شيعته فوجّه إليه ليلاً من هجم عليه على غفلة، فوجد في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى، يترنّم

---

(١) الواقعة: ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) الواقعة: ٩٣ ـ ٩٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ٢: ٢٢٥، ونقله المجلسي في البحار ٤٩: ٤٤ ح٣٦.

(٤) خزانة الأرب للنووي ١: ١٣٤.

بآيات في الوعد والوعيد، فأُخِذَ على ما وجد عليه إلى المتوكّل، وكان يشرب وفي يده كأس فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، وقالوا له لم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده، فقال عليه السلام له: ما خامر لحمي ودمي قطّ فقال: أنشدني شعراً استحسنه؟ فقال عليه السلام: إنّي قليل الرواية للأشعار، فقال لابدّ فأنشده:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم	غلب الرّجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم	فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعدما قبروا	أين الأسرّة والتّيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم	تلك الوجوه عليها الدّود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فأشفق الحاضرون عليه عليه السلام من المتوكّل، ووالله لقد بكى المتوكّل بكاء طويلاً حتّى بلّلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، وأمر برفع الشّراب وردّه مكرّماً[1].

وفي (الكافي) عن أبي بصير، قال: شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام الوسواس، فقال: يا أبا محمّد! اذكر تقطّع أوصالك في قبرك ورجوع أحبابك عنك إذا دفنوك في حفرتك، وخروج بنات الماء من منخريك، وأكل الدّود لحمك، فإنّ ذلك يسلّي عنك ما أنت فيه؛ قال أبو بصير: ما ذكرته إلّا سلا عنّي ما أنا فيه من همّ الدُّنيا[2].

«فكيف بكم إذا تناهت بكم الأمور وبعثرت القبور» يعني ما شرحت حال

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٥ ح ٢٠.

برزخكم، فكيف إذا تناهى الأمر من البرزخ إلى المحشر، فمن شدّة أهواله تظنّون البرزخ نوم راحة؛ ﴿ونُفخ في الصُّورِ فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون﴾[1]، ﴿إذا السماء انفطرت* وإذا الكواكب انتثرت* وإذا البحار فجّرت* وإذا القبور بعثرت* عَلمت نفسٌ ما قدّمت وأخّرت﴾[2]، ﴿أفلا يعلم إذا بُعثر مافي القبور* وحُصِّل ما في الصُّدور* إنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ لخبيرٌ﴾[3]، أي: أثيرت القبور وأُخرج ما فيها.

«هنالك تبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت وردُّوا إلى الله مولاهم الحقّ وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون» اقتباس الآية الثلاثين من سورة يونس، وفي قراءة (هنالك تتلو...) ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون* إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[4].

١٩
الكتاب (٤٩)

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عليه السلام اِلىٰ غَيْرِهِ:

أَمَّا بَعْدُ ـ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا اِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَلَهَجًا بِهَا وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَنَقْضُ مَا اَبْرَمَ وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضىٰ حَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَالسَّلَامُ.

أقول: قوله ومن كتاب له عليه السلام إلى غيره هكذا في (المصرية)[5] وفي (ابن

(١) يس: ٥٢.

(٢) الانفطار: ١ ـ ٥.

(٣) العاديات: ٩ ـ ١١.

(٤) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٥) الطبعة المصرية: ٥٩٥ بلفظ «إليه» ويقصد معاوية.

أبي الحديد) «إلى معاوية» بدل «إلى غيره» وفي (الخطية)[١]، بدله (إليه) أي: إلى معاوية وفي (ابن ميثم) بياض[٢].

وكيف كان فالكتاب إنّما كان منه عليه السلام إلى عمرو بن العاص كما ذكره الدينوري في (أخبار طواله)، ونصر بن مزاحم في (صفّينه)، قال الأوّل: كتب عليه السلام إلى عمرو: أما بعد فإنَّ الدُّنيا مشغلة عن غيرها، صاحبها منهوم فيها، لا يصيب منها شيئاً إلّا ازداد عليها حرصاً، ولم يستغنِ بما نال عمّا لا يبلغ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من اتّعظ بغيره، فلا تحبط عملك بمجاراة معاوية في باطله، فانّه سفّه الحق واختار الباطل.

وقال الثاني: كتب عليه السلام إلى عمرو: أمّا بعد؛ فإنّ الدُّنيا مشغلة عن غيرها، وصاحبها مقهور فيها، لم يصب منها شيئاً قطّ إلّا فتحت له حرصاً، وأدخلت عليه مؤونة تزيده رغبة، ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لا يبلغه، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسّعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبدالله ولا تجارِيَنَّ معاوية في باطله، فانّ معاوية غمص النّاس وسفه الحقّ؛ ذكره مرّتين تارةً من النخيلة، وأُخرىٰ بعد التحكيم[٣].

وزاد في الثّاني: انّ عمراً أجابه: (إنّا جعلنا القرآن حكماً بيننا فأجبنا إليه) فكتب عليه السلام إليه: (أمّا بعد فإنّ الذي أعجبك من الدُّنيا ممّا نازعتك إليه نفسك، ووثقت به منها لمنقلب عنك ومفارق لك، فلا تطمئنّ إلى الدُّنيا فإنّها غرّارة، ولو اعتبرت بما مضىٰ لحفظت ما بقي وانتفعت بما وعظت به). وممّا نقلنا يظهر أنّ نقل المصنّف مختاره من كتابيه عليه السلام إلى عمرو[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤ (٤٩) والخطية: ٢٧٣ بلفظ «إليه».

(٢) شرح ابن ميثم بلفظ «إلى غيره» ٣: ٢٨٩ .

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ١٦٣ .

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ٤٩٨ .

«أمّا بعد فإنّ الدُّنيا مشغلةٌ عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلّا فتحت له حرصاً عليها» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام قال لهشام بن الحكم: (مثل الدّنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله)[١].

«ولهجاً بها» أي: حرصاً وولوعاً بها.

«ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها» قال الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج»[٢].

ونظم البستي معنى كلامه عليه السلام فقال:

ألم تـر انّ المـرء طـول حـياته ... مـعنّى بأمـر لا يـزال يـعالجه

تـراه كـدود القـزّ يـنسج دائـباً ... ويهلك غمّا وسط ما هو ناسجه

«ومن وراء ذلك فراقُ ما جمع ونقض ما أبرم» ﴿...وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٣]، ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة...﴾[٤].

وقيل بالفارسية:

اى خـداونـد آن طـاق و طـمطراق

صـحبت دنـيا نـيرزد بـا فـراق

انـدك انـدك خـانمان آراسـتن

پس به يک بار از سرش برخـاستن[٥]

«ولو اعتبرت بما مضى حفِظت ما بقي» قد عرفت من رواية نصر انّه عليه السلام زاد عليه: «وانتفعت ممّا وعظت به».

---

(١) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢٤.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٠٢ ح ٢٠.

(٣ و ٤) الأنعام: ٩٤.

(٥) الكشكول للبهائي: ١٢٢ وفي الديوان نسبه إلى مولوي: ٤٥.

٢٠
الكتاب (٦٨)

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عليه السلام إِلىٰ سَلْمَانِ الْفَارِسِي رحمه الله قَبْلَ أَيَّامِ خِلاَفَتِهِ:
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا؛ فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلىٰ سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلىٰ مَحْذُورٍ.

الحكمة (١١٩)

وقال عليه السلام:
مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا ٱلْغِرُّ ٱلْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ العَاقِلُ!

من الخطبة (١٥٦)

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ تَوَكُّلَ الإِنَابَةِ إليه، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلىٰ جَنَّتِهِ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ، بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً. رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ؛ وَوَصَفَ لكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالِهَا، فَاحْذَرُوا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ ٱلْكَادِحِ. وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا،

وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لاَ يَتَفَاخَرُونَ، وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ، وَلاَ يَتَزَاوَرُونَ، وَلاَ يَتَجَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا، عِبَادَ ٱللهِ، حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَٱلْعَلَمَ قَآئِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

أقول: وروى الأوّل المفيد في (إرشاده) بدون ذكر كونه كتاباً إلى سلمان مع تبديل قوله عليه السلام «قاتلٌ سمّها» بقوله «شديد سمُّها»[1]، وروى الثاني الكليني في (كافيه) عن الصادق عليه السلام هكذا: «انّ في كتاب عليّ عليه السلام - انّما مثل الدُّنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفي جوفها السمّ الناقع يحذرها الرّجل العاقل ويهوى إليها الصّبيّ الجاهل»[2].

قول المصنّف: «ومِن كتابٍ له إلى سلمان الفارسي» قال المصنّف في (مجازاته النبويّة) قال النبيّ صلى الله عليه وآله «سلمان ابن الإسلام، وسلمان جلدة بين عينيّ» وجلدة بين العينين كناية عن الأنف[3].

وقال ابن أبي الحديد: (توفّي آخر خلافة عثمان آخر سنة (٣٥) أو أوّل (٣٦)، وقيل: توفّي في خلافة عمر، والأوّل أكثر)[4].

قلت: بل الثاني أظهر حيث ليس منه أيّام عثمان ذكر في السّير كما من أبي ذرّ، وقال ابن أبي الحديد كان سلمان من شيعة عليّ عليه السلام وخاصّته وتزعم الإمامية انّه أحد الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلّدي سيوفهم وأصحابنا لا يخالفونهم في انّه من الشيعة وانّما يخالفونهم في أمر أبي بكر وامّا ما يذكره المحدّثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة «كرديد ونكرديد»

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٢٢٧.

(٢) الكافي ٣: ٢٠٤ ح ٢٢.

(٣) المجازات النبوية للرضي: ٣٣٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٧.

فمحمول عند أصحابنا على ان المراد «صنعتم شيئاً وما صنعتم» : أي: استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم، لا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفة منهم كان أولى، والإمامية تقول معناه (أسلمتم وما أسلمتم) واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطي هذا المعنى وانّما يدلّ على الفعل والعمل لا غير ويدلّ على صحّة قول أصحابنا ان سلمان عمل لعمر على المدائن، فلو كان ما تنسبه إليه الإماميّة حقاً لم يعمل» ـ قلت ـ بل قوله في تفسير قول سلمان «كرديد ونكرديد» «يعني استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم» من قبيل ما قيل بالفارسيّة «لفظ ميكوئى ومعنى ز خدا ميطلبى» وانّما من الواضح ان معنى كلام سلمان «انكم فعلتم شيئاً عند أنفسكم الّا انّه في الواقع ما فعلتم شيئاً أصلاً» ولازمه ما نقله عن الامامية من كون المراد انكم وان اسلمتم أوّلاً إلّا انّه كانّه ما أسلمتم بفعلكم أخيراً، وامّا عمله لعمر على المدائن فلو كان دالاًّ على صحّة خلافته كان عدم أكله من عطائه دليلاً على عدم صحّة خلافته فقال نفسه[1] (قال ابن عبد البركان سلمان يسفّ الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه ويقول لا أحب أن آكل إلّا من عمل يدي) وقال الحسن البصري كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان إذا خرج عطائه تصدّق به ويأكل من عمل يده وكانت له عبائة يفرش بعضها ويلبس بعضها)[2] مع انّه روى ابو عبدالله محمّد بن علي السّراج في كتابه كما في الطّرائف باسناده عن ابن مسعود قال قال النبيّ ﷺ يا ابن مسعود! قد أُنزلت عليّ ﴿واتّقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة...﴾[3] وأنا مستودعكها ومسمّ لك خاصّة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٩.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ٦٣٥.

(٣) الأنفال: ٢٥.

الظّلمة فكن لما أقول لك واعياً وعنّي له مؤدّياً (من ظلم عليّاً مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي ونبوّة من كان قبلي) فقال له الراوي يا أبا عبد الرحمن أسمعت هذا من النبيّ ﷺ قال: نعم. قال: فكيف ولّيت للظالمين. قال: لا جرم! جلبت عقوبة عملي وذلك أنّي لم استأذن إمامي كما استأذنه جندب وعمّار وسلمان وأنا استغفر الله[1]).

قال ابن أبي الحديد: قال ابن عبد البر روى من حديث بريدة ان النبيّ ﷺ قال: (أمرني ربّي بحبّ أربعة وأخبرني انّه يحبّهم عليّ وأبو ذرّ والمقداد وسلمان) وقد روينا عن عايشة قالت: (كان لسلمان مجلس من النبيّ ﷺ يتفرّد به بالليل حتّى كاد يغلبنا على النبيّ ﷺ) وقد روى عن النبيّ ﷺ من وجوه قال: (لو كان الدّين في الثّريّا لناله سلمان) وروى الأعمش عن عمرو بن مرّة عن أبي البختري عن عليّ عليه السلام انّه سئل عن سلمان فقال: (علم العلم الأوّل والعلم الآخر، ذاك بحر لا ينزف وهو منّا أهل البيت) وفي رواية زاذان عن عليّ عليه السلام قال: (سلمان الفارسي كلقمان الحكيم) وروى قتادة عن أبي هريرة قال: (سلمان صاحب الكتابين: يعني الإنجيل والقرآن) وقال كعب الأخبار: (سلمان حشى علماً وحكمة) وفي الحديث المروي انّ أبا سفيان مرّ على سلمان وصهيب وبلال في نفر من المسلمين فقالوا: (ما أخذت السيوف من عنق عدوّ الله مأخذها) فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدها؟ وأتى النبيّ ﷺ وأخبره فقال النبيّ ﷺ (يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله تعالىٰ) وروى في خبر أنّ النبيّ ﷺ اشترى سلمان من أربابه وهم يهود بدراهم وعلى أن يغرس لهم من النخل كذا وكذا ويعمل فيها حتّى تدرك فغرس النبيّ ﷺ ذلك النخل كلّه بيده إلّا

---

(١) الطرائف لابن طاووس: ٣٦ ح ٢٥.

نخلة واحدة غرسها عمر، فأطعم النخل كلّه إلّا تلك النخلة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله من غرسها؟ قيل عمر، فقلعها وغرسها النبيّ صلى الله عليه وآله بيده فأطعمت).

قلت: ولا غرو ان يكون للفاروق آيات كآيات صاحب حنيفة كما أنّ الصّديق كان يؤكّد أسباب صداقته مع قريش أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله ليعاضدوه بعده على الوصيّ وقد فعلوا[١].

وروى أبو نعيم في (حليته) مسنداً عن ابن عباس قال: قدم سلمان من غيبة له فتلقّاه عمر فقال: أرضيك عبداً لله تعالى، قال سلمان فزوّجني، فسكت عنه عمر فقال له سلمان: (أترضاني لله عبداً ولا ترضاني لنفسك؟) فلما أصبح أتاه قوم عمر فقال: ألكم حاجة؟ قالوا نعم تضرب عن هذا الأمر[٢].

«قبل أيّام خلافته» قد عرفت انّ سلمان لم يدرك أيام خلافته ومات زمان عمر أو عثمان والظاهر أنّ كتابه عليه السلام إليه كان أيّام ولايته على المدائن من قبل عمر.

«قوله عليه السّلام في الأول ـ أمّا بعد فانّما مثل الدُّنيا مثل الحيّة ليّنٌ مسّها قاتلٌ سمّها» قال شاعر:

إذا تبرّجت الدّنيا فعاهرة	خضابها من دم تصبى فتغتال
كأنّها حيّة راقت منقّشة	ولان ملمسها والسمّ قتّال

هذا، وفي (الأذكياء): بلغ عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال لا يقدر عليهم فدفع إلى تاجر بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى شيبت بالسّمّ وأكثر طيبها وترك في الظروف الفاخرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر انّ هذه هديّة لإحدىٰ نساء أمراء الأطراف فلمّا قربت

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٦، وقد أورد حديث علم العلم الأول الكشي في رجاله ح ٢٥.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١٨٦.

القافلة من جبالهم نزلوا وأخذوا الأموال وفتحوا الصندوقين ووجدوا الحلوى يضوع طيبها فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم فبادر التّجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم[١].

«وقوله عليه السلام في الثاني ـ مثل الدُّنيا كمثل الحيّة لينٌ مسّها والسمّ النّاقع في جوفها» في (الأساس): نقع السمّ في ناب الحيّة: اجتمع قال النابغة (في أنيابها السمّ ناقع) (وسمّ نقيع ومنقّع مربي)[٢].

قال ابن أبي الحديد قال أبو العتاهية:

إنّما الدهر أرقم ليّـن المسّ وفي نابه السّمام العقام[٣]

«يهوى إليها الغرُّ الجاهلُ» الغِرّ بالكسر: غير المجرّب.

«ويحذرها ذو اللبّ العاقل» قد عرفت أنّ في خبر (الكافي) «يحذرها الرّجل العاقل ويهوى إليها الصّبيّ الجاهل».

وفي (تاريخ بغداد): لمّا قدم الرشيد الكوفة أمر لقوم من القرّاء بألفين ألفين فكان داود الطائي ممّن كتب فيهم ودعى باسمه فقال: (داود لا يجيئكم أرسلوها إليه) فذهب بها إليه ابن السماك وحمّاد بن أبي حنيفة وقالا في الطريق ننشرها بين يديه، رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم لا يردّها، فلمّا دخلا نثراها بين يديه فقال شوه إنّما يفعل هذا بالصّبيان، وأبى أن يقبلها[٤].

وما قاله عليه السلام أحد أمثال الدّنيا وأهلها، ومن أمثالها مع أهلها قول الباقر عليه السلام: (مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها

(١) الأذكياء لابن الجوزي: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٧١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٨٤.

(٤) تاريخ بغداد ٨: ٣٥٢ رقم ٤٤٥٥.

لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً)[١]، وقول الصادق عليه السلام: (مثل الدّنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله)[٢].

روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرّ على جدي اسكّ ـ مقطوع الاذن ـ مُلقى على مزبلة ولم يك في حياته يساوي درهماً فقال «الدّنيا أهون على الله تعالى من هذا الجدي علىٰ أهله». وعنه صلى الله عليه وآله: (مثلي ومثل الدّنيا كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال ـ من القيلولة ـ تحتها ثمّ راح وتركها) وقالوا: هي كفيء الظّلال، وقال أبو ذرّ: (أنت يوم تفارقهم، كضيف بتّ فيهم ثمّ غدوت عنهم إلى غيرهم) وشبّهها هو عليه السلام أيضاً (باللّماظة اي ما يبقى في الفمّ من الطعام) وبعرق خنزير في يد مجذوم[٣].

«قوله عليه السّلام في الأول: فاعرض عمّا يُعجبك فيها لِقلّة ما يصحبك منها، وفي الثالث ـ فاعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها» لبعضهم (تعزّ عن الشيء إذا ما منعته لقلّة ما يصحبك إذا أعطيته وما خفّف الحساب وقلّله خير ممّا كثّره وثقّله). وفي (الإرشاد): عن محمّد بن الفرج، إنّ الهادي عليه السلام كتب إليه: اجمع أمرك، فجمعت أمري ولست أدري مراده حتّى ورد عليّ من حملني مصفّداً بالحديد وضرب على ما أملك، فمكثت في السجن ثماني سنين فورد عليّ كتابه عليه السلام لا تنزل في ناحية الجانب الغربي، فعجبت فما مكثت إلّا أيّاماً حتّى أفرج عنّي، وخرجت فكتبت إليه عليه السلام بعد خروجي أسأله أن يسأل تعالىٰ ردّ ضياعي فكتب: سوف يردّ عليك ضياعك وما يضرّك ألّا يردّ عليك؛ قال الراوي: فلّما شخص إلى العسكر كتب له بردّ

---

(١) الكافي ٣: ٢٠٢ ح ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢٠٥ ح ٢٤.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٦ ح ٩.

ضياعه فلم يصل الكتاب حتّى مات[١].

«قوله عليه السّلام في الأوّل: وضع عنك من همومها لِما أيقنت من فراقها» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (لما أيقنت به) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٣].

«قوله في الثّالث: فغضّوا عنكم عباد الله غمومها وأشغالها لِما أيقنتم به من فراقها وتصرّف حالها» هكذا في (المصرية) والصواب: (حالاتها)[٤] كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٥].

في (الكافي) عن أبي بصير، قال: شكوت إلى الصادق عليه السلام الوسواس فقال: (اذكر تقطّع أوصالك في قبرك ورجوع أحبّائك عنك إذا دفنوك في حفرتك وخروج بنات الماء من منخريك وأكل الدّود لحمك فانّ ذلك يسلّي عنك ما أنت فيه) فما ذكرته إلّا سلا عنّي ما أنا فيه من همّ الدُّنيا[٦].

وفي (كامل المبرّد): طالب يعقوب بن الربيع حاجب المنصور جاريةً سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتّى ملكها فأقامت عنده ستّة أشهر ثم ماتت، فقال:

انّما حسرتي إذا ما تذكّرت ... عنائي بها وطول طلابي
لم أزل في الطّلاب سبع سنين ... أتأنّى لذاك من كلّ باب
فاجتمعنا على اتّفاق وقدر ... وغنينا عن فرقة باصطحاب

(١) الارشاد للمفيد ٢: ٣٩٢ ح٣.
(٢) الطبعة المصرية: ٦٤٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤ (٦٨) وشرح ابن ميثم ٥: ٢١٨.
(٤) المصرية المصححة «حالاتها»: ٣٤٧.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٣٩، والخطية: ١٣٩ بلفظ «حالاتها»، أما ابن ميثم فبلفظ «حالها» ٣: ٢٨٩.
(٦) الكافي ٣: ٢٥٥ ح٢٠.

أشــهراً ستّة صـحبتك فـيها كنّ كالحلم أو كـلمع السّـراب
وأتاني النّعي منك مع البشرى فيا قـرب أوبـة مـن ذهـاب[١]

«وكن انس ما تكون بها أحذر ما تكون منها» قالوا الدّنيا كعدوّ مؤتور وقالت الحكماء: جانِبْ الموتور وكن أحذر ما تكون له ألطف ما يكون لك[٢]. وقالوا:

وكـذاك الدّهـر مأتـمه أقرب الأشياء من عرسه

وقال يعقوب المتقدّم في تلك الجارية:

يـا مـلك فـيّ وفـيك مـعتبر ومواعظ توحش ذا الأنس[٣]

«فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرورٍ أشخصته عنه إلى محذورٍ».

في (المروج): لبس سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباساً شهر به، وتعطّر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة، فلم يزل يعتمّ بواحدة بعد واحدة، حتّى رضي منها واحدة فأرخىٰ من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظراً في عطفيه، وخطب خطبته التي أرادها فأعجبته نفسه، فقال: أنا المَلِكُ الشابّ، السيّد المهاب، الكريم الوهّاب فتمثّلت ـ أي: صارت ممثّلة ـ له جارية من بعض جواريه كان يتخطّاها فقال لها كيف ترينني؟ قالت أراك مُنَى النَّفس لولا ما قال الشاعر:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقىٰ غـير الّا بـقاء للإنسـان
ليس فيما بَدا لنا مـنك عَـيْبٌ يـا سليمان غـير أنّك فـانِ

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكياً، فلّما فرغ دعا بالجارية، فقال: ما دعاك إلى ما قلت لي؟ قالت: والله ما رأيتك اليوم ولا دخلت عليك؛ فأكبر ذلك

---

(١) الكامل للمبرد ٢٥٧.

(٢) الطرائف للمقدسي: ٩.

(٣) الكامل في الأدب للمبرّد ٢: ٣٧١.

ودعا بقيّمة جواريه فصدّقتها في قولها، فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه، ولم يمكث بعد ذلك إلّا مدّة حتّى توفّي[١].

فيه أيضاً: ولم يكن المتوكّل أشدّ سروراً منه في اليوم الّذي قتل فيه، فلقد أصبح في ذلك اليوم نشيطاً فرحاً مسروراً وقال كأنّي أجد حركة الدّم فاحتجم في ذلك اليوم، وأحضر النُّدماء والملّهين فاشتدّ سروره، وكثر فرحه فانقلب ترحاً وحزناً[٢]. وفيه: كان يزيد بن عبد الملك ذات يوم في مجلسه وقد غنّته حبّابة وسلامة فطرب طرباً شديداً ثمّ قال أُريد أن أطير فقالت له حبّابة فعلى من تدع الأُمّة وتدعنا، واعتلّت حبّابة فأقام يزيد أيّاماً لا يظهر إلى الناس ثمّ ماتت فأقام أيّاماً لا يدفنها جزعاً عليها حتّى جيفت فقيل له انّ النّاس يتحدّثون عنك بذلك فدفنها وأقام بعدها أيّاماً قلائل ومات[٣].

هذا وزاد ابن أبي الحديد بعدما مرّ: «أو إلى ايناسٍ أزالته عنه إلى إيحاشٍ»[٤] وليس في (ابن ميثم) كما ليس في (المصرية)[٥].

«**قوله عليه السّلام في الثّالث: وأتوكّل على الله توكّل الإنابة إليه**» في (الصحاح): (أناب إلى الله) أي: أقبل وتاب.

«**واسترشده السبيل المؤدّية إلى جنّته**» في (الصحاح): السبيل يذكّر ويؤنّث[٦]. قال تعالى: ﴿هذه سبيلي...﴾[٧] وقال تعالى ﴿وإن يروا سبيل

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٩.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٦ ـ ١٩٩.

(٤) ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٢١٨، والطبعة المصرية: ٦٤٣.

(٦) الصحاح: مادة (سبل).

(٧) يوسف: ١٠٨.

الرُّشد لا يتّخذوه سبيلاً...﴾[١].

«القاصدة إلى محلّ رغبته» قال تعالى، بعد نهيه عن الشرك، وأمره بإحسان الوالدين، ونهيه عن قتل الأولاد للإملاق، وعن قرب الفواحش ظاهرة وباطنة، وعن قتل النّفس المحرّمة، وعن قرب مال اليتيم، وأمره بايفاء الكيل والميزان، وبالعدل في القول ولو على القربىٰ، وبالايفاء بعهده تعالىٰ ـ ﴿ذَلِكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون* وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّيكم به لعلّكم تتّقون﴾[٢].

«أُوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله وطاعته» لأنّه تعالىٰ وصّىٰ بهما.

«فانّها» قالوا أي: تقواه وطاعته، وتوحيد الضمير لكونهما في المعنى واحداً.

«النّجاة غداً» أي: القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً* ثُمَّ نُنجي الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جِثيّاً﴾[٣].

«والمنجاة أبداً» أي: اليوم وغداً، قال تعالىٰ: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً* ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[٤]، والظاهر أنّ (المنجاة) هنا اسم مكان مثله في قول أبي شيبة الباهلي:

فهل تأوى إلى المنجاة انّي أخاف عليك معتلج السّيول[٥]

كما أنّ المراد (بالنجاة) قيل المحلّ المرتفع الّذي تظنّ أنّه نجاؤوك لا يعلوه السّيل لا النّاقة التي ينجى عليها لأنّه لا قرينة لإرادتها، وممّا ذكرنا يظهر

---

(١) الأعراف: ١٤٦.

(٢) الأنعام: ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٤) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٥) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٤٨ (نجو).

لك ما في قول ابن أبي الحديد: «المنجاة مصدر نجا ينحو نجاءاً ومنجاةً والنّجاة النّاقة ينجى عليها استعارها للطاعة والتقوىٰ»[١].

«رهّب فأبلغ» ﴿إنّما هو إلهٌ واحدٌ فإيّاي فارهبون﴾[٢].

«ورغّب فأسبغ» ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٣]، ﴿...وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[٤].

«ووصف لكم الدُّنيا وإنقطاعها وزوالها وإنتقالها» ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح...﴾[٥].

«أقرب دارٍ من سخط الله وأبعدها من رضوان الله» في (الكافي) عن السجّاد عليه السلام سئل أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ورسوله أفضل من بغض الدُّنيا[٦].

وعن الصادق عليه السلام في ما ناجى الله تعالى موسىٰ عليه السلام: (لا تركن يا موسىٰ! إلى الدُّنيا ركون الظّالمين وركون من اتّخذها أباً وأُمّاً ـ إلى أن قال ـ واعلم انّ كلّ فتنة بدؤها حبّ الدُّنيا»[٧].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه مرَّ على جدي مقطوع الاذن ميت، فقال الدّنيا أهون على الله تعالى من هذا على أهله[٨]، وروى انّها لو كانت تساوي عندة تعالى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤.

(٢) النحل: ٥١.

(٣) السجدة: ١٧.

(٤) المطففين: ٢٦.

(٥) الكهف: ٤٥.

(٦) الكافي ٣: ١٩٧ ح١١.

(٧) المصدر نفسه ٣: ٢٠٣ ح٢١.

(٨) الكافي للكليني ٣: ١٩٦ ح٩، البحار ٤٧: ٣٠١.

جناح بعوضة ما سقي كافراً شربة منها.

«فاحذرها حذر الشفيق النّاصح» قيل أي: فاحذروها على أنفسكم لأنفسكم كما يحذر الشّفيق النّاصح على صاحبه.

«والمجدّ الكادح» قيل أي: وكما يحذر المجدّ الكادح ـ أي: الساعي ـ من خيبة سعيه وفي الصحاح يقال جدّ واجدّ قال الأصمعي يقال (انّه جادّ مجدّ) باللّغتين[1].

«واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم» قال تعالىٰ ـ بعد ذكر أهلاكه كُلاًّ من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ـ ﴿ولقد يسّرنا القرآن للّذكر فهل من مُدّكر﴾[2]، وقال تعالى بعد ذكر قوم فرعون: ﴿فأخذناهم أخذ عزيزٍ مقتدر﴾[3]، وقال تعالىٰ أيضاً ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكرٍ﴾[4].

«قد تزايلت أوصالهم» مرّ قول الصادق عليه السلام لأبي بصير لمّا شكا إليه وسواس الدُّنيا «اذكر تقطّع أوصالك في قبرك».

«وزالت أبصارهم وأسماعهم» أي: عيونهم وآذانهم.

«وذهب شرفهم وعِزّهم وانقطع سرورهم ونعيمهم» في (معارف ابن قتيبة): كان جذيمة الأبرش لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وينادم الفرقدين فاذا شرب قدحاً صبّ لهذا قدحاً ولهذا قدحاً؛ وكان لنعمان بن المنذر يوم بؤس ويوم نعيم وهو صاحب الغريّين وكان يغريهما بدم من يقتله ممّن رآه يوم بؤسه[5].

«فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها وبصحبة الأزواج مفارقتها» وفي (الكافي)

---

(١) الصحاح: (جدد).

(٢ و ٣) القمر: ٤٠.

(٤) القمر: ٤٢.

(٥) المعارف لابن قتيبة: ٦٤٥.

عنه عليه السلام: (تدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غد فانّما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف حتّى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على أعوادهم إلى القبور المظلمة الضيّقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون»[١].

«لا يتفاخرون ولا يتناسلون» كما كانوا في حياتهم قال تعالىٰ: ﴿اعلموا انّما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾[٢].

هذا، وفي (شعراء ابن قتيبة): قال عمرو بن هند ملك الحيرة ذات يوم: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمّه من خدمة أُمّي؟ قالوا: لا نعلمها إلّا ليلى أُمّ عمرو بن كلثوم، قال وكيف؟ قالوا لأنّ أباها مهلهل بن ربيعة وعمّها كليب وائل أعزّ العرب وبعلها كلثوم بن عتاب فارس العرب وابنها عمرو سيّد من هو منه، فأرسل إلى عمرو بن كلثوم يستزيره وسأله ان يزير أُمّه فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت ليلىٰ في ظعن من بني تغلب وأمر عمرو بن هند برواقة فضرب ما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ودخل عمرو بن كلثوم رواقة ودخلت ليلى أمّه على هند أُمّ (عمرو بن هند) قبّتها فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها ثمّ دعا بالطّرف فقالت هند: ياليلىٰ! ناوليني ذلك الطّبق، فقالت: لتقم صاحب الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها فلّما ألّحت صاحت ليلى واذُلّاه يا لتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدَّم في وجهه، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرّواق ـ وليس هناك سيف غيره ـ فضرب به رأس عمرو بن هند حتّى قتله،

---

(١) الكافي ٣: ٢٠٤ ح ٢٣.

(٢) الحديد: ٢٠.

ونادى بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرّواق، واستاقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة[١].

وفي (معارفه): يقال وقع إلى الأرض من صلب المهلّب ثلاثمائة ولد؛ أيضاً توفّي أبو بكرة عن أربعين ولداً من بين ذكر وأُنثىٰ[٢].

«ولا يتزاورون ولا يتحاورون» بالحاء من المحاورة وقيل بالجيم من المجاورة حتى الّذين ماتوا معاً، وفي (تاريخ خلفاء السيوطي): أنّ المتوكّل قال للبختري: إنّي أحبّ أنّ يحيى الفتح بن خاقان معي، ولا أفقده، فيذهب عيشي ولا يفقدني، فقل في هذا شعراً، فقال:

لا أرتني الأيّام فقدك يا فتح	ولا عرّفتك ما عشبت فقدي
أعظم الرزء ان تقدّم قبلي	ومن الرّزء أن تؤخّر بعدي
حذراً أن تكون إلفاً لغيري	إذ تفرّدت بالهوى فيك وحدي[٣]

فقُتِلا معاً!

«فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته النّاظر بعقله» ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ* فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[٤]، ﴿والّذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلةٌ انّهم إلى ربّهم راجعون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٥].

«فإنّ الأمر واضحٌ والعلم قائمٌ» ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٤٠٠.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ٤٠٠.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٨١.

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

كفوراً﴾[١]، ﴿قد تبيّن الرّشد من الغيّ...﴾[٢].

«والطريق جدد» بالفتح أي: صلب، وفي المثل (من سلك الجدد أمن العِثار)[٣].

«والسبيل قصدٌ» ـ بالتحريك ـ ضد الجور ﴿وانَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[٤].

٢١
الحكمة (٦٤)

وَقَالَ عليه السلام:

أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُبِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.

أقول: وزيد عليه «فإذا ماتوا انتبهوا». وقال شاعر:

عجباً لمنتبه يضيّع ما يحتاج فيه ليوم رقدته[٥]

وعن الصادق عليه السلام: (عجب لقوم حبس أوّلهم عن آخرهم وهم يلعبون)[٦] والمقصود من هذا التشبيه انّه كما لا يحسّ النائم في المحمل سيره ولو كان في غاية السّرعة كذلك النّاس لا يحسّون بانقضاء أيّام حياتهم وعمرهم مع دوام مرورها ليلاً ونهاراً، وقد شبّه أيضاً انقضاء العمر مع عدم احساس صاحبه بجري النهر فيرى النّاظر النهر باقياً إلّا أنّ كلّ ماءٍ مضى لا يرجع، فقيل بالفارسية:

---

(١) الدهر: ٣.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) لسان العرب ٢: ٢٠٠.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) الأغاني لأبي العتاهية ٤: ٨٢.

(٦) الكافي ٣: ٢٥٨ ح٢٩.

بنشين بر لب جوى و گذر عمر ببين

كاين اشارت ز جهان گذران ما را بس[١]

٢٢
الحكمة (٧٢)

وَقَالَ عليه السلام :

اَلدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ، وَيُجَدِّدُ آلآمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ.

«الدّهر يخلق الأبدان» في (الأغاني): قال محمّد بن الحجّاج الأسدي مرّت عليّ (ميّة) ـ وهي ابنة ابن قيس بن عاصم المنقري ـ وقد أسنّت فوقفت عليها وأنا يومئذ شابّ فقلت: يا ميّة ما أرى ذا الرّمّة إلّا ضيّع فيك قوله :

أما أنت عن ذكراك ميّة مقصر	ولا أنت ناسي العهد منها فتذكر
تهيم بها ما تستفيق ودونها	حجاب وأبواب وستر مستّر

فضحكت وقالت: رأيتني يا ابن أخي وقد ولّيت وذهبت محاسني ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فيّ وأنا أحسن من النّار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور ولن تبرح حتّى أقيم عندك عذره، ثم صاحت: يا أسماء فخرجت جارية كالمهاة ما رأيت مثلها فقالت: أما لمن شبّب بهذه وهواها عذر؟ فقلت: بلى، فقالت : والله لقد كنت زمان كنت مثلها أحسن منها ولو رأيتني يومئذٍ لازدريت هذه ازدراءك اليوم إيّاي انصرف راشداً[٢].

وقال أبو العتاهية :

---

(١) ديوان حافظ: ١٨٢ .

(٢) الأغاني ١٨: ٢٧ .

المـرء فـي تأخـير مـدّته كالثوب يخلق بعد جدّته[١]

ولبعضهم:

ألم تـر انّ الدّهـر يـوم وليـلة يكـرّان مـن سـبت عـليك إلى سـبت
فـقل لجـديد الدّهـر لابـدّ مـن بـلى وقل لاجتماع الشّمل لابدّ من شتّ[٢]

«ويجدّد الآمال» يشيب ابن آدم ويشبّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل.

«ويقرب المنيّة» أي: الموت، قال الشاعر:

كيف يهوى امرؤ لذاذة أيّام عـليه الأنـفاس فـيها تـعدم

***

حـياتك أنـفاس تـعدّ فكـلّما مضىٰ نفس منها نقصت به جـزءاً[٣]

«ويباعد الأمنيّة» أمل الآمال وما تتمنّى (أفّ للدّهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه وأعدى أيّامه ولياليه) (يسار الدهر في الأخذ أسرع من يمينه في البذل، لا يعطي بهذه إلّا ارتجع بتلك).

«من ظفر به نصب» (الصاحب) «الزّمان حديد الظّفر لئيم الظّفر» وفي (وزراء الجهشياري): «كان عمارة بن حمزة يقول يخبز في داري كلّ يوم ألفا رغيف يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسع وتسعون رغيفاً حلالاً وآكل رغيفاً واحداً حراماً» وكان يقول «ما أعجب قول الناس «فلان ربّ الدّار» انّما هو كلب الدار[٤].

«ومن فاته تعب» (الصاحب) «أثر الدّهر عند المرء كأثر السيف في

---

(١) ديوان أبي العتاهية: ٥٧.

(٢) منسوب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الديوان: ٥٤، وذكره المقدسي في الطرائف: ٩.

(٣) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام في الديوان: ١١.

(٤) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٩١.

الضريبة واللّيث في الفريسة».

٢٣
الحكمة (١٣٣)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إِلىٰ دَارِ مَقَرٍّ وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلاٰنِ رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا.

هكذا في (المصريّة)[١] وكلمة «فيها» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[٢].

«نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا» أي: اهلكها؛ ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحياة الدُّنْيا بِالْاٰخِرَةِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَلاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٣] ﴿بِئْسَمٰا اشْتَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَكْفُرُوا بِمٰا اَنْزَلَ اللهُ بَغْياً اَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰآءُ مِنْ عِبٰادِهِ...﴾[٤].

«وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا» ﴿وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٥].

هٰذا، ولا يخفىٰ لطف قوله عليه السلام «والنّاس فيها رجلان رجل باع فيها نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها» وتقابل كلماته وكأنّه نظر إليه عبد الحميد كاتب مروان في قوله «النّاس أصناف مختلفون وأطوار متباينون منهم علق مضنّة لا يباع ومنهم غلّ مظنّة لا يبتاع» فلمّا قيل له ما الذي مكّنك من البلاغة؟ فقال (حفظ كلام الأصلع)[٦] ـ يعنيه عليه السلام ـ وتمنّى ابراهيم بن عبّاس الكاتب

---

(١) الطبعة المصريّة: ٦٥٩ ح ١٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٩ ح ١٢٩، والخطية: ٣٢١، لما ذكر وشرح ابن ميثم ٥: ٣١٦ ح ١٢٣، بلفظ (فيها).

(٣) البقرة: ٨٦.

(٤) البقرة: ٩٠.

(٥) البقرة: ٢٠٧.

(٦) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٨٢.

كلام عبد الحميد ذاك أن يكون له.

٢٤
الحكمة (٢٥١)

وَقَالَ عليه السلام:

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ آلاَخِرَةِ، وَحَلاَوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ.

أقول: قال تعالىٰ ﴿فأمّا من طغىٰ* وآثر الحياة الدُّنيا* فإنّ الجحيم هي المأوىٰ* وأمّا من خاف مقام ربّه ونهىٰ النّفس عن الهوى* فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[1].

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: «انّ في طلب الدُّنيا إضراراً بالآخرة، وفي طلب الآخرة إضراراً بالدُّنيا، فأضرّوا بالدّنيا فإنّها أحقّ بالإضرار».

ولبعضهم: طلاق الدّنيا مهر الجنّة[2].

٢٥
الحكمة (٢٦٩)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلاَنِ: عَامِلٌ لِلدُّنْيَا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ، وَيَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَيَفْنَىٰ عُمْرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام «في مواعظ لقمان لابنه ـ إنّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبقَ ما جمعوا لهم، ولم يبقَ من جمعوا له، وإنّما أنت عبد مستأجر، قد أُمرت بعملٍ ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك واستوف

---

(١) النازعات: ٣٧ ـ ٤١.

(٢) الكافي ٣: ١٩٨.

أجرك، ولا تكن في هذه الدُّنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتّى سمنت فكانت حتفها عند سمنها»(١).

وفي (العقد): دخل الحسن البصري على ابن الأهتمّ يعوده في مرضه فرآه يصوّب بصره في صندوق في بيته ويصعده، ثم قال: يا أبا سعيد! ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصِلْ منها رحماً؟! قال: ثكلتك أُمّك! ولمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزّمان وجفوة السّلطان ومكاثرة العشيرة؛ ثمّ مات فشهده الحسن، فلّما فرغ من دفنه، قال: انظروا إلى هذا المسكين أتاه شيطانه، فحذّره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عمّا رزقه الله إيّاه، وغمره فيه، انظروا كيف خرج منها مسلوباً محروباً؛ ثمَّ التفت إلى الوارث فقال: أيّها الوارث! لا تخدعنّ اليوم كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالاً فلا يكوننَّ عليك وبالاً، أتاك عفواً صفواً ممّن كان له جموعاً منوعاً، من باطل جمعه، وحقّ منعه، قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار، لم تكدح أنت فيه بيمين، ولم يعرق لك فيه جبين، إنَّ يوم القيامة يوم ذو حسراتٍ وإنّ من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالَكَ في ميزان غيرك، فيالها عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال(٢).

وقالوا: إذا أمسكت المال فأنت للمال، وإن أنفقته فالمال لك(٣).

«وعاملٌ عمل في الدُّنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدُّنيا بغير عملٍ، فأحرز الحظّين معاً، وملك الزّادين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجةً فيمنعه» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ الله عزّوجل يقول: وعزّتي وجلالي وعظمتي! لا

---

(١) الكافي ٣: ٢٠٢ ح ٢٠.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٧٣.

(٣) الطرائف للمقدسي: ٧٠.

يؤثر عبد هواي على هوى نفسه إلّا كففت عليه ضيعته وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر[١].

وعن الصادق عليه السلام: من أصبح وأمسى والدّنيا أكبر همّه، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينَلْ من الدّنيا إلّا ما قسم له، ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره[٢].

٢٦
الحكمة (٣٥٩)

وَقَالَ عليه السلام: يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ.

أي: أسراء الرّغبة في الدّنيا، والحرص عليها؛ وفي الخبر: أغنى الغنآء من لم يكن للحرص أسيراً[٣].

«اقْصُرُوا» أي: انزعوا عن الرّغبة في الدّنيا.

«فَإنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا» أي المقيم عليها، يقال: «عرج فلان عن المنزل» إذا حبس مطيّته عليه وأقام.

«لاَ يَرُوعُهُ مِنْهَا» أي: لا يفزعه منها.

«إلّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحَدَثَانِ» الصّريف: الصّوت، والانياب: جمع النّاب وهو المحدّد من الأسنان والحَدَثَان ـ بالتّحريك ـ حوادث الدّهر قال الشّاعر:

كنت لهم في الحدثان نـابا   انفى العدىٰ وضيغما وثّابا

كان جعفر البرمكيّ في مجلس لهوه يغنّيه مغنّيه:

ولو فوديت من حدث اللّيالي   فـديتك بـالطّريف وبـالتّلاد

---

(١) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٨ ح ١٥.

(٣) الكافي ٢: ٣١٦ ح ٧.

إذ هجم عليه مسرور ـ خادم الرّشيد ـ وقال له جئتك لأخذ رأسك فأكبّ عليه يقبّل رجليه أن يؤخّر ذلك ويحضره حيّاً عنده، ثمّ يرى فيه رأيه، فلم يلتفت إليه وأخذ رأسه في ذيل قبائه، ولمّا وكلّ بأبيه يحيى البرمكيّ بعد قتله في داره حتّى هتكت ستوره وجمعت أمواله، قال للموكّل به: هٰكذا تقوم السّاعة[١].

«**أيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا عَنْ أنْفُسِكُمْ تأْدِيبَهَا**» فانّ النّفس امّارة بالسّوء فما لم تجدّ في تأديبها تهلكك كدابّة شموس وعدوّك الشّديد الّذي لو لم تحاربه وتقتله قتلك.

«**وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا**» في (الجمهرة): ضرى على الشّي يضرىَ ضراءً وضراوةً، إذا اعتاده[٢].

وفي الحديث: له ضراوة كضراوة الخمر.

وفي (النهاية): (ضرى بالشيء يضري ضراءً وضراوةً فهو ضار: إذا اعتاده) ومنه الحديث: إنّ للاسلام ضراوة؛ أي: عادة ولهجا به لا يصبر عنه[٣].

وقال الأزهري في قول عمر: إنّ للّحم ضراوة كضراوة الخمر» أي: له عادة طلّابة لآكله كعادة الخمر مع شاربها فمن اعتاد الخمر أسرف في النّفقة ولم يتركها فكذلك من اعتاد اللّحم لم يكد يصبر عنه[٤].

قال تعالىٰ: ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[٥].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦: ١٧٧ ـ ١٧٨، ذكرها مع تغيير طفيف.

(٢) الجمهرة لابن دريد: ١٠٦٦ (ر ض و ا ي).

(٣) النهاية لابن الأثير ٣: ٨٦ (ضرا).

(٤) النهاية لابن الأثير ٣: ٨٦.

(٥) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

هذا، و ابن أبي الحديد نقله: «عن ضراية عاداتها» والصّواب: ما هنا كما هو المفهوم[١] ممّا نقل عن الراوندي في (تفسيره)، وكما في (ابن ميثم)[٢] وان نسب الضّراية أيضاً إلى نسخةٍ.

٢٧
الحكمة (٣٦٧)

وَقَالَ عليه السلام:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاةً! قُلْعَتُهَا أَحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وَبُلْغَتُهَا أَزْكَىٰ مِنْ ثَرْوَتِهَا. حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرِيهَا بِالْفَاقَةِ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ. وَمِنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً، وَمَنِ ٱسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً. لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَىٰ سُوَيْداءِ قَلْبِهِ: هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَهُمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَىٰ بِالْفَضَاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّنًا عَلَى ٱللهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الْاخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ. وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْاعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ ٱلْمَقْتِ وَٱلْابْغَاضِ، إنْ قِيلَ أَثْرَىٰ قِيلَ أَكْدَىٰ! وإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَآءِ حُزِنَ لَهُ بالْفَنَاءِ! هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ.

«**يا أيّها الناس**» هكذا في (المصرية)[٣]، ولكن في (ابن أبي الحديد): «أيّها النّاس»[٤] وهو الصحيح.

«**متاع الدُّنيا حطام**» الحطام: ما تكسّر من اليبيس.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٦ «ضراوة» ح ٣٦٥.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٤١٨ (٣٤٠).

(٣) الطبعة المصرية: ٧٤٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٥ ح ٣٧٣.

«موبئ» من أوبأت الأرض صارت ذات وباء.

«فتجنّبوا مرعاةً» في (الصحاح): الرّعي ـ بالكسر ـ الكلاء، وبالفتح المصدر، والمرعى: الرّعي، والموضع والمصدر[1].

قلت: الأوّل والثاني واحد فالكلاء موضع الرَّعي وبالجملة المرعى يكون اسم مكان ومصدراً ميميّاً.

«قلعتَها» ـ بالضمّ ـ أي: عدم استيطانها.

«أحظىٰ» أي: أكثر منزلةً من (حظيت المرأة عند زوجها).

«من طمأنينتها» أي: السكون إليها لم يقل عليه‌السلام: (من نجعتها) مع انّه أنسب لفظاً ـ والنجعة: طلب الكلاء في موضع الكلأ؛ لأنّ الإنسان مادام في الدُّنيا لابدّ له من نجعة له منها إلّا أنّ الواجب ألّا يكون له طمأنينة إليها، قال تعالىٰ ﴿إنَّ الّذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدُّنيا واطمأنّوا بها والّذين هم عن آياتنا غافلون* أولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون﴾[2].

وقال البحتري:

ومن يعرف الأيام لا ير خفضها نعيماً ولا يعدد تصرّفها بلوىٰ[3]

«وبلغتها» بالضّمّ أي: ما يتبلّغ به من العيش.

«أزكىٰ من ثروتها» ﴿ولا تمُدَّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزقُ ربِّك خيرٌ وأبقىٰ﴾[4]، ﴿أيحسبون أنَّ ما نُمدّهم به من مالٍ وبنين* نُسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[5].

---

(١) الصحاح: (رعى).

(٢) يونس: ٧ ـ ٨.

(٣) ديوان البحتري ١: ٢٩١ يمدح أبا عيسى ابن صاعد.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.

«**حكم على مكثريها بالفاقة**» لأنّها كماء البحر كلّما شرب منه العطشان إزداد عطشاً حتّى يقتله، ومن كانت الدُّنيا همّه شتّت الله أمره وجعل الفقر بين عينيه، وقال عليه السلام: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا[١].

«**وأعين من غنى عنها بالرّاحة**» ولنعم ما قال الشيرازي بالفارسيّة:

حافظا ترک جهان گفتن طریق خوشد لی است

تا نه پنداری که احوال جهانداران خوش است[٢]

هذا، وبدّل ابن أبي الحديد[٣] «وأعينَ» بقوله: «وأغنى»، وجعل «وأعين» روايةً.

«**ومن**» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٤]: «من» بدون واو.

«**راقه**» أي: أعجبه.

«**زبرجها**» أي: زينتها.

«**أعقبت ناظريه**» الناظر سواد العين.

«**كمهاً**» بفتح العين مصدر (كمه) بالكسر والاكمه من ولد أعمى قال تعالىٰ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنّها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب الّتي في الصّدور﴾[٥].

«**ومن استشعر الشّغف بها**» أي: جعل الشّغف بها شعاره والشّغف حبٌّ محرقٌ للقلب.

---

(١) الكافي ١: ٥٧ ح١.

(٢) ديوان حافظ الشيرازي: ٥٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٦، وابن ميثم ٥: ٤٢١ والطبعة المصرية: ٧٤٢ مع «و».

(٥) الحج: ٤٦.

«ملأت ضميره اشجاناً» أي: أحزاناً.

«لهنَّ رَقصُ» الرّقص حركة مع رفع وخفض فكما يقال رقص المخنّث يقال رقص البعير ورقص النبيذ، قال حسّان:

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل[١]

«علىٰ سويداء قلبه» في الطبري: بعث عبيدالله بن زياد عمر بن سعد على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي وكانت الدّيلم غلبوا عليها، فكتب عهده على الرّيّ فخرج معسكراً بحمام أعين، فلّما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان وأقبل إلى الكوفة دعاه فقال له: سِرْ إلى الحسين فاذا فرغت منه سرت إلى عملك، قال: ان رأيت تعفيني قال على أن تردّ عهدنا فقال: امهلني اليوم انظر فانصرف يستشير نصحائه فلم يكن ليستشير أحداً إلّا نهاه وجاءه حمزة بن المغيرة بن شعبة ابن اخته فقال: يا خال! أنشدك الله أن تسير! فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان لك خير من أن تلقى الله بدم الحسين عليه السلام فقال له: أفعل، وقال: عبدالله بن يسار الجهني: دخلت على عمر وقد أمر بالمسير فقال: إنَّ الأمير أمرني وأبيت، فقلت: أصبت، أحل ولا تسر فخرجت من عنده فأتاني آت، وقال: هذا ابن سعد يندب النّاس إلى الحسين عليه السلام فأتيته فاذا هو جالس، فلّما رآني أعرض بوجهه فعرفت أنّه قد عزم[٢].

«همٌّ يشغله وهمٌّ يحزنه» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: «همٌّ يشغله وغمّ يحزنه» كما في (ابن أبي الحديد)[٤].

---

(١) العين، الفراهيدي ٥: ٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٩.

(٣) المصرية: ٧٤٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٥.

«حتّىٰ يؤخذ بكظمه» أي: مخرج نفسه.

«فيلقى بالفضاء» أي: الساحة وما اتّسع من الأرض.

«منقطعاً ابهراه» عرقان مستبطنا الصّلب إذا انقطعا لم يبقَ الشّخص.

«هيّناً على الله فناؤه» قال تعالىٰ في فرعون وقومه: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ* وزروعٍ ومقامٍ كريم* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين* فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[1].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: مرّ عيسىٰ عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: اما انّهم لم يموتوا إلّا بسخط وإلّا لتدافنوا فقال الحواريّون له: ادع الله تعالى أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها فنادى عيسىٰ عليه السلام ربّه فنودي من الجوّ ان نادهم فقام على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية فأجاب مجيب: (لبيّك ياروح الله) فقال: ويحكم! ما كانت أعمالكم قال: عبادة الطّاغوت وحبّ الدُّنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو فقال: كيف كان حبّكم للدُّنيا؟ قال: كحبّ الصّبيّ لأُمّه إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت بكينا وحزنّا، قال: فكيف كان عبادتكم للطاغوت ؟ قال الطّاعة لأهل المعاصي. قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية؛ جبال من نار توقد علينا إلى يوم القيامة، فالتفت عيسىٰ عليه السلام إلى الحواريّين فقال: (أكل الخبز الشّعير مع الملح الجريش والنّوم على التُّراب خير كثير مع عافية الدُّنيا والآخرة)[2].

---

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

(٢) الكافي ٤: ٦ ح١١.

«وعلى الاخوان القاؤه» في (الكافي) عنه عليه السلام: انّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدُّنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول والله انّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك فليتفت إلى ولده فيقول: والله انّي كنت لكم محبّاً وعنكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها[١].

«وإنّما ينظر المؤمن إلى الدُّنيا بعين الاعتبار» في (الكشّي): مرّ سلمان بالكوفة على الحدّادين وإذا شاب قد صرع والنّاس اجتمعوا حوله، فقالوا له لو جئت فقرأت في أذنه فدنا منه فرفع رأسه وقال لسلمان: ليس فيّ شيء ممّا يقول هؤلاء، لكنّي مررت بهؤلاء الحدّادين وهم يضربون بالمرازب فذكرت له قوله تعالىٰ: ﴿ولهم مقامع من حديدٍ﴾[٢] فاتّخذه سلمان أخاً فلم يزل معه حتّى مرض الشابّ فجاءه سلمان وهو في الموت، فقال: يا مَلَك الموت! إرفق بأخي، فقال: يا أبا عبدالله إنّي بكلّ مؤمن رفيق[٣].

«ويقتات مِنها» أي: يأخذ قوته منها.

«ببطن الاضطرار» في (الكشي) قال أبو ذرّ: من جزى الله عنه الدُّنيا خيراً فجزاها عنّي شرّاً بعد رغيفي شعير أتغدّى بأحدهما وأتعشّىٰ بالآخر وبعد شملتي صوف أتّزر بأحدهما وأرتدي بالأُخرىٰ[٤].

«ويسمع فيها باذن المقت والإبغاض» في (ابن أبي الحديد): زارت رابعة العدوية أصحابها، فذكروا الدّنيا فأقبلوا على ذمّها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها،

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٣١ ح١.

(٢) الحج: ٢١.

(٣) رجال الكشي للطوسي: ٢٨ رقم ٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨ (٥٣).

وكفّوا، فلولا موقعها في قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، إنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره[١].

«إن قيل أثرى قيل أكدى» قال ابن أبي الحديد وغيره: يعني بينا يقال أثرى، قيل: افتقر لأنّ هذه صفة الدُّنيا في تقلّبها بأهلها؛ وهو كما ترى فانّ (أكدى) ليس بمعنى افتقر بل بمعنى بخل الغنيّ[٢].

ففي (الجمهرة): كدى الرّجل وأكدى: إذا بخل، وكدى المعدن وأكدى: إذا لم يخرج منه شيء[٣]. وقال تعالى: ﴿أفرأيت الّذي تولّى * وأعطى قليلاً وأكدى﴾[٤].

قال الجوهري: أي: فقطع القليل[٥] أيضاً.

وحينئذٍ فالمراد ذمّ الدُّنيا بكون مثري أهلها بخيلاً منوعاً مع ثروته.

«وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء» قال ابن أبي الحديد: يعني: إن فرح له بالبقاء ودوامها قيل مات وعدم[٦].

قلت: بل الظّاهر إنّ المعنى أنّ أهله وإن فرحوا ببقائه لهم لكن يحزنون دائماً من خوف موته وفنائه، فقالوا: كان لامرأة ابن واحد فمات، فقالت: ليس لي بعدك همّ فإنّما كان همّي لك.

«هذا» أي: خذ هذا ـ أو ـ احفظ هذا، الّذي شرحت من وصف دنياهم الحاضرة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه ١٩: ٢٨٧.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٦٨١ (د ك ي).

(٤) النجم: ٣٣ ـ ٣٤.

(٥) الصحاح [كدى].

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٧.

«ولم يأتهم يومٌ فيه يبلسون» أي: برزخهم ومحشرهم، والإبلاس: عدم القدرة على التّكلّم من الدّهشة، قال تعالىٰ: ﴿فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيءٍ حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون* فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾[١]، وقال عزّوجلّ ﴿ويوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون﴾[٢]، ﴿إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون* لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون* وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين* ونادوا يا مالك ليقض علينا ربُّك قال إنّكم ماكثون* لقد جئناكم بالحقّ ولكن أكثركم للحقّ كارهون﴾[٣].

٢٨
الحكمة (٣٨٥)

وَقَالَ عليه السلام:

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى ٱللهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصىٰ إِلاَّ فِيهَا، وَلاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِتَرْكِهَا.

أقول: قال ابن أبي الحديد: نسبه الغزالي في (إحيائه) الى أبي الدّرداء، والصحيح كونه من كلامه عليه السلام ذكره الجاحظ في غير موضع من كتبه[٤].

قلت: لعلّه وقف على نسبته إليه عليه السلام في غير بيانه من كتبه وإلاّ ففي بيانه نسبه تارة إلى أبي الدرداء وأُخرىٰ إلى عيسىٰ عليه السلام، وكيف كان، فإن ثبت تكلّم أبي الدّرداء به، لا يبعد أن يكون أخذه منه عليه السلام.

«من هوان الدُّنيا على الله انّه لا يعصىٰ إلّا فيها» في (اللّهوف): جاء عبدالله بن

---

(١) الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) الروم: ١٢.

(٣) الزخرف: ٧٤ ـ ٧٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٢٦.

عمر إلى الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج من مكّة إلى الكوفة، فأشار عليه بصلح أهل الضّلال وحذّره من القتل والقتال، فقال له: أما علمت أنّ من هوان الدُّنيا على الله تعالى أنّ رأس يحيى أُهدي إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، أما تعلم أنّ بني اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً! فلم يعجّل الله تعالى عليهم بل أخذهم بعد ذلك[1].

وفي (الإرشاد): قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريّا وقال يوماً: ومن هوان الدُّنيا على الله عزّوجلّ أن رأس يحيى أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني اسرائيل؛ وامّا في القيامة، فخشعت الأصوات للرّحمن فلا تسمع إلّا همساً وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، فكيف يتأتّى من أحد عصيانه[2] ﴿يا أيُّها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وَقُودها النّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[3]، ﴿لمن المُلك اليوم لله الواحد القهّار﴾[4].

«ولا ينال ما عنده إلّا بتركها» ﴿ورحمةُ ربِّك خيرٌ ممّا يجمعون﴾[5]، ﴿ولولا أن يكون الناس أُمّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّةٍ ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون *

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٢٦.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ١٣٥ ح١٣.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) الزخرف: ٣٢.

وزخرفاً وإن كُلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدُّنيا والآخرة عند ربّك للمتقين﴾[١].

وفي (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لايجد الرّجل حلاوة الايمان في قلبه حتّى لا يبالي من أكل الدُّنيا، حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتّى تزهد في الدُّنيا[٢].

وعن الصادق عليه السلام: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه مَلَك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمّد! هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله، الدّنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فقال له الملك: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً! لقد سمعت هذا الكلام من مَلَكٍ يقوله في السّماء الرّابعة حين أعطيت المفاتيح[٣].

وعنه عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: مالي وللدُّنيا! وما أنا والدّنيا انّما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فَقَالَ ـ من القيلولة ـ تحتها ثمّ راح وتركها[٤].

ومرّ في فصل زهده عليه السلام قوله: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عرق خنزير في يد مجذوم)، (ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)، (وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لِعَليٍّ ولنعيم يفنى ولذّة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزّلل[٥].

---

(١) الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) الكافي ٣: ١٩٤ ح ٢.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٥ ح٨.

(٤) الكافي ٣: ٢٢ ح١٩.

(٥) الكافي ٣: ٢٠٢ ح١٩.

٢٩
الحكمة (٤١٥)

وَقَالَ عليه السلام فِي صِفَةِ الدُّنْيَا:

تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَآئِهِ؛ وَلاَ عِقَاباً لِأَعْدَآئِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

«تغرُّ وتضرُّ وتمرُّ» الثّلاثة بضمّ العين و(تمرّ) من المرور، لا المرارة، شبّه عليه السلام الدّنيا بمن جاءك فغرّك وضرّك ثمّ مرّ وتركك، أمّا غرّتها الإنسان، فقد قال تعالىٰ: ﴿وذَرِ الّذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدّنيا﴾[١]، ﴿يا أيها النّاس اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور﴾[٢]، ﴿وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار ومالكم من ناصرين﴾[٣]، وأمّا ضُرُّها للإنسان فلأنّ الغُرّ يستلزم الضُّرَّ؛ وقال تعالىٰ: ﴿قُل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدُّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً﴾[٤]، ﴿أولئك الّذين اشتروا الحياة الدُّنيا بالآخرة فلا يُخفّف عنهم العذابُ ولا هم ينصرون﴾[٥]، وأمّا مرورُها فكناية عن عدم مبالاتها بما أصيب به من أُصيب بواسطتها، وقال ابن ميثم: «تمرّ» بضمّ التّاء من الإمرار لما يستلزمه فراقها

---

(١) الأنعام: ٧٠.

(٢) لقمان: ٣٣.

(٣) الجاثيه: ٣٤.

(٤) الكهف: ١٠٣.

(٥) البقرة: ٨٦.

من ألم الحزن والجزع كألم المرار، وروى «وتمرّ» بفتح التّاء أي: تذهب»[١].

قلت: أمّا ما قاله أوّلاً من كون (تمرّ) من المرارة فيسقط الكلام عن الفصاحة، وأمّا ما قاله ثانياً من تعيّن كون (تمرّ) بفتح التّاء لمعنى الذّهاب فمطلقاً ممنوع، وإنّما هو مع ضمّ الميم، وأمّا مع فتحها أيضاً فهو بمعنى المرارة أيضاً ففي (الصحاح): (أَمَرَّ الشّيء): صار مرّاً، وكذلك (مرّ الشّيء يمرّ ـ بالفتح ـ مرارة فهو مُرٌّ وأمرَّه غيره ومرَّه).

«إنّ الله لم يرضها ثواباً لأوليائه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: (لولا إلحاح المؤمنين ـ وفي خبر (هذه الشيعة) ـ على الله في طلب الرّزق لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى ما هو أضيق[٢].

وعنه عليه السلام: (ماكان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً ولا كافراً إلّا غنيّاً حتّى جاء ابراهيم عليه السلام، فقال: ﴿ربّنا لا تجعلنا فتنةً للّذين كفروا...﴾[٣]، فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة وفي هؤلاء أموالاً وحاجة) وعنه عليه السلام: (انّ الله تعالى يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر اليهم فيقول، وعزّتي! ما أفقرتكم في الدُّنيا من هوان بكم عليّ، ولترون ما أصنع بكم اليوم، فمن زوّركم في دار الدّنيا معروفاً فخذوا بيده، وأُدخلوه الجنّة، فيقول رجل منهم يارب إنَّ أهل الدُّنيا تنافسوا في دنياهم، فنكحوا النّساء، ولبسوا الثّياب اللّيّنة، وأكلوا الطّعام، وسكنوا الدّور، وركبوا المشهور من الدّوابّ، فأعطني مثل ما أعطيتهم، فيقول تعالى: ولكلّ منكم مثل ما أعطيت أهل الدُّنيا منذ كانت إلى أن انقضت سبعين ضعفاً)، وعنه عليه السلام: انّه تعالى ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٣ ح ٣٩٠.

(٢) الكافي ٣: ٣٦٣ ح ١٦.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٣٦١ ح ١٠ والآية ٥ من سورة الممتحنة.

في الدّنيا، كما يعتذر الأخ إلى أخيه فيقول: وعزّتي! ما أحوجتك في الدّنيا من هوان بك عليّ فارفع هذا السّجف فانظر إلى ما عوّضتك من الدُّنيا، فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوضتني[1].

«ولا عقاباً لاعدائه» في (عقاب الأعمال)[2]: ذكر عند الصادق عليه السلام قاتل الحسين عليه السلام، فقال بعض أصحابه كنت اشتهي أن ينتقم الله منه في الدّنيا فقال عليه السلام: كأنّك تستقل له عذاب الله تعالى! وما عند الله أشدّ عذاباً وأخشى نكالاً، وفي الدّنيا يموتون بأدنى عذاب، ولا يموتون في القيامة من أشدّ عذاب فيقولون لمالك ﴿ليقضِ علينا ربُّك قال إنّكم ماكثون﴾[3]، وعذاب الدّنيا ألمه في الأوّل، وعذاب الآخرة ألمه إلى الأزل ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب...﴾[4].

«وإنَّ أهل الدُّنيا كركبٍ بيناهم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا» وقال الأعشىٰ:

انّ محلّا وانّ مرتحلا   وان السّفر إذ مضوا مهلا[5]

وقال البحتري:

وما أهل المنازل غير ركب   مناياهم رواح وابتكار

لنا في الدّهر آمال طوال   نرجّيها وأعمار قصار[6]

وقيل بالفارسية:

---

(١) الكافي ٢: ٢٦١ ح ٩.

(٢) عقاب الأعمال: ٢٥٧ ح ١.

(٣) الزخرف: ٧٧.

(٤) النساء: ٥٦.

(٥) ديوان الأعشىٰ يمدح (سلامة): ١٥٤.

(٦) ديوان البحتري ١: ١٦٠ مدح بني المقداد.

مرا منزل جانان چه جای امن چون هر دم
جرس فریاد میدارد کـه بـربندید مـحملها

أيضاً: تا بار نهادی که صدای کوچ است

وقال ابن أبي الحديد: قال أبو العتاهية:

انّ داراً نــحن فــيها لدار ... ليس فــيها لمــقيم قــرار
كم وكم قـد حـلّها مـن أنـاس ... ذهب اللّــيل بــهم والنّــهار
فــهم الرّكب أصـابوا مـناخاً ... فاستراحوا ساعة ثـمّ سـاروا
وكـذا الدُّنـيا عـلى مـا رأيـنا ... يذهب النّاس وتخلوا الدّيار[1]

هذا، وقال ابن أبي الحديد: أكثر أهل العربيّة يـمنعون مـن مـجيء (إذ) و (إذا) بعد (بينا) و (بينما) وبعضهم يجيزه وعليه جاء كلامه عليه السلام وأنشدوا:

بـينما النّـاس عـلى عـليائها ... إذ هووا في هوّة منها فغاروا

وقالت بنت النعمان:

وبينا نسوسُ الناس والأمر أمرنا ... إذا نـحن فـيهم سـوقة نـتنصّف

وقال:

اسـتقدر الله خـيراً وارضـينّ بـه ... فـبينما العسـر إذ دارت مـياسير
وبـينما المـرء فـي الأحـياء مـغتبط ... إذ صار في اللّحد تعفوه الأعاصير[2]

قلت: لم أدرِ من منع من أهل العربية ما قال، بل قال ابـن هشـام: ومـن وجوه (إذ) أن تكون للمفاجأة وهـي الواقـعة بـعد (بـينا) أو (بـينما)... وقـال الجوهري: «إذ، لا يليها إلّا الفعل نحو قولك بينما أنا كذا إذ جاء زيد».

---

(١) ديوان أبي العتاهية: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٥٣.

٣٠
الحكمة (٤٥٦)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِاَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاّ الْجَنَّةَ، فَلَا تَبِيْعُوهَا إِلاّ بِهَا.

في (الصحاح): اللّماظة ـ بالضّمّ ـ ما يبقى في الفم من الطّعام ومنه قول الشاعر يصف الدّنيا (لماظة أيّام كأحلام نائم)(١).

ودعها الحرّ، ولذا قال له الحسين عليه السلام: ما أخطأت أُمّك حيث سمّتك حرّاً، أنت حرّ في الدّنيا والآخرة.

وفي (غاية السؤول): «نقل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى جابر الأنصاري يتنفّس الصّعداء فقال عليه السلام له: علامَ تنفّسك، أَعَلَى الدُّنيا؟ قال: نعم، فقال عليه السلام: ملاذ الدّنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والمشموم، والمسموع، فألذّ المأكولات؛ العسل وهو بصاق من ذبابة، وأجلّ المشروبات الماء، وكفى بإباحته سياحته على وجه الأرض؛ وأعلى المركوبات الخيل، وهي قواتل؛ وأجلّ المشمومات المسك، وهو دم من سرّة دابّة؛ وأجلّ المسموعات الغناء، والترنّم، وهو إثم؛ فما هذه صفته لم يتنفّس عليه عاقل! قال جابر: فوالله ما خطرت الدّنيا بعد على قلبي»(٢).

وكان عليه السلام يقول: وهو سيّد الأحرار وأمير الفتيان: الدّنيا عندي بمنزلة عرق خنزير في يد مجذوم(٣).

---

(١) الصحاح: (لمظ).

(٢) مطالب السؤل: ٥٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٦٧.

«إنّه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها» كان عليه السلام يقول: إذا حضرت بليّة فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، اعلموا أنّ الهالك من هلك دينه، والحريب من سلب دينه، ألّا وإنّه لا فقر بعد الجنّة، ولا غنى بعد النّار[1].

وفي (الطبري): لمّا زحف ابن سعد يوم عاشوراء إلى الحسين عليه السلام قال له الحرّ: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال أي: والله ـ إلى أن قال ـ فأخذ الحرّ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً فقال له رجل من قومه يقال له مهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء فقال له المهاجر: انّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن! ولو كان قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الّذي أرىٰ منك؟ قال: انّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، ووالله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت، ثم ضرب فرسه والتحق بالحسين عليه السلام[2].

---

(١) البحار للمجلسي ٧٨: ٥٥ ح١٠٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٤.

فهرس المطالب

دليل القارئ

* ضمّ «بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزِّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلّف نفسه.

* اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

* قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

* يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

* غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

* لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

* عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

* إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

* أُضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

* وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

نتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر